



جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

دراسة وتحقيق قطعة من مخطوط:

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان

لمؤلفه: بدر الدين محمود العيّني، ت: سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م

تؤرخُ القطعة للسّنوات ٧١١-٧١٤هـ/١٣١١-١٣١٤م

رسالة أُعدّت لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام

إعداد الطالب:

طه خليل الحمادي

إشراف:

الدُّكتورة نُهى فضل الله حميد

٢٠١٤م / ١٤٣٥هـ

Damascus University

Faculty Of Literatures And Human Sciences

Department of History



Study And Editing A Piece From The Manuscript Of
Akd Al-Juman Fi Tarekh Ahl Al-Zaman

By: Bdr Al-Dein Mhmoud Al-Aini D: 855 H\1451 G

Annals: 711-714 H\1311-1314 G

A Thesis Prepared For Getting Degree Of Master In History Of The Arabs And Islam

Prepared By:
Taha Khleil Al-Hmmadi
Supervision By:
Dr.: Noha Fadl Allah Homeid

1435 H \ 2014 G

الإهداء:

إلى بذور الفرات الطيبة أمي وأبي

إلى أملي وقرّة عيني ولدي أنس

إلى من قاسمتني كدّ الحياة وسعدها نزوجتي

إلى أصدقائي الأعزاء ... أنس الحميد وفراس عبد الرحمن

عميق الشكر والامتنان والتقدير

للدكتورة نهى فضل الله حميد

عرفانا بفضلها والإشراف على هذا البحث وتقانيها في تقديم ما

بوسعها من علم ومعرفة كي يصل إلى مبتغاه

دراسة وتحقيق قطعة من مخطوط عقد الجُمان في تاريخ أهل الزمان

الصفحة	فهرس المحتويات
٧	دلالة الرموز المستخدمة في البحث
٨	المقدمة
١١	التعريف بأهم المصادر والمراجع
١٩	الفصل الأول
١٩	دراسة المؤلف: بدر الدين محمود العيني ٧٦١-٨٥٥هـ/١٣٦٠-١٤٥١م
٢٠	أولاً: عصر البدر العيني وميزاته:
٢٦	١- من الناحية السياسية والعسكرية
٢٨	٢- من الناحية الاجتماعية
٣٠	٣- من الناحية الاقتصادية
٣٢	٤- من الناحية الفكرية
٣٩	ثانياً: دراسة حياة البدر العيني:
٣٩	١- أخباره الشخصية:
٣٩	أ. اسمه ونسبه وولادته
٤٠	ب. أسرته
٤١	ج. نشأته وعناية عائلته به
٤١	٢- حياته العلمية:
٤١	أ. رحلاته العلمية
٤٣	ب. شيوخه
٤٨	ج. أقرانه من العلماء
٥٢	د. تلامذته
٥٥	هـ. مؤلفاته
٦٢	و. مكانته العلمية
٦٤	٣- حياته الوظيفية:
٦٤	أ. التدريس

٦٤	ب. الحسبة
٦٧	ج. ناظر الأحباس
٦٧	د. قاضي قضاة الحنفية
٦٨	٤ - وفاته
٦٩	الفصل الثاني
٦٩	دراسة المخطوط والنص المحقق
٧٠	أولاً: دراسة المخطوط:
٧٠	١ - توثيق المخطوط
٧١	٢ - وصف المخطوط
٧٤	٣ - القطعة موضوع التحقيق:
٧٤	أ. وصف القطعة
٧٦	ب. أهمية القطعة
٧٧	ج. خطة التحقيق
٧٨	د. موارد البدر العيني في القطعة المحققة:
٧٨	١ - المؤرخون ومؤلفاتهم
٨٠	٢ - الروايات
٨٠	٣ - التحصيل المعرفي
٨٢	ثانياً: النص المحقق:
٨٢	فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الحادية عشرة بعد السبعمائة
٨٤	ذكر مَنْ قدم من الرسل وغيرهم
٨٧	ذكر مَنْ أُعطي إمرة أو وظيفة ومَنْ قُطِع
٩٢	ذكر القبض على الأمير بكتمر الجوكندار نائب السلطان بالديار المصرية
٩٦	ذكر مسك نائب صفد
٩٧	ذكر مسك الأمير كراي نائب الشام
٩٩	ذكر قضية الأمير قراسنقر المنصوري نائب حلب وتوجهه إلى الحجاز ثم توجهه إلى خرّيندا ملك التتار
١٣٩	ذكر ما جرى لقراسنقر والأفرم ومن معهما ودخولهم في بلاد التتار
١٤٨	ذكر اجتماع الأفرم وقراسنقر مع خرّيندا

١٥٢	ذكر قضية الفداوي مع الأفرم
١٥٧	ذكر بقية الحوادث في هذه السنة
١٦٢	ذكر مَنْ تُوفي فيها مِنْ الأعيان
١٨٢	فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الثانية عشرة بعد السبعمئة
١٨٢	ذكر مَنْ وُلِّيَّ وظيفة وَمَنْ قُطِعَ
١٨٥	ذكر تولية أرغون الدوادر نيابة السلطنة بالديار المصرية
١٨٥	ذكر نزول التتار الرحبة وقصدهم أخذ بلاد الشام
٢٠٢	ذكر وصول خربندا إلى الرحبة
٢١١	ذكر رحيل خربندا من الرحبة
٢١٢	ذكر خروج السلطان مِنْ مِصر وتوجهه إلى الشام لمحاربة خربندا
٢١٤	ذكر وصول السلطان إلى دمشق
٢١٦	ذكر سفر السلطان إلى الحج
٢١٩	ذكر قضية رُمَيْثَة مع الحُجَّاج
٢٢٢	ذكر بقية الحوادث في هذه السنة
٢٢٩	وَمِنْ الحوادث في هذه السنة
٢٣٠	ذكر مَنْ تُوفيَّ فيها مِنْ الأعيان
٢٤٢	فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الثالثة عشرة بعد السبعمئة
٢٤٣	ذكر مَنْ أُعْطِيَ إمْرَةً وَمَنْ قُطِعَ
٢٤٥	ذكر ما جرى مِنْ الحوادث في الديار المِصْرِيَّة والشامِيَّة
٢٤٨	ذكر سفر السلطان إلى الصعيد
٢٤٩	ذكر التجريدة إلى مكة
٢٥٠	ذكر تَجْرِيدَة وراء المِتْسَحْبِينَ مِنْ مِصر
٢٥١	ذكر تَصْيُد خربندا مَلِك التتار
٢٥٢	ذكر بناء خربندا مدينة السلطانية
٢٥٧	ذكر مَنْ تُوفي فيها مِنْ الأعيان
٢٦٤	ذكر جلوس أَرْزُك خان بن طغرلجا بن منكوتر بن طغان بن باطو بن جنكزخان
٢٦٦	فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الرابعة عشرة بعد السبعمئة

٢٦٦	ذِكْر مَنْ وَلِيَ وَظِيفَ وَمَنْ قُطِعَ
٢٦٧	ذِكْر مَنْ قَدِمَ مِنَ الرُّسُلِ وَغَيْرِهِمْ
٢٦٧	ذِكْر تَجَرِيدَاتٍ وَقَعَتْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ لِلْحَرْبِ وَغَيْرِهَا مِنْ مِصْرَ وَالشَّامِ
٢٧٤	ذِكْر مَا تَجَدَّدَ فِي الْمَغْرِبِ
٢٧٥	وَمِنَ الْحَوَادِثِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ
٢٧٥	وَمِنَ الْحَوَادِثِ
٢٧٦	ذِكْر مَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ
٢٨٦	الْخَاتَمَةُ
٢٨٨	الْمُلَاحِقُ
٢٩٩	الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ

دلالة الرموز المستخدمة في البحث

ت: توفي
تح: تحقيق
تر: ترجمة
ج: جزء
د.ت: بدون تاريخ نشر
د.م: بدون مكان نشر
ص: صفحة
ط: طبعة
ق: قسم
م: ميلادي
مج: مجلد
مر: مراجعة
هـ: هجري

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: لقد قامت دولة المماليك في مصر وبلاد الشام سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، فورثت دولة الأيوبيين ومسؤولياتها، وجاء ذلك استجابة سياسية عسكرية لظروف العالم الإسلامي عامة، والمنطقة العربية منه بشكل خاص، نتيجة الظروف الحرجة التي مرت بها المنطقة آنذاك من حروب داخلية بين أبناء البيت الأيوبي أضعفت قدرتهم عن صد حملات الصليبيين المتكررة لدعم ما تبقى من إخوانهم في المشرق، وبروز خطر داهم كبير من الشرق حين اجتاحت جحافل الجيوش المغولية بلاد المسلمين بوحشية لا مثيل لها، عندها انتزع المماليك زمام المبادرة واستطاعوا صد الزحف المغولي وانتصروا عليهم في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، ولم يقف المماليك عند هذا الحد بل استطاعوا تصفية الوجود الصليبي في المنطقة، ونجحوا في توحيد مصر وبلاد الشام وفرضوا هيبتهم على من حولهم.

كما وشهدت المنطقة خلال الحكم المملوكي استقراراً ملحوظاً شمل جميع مجالات الحياة، وكان للحياة الفكرية نصيبها من النمو والازدهار، فأصبحت مصر وبلاد الشام مركزاً لنشاط فكري واسع بعد أن دمر المغول بغداد التي كانت مركز إشعاع فكري وحضاري دام عدة قرون، حيث خططت الدولة المملوكية خطوات متقدمة في دعمها للحركة العلمية، وبدأ الفكر العربي يتبلور وتظهر الشخصية العربية من خلال أعمال الكثير من العلماء والفقهاء في مختلف مجالات العلوم، ومنها علم التاريخ الذي حظي بعناية كبيرة في هذا العصر وتنافس المؤرخون في إخراج كتب تاريخية كبيرة تهم بالمنطقة، فتعددت أنواعها، وامتألت بها خزانات الكتب، ومن تلك الكتب الموسوعات الكبرى التي غالباً ما بدأت بالتأريخ منذ بداية الخليفة وانتهت إلى عصر المؤلف.

ويُعدّ البدر العيني من أشهر مؤرخي العصر المملوكي، وقد عاش بين سنتي ٧٦١-٨٥٥هـ/١٣٦٠-١٤٥١م، ونال شهرته كمؤرخ أصيل من خلال كتابه "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان" الذي يُعدّ كنز من كنوز التاريخ العربي الإسلامي، نظراً لما احتواه من معلومات قيّمة في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، فهو سجل لتاريخ العالم الإسلامي كله سواء لأهل

عصره ومصدر لمن جاء بعده من المؤرخين والباحثين حتى أيامنا هذه، فلا يوجد باحث حديث في التاريخ الإسلامي إلا ورجع إليه، ليستقي منه مادة قيمة سواء في أخبار عصر المؤلف أو ما قبله.

وبتوجيه كريم من الأساتذة الأفاضل في قسم التاريخ وخصوصاً الأستاذ الدكتور سهيل زكار إلى ضرورة العمل بجد من أجل إحياء التراث العربي الإسلامي، كونه ضرورة لنا في هذه المرحلة الحساسة من تاريخنا، والتي اختلطت فيها التيارات وتضاربت الاتجاهات، حيث لا يمكن لأي أمة أن تحتفظ بمقومات وجودها الحاضر وتبني مستقبلها إذا أغفلت كنوز تراثها وقطعت صلتها بماضيها، فمن لا ماضي له لا حاضر له ولا مستقبل، وبذلك تم العمل في هذا البحث على تحقيق قطعة من مخطوط "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان" للبدر العيني، التي تؤرخ للمرحلة الزمنية ما بين سنّي ٧١١-٧١٤هـ/١٣١١-١٣١٤م، كمساهمة متواضعة في متابعة الخطى لإعادة كتابة التاريخ ونشره بوجهة نظر عربية إسلامية صرفة، وكرسالة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام. وقد تم العمل على تقسيم البحث إلى فصلين:

الفصل الأول: تناول التعريف بعصر المؤلف وهو عصر دولة المماليك الجراكسة، حيث تم التعريف بهم وبكيفية وصولهم إلى السلطة، وتوضيح أهم مميزات ذلك العصر من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، ثم دراسة حياة البدر العيني الشخصية والعلمية والوظيفية حتى وفاته.

الفصل الثاني: ويقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ويتضمن دراسة نقدية تحليلية لمخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حيث تم إثبات نسبته إلى مؤلفه العيني من خلال المصادر والمراجع التي أكدت ذلك، ثم التعريف بما احتواه المخطوط من معلومات على امتداد المرحلة الزمنية التي أُرِخ لها، وتوضيح طريقة ومنهج المؤرخ في الكتابة. والتعريف بنسخ المخطوط وأماكن وجودها، وكذلك الإشارة إلى الأقسام والقطع التي تم تحقيقها منه، ودراسة القطعة المحققة في هذا البحث والمنهج الذي تم اتباعه في الدراسة والتحقيق، إضافة إلى دراسة الموارد التي اعتمد عليها العيني في تأريخه لهذه المرحلة.

القسم الثاني: وفيه دراسة النص المحقق الذي تضمّن حوليات السنوات من ٧١١-٧١٤هـ/١٣١١-١٣١٤م، والتي شهدت خلالها الدولة المملوكية أحداثاً مهمة داخلياً وخارجياً، إذ هرب

عدد من الأمراء المماليك إلى بلاد التتار، وغزا التتار الرحبة ثم انسحبوا عنها، حيث أورد العيني تفاصيل دقيقة عن تلك الأحداث لم يتطرق إليها غيره من المؤرخين؛ حتى من الذين عاصروا تلك المجريات، كما احتوى النص على معلومات قيّمة عن العلاقات الخارجية لدولة المماليك، والأوضاع السياسية لدول المنطقة بشكل عام.

وانتهى البحث بخاتمة تضمّنت النتائج التي تم التوصل إليها من هذا البحث، إضافة إلى عدد من الملاحق وتتألف من خرائط توضيحية وقائمة فيها جميع أسماء سلاطين المماليك وسبب حكمهم، وصور لصفحات من القطعة المحققة للمخطوط تتصدرها الصفحة الأولى.

ومن الصعوبات التي واجهت هذا البحث هي عدم الحصول إلا على نسخة واحدة فقط لقطعة المخطوط، الأمر الذي حال دون مقارنة الكلمات المطموسة والأخطاء الكتابية التي احتوت عليها هذه النسخة مع نسخة أخرى والاضطرار إلى تدقيقها بالعودة إلى المصادر المعاصرة لها، وقد أدى عدم اهتمام الناسخ بكتابة الأبيات الشعرية الواردة في النص وفق نسق واحد وبشكل مضبوط إلى صعوبة كبيرة في ضبط الأبيات الشعرية، حيث تم الرجوع إلى الكثير من المصادر ومعاجم اللغة لهذا الغرض.

والشكر الكبير والتقدير العظيم لكل من كانت لهم يد بيضاء دعمت إنجاز هذا البحث، وأخص بذلك الأستاذ الدكتور سهيل زكار الذي قدم لي جزء كبير من قطعة المخطوط، وكان لإرشاداته العلمية أثراً كبيراً في البحث، وكذلك الصديق أنس عبدالله محمد الذي أحضر لي عدد من أوراق المخطوط من القاهرة، وإلى مدرس اللغة العربية الأستاذ علي الحسين لما قدمه من مساعدة في ضبط أبيات الشعر الواردة في النص المحقق، مع خالص الشكر والتقدير إلى الدكتورة هُي حميد التي أكرمتني في الإشراف على البحث، فكان لتوجيهاتها القيّمة وملاحظاتها السديدة دور كبير في ترشيده والوصول به إلى الصورة التي هو عليها، فجزاها الله خير ما جرى أستاذ عن طالبه.

والرجاء من الله أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به.

طه خليل الحمّادي

الرقعة ٨ ذي القعدة ١٤٣٤هـ/ ١٤ أيلول ٢٠١٣م

التعريف بأهم المصادر والمراجع

لقد تطلبت دراسة هذا الموضوع الاستفادة من عدد كبير من المصادر، بعضها اختص بالعصر المملوكي وبعضها تناول مختلف العصور، وكذلك بعض المصادر المختصة بعلم محدد وأخرى موسوعية، وهذا تعريف موجز بأهم المصادر التي اعتمد عليها البحث، مرتبة حسب الترتيب الألف بائي لاسم المؤلف:

١- ابن إياس ٨٥٢-٩٣٠هـ/١٤٤٨-١٥٣٢م:

محمد بن أحمد ابن إياس، ولد في القاهرة، ودرس على جماعة من أعلام عصره، اهتم بالتاريخ والجغرافيا، وكتب عن الدول الإسلامية، وتناول دولة المماليك الأولى بشيء من التوسع، ومن مؤلفاته التي استفاد منها البحث، كتابه "بدائع الزهور في وقائع الدهور"^(١) ويعد مصدراً مهماً وأساسياً من مصادر التاريخ الإسلامي في العصر المملوكي، وقد تمت الاستفادة منه في مقابلة بعض الأحداث الواردة في النص المحقق.

٢- البرزالي ٦٦٥-٧٣٩هـ/١٢٦٧-١٣٣٨م:

علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد ابن أبي يدّاس البرزالي (نسبة إلى برزالة من بطون البربر)، أصله من إشبيلية ومولده في دمشق، تلقى العلوم على علماء عصره، وتنقل بين دمشق وحلب و الحجاز ومصر، ألّف كتاباً في التاريخ أرّخ فيه منذ عام مولده وهو العام الذي توفي فيه أبو شامة، فكان صلة لتاريخ أبي شامة، وبلغ به إلى سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م، وهو كتاب "المقتفي على كتاب الروضتين"^(٢)، حيث تمت الاستفادة منه في هذا البحث في مقابلة الأحداث وضبط التراجم الواردة في النص المحقق.

٣- ابن بطوطة ٧٠٣-٧٧٩هـ/١٣٠٤-١٣٨٠م:

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي، الشهير بابن بطوطة، ولد في طنجة، سافر إلى الكثير من البلدان العربية والإسلامية براً وبحراً ووصل إلى الصين، له كتاب "تحفة النظار في

(١) تح: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٢-١٩٨٤م، سيُشار إليه ب ابن إياس: بدائع.

(٢) تح: عمر عبد السلام التدمري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، د.ت، سيُشار إليه ب البرزالي: المقتفي.

غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"^(١)، المعروف برحلة ابن بطوطة، ولهذا الكتاب قيمة كبيرة، بما يحتويه من معلومات جغرافية وتاريخية واجتماعية واقتصادية قيمة، وقد تم من خلاله ضبط الكثير من أسماء المواقع الجغرافية التي ورد ذكرها في النص المحقق.

٤- ابن تغري بردي الأتابكي: ٨١٢-٨٧٢هـ/١٤٠٩-١٤٦٩م:

جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري، الجويني الأتابكي، ولد في القاهرة، أبوه مملوك من أصل رومي، ولي نيابة السلطنة في أيام السلطان فرج بن برقوق حفظ القرآن في صغره، ودرس الفقه والنحو والبيان على جماعة من أعلام عصره، ودرس التاريخ وبرع فيه، ومن مؤلفاته التي تمت الاستفادة منها، كتاب "المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي"^(٢) وهو سجل لتراجم أعيان عصره، بدأه من أوائل دولة المماليك الأولى، وحتى وفاته، وضم نحو ثلاثة آلاف ترجمة مرتبة على حروف المعجم. وقد تم التعريف بالكثير من التراجم التي وردت في النص من خلاله. وكتاب "النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة"^(٣) وهو من أشهر كتبه وأضخمها، سرد فيه تاريخ مصر منذ الفتح الإسلامي سنة ٦٤٠هـ/١٤٠٩م، وحتى سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م، قبيل وفاته، وجعله على عهود الحكام والسلطين، فوضع كل عهد في فصل مستقل، حيث ذكر السنين والحوادث والوفيات، وأحياناً يذكر الحوادث في التراجم، ولا تقتصر أخباره على تاريخ مصر فقط، بل تناول الكثير من الحوادث في تاريخ بلاد الشام، والعلاقات مع الدول المجاورة للسلطنة المملوكية، ولذلك كان مصدراً مهماً اعتمده البحث.

٥- ابن حبيب ٧١٠-٧٧٩هـ/١٣١٠-١٣٧٧م:

أبو ظاهر بدر الدين الحسن بن عمر بن الحسن الدمشقي، الحلبي، ولد في حلب وتوفي فيها، اهتم بالأدب، وتعلم على يد كبار شيوخ دمشق وحلب والقاهرة والحجاز، تولى أعمال كثيرة في الدولة، ومع أن أكثر ميوله كانت إلى الأدب، فقد أدخل عليه التاريخ، وتم الاعتماد على كتابه "درة الأسلاك في دولة الأتراك"^(٤) الذي كتبه على أساس التاريخ الحولي وضم تراجم وأعلام من سنة ٦٤٨-٧٧٨هـ/١٢٥٠-١٣٧٦م، في ضبط بعض التراجم الواردة في النص المحقق. وكتاب "تذكرة النبيه في أيام

(١) تح: عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٧م، سيُشار إليه ب ابن بطوطة: الرحلة.

(٢) تح: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت، سيُشار إليه ب ابن تغري بردي: المنهل.

(٣) وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، ١٩٦٣م، ١، سيُشار إليه ب ابن تغري بردي: النجوم.

(٤) مخطوط في مكتبة الأسد الوطنية، دمشق، رقم م.ف: ١٦٨، سيُشار إليه ب ابن حبيب: درة.

المنصور وبنيه"^(١) تحدث فيه عن السلطان قلاوون وأحفاده الذين حكموا حوالي مئة سنة، ويعالج فيه أحداث وتراجم ما بين ٦٧٨-٧٧٠هـ/١٢٧٩-١٣٦٨م، وتمت الاستفادة منه في مقابلة بعض الأحداث الواردة في النص المحقق وكذلك في ضبط بعض التراجم الواردة فيه.

٦- الحموي، ياقوت ٥٧٥-٦٢٧هـ/١١٧٩-١٢٢٩م:

شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، أصله مملوك لتاجر من حماة، فنسب إليه، وبعد أن أصبح حراً عمل في نسخ الكتب وبيعها، مما جعله يهتم بالعلم، ثم أحب الرحلات والأسفار في كثير من الأمصار، مما جعله يؤلف كتاباً بمثابة معجم جغرافي سماه "معجم البلدان"^(٢) يحتوي على معلومات جغرافية عن المدن والمناطق التي زارها، أو نقلها من كتب من سبقوه، ومن خلال هذا الكتاب تم ضبط الكثير من أسماء الأماكن الواردة في النص المحقق، والتعريف بها.

٧- الذهبي ٦٧٣-٧٤٨هـ/١٢٧٤-١٣٤٧م:

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله الذهبي، التركماني الأصل الدمشقي المولد والوفاة، أعظم المؤرخين في تاريخ الإسلام، وأغزرهم علماً، وأهم المؤرخين في بلاد الشام، انصرف إلى الدين والتاريخ عندما كان النزاع العقائدي بين المذاهب الإسلامية محتدماً، وتنقل في البلاد الشامية، كما رحل إلى مصر والحجاز، وسمع الكثير من أبرز شيوخ عصره، واهتم بالكتب التاريخية، ومعجم الشيوخ، وكان مدرساً في مدارس دمشق، وترك بعد وفاته حوالي ٢٣٥ كتاباً وجزءاً، الكثير منها في القراءات والحديث والفقه والعقائد.

أما في التاريخ فقد ألف حوالي ١٤٨ كتاباً ما بين مؤلف ومختصر، ومنتقى ومعجم شيوخ وسيرة، وتناول كتابة التاريخ من بابين: باب الحوادث، وباب التراجم.

وقد استفاد البحث من العديد من مؤلفاته، منها "سير أعلام النبلاء"^(٣) الذي ترجم فيه لأعلام الناس منذ بداية الدعوة الإسلامية، وحتى القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، رتب فيه التراجم إلى فئات متماثلة، فكان هذا الكتاب موسوعة إسلامية استفاد منها البحث في ضبط بعض تراجم النص

(١) تح: محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م، سيُشار إليه ب ابن حبيب: تذكرة.

(٢) دار صادر، ط ٢، بيروت، ١٩٩٥م، سيُشار إليه ب الحموي: البلدان.

(٣) تح: محمد الشبراوي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م، سيُشار إليه ب الذهبي: النبلاء.

المحقق. وكتاب "العبر في خبر من غير"^(١) وفيه تناول تراجم لفئات مختلفة من الشعب، من سلاطين وملوك وأمراء وعلماء وأطباء ورحالة، وغيرهم. بدأه من بداية السنة الهجرية الأولى، وحتى سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، ثم اتبعه بالذيل من سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م، وحتى سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م. واستفاد البحث من كتب أخرى للذهبي منها "معجم شيوخ الذهبي"^(٢) و"تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"^(٣).

٨- السخاوي ٨٣١-٨٩٠هـ/١٤٢٧-١٤٩٧م:

شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عثمان السخاوي، المصري الشافعي، مؤرخ ومحدث كبير، تنقل في البلاد العربية، فحصل علماً في التاريخ والنحو والبلاغة والتصوف، ومن أهم كتبه "الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع"^(٤) ترجم فيه لأعيان القرن التاسع الهجري من سنة ٨٠١-٩٠٠هـ/١٣٩٨-١٤٩٤م، وسار فيه على النسق الذي سار عليه شيخه العسقلاني في كتابه: الدرر الكامنة، ورتب التراجم فيه حسب الترتيب الألف بائي، فترجم للعلماء والقضاة والرواة والأدباء والشعراء والخلفاء، وسواهم في سائر الأقطار، وكانت فائدة البحث منه كبيرة في دراسة حياة البدر العيني وشيوخه ومعارفه إضافة إلى ضبط الكثير من التراجم. وكذلك كتابه "التبر المسبوك في ذيل السلوك"^(٥).

٩- السيوطي ٨٤٩-٩١١هـ/١٤٤٥-١٥٠٥م:

جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضير، الأسيوطي المصري، الشافعي، حفظ القرآن في الثامنة من عمره، كما حفظ ألفية ابن مالك، واهتم بالنحو والمعاني، والتصريف والإنشاء والطب، سافر إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب، ثم استقر به المطاف في القاهرة، اشتغل بالتدريس والتأليف، وضع أول مؤلف له، عندما كان في السابعة عشر من عمره، ومن مؤلفاته التاريخية التي تم الرجوع إليها في هذا البحث "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة"^(٦).

(١) تح: محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، سيشار إليه ب الذهبي: العبر.

(٢) تح: محمد الهيلة، مكتبة الصديق، ط ١، الطائف، ١٩٨٨م، سيشار إليه ب الذهبي: معجم.

(٣) تح: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١، بيروت، ٢٠٠٣م، سيشار إليه ب الذهبي: تاريخ الاسلام.

(٤) منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، سيشار إليه ب السخاوي: الضوء اللامع.

(٥) منشورات مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت، سيشار إليه ب السخاوي: التبر المسبوك.

(٦) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، مصر، ١٩٦٧م، سيشار إليه ب السيوطي: حسن.

تحدث فيه عن تاريخ مصر، ثم ترجم لمن دخل مصر من الصحابة والتابعين، ومن نشأ فيها من الحفاظ والأئمة، والقراء والفقهاء، والنحويين وغيرهم. وتمت الاستعانة به لمقابلة بعض الأحداث والتعريف ببعض الأماكن وكذلك في ضبط بعض التراجم.

١٠- الصفدي ٦٩٦-٧٦٤هـ/١٢٩٧-١٣٦٣م:

أبو الصفا صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، ولد بصفد، برع في الأدب والحديث والتاريخ، باشر كتابة الإنشاء في مصر ودمشق، وكتابة السر في حلب، ومع أن مؤلفاته عديدة جداً، وقيل إلى الأدب إلا أنه ترك ثروة عظيمة من كتب التاريخ، وتمت الاستفادة في هذا البحث من مؤلفاته التالية: "الوافي بالوفيات"^(١) وهو معجم ضخمة لتراجم الرجال من شخصيات سياسية وعلمية وجغرافية، بدأه منذ القرن الأول الهجري إلى عصره، وجعله تنمة لوفيات الأعيان لابن خلكان، وقد استفاد البحث منه في ضبط غالبية التراجم التي وردت في النص المحقق. "أعيان العصر وأعيان النصر"^(٢) اشتقه الصفدي من الوافي لأبناء عصره، وترجم لهم فيه ترجمة موسعة، ورتبهم على حروف المعجم ابتداء من سنة المولد. "تحفة ذوي الألباب في من حكم دمشق من الخلفاء والأمراء والنواب"^(٣) وفيه ذكر تراجم من تولى دمشق حسب الترتيب الألف بائي.

١١- العسقلاني، ابن حجر ٧٧٣-٨٥٢هـ/١٣٧١-١٤٤٨م:

أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد العسقلاني الأصل، المصري المولد والدار، شهاب الدين أبو الفضل، اهتم بالتاريخ فكان مؤرخاً كبيراً بقدر ما كان محدثاً. عاش يتيماً، وكان من شيوخه: ابن الملقن وابن جماعة والفيروز أبادي وسراج الدين البلقيني وغيرهم. درس الفقه واللغة والحديث، سافر إلى الشام والحجاز واليمن، وتولى التدريس في الكثير من مدارس مصر، كما تولى منصب القضاء، وترك ثروة عظيمة من الكتب بلغت حوالي ٢٧٠ كتاباً ورسالة بعضها ضاع، والبعض الآخر لا يزال مخطوطاً، والقليل تمت طباعته. ومن أهم كتبه التي اعتمد عليها في هذا البحث "الدرر الكامنة في

المحاضرة.

(١) تح: أحمد الأرناؤوط وتركبي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، سيشار إليه بـ الصفدي: الوافي.

(٢) تح: علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، ط ١، دمشق، ١٩٩٨م، سيشار إليه بـ الصفدي: أعيان.

(٣) تح: إحسان خلوصي وزهير الصمصام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٢م، سيشار إليه بـ الصفدي: تحفة.

أعيان المائة الثامنة" ^(١) يضم تراجم لجميع أصحاب النشاط في كل ميادين المعرفة الإنسانية في القرن الثامن الهجري/الثالث عشر الميلادي (٧٠١-٨٠٠هـ/١٣٠١-١٣٩٧م)، وقد رتب الأسماء بحسب التسلسل الألف بائي، مراعيًا ذلك في الاسم وفي اسم الأب، ومن ميزات الكتاب أنه ترجم لملوك التتار وسلاطين الأتراك في ذلك القرن، وقد اعتمد في معظم الكتاب على موارد منها: أعيان العصر للصفدي، وتاريخ مصر لقطب الحلبي، وتاريخ ابن خلدون، وعلى عدد من معاجم الشيوخ، فكان مصدرًا أساسيًا من المصادر التي اعتمد عليه البحث في ضبط الكثير من التراجم. وكتاب "إنباء الغمر بأبناء الغمر" ^(٢) وهو كتاب في التاريخ وأحداثه، جمع فيه الأحداث التي حدثت منذ ولادته سنة ٧٧٣هـ/١٣٧١م، وحتى سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م، ورتبه على السنين، وأورد في كل سنة أحوال الدول ووفيات الأعيان، ويعد هذا الكتاب مصدرًا مهمًا لتاريخ البلاد الإسلامية بشكل عام، والعصر المملوكي بشكل خاص، ومن هنا كانت الفائدة منه كبيرة في دراسة حياة البدر العيني.

١٢- ابن العماد: ١٠٣٢-١٠٨٩هـ/١٦٢٢-١٦٧٨م:

أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري، الدمشقي الصالحي الحنبلي، المعروف بابن العماد، ولد وتعلم في دمشق، ثم انتقل إلى القاهرة في الثلاثين من عمره، واشتغل بالتدريس. خلف ابن العماد عددًا من المصنفات في علوم مختلفة، ومن أشهر كتبه "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" ^(٣) من الكتب الغنية التي تغني الباحث التاريخي بمعلومات عن الوفيات بشكل خاص، والتراجم والأحداث بشكل عام، ومن خلاله تم ضبط الكثير من التراجم الواردة في النص المحقق.

١٣- الفلقشندي ٧٥٦-٨٢١هـ/١٣٥٦-١٤١٨م:

أبو العباس، أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله بن أبي اليمن الفزاري المصري الشافعي، ولد في فلقشندة (إحدى قرى القليوبية بالديار المصرية)، وتوفي في القاهرة، تتلمذ على يد ابن الملقن، وعمل مدة في دراسة الفقه والتأليف فيه، وبذلك دخل في عالم التأليف الموسوعي من خلال كتابه "صبح الأعشى

^(١) تح: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ٢، حيدر آباد، ١٩٧٢م، سيُشار إليه ب ابن حجر: الدرر.

^(٢) تح: حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ١٩٦٩م، سيُشار إليه ب ابن حجر: إنباء الغمر.

^(٣) تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط ١، دمشق-بيروت، ١٩٨٦م، سيُشار إليه ب ابن العماد: شذرات الذهب.

في صناعة الإنشاء"^(١) وهو يعد من المصادر الرئيسية المهمة في الحضارة الإسلامية لتنوع مادته العلمية، حيث يمثل سجلاً للحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإدارية في مصر منذ الفتح الإسلامي وحتى عصر سلاطين المماليك، وتضمن معلومات رئيسية عن نظم الحكم والإدارة والدواوين وموظفيها، ومعلومات مهمة عن التجارة وأنواع النقد والمكايل والمقاييس المتعامل بها، وتمت الاستفادة منه في معرفة الألقاب والوظائف الإدارية والعلمية، إضافة إلى شرح الألفاظ الاصطلاحية والإقطاعية في العصر المملوكي التي وردت في النص المحقق.

١٤- ابن كثير ٧٠١-٧٧٤هـ/١٣٠١-١٣٧٢م:

أبو الفداء عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن ضوء بن كثير، القرشي البصري، ثم الدمشقي الشافعي، ولد في قرية صغيرة من قرى مدينة بصرى من أرض حوران في بلاد الشام اسمها (مجدل) ثم رحل إلى دمشق مع أخيه بعد وفاة أبيهما سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٧م، وكان من بيت علم وأدب، تتلمذ على كبار علماء عصره، حيث سمع من علماء دمشق وأخذ عنهم، فنشأ عالماً محققاً ثقة متقناً، وكان غزير العلم واسع الثقافة والاطلاع، إماماً في علم التفسير والحديث والتاريخ، تميز بالذكاء وسرعة البديهة، توفي بدمشق، وله العديد من المؤلفات القيمة في التفسير مثل "تفسير ابن كثير" في القرآن الكريم، وفي التاريخ "البداية والنهاية"^(٢) تاريخ عام تحدث فيه عن الإسرائيليات، ثم السيرة النبوية والعصر الراشدي إلى سنة ٧٧٢هـ/١٣٧١م، رتبته على الأساس الحولي، حيث يبدأ بالحوادث ثم ينتهي بالوفيات، استفاد البحث منه فائدة كبيرة، كون المؤرخ العيني اعتمده مصدراً مهماً في تأريخه للكثير من الأحداث.

١٥- المقرئزي ٧٦٦-٨٤٥هـ/١٣٦٥-١٤٤١م:

أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم العبيدي الحسيني، أصله من بعلبك، ولد في القاهرة، اهتم بالأدب، والدين، والتاريخ، ومن أهم مؤلفاته التاريخية التي اعتمد عليها البحث "السلوك لمعرفة دول الملوك"^(٣) ألفه على أساس التاريخ الحولي في تاريخ مصر في عصري الدولتين الأيوبية والمملوكية من سنة ٥٧٧-٨٤٥هـ/١١٨١-١٤٤١م، ذكراً للأحداث السياسية

(١) دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، سٌشار إليه بـ القلقشندي: صبح الأعشى.

(٢) تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، د.م، ١٩٨٨م، سٌشار إليه بـ ابن كثير: البداية والنهاية.

(٣) تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٧م، سٌشار إليه بـ المقرئزي: السلوك.

والاجتماعية والاقتصادية التي وقعت في مصر، إضافة إلى ذكر وفيات الأعيان، وتمت الاستعانة به في مقابلة جميع الأحداث الواردة في النص المحقق، وفي ضبط الكثير من التراجم أيضاً. "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"^(١) تحدث فيه عن مصر والقاهرة وخططها من مدارس وأحياء ومساجد، وقصور ... إلخ، كما تحدث فيه عن أعمال ملوك مصر في العصور القديمة، ثم تحدث عن الفتح الإسلامي لمصر، وتضمن معلومات عن فضائل مصر ومحاسنها، واحتوى إلى جانب ذلك معلومات شتى في التاريخ والأدب والجغرافيا والهندسة والاجتماع والأموال، وغير ذلك، ومن خلاله تم ضبط الكثير من المناطق، والأماكن المصرية الواردة في هذا البحث.

١٦ - النويري ٦٧٧-٧٣٣هـ/١٢٧٨-١٣٣٣م:

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم النويري، القرشي البكري، نسبته إلى نيرة (من قرى بني سويف بمصر) ومولده ومنشأه في قوص، تعلم على شيوخ عصره، فصار عالماً بجائفة كثير الاطلاع، وصارت له حظوة عند الملك الناصر، فوكله ببعض أموره وباشر نظر الجيش بطرابلس، من أشهر مؤلفاته "نهاية الأرب في فنون الأدب"^(٢) وهو أشبه بدائرة معارف، واختصت الأجزاء الأخيرة منه بالتأريخ لدولة المماليك حتى سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م، وتأتي أهمية الكتاب في هذا البحث أن العيني يذكر أنه أخذ عن النويري في كثير من المواضع، فتمت مقابلة الأحداث بعضها ببعض، إضافة إلى ضبط الكثير من التراجم.

بالإضافة إلى هذه المصادر تم الاعتماد على مصادر ومراجع عديدة منها: "كنز الدرر وجامع الغرر" لابن أبيك الدواداري، و"الأعلام" للزركلي، و"معجم الألفاظ التاريخية" لحمد دهمان، وبعض معاجم اللغة العربية، وموسوعات المعارف، وكتب الجغرافيا والرحلات ... إلخ.

(١) دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٨م، سيشار إليه بـ المقرئ: الخطط.

(٢) دار الكتب والوثائق القومية، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٢م، سيشار إليه بـ النويري: نهاية الأرب.

الفصل الأول:

- دراسة المؤلف:

بدر الدين محمود العيني ٧٦١-٨٥٥هـ / ١٣٦٠-١٤٥١م

أولاً: عصر البدر العيني وميزاته:

- ١- من الناحية السياسية والعسكرية
- ٢- من الناحية الاجتماعية
- ٣- من الناحية الاقتصادية
- ٤- من الناحية الفكرية

ثانياً: دراسة حياة البدر العيني:

١- أخباره الشخصية:

- أ- اسمه ونسبه وولادته
- ب- أسرته
- ج- نشأته وعناية عائلته به
- ٢- حياته العلمية:

- أ- رحلاته العلمية
- ب- شيوخه
- ج- أقرانه من العلماء
- د- تلامذته
- هـ- مؤلفاته:

١ - الكتب المخطوطة

٢ - الكتب المطبوعة

٣ - الكتب المفقودة

و- مكانته العلمية

٣- حياته الوظيفية:

- أ- التدريس
- ب- الحسبة
- ج- ناظر الأحباس
- د- قاضي قضاة الحنفية

٤- وفاته

أولاً: عصر البدر العيني وميزاته:

عاش البدر العيني في بلاد الشام ومصر خلال الثلث الأخير من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي وفي كامل النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وفي هذه المرحلة من الزمن كانت بلاد الشام ومصر تحت سيادة دولة المماليك. لذلك لابد من التعرف على تلك الدولة وعصرها:

قامت دولة المماليك في مصر وبلاد الشام في سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م وورثت دولة الأيوبيين ومسؤولياتها السياسية والعسكرية، ومن خلال دراسة تاريخ قيام الدولتين الأيوبية والمملوكية، يمكن القول: أنهما جاءتا استجابة سياسية عسكرية لظروف العالم الإسلامي عامة، والمنطقة العربية منه خاصة، في مرحلة حرجية من التاريخ الطويل للحضارة العربية الإسلامية، فقيام الدولة الأيوبية على يد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، جاء كنتيجة حتمية للظروف السيئة التي مرت بها المنطقة في أواخر أيام الدولة النورية، فكان لابد من دولة قوية تحمل على عاتقها مسؤولية التصدي لأعداء الأمة من الصليبيين الذين احتلوا القدس وأجزاء من بلاد الشام وباتوا يهددون بقية المنطقة العربية.^(١)

لكن سلاطين الأيوبيين المتأخرين أخفقوا في استكمال دورهم التاريخي الذي أفرز دولتهم، فقد دبت النزاعات بين أبناء وأمرأ البيت الأيوبي، وقامت بينهم العديد من الحروب في مصر والشام، عند ذلك عمل كل منهم على تعزيز قوته ومكانته من خلال الإكثار من الجنود بطرق عدة، كان أشهرها: جلب المماليك عن طريق الشراء من الأسواق الآسيوية في شبه جزيرة القرم وبلاد القوقاز والقفجاق^(٢) وآسيا الصغرى وتركستان وبلاد ما وراء النهر، فكان المماليك خليط من الأتراك والجرأكسة والروم والروس والأكراد، وعمل الأيوبيون على تربيتهم وتنشئتهم وتدريبهم كي يكونوا سنداً لهم ضد بعضهم البعض.^(٣)

(١) قاسم، قاسم عبده: عصر سلاطين المماليك - التاريخ السياسي والاجتماعي، عين للدراسات والبحوث، ط ١، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١١. سيشار إليه بـ قاسم: عصر.

(٢) بلاد القفجاق أو القبجاق أو القبشاك: إقليم في حوض نهر الفولغا في الجنوب الشرقي من روسيا، وشمال البحر الأسود والقوقاز، سكانها من أصل تركي، اشتهروا بالبداءة والفروسية، وتعد بلادهم مركزاً مهماً لتجارة الرقيق الأبيض من الترك. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٥٤.

(٣) محمد حسين، حمدي: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، د.م، ٢٠٠٠م، ص ١٥٤ - ١٥٥. سيشار إليه بـ محمد حسين: دراسات.

ونتيجة تطور الأحداث التاريخية في المنطقة من حروب داخلية بين أبناء البيت الأيوبي، وحملات الصليبيين المتكررة لدعم ما تبقى من إخوانهم في المشرق، فضلاً عن بروز الخطر المغولي حيث اجتاحت جحافل الجيوش المغولية بلاد المسلمين من الشرق بوحشية لا مثيل لها، برز دور المماليك بشكل أكبر وصارت كلمتهم مسموعة وأصبح لهم تأثير فاعل في مجريات الأحداث، مما أدى في نهاية المطاف إلى سيطرتهم على مقاليد الحكم في مصر، وقيام الدولة المملوكية على أنقاض دولة الأيوبيين في مصر والشام، وبالتالي انتزع دور الأيوبيين التاريخي في المنطقة لمدة زادت على قرنين ونصف من الزمن، حكمت خلالها دولتي المماليك.

١- دولة المماليك الأولى (البحرية): وتُسموا بالبحرية لأن الملك الصالح نجم الدين أيوب اختار جزيرة الروضة في بحر النيل مركزاً لهم،^(١) وامتد حكمهم بين سنتي ٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨١م أسسوا خلالها دولة قوية، خاضت العديد من المعارك الظافرة التي كبحت جماح دولة المغول وأوقفت تقدمهم، وأنهت الوجود الصليبي في بلاد الشام.

٢- دولة المماليك الثانية (البرجية أو الجراكسة): - زمن البحث - ترجع جذورها إلى أول أيام السلطان قلاوون حين عزم سنة ٦٨١هـ/١٢٨١م على تشكيل فرقة جديدة من المماليك، لكي تكون سنداً له دون الفرق المملوكية الأخرى،^(٢) وقد حرص على أن يكون جميع أفراد هذه الفرقة من عناصر جديدة، فتجنب جميع العناصر السابقة في الدولة المملوكية كالخوارزمية والتركمان والتتار والأتراك، فكان العنصر الجديد من الجراكسة الذين جيء بهم من بلاد القسم الشمالي الغربي من القوقاز أي (حوض نهر قوبان وقسماً من الشاطئ الشرقي للبحر الأسود إلى أطراف بلاد الأبخاز جنوباً) ومن فروع الجراكسة: السركس والأركس والكسا والآص،^(٣) وأطلق قلاوون على هذه الفرقة اسم (البرجية) نسبة إلى

(١) المقرئزي: الخطط، مج ٣، ص ٤١٢. طقوش، محمد سهيل: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، ط ١، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٢٧. سيشار إليه ب طقوش: تاريخ المماليك.

(٢) عاشور، سعيد عبد الفتاح: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، ط ٢، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١٤١. سيشار إليه ب عاشور: العصر المماليكي. حسن، علي إبراهيم: دراسات في تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، ط ٢، د.م، ١٩٤٨م، ص ٢٧. سيشار إليه ب علي حسن: دراسات. شكري، إيمان: السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة، مكتبة مديولي، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٢٩.

(٣) عبد السيد، حكيم أمين: قيام دولة المماليك الثانية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ١٢. سيشار إليه ب عبد السيد: دولة المماليك.

أبراج القلعة التي أنزلهم بها،^(١) غير أن لفظ الجركس لم يطلق عليهم إلا بعد سنوات عديدة.^(٢)

ويعود اختيار السلطان قلاوون للعناصر الجركسية دون غيرها، لتوافر تلك العناصر بكثرة في أسواق الرقيق بعد أن شردتهم حملات المغول عن بلادهم، ولشهرة قبائل الجراكسة بالشجاعة والقوة، فضلاً عن رواج تجارة الرقيق بينهم، فقد كانوا يبيعون أبنائهم وبناتهم بسبب شظف العيش الذي يحيق بهم،^(٣) وسواءً كانت هذه الأسباب هي الدوافع الحقيقية وراء اختيار السلطان قلاوون لعناصره هذه أم لا، فإن ثمة حقيقة مهمة يجب وضعها بالاعتبار، حيث أن كثرة العناصر الجركسية في تلك المرحلة أدى إلى تحكم قانون العرض والطلب في أسعارها، مما جعلها أرخص سعراً بين عناصر الرقيق الأبيض الأخرى، فقد بلغ سعر المملوك الواحد وقتذاك ١١٥ ديناراً في حين أن متوسط ثمن الرأس من عنصر الترك بلغ ١٣٥ ديناراً.^(٤)

وقد بدأ السلطان قلاوون بتنفيذ مشروعه الخاص بشراء المماليك الجراكسة في عام ٦٨١هـ/١٢٨٢م،^(٥) وظل يعمل على الإكثار منهم حتى بلغت عدتهم في أواخر حكمه ثلاثة آلاف وسبع مئة مملوك،^(٦) وأشرف السلطان قلاوون بنفسه على تدريبهم على استخدام السلاح، كما عمل على تنشئتهم النشأة الدينية المعروفة في الأوساط المملوكية في ذلك الوقت،^(٧) وحباهم بعطفه ولم يخل عليهم بالمال الوفير والطعام الشهوي والملبس الجميل، وقد اختصهم - هو وأبنائه من بعده - بالترقية إلى بعض الوظائف الكبرى في البلاط،^(٨) مما خلق مجاًلاً لنوع من الطائفية، وكان بداية للتنافس العنصري والحزبي بين المماليك.^(٩)

(١) المقرئزي: الخطط، مج ٣، ص ٤٢٠، والسلوك، ج ٢، ص ٢١٨. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٧، ص ٣٣٠. العريني، السيد الباز: المماليك، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص ٥٧. سيشار إليه بـ العريني: المماليك.

(٢) عبد السيد: دولة المماليك، ص ١٢.

(٣) طقوش: تاريخ المماليك، ص ٣٢٦.

(٤) عاشور: العصر المماليكي، ص ١٤١-١٤٢. علي حسن: دراسات، ص ٢٨.

(٥) طقوش: تاريخ المماليك، ص ٣٢٦.

(٦) المقرئزي: الخطط، مج ٣، ص ٤٢٠. عبد السيد: دولة المماليك، ص ١٢.

(٧) طقوش: تاريخ المماليك، ص ٣٢٧.

(٨) ابن إياس: بدائع، ج ١، ق ١، ص ٣٦١-٣٦٣. عاشور: العصر المماليكي، ص ١٤٢. علي حسن: دراسات، ص ٢٩.

(٩) عبد السيد: دولة المماليك، ص ١٣.

وبعد أن توفي السلطان قلاوون خلفه ابنه الأشرف خليل الذي سار على نهج والده، حيث أتم بناء القوة المملوكية البرجية، فقد اشترى خلال حكمه القصير ٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م، ما يقرب من ألفي مملوك جركسي من أسواق ثغر كفا ببلاد القرم.^(١)

وبذلك لم يكن السلطان قلاوون قد أنشأ فقط فرقة مملوكية لتكون سنداً له تجاه الفرق المملوكية الأخرى، بل بنجح ومن غير قصد في تأسيس أسرة مملوكية جديدة استطاعت فيما بعد الوصول إلى سدة الحكم واستمرت بتوارث السلطنة لأكثر من قرن من الزمن.

ونتيجة لكثرة أعداد المماليك البرجية كان من المتعذر الاحتفاظ بهم بعيداً عن الحياة العامة، لذلك خرج السلطان الأشرف خليل على النظم المملوكية السائدة التي تقضي بملازمة المماليك الجراكسة القلعة بشكل دائم، حيث سمح لهم بمغادرة أبراجهم في القلعة والنزول إلى القاهرة خلال النهار، والعودة قبل الليل ليبيتوا فيها،^(٢) مما أدى إلى انغماس المماليك البرجية في الحياة العامة ومشاكلها واختلاطهم بالطوائف المملوكية الأخرى وعامة الناس،^(٣) فاستثاروا بما يتمتعون به من نعمة وحظوة لدى السلطان حقد بقية طوائف المماليك الأتراك ضدهم، فبدأت المنافسة بين الفريقين، ودخلا دائرة الصراع والمنازعات التي حفل بها العصر المملوكي.^(٤)

وقد حفلت المصادر بأخبار المماليك الجراكسة وأحوالهم في الديار المصرية خلال سلطنة قلاوون وخلفائه، والتي يتضح من خلالها كيف استطاع المماليك الجراكسة الدخول في حلبة الصراع السياسي والتأثير المباشر فيه، والذي أدى في نهاية المطاف إلى وصولهم لسدة الحكم وإنهاء دولة المماليك البحرية.

ومهما يكن من أمر، فثمة العديد من العوامل ساعدت على تصاعد دور البرجية خلال الدولة القلاوونية، فبالإضافة إلى تزايد أعدادهم وترقيتهم في المناصب الإدارية العليا للدولة؛^(٥) فإن البرجية قاموا بدور نشط في السياسة الداخلية بوقوفهم إلى جانب السلطان الناصر محمد مما أظهرهم كحماة للدولة

(١) طقوش: تاريخ المماليك، ص ٣٢٧.

(٢) المقرئزي: الخطط، مج ٣، ص ٣٧٢.

(٣) عاشور: العصر المماليكي، ص ١٤٣.

(٤) طقوش: تاريخ المماليك، ص ٣٢٨.

(٥) طقوش: تاريخ المماليك، ص ٣٣٢.

القلاوونية صاحبة الشرعية،^(١) فضلاً عن جهودهم المميزة وشجاعتهم النادرة في دفع الخطر المغولي عن بلاد الشام في معركة شقحب قرب دمشق سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، الأمر الذي جعل المؤرخ ابن تغري بردي يشيد ببطولتهم في تلك الواقعة، فيقول: "وصاح سلّار^(٢): هلك والله أهل الإسلام! وصرخ في بيبرس الجاشنكير^(٣) وفي البرجية، فأتوه دفعة واحدة، فأخذهم وصد بهم العدو... وأبلى سلّار في ذلك اليوم هو وبيبرس الجاشنكير بلاءً حسناً، وسلّموا نفوسهم إلى الموت، فلما رأى بقية الأمراء منهم ذلك، ألقوا نفوسهم إلى الموت، واقتحموا القتال، وكان لسلّار وبيبرس الجاشنكير في ذلك اليوم اليد البيضاء على المسلمين"^(٤)

إلا أن النقطة الأكثر حسماً لصالح البرجية أتت في عام ٧٧٩هـ/١٣٧٧م حين وصل مملوك جركسي اسمه برقوق^(٥) إلى منصب الأتابكية في أيام السلطان المنصور علي بن شعبان ابن الحسين، الذي مالبت أن توفي سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م فخلفه أخاه صلاح الدين حاجي الذي كان صغير السن، مما توجب على الأتابك برقوق مساعدته في إدارة أمور الدولة، وبذلك أصبحت لبرقوق صفة عليا في الوصاية على السلطان وتوجيهه وتوجيه أداة الحكم نيابة عنه، وخلال هذه المرحلة عمل برقوق على

(١) عاشور: العصر المماليكي، ص ١٤٦.

(٢) سلّار: الأمير سيف الدين التتري، الصالح المنصوري، استنابه الملك الناصر محمد في سلطنته الثانية ٦٩٨-٧٠٨هـ/١٢٩٩-١٣٠٩م، واستمر فيها لمدة إحدى عشرة سنة، وفي سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م سجنه الناصر محمد فمات جوعاً في تلك السنة. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٢٣٩.

(٣) بيبرس الجاشنكير: الملك المظفر ركن الدين البرجي الجاشنكير المنصوري، كان أستاذاراً للملك الناصر خلال سلطنته الثانية، اعتلى عرش السلطنة في شوال سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م حتى منتصف سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م حين قدم الملك الناصر من الكرك لاستعادة عرشه، حيث هرب الجاشنكير فلحقه أتباعه وأتباع الناصر وقتلوه في تلك السنة. الصفيدي: أعيان، ج ٢، ص ٧١.

(٤) النجوم، ج ٨، ص ١٦٠-١٦١.

(٥) برقوق: أصله من قبيلة كسا الجركسية، ولد حوالي سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م، وحين بلغ العشرين من عمره بيع في أحد أسواق الرقيق ببلاد القرم إلى عثمان بن مسافر أحد مشاهير تجار الرقيق الخوارزمية، ومن هناك جلبه إلى القاهرة سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م، وباعه إلى الأمير الكبير يلبغا العمري الناصري، ومر برقوق بالمراحل التي يمر بها المماليك الأجلاب، وكان ذا ذكاء خارق، فلفت نظر أستاذه، فأعتقه خلال أربع سنوات، وأضحى من جملة مماليكه المقربين إليه، حكم حوالي خمسة عشر سنة خلال مرحلتين من الحكم، توفي سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م، واقرن اسمه بالعثماني نسبة إلى التاجر الذي جلبه إلى مصر. السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ١٠-١٣. ابن الصيرفي، علي بن داود: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تح: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٧٠م، ج ١، ص ٣٣-٣٤. سيّشار إليه بـ ابن الصيرفي: نزهة. المقرئزي: السلوك، ج ٥، ص ١٤١. ابن تغري بردي: النجوم، ج ١١، ص ٢٢٣.

الإكثار من شراء المماليك الجراكسة، وملئ الوظائف الكبرى بأتباعه ومماليكه، كما تقرب إلى قلوب الناس عن طريق إلغاء بعض المكوس وتحسين النقد، فتحسنت أحوالهم، وصاروا يلهجون بشكره.^(١)

إلا أنه وبسبب عدم وجود سلطان قوي تجتمع عليه الكلمة ويفرض رأيه على جميع الأمراء ويسكن الاضطرابات التي تشهدها البلاد من النواحي: السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كان لابد من العمل على تنصيب سلطان قوي يعيد الأمور إلى نصابها بعد أن عاشت نصف قرن من الضياع والانحلال والفوضى،^(٢) ولذلك دعا برقوق في ١٩ رمضان من سنة ٧٨٤هـ/ ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٣٨٢م الخليفة العباسي المتوكل والقضاة الأربعة وكتب السر وسائر الأمراء لتدارس الموقف، وبعد أخذ ورد، خرج المجتمعون بقرار خلع السلطان حاجي بن شعبان، وإعلان الأتابك برقوق على رأس السلطنة،^(٣) وجلس برقوق على سدة السلطنة ظهر ذلك اليوم، ولقبوه بالظاهر لأنه تسلطن وقت الظهيرة، ومن الظهور لأن هذا الأمر كان خافياً.^(٤)

وباعتلاء برقوق عرش السلطنة انتهى ملك بيت قلاوون، كما انتهت دولة المماليك الأولى (البحرية) التي حكمت زهاء مئة وثلاثين عاماً، وقامت دولة المماليك الثانية (البرجية)^(٥) التي ستستمر حتى دخول العثمانيين وقضائهم عليها سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م. توالى على حكمها سبعة وعشرين سلطاناً، كان أشهرهم الظاهر سيف الدين برقوق الذي تم على يديه تأسيس الدولة، وتولى السلطنة لمرتين الأولى: بين عامي ٧٨٤-٧٩٠هـ/ ١٣٨٢-١٣٨٨م، والثانية: بين عامي ٧٩٢-٨٠١هـ/ ١٣٩٠-١٣٩٩م. والسلطان الأشرف برسباي الذي تولى السلطنة بين عامي ٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٨م، وتم في عهده فتح جزيرة قبرص سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م. والسلطان الأشرف قايتباي الذي يعد من أبرز سلاطين دولة المماليك لأنه حكم مدة طويلة بلغت تسعة وعشرين عاماً

(١) عاشور: العصر المماليكي، ص ١٥٦.

(٢) ضومط، انطوان خليل: الدولة المملوكية، دار الحداثة، ط ١، د.م. ١٩٨٠م، ص ٢٩٩. سيشار إليه بـ ضومط: الدولة.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم، ج ١١، ص ٢٢١.

(٤) ابن الصيرفي: نزهة، ج ١، ص ٣٨.

(٥) أطلق المؤرخون المعاصرون لتلك الدولة عليها اسم: دولة الجراكسة، لأن عنصر الجركس كان عماد السلطة فيها. المقرئزي: الخطط، مج ٣، ص ٤٢٠.

امتدت بين عامي ٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٨-١٤٩٦م، وهي مدة لم يحكمها أحد من سلاطين المماليك عدا السلطان الناصر محمد، كما تم في عهده إرسال ثلاث حملات ضد جزيرة رودس.

ومن أهم مميزات دولة المماليك البرجية:

١- من الناحية السياسية والعسكرية:

كان جميع سلاطين تلك الدولة من أصل جركسي باستثناء اثنين هما: خشقدم^(١) وتمرغا^(٢)، حيث كانا من أصل يوناني،^(٣) ومعنى ذلك أن سلاطين تلك الدولة اتخذوا من العنصرية سياسة وسلاحاً للتشبث بالحكم.^(٤)

تُرك عرش السلطنة مشاعاً بين كبار أمراء المماليك القادرين على الوصول إليه، ففي حين نجح مبدأ الوراثة في مراحل متعددة خلال دولة المماليك البحرية والذي ظهر بوضوح في أسرة قلاوون، فقد غلب على دولة المماليك البرجية عدم احترام هذا المبدأ، إلا في حالات نادرة جداً حتمتها واقعية الظروف السياسية،^(٥) ذلك أنه عند وفاة السلطان يخلفه ابنه عادة ولمدة قصيرة فقط، إلا أن بقاء ذلك الابن في السلطنة مرهوناً بقوة شخصيته وكثرة أنصاره، وعدم اتفاق كبار أمراء المماليك على مرشح واحد من بينهم لمنصب السلطنة، أو عدم استطاعة أحدهم التغلب على منافسيه، فكان هذا الابن يُنصب على العرش ريثما تنجلي صورة الوضع السياسي عن شخصية بارزة وقوية تستطيع الاستيلاء على العرش.^(٦)

(١) خشقدم: الملك الظاهر أبو سعيد الرومي، الناصري، كان من مماليك السلطان المؤيد شيخ الحمودي، تسلطن سنة ٨٦٥هـ/١٤٦١م وتلقب بالظاهر، مات مريضاً سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م. السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ١٧٥.

(٢) تمرغا: الظاهر أبو سعيد الرومي الظاهري، من مماليك السلطان الظاهر جقمق، تسلطن في جمادى الأولى ٨٧٢هـ/١٤٦٨م، وخلع في سادس رجب من السنة ذاتها، توفي سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٥م. السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٤١.

(٣) عاشور: العصر المالكي، ص ١٥٨.

(٤) طقوش: تاريخ المماليك، ص ٣٥١. زيتون، عادل: تاريخ المماليك، منشورات جامعة دمشق، ط ٨، دمشق، ٢٠٠٢م، ص ٧١-٧٢. سيشار إليه بـ زيتون: تاريخ المماليك.

(٥) طقوش: تاريخ المماليك، ص ٣٥١.

(٦) Lan Pool: History Of Egypt In The Middle Ages, London, 1936g, p: 325-326.

عانت البلاد كثيراً نتيجة كثرة المؤامرات والفتن بين الأمراء وما نجم عنها من اقتتال ورعب وفزع ساد البلاد، إلا أن المماليك البرجية استطاعوا حصر هذه المنازعات في دائرة داخلية ضيقة، بحيث لم يُمكنوا أي قوة خارجية من التدخل في شؤون البلاد والانتقاص من سيادة الدولة.^(١)

عدم الالتفات إلى رغبات السكان في شؤون السلطنة من حيث اختيار السلطان وتعيينه،^(٢) إلا أنها كانت مرهونة بموافقة الخليفة والقضاة من أجل تبرير الأسلوب الذي سلكه الأمير لتحقيق هدفه في الوصول إلى الحكم.^(٣)

تصدى لإدارة الدولة جهاز إداري محكم يترأسه السلطان ويساعده عدد من كبار الموظفين، كنواب السلطنة في مصر وبلاد الشام الذين كانوا على درجة عالية من النفوذ، والأتابك الذي يعد قائداً عاماً للجيش المملوكي، والوزير الذي يهتم بإدارة الأمور المالية للدولة، أما الإدارة المحلية في المدن والأرياف فقد أشرف عليها عدد كبير من الولاة. وقد اعتمد هذا الجهاز الإداري الضخم على مجموعة من الدواوين الكبيرة كديوان الجيش، وديوان الإنشاء، وديوان الأحباس (الأوقاف)، وديوان النظر (اختص بمراقبة حسابات الدولة والإشراف على إيراداتها ومصروفاتها)، أما دور الخليفة العباسي فقد اقتصر على كونه رمزاً دينياً^(٤) ولإضفاء الشرعية على حكم السلطان ومباركته، وحضور الاحتفالات والمناسبات الدينية والعامة.^(٥)

شغل القضاة دوراً كبيراً في الدولة المملوكية، حيث لم يقتصر منصب القضاء على قاضي واحد بل كان هناك أربعة قضاة (للمذاهب الأربعة)، وتوسعت اختصاصاتهم فشملت النظر في مختلف القضايا المدنية والجنائية.^(٦)

(١) عاشور: العصر المملوكي، ص ١٥٩-١٦٠. زيتون: تاريخ المماليك، ص ٧٣.

(٢) طرخان، إبراهيم علي: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٣. سيشار إليه بـ طرخان: مصر.

(٣) طقوش: تاريخ المماليك، ص ٣٥٢.

(٤) غانم، حامد زيدان: صفحة من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٢٦-٢٧.

(٥) عاشور: العصر المملوكي، ص ٣٦٢ وما بعدها.

(٦) عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢، ص ٢٨٣-٢٨٤. سيشار إليه بـ عاشور: مصر والشام.

وقد أعطى سلاطين المماليك للجيش أهمية خاصة من حيث التنظيم والمصروفات والتسليح، فهو بلا شك الركيزة الأساسية في الحفاظ على هيبة الدولة ضد ما يتهدها من أخطار خارجية - خاصة هجمات المغول المتكررة على البلاد - وفتن وثورات داخلية.

٢ - من الناحية الاجتماعية:

عاشت البلاد في ظل الدولة المملوكية في حالة انقسام طبقي، فقد شكل المماليك طبقة أرستقراطية تحكم البلاد وتتمتع بالجزء الأكبر من خيراتها، ولم تحاول الاختلاط بأهلها، في حين مثّل التجار والمعممين (أصحاب الوظائف الديوانية) طبقة مرموقة في المجتمع وتتمتع بمستوى لائق من المعيشة،^(١) بينما بقيت غالبية أهل البلاد من العوام والفلاحين تعيش حياة أقرب إلى البؤس والحرمان.^(٢)

كذلك اهتم سلاطين المماليك ببناء الكثير من المنشآت الاجتماعية المتنوعة كالفنادق والحمامات والخانات والوكالات والبيمارستانات، خاصة في المدن الكبرى في مصر وبلاد الشام، فاشتهرت تلك المدن بأسواقها المتنوعة والمكتضة التي عجت بأصناف كثيرة من البضائع والتي خضعت لرقابة المحتسب^(٣)،^(٤) الذي يجب "أن يكون ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين"^(٥).

وامتازت الحياة الاجتماعية في العصر المملوكي بكثرة الأعياد الدينية والقومية التي تقام فيها الاحتفالات العامة، وببالغ الناس في إحياء تلك الأعياد، فكانوا يتبادلون التهنئة ويقىمون الولائم ويتصدقون على الفقراء، وعند دوران الحمل كان الناس يخرجون من كل مكان للفرجة ويزينون أسواقهم

(١) زيتون: تاريخ المماليك، ص ١٤١.

(٢) لايدوس، إيرامافين: مدن الشام في العصر المملوكي، تر: سهيل زكار، دار حسان، ط١، دمشق، ١٩٨٥م، ص ١٣٤-١٣٥. سيشار إليه ب لايدوس: مدن. عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٣٧-٤٥. سيشار إليه ب عاشور: المجتمع المصري. النهار، عمار: العصر المفترى عليه: عصر المماليك البحرية، دار النهضة، ط١، دمشق، ٢٠٠٧م، ص ٥٥-٥٦. سيشار إليه ب النهار: العصر.

(٣) المحتسب: من أرباب الوظائف الدينية، وهو من وجوه العدل وأعيانهم، ويده مطلقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق قواعد الحسبة، وينظر في أحوال الرعية ويكشف عن أمورهم ومصالحهم. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٥٨.

(٤) عاشور: المجتمع المصري، ص ٩٠-١٠٧.

(٥) ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد ت: ٧٢٩هـ/١٣٢٩م: معالم القرية في أحكام الحسبة، تح: محمد شعبان، المصرية العامة للمكتبات، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٨. سيشار إليه ب ابن الأخوة: معالم.

بالحرير والحلي، كما أنه في الأعياد القومية كوفاء النيل أو تولية سلطان جديد، كان السلطان يشق طريقه في القاهرة في موكب حافل وقد فرشت الشوارع بشقق الحرير وقيم الأمراء أقواس النصر في طريقه.^(١)

وقد تمتعت المرأة بقدر كبير من الاحترام، مما ساعدها على المشاركة في النشاط الاجتماعي، فكانت تذهب إلى الأسواق والحمامات وإلى حلقات العلم في المساجد وإلى الحج.^(٢)

وكان لأهل الذمة دورهم في الحياة الاجتماعية، إلا أن معاملتهم كانت متقلبة بين اللين والشدّة، فقد تعرضوا لظلم العامة في أوقات الشدة والاضطرابات والفن، وفيما عدا ذلك فإنهم تمتعوا بكل ما تمتع به المسلمون من حقوق وامتيازات.^(٣)

وقد شهدت البلاد وبخاصة مصر نشاطاً دينياً واسعاً، والسبب في ذلك يعود إلى شعور المماليك بأنهم أغراب عن البلاد وأهلها، وأنهم مغتصبون للحكم من أهلها الشرعيين، لذلك أرادوا أن يتخذوا من الدين ستاراً يخفي هذه الحقائق عن أعين المحكومين، ويقربهم إلى قلوب الشعب، فحرصوا على إقامة شعائر الدين في غالب الأحيان كما توددوا إلى علمائهم وقربوهم،^(٤) وكذلك جدوا في إنشاء الكثير من المنشآت الدينية، فلا تزال القاهرة وكثير من المدن في مصر وبلاد الشام تمتلئ بالجوامع الجميلة والرائعة التي تُنسب إلى سلاطين المماليك، والتي تعددت مجالات استخدامها فلم تُوقَف على العبادة فقط بل كانت كمدارس علم يقصدها المعلمون والمتعلمون.

أما الظاهرة الدينية الأكثر انتشاراً في ذلك العصر فقد كانت ظاهرة التصوف،^(٥) حيث انقسم الصوفية إلى فرق لكل فرقة شيخها وشعارها وشعائرها، وحظيت برعاية السلاطين الذين أخذوا يتقربون إلى الله ببناء الخانقاوات ووقف الأوقاف عليها، والعطف على الصوفية ومشايخهم.^(٦)

(١) قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص ٢٨٨-٣١٠. عاشور: مصر والشام، ص ٢٧١.

(٢) عاشور: المجتمع المصري، ١٤١-١٥٧. النهار: العصر، ص ٧٢-٧٤.

(٣) النهار: العصر، ص ٧٦، ٧٩.

(٤) عاشور: العصر المماليكي، ص ٣٤٨-٣٤٩.

(٥) زيتون: تاريخ المماليك، ص ١٦٣.

(٦) المقرئزي: السلوك، ج ٥، ص ٣٧٢.

ومن خلال دراسة تاريخ العصر المملوكي يمكن القول: إن الحياة الاجتماعية في ذلك العصر كانت صاحبة ونشطة وملیئة بالحیویة والحركة، فعلى الرغم من كل ما تعرض له السكان وخاصة سكان المدن الكبرى في مصر وبلاد الشام في كثير من الأحيان من عدم استقرار سياسي واقتصادي، نتيجة المؤامرات والفتن بين الأمراء والسلاطین، وما تعرضوا له من أخطار خارجية، إلا أنهم عاشوا حياة مرحة ونشطة، فقد حرصوا على الإقبال على وسائل التسلية والخروج إلى الأماكن العامة وحضور كافة مناسباتهم.

٣- من الناحية الاقتصادية:

أدرك سلاطين المماليك أهمية الزراعة في البلاد بوصفها ركيزة أساسية من ركائز الثروة، لذلك اعتنوا بها عناية فائقة، فأنشأوا الجسور واهتموا بمقياس النيل^(١) وشقوا الترع لإيصال المياه إلى الأراضي البعيدة،^(٢) فازداد بذلك المحصول الزراعي، كما قاموا بتقسيم الأراضي على أنفسهم وعلى الأمراء والأجناد، وذلك على هيئة أقطاعات تتفاوت في خصوبتها ومساحتها، وقام بفلاحة الأراضي جمهرة من الفلاحين الذين عاشوا في حالة من الفقر والحرمان.^(٣)

(١) مقياس النيل: بني بأمر الخليفة العباسي المتوكل على الله سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م، على يد المهندس أحمد بن محمد الحاسب. وهو عبارة عن بئر مساحتها نحو ٦ أمتار مربعة و ٢٠ سنتيمتراً، ويتكون مقياس النيل من ثلاث طبقات: الطبقة الأولى ذات تخطيط مربع، وطول ضلعها أطول من طول ضلع الطبقة الوسطى، التي تأخذ تخطيطاً مربعاً أيضاً بحيث يكون ضلعها أطول من قطر الطبقة السفلى. وبفضل هذا التصميم استطاعت الجدران أن تتحمل الضغط الأفقي للأرض الذي يزداد كلما ازداد العمق. واستخدم في كسوة الجدران ملاط استطاع أن يقاوم تأثير الماء، وكان ماء النيل ينساب إلى البئر عن طريق ثلاث فتحات بعضها فوق بعض، تصب ماءها في البئر من خلال ثلاث فتحات في الجانب الشرقي. وصممت واجهات الفتحات على هيئة دخلات غائرة في الجدران تتوجه رمانية مقلوبة، وتعتبر هذه العقود المدببة أقدم أمثلة معروفة لهذا الطراز من العقود في مصر الإسلامية. ويوجد حول جدران البئر من الداخل درج دائري يصل إلى القاع، وتحيط بأعلاه من الداخل كتابة كوفيّة تمثل أقدم كتابة أثرية مؤرخة في مصر. ويقوم في وسط البئر عمود من الرخام مثنى، مقسم إلى تسعة عشر قسمًا، طول كل قسم منها ذراع واحدة، وكل ذراع مقسمة إلى أصابع. وتم إصلاح المقياس في عهد أحمد بن طولون، الذي وضع اسمه عليه، وأبقاه على التاريخ الأصلي، وكان الهدف من إنشائه هو معرفة منسوب مياه النيل وبالتالي مساحة الأرض التي يمكن للنهر سقيتها. المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٣٧٦، ج ٢، ص ١١٧. مجموعة من المؤلفين: الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مؤسسة السفير للتاريخ الإسلامي، د.م، د.ت، مج ٨، ص ٢٣٨.

(٢) قاسم: النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، ط ١، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٢٣-٢٤.

(٣) عاشور: مصر والشام، ص ٢٦٥-٢٦٦.

وقد ارتقت الصناعة رقياً عظيماً، فكانت الأقمشة الكتانية والصوفية والقطنية والحريية، وكذلك ازدهرت الصناعات المعدنية والحزفية والزجاجية والخشبية، وكانت الصناعة الأكثر شهرة هي صناعة تكفيت النحاس والبرونز بالذهب والفضة بحيث "لا تكاد تخلو دار بالقاهرة ومصر من عدة قطع من النحاس المكفت"^(١) وبما أن دولة المماليك كانت دولة حربية بكل المقاييس، فقد احتلت الصناعة الحربية مكانة بارزة في النشاط الصناعي، كصناعة السفن الحربية وصناعة الأسلحة المتنوعة، والملابس الحربية^(٢).

ومهما يكن للزراعة والصناعة من أهمية، إلا أن الدارس لتاريخ المماليك يجد بأن التجارة كانت تحتل الدرجة الأولى في النشاط الاقتصادي لذلك العصر، بفضل العديد من العوامل: كانسداد معظم طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب منذ القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، بسبب حركة المغول التوسعية، فلم يبق آمناً سوى طريق البحر الأحمر ومصر، مما جعل مصر تقوم بدور الوسيط التجاري بين الشرق والغرب، وقد أدرك معظم سلاطين المماليك هذا الأمر فاستغلوه لصالح اقتصاد بلادهم، فقاموا بتأمين الطرق التجارية وأنشأوا المؤسسات اللازمة للتجار كالفنادق والخانات والوكالات والأسواق، كما وأحسنوا معاملة التجار الأوروبيين القادمين إلى مصر.^(٣) لكن فيما بعد قام بعض السلاطين باحتكار بعض السلع والغلات المهمة^(٤) - كالتوابل والبخور - مما أدى إلى ارتفاع أسعارها ارتفاعاً باهضاً، الأمر الذي أنزل الضرر بالتجار الأوروبيين وبالمستهلك الأوروبي، وقد بلغت سياسة الاحتكار هذه أشدها في عهد السلطان برسباي ٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م الذي أبطل التعامل بالنقد الفلورنسي والبندقي، وسك الدينار الأشرفي ليكون أساساً للتعامل مع التجار الأوروبيين،^(٥) لذلك دفع هذا الضيق الأوروبيين للعمل جدياً في البحث عن طريق آخر يمكنهم من الحصول على غلات

(١) المقريري: الخطط، مج ٣، ص ١٩٠.

(٢) عاشور: العصر المماليكي، ص ٢٨٩-٢٩٣.

(٣) عاشور: مصر والشام، ص ٢٦٧-٢٦٨. غوانمة، يوسف: التجارة الدولية في مناطق شرق الأردن، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان ٢٣ و٢٤، أيلول - كانون الأول سنة ١٩٨٦م، ص ٨٨-٩٢. الحجي، حياة ناصر: حويلات الآداب والعلوم الاجتماعية - بعض الأبعاد الاقتصادية لسلطنة المماليك، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ١٤٢٣-١٤٢٤هـ/٢٠٠٢-٢٠٠٣م، ص ٢٥-٢٦.

(٤) قاسم: أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٤٠.

(٥) المقريري: السلوك، ج ٧، ص ١٣٠.

الشرق بثمن معقول، وتم لهم ذلك حين استطاعوا اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح عبر المحيط الأطلسي بالالتفاف حول قارة إفريقيا في نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي^(١).

لذلك يمكن القول بأن السمة البارزة للحياة الاقتصادية في تلك المرحلة هي عدم الاستقرار، بسبب الفتن والمنازعات المستمرة بين طوائف المماليك من جهة، وبسبب السياسات الاقتصادية المتهورة لبعض السلاطين من جهة أخرى، فضلاً عن أن معظم سكان البلاد كانوا يعيشون تحت رحمة الأمطار، ففي مصر إذا قلَّ الفيضان وانخفض ماء النيل حدثت أزمة اقتصادية وارتفعت الأسعار وضاق العامة.

٤- من الناحية الفكرية:

شهدت الحياة الفكرية في العصر المملوكي ازدهاراً كبيراً، فأصبحت مصر مركزاً لنشاط فكري واسع، يدل عليه التراث الضخم من الموسوعات الأدبية والعلمية التي ألّفها علماء ذلك العصر،^(٢) ويرجع ذلك إلى العديد من العوامل:

أ- وقوع الكثير من بلاد المشرق الإسلامي خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي في يد المغول، حين اكتسحت جيوشهم بلاد المسلمين في أواسط آسيا إلى أن وصلت إلى بلاد العراق، فدمرت بغداد (مركز العلم والمعرفة في ذلك العصر) وأخذت طريقها نحو بلاد الشام التي كانت تعاني من الصراع ضد الصليبيين، فغدت مسرحاً للنزاع بين المماليك والمغول والصليبيين، وكذلك المغرب الإسلامي لم يكن بأحسن حالاً من المشرق، فالصليبيين كانوا قد استعادوا زمام المبادرة ضد المسلمين هناك، وأخذت حملاتهم تدك حصون المسلمين في الأندلس والمغرب.^(٣) وأمام هذه الغمة لم يجد علماء المشرق والمغرب بلداً آمناً تطيب لهم الحياة فيه سوى مصر التي غدت مركز الخلافة العباسية و "صارت محل سكن العلماء ومحط رحال الفضلاء"^(٤).

(١) عاشور: العصر المملوكي، ص ٣٠٧-٣٠٨.

(٢) Gibb, H. A. R: Arabic literature an introduction, London Oxford-Newyork, second edition, p: 144-146.

(٣) سليم، محمود رزق: عصر سلاطين المماليك وتناحهم العلمي والأدبي، مكتبة الآداب ومطبوعاتها، القاهرة، ١٩٤٧م، ج ٢، ص ٢٣-٢٤. سيشار إليه بـ سليم: عصر سلاطين. عاشور: المجتمع المصري، ص ١٥٧.

(٤) السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٩٤.

ب- تشجيع الكثير من سلاطين المماليك وأمرائهم للعلم والعلماء، حيث أقاموا وزناً كبيراً لعلماء الدين،^(١) وقدموهم في مسائل كثيرة واستشاروهم في أمور الدولة العليا، كما سمعوا شكاياتهم إذا تقدموا بها إليهم، وذلك لما كان لهؤلاء العلماء من سلطان على عامة الشعب، ولما لهم من قدرة على التفاهم مع العامة، كونهم أبناء هذا الشعب الذي تربطهم به روابط متينة، وخير دليل على إكرام السلاطين للعلماء ما ذكره السيوطي عن السلطان برقوق عندما افتتح المدرسة الظاهرية^(٢) بقوله: "ونزل السلطان عليها في الثاني عشر من رجب، ومد سمطاً عظيماً، وتكلم فيها المدرسون، واستقر علاء الدين السيرامي^(٣) مدرس الحنفية بها، وشيخ الصوفية، وبالعلاء السلطان في تعظيمه حتى فرش سجاده بيده"^(٤) كما يذكر البدر العيني في كتابه^(٥) الذي أرخ فيه للسلطان المؤيد شيخ الحمودي ٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م، أخباراً مطولة وأمثلة متعددة عن رعايته للعلماء والمؤسسات العلمية، فقد كان السلطان يذاكر بنفسه المنقطعين من العلماء، ويرسل إليهم الذهب، كما أكرم العلماء القادمين إلى مصر، فعند قدوم الشيخ شمس الدين الهروي^(٦) من القدس الشريف إلى القاهرة تلقاه بالقبول والتعظيم، وأنزله في بيت عظيم ورتب له كل يوم مئتي درهم، وثلاثين رطلاً من اللحم الضأن، وأركبه فرساً بكامل عدته، وغير ذلك. وكذلك من جملة رعايته للعلم والعلماء قيامه سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م ببناء مدرسة

(١) النهار: العصر، ص ٩٣.

(٢) المدرسة الظاهرية: هي المدرسة البروقية، أنشأها السلطان برقوق بين القصرين بالقاهرة سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م، وكملت عمارتها سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م، وكان القائم على عمارتها جركس الخليلي أمير آخور، وقال ابن العطار فيها: قد أنشأ الظاهر السلطان مدرسة فاقست على إرم مع سرعة العمل يكفى الخليلى أن جاءت لخدمته شمس الجبال تأتي على عجل ابن تغري بردي: النجوم، ج ١١، ص ٢٤٠، ٢٤٣. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٢٧٢. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٨، ص ٥١٤.

(٣) السيرامي: أحمد بن محمد، الشيخ علاء الدين الشهير بالعلاء السيرامي الحنفي، قدم من البلاد الشرقية فأقام في ماردن، ثم توجه إلى بلاد الشام وأتى إلى حلب وبقي فيها مدة، ثم طلبه السلطان الظاهر برقوق إلى القاهرة، واستقر هناك حتى وفاته سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٢، ص ١٧٢-١٧٤. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٢٦٤.

(٤) حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٢٧١.

(٥) كتاب "السيف المهند في سيرة الملك المؤيد" تح: فهم شلتوت، مر: محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٨٨م. سيشار إليه بـ العيني: السيف المهند.

(٦) الهروي: قاضي القضاة شمس الدين بن عطاء الله بن محمد بن محمود، ولد بمرارة سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م، تعلم في بلاده وبرع في العقلية، قدم إلى القاهرة سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م وولي قضاء الشافعية وكتابة السر، مات في ذي القعدة سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٤٨. المقرئ: السلوك، ج ٦، ص ٣٨٤.

وجامع بجانب باب زويلة، وكان يجتمع لديه يومي الأحد والأربعاء في القصر العلماء والفقراء، وهو بينهم كأحدهم، من قبل العصر بساعة إلى قرب المغرب، يتباحثون في العلوم الشريفة^(١).^(٢)

ولم يبلغ العلماء هذه المكانة لدى السلاطين والشعب، إلا لصفات اتصفوا بها، فقد كان من بينهم من هو مضرب المثل في الزهد والقناعة والورع والتمسك بما يراه حقاً، فصارت لهم عند العامة مكانة وعند الخاصة جاهاً، مما كان له الأثر الأكبر في نفوسهم، فظلوا مجاهدين في سبيل الدين، حريصين على الشريعة، مستزيدين من العلم والفضل، باثين هذه الروح في نفوس طلابهم وناشئتهم، كي ينهجوا نهجهم وينسجوا على منوالهم.^(٣)

وعلى الرغم من كل ما لقيه العلماء من إكرام وتقدير بشكل عام، فقد تعرض بعضهم لنكبات على أيدي السلاطين والأمراء، وذلك بسبب كثرة المشاحنات والمنازعات التي تحصل بين العلماء حسداً من بعضهم لبعض على منصب أو حظوة أو ولاية وبالتالي الوشاية لدى السلاطين، وكذلك بسبب سوء تصرف بعضهم في أعمالهم الوظيفية.^(٤)

ج- العناية بإنشاء المؤسسات التعليمية من مدارس ومكاتب،^(٥) فقد حرص سلاطين وأمراء المماليك على إنشاء الكثير منها في كافة أرجاء البلاد، وأتى المؤرخون على ذكر كثرتها، حيث يصف القلقشندي ذلك بقوله: "ابتنى أكابر الأمراء وغيرهم من المدارس ما ملأ الأخطاط وشحنها"^(٦) كذلك ذكر ابن بطوطة مدارس مصر في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي بأنه "لا يحيط أحد بحصرها"^(٧) ومن أشهر المدارس في عصر دولة المماليك الجراكسة كانت المدرسة الظاهرية (البرقوقية) التي أنشأها

(١) العلوم الشريفة هي علوم الفقه الإسلامي وتفسير القرآن الكريم. العيني: السيف المهند، ص ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٤.

(٢) العنزي، أحمد: الحياة الفكرية في العصر المملوكي الثاني، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٠م، ص ١٧٣-١٧٥. سيشار إليه بـ العنزي: الحياة الفكرية. النهار: العصر، ص ١٠٣.

(٣) سليم: عصر سلاطين، ج ٣، ص ٢٢-٢٣، ٢٥.

(٤) عاشور: المجتمع المصري، ص ١٦٥.

(٥) العنزي: الحياة الفكرية، ص ٢١٤. النهار: العصر، ص ١٩٦.

(٦) صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤١٦.

(٧) الرحلة، ج ١، ص ٢٠٣.

السلطان برقوق بين القصرين سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م، كذلك أنشأ السلطان قايتباي العديد من المدارس في مصر والحجاز وبلاد الشام،^(١) واشتهرت المدرسة الجمالية (المحمودية) التي أنشأها جمال الدين محمود وهو أحد أمراء السلطان فرج بن برقوق، والتي وصفها المقرئ بقوله: "إنها من أحسن مدارس مصر"^(٢) واختصت المدارس بالتعليم العالي، فكانت بمثابة المعاهد والجامعات يتلقى فيها الطلاب مختلف أنواع العلوم.

أما المكاتب فلم يتوقف إنشائها على السلاطين وكبار الأمراء، بل أقبل الخيرون من الشعب والتجار على إقامة الكثير منها، وكان الهدف الأساسي من إنشائها هو تعليم أيتام المسلمين، فأخذت على عاتقها النهوض بالمرحلة الأولى من مراحل التعليم، حيث يقتصر منهج التعليم فيها على القراءة والكتابة وتعليم القرآن الكريم والحديث الشريف وآداب الدين، فضلاً عن تعليم مبادئ الحساب وقواعد اللغة وبعض الشعر.^(٣)

ولم تكن المدارس والمكاتب هي المؤسسات التعليمية الوحيدة في العصر المملوكي، بل وجدت مؤسسات أخرى كالمساجد والزوايا التي انتشرت بشكل واسع، ومن الممكن القول بأن كل هذه المؤسسات قامت بدور مزدوج في خدمة العلم والدين، فالمدارس والمكاتب استهدفت خدمة العلم بشكل أساسي، أما المساجد والزوايا فكان هدفها الأساسي خدمة الدين وإحياء شعائره.

إلا أن هذه المؤسسات لم تكن قادرة على القيام بدورها الرائد في ذلك العصر لولا الاهتمام بالركن الأساسي للنشاط العلمي في كل زمان ومكان وهو الكتب والمكتبات،^(٤) إذ شهد العصر المملوكي اهتماماً بالغاً في التأليف من ناحية وفي جمع الكتب وإنشاء المكتبات من ناحية أخرى، وأشرف السلاطين أنفسهم على العناية بها، فقد كان لكل مدرسة في ذلك العصر مكتبة على درجة عالية من الإعداد والغنى، كما ألحقت المكتبات أيضاً بالمكاتب والجوامع والخانقاوات والبيمارستانات،^(٥) وأشرف

(١) عاشور: العصر المماليكي، ص ٣٤٣.

(٢) المقرئ: الخطط، مج ٤، ص ٢٥١.

(٣) عاشور: العصر المماليكي، ص ٣٤٨.

(٤) العنزي: الحياة الفكرية، ص ٢٥٢.

(٥) النهار: العصر، ص ٢٢٢-٢٢٣.

على كل مكتبة موظفون مختصون مهمتهم ترتيب الكتب وتنظيفها وحفظها وحجبها وترميمها بين حين وآخر،^(١) إضافة إلى تغذية المكتبة بما يلزم من الكتب الجديدة، كما قاموا بإرشاد القراء إلى ما يلزمهم من مراجع، لذلك كان الموظفون يُختارون من بين العلماء والفقهاء الذين يراعون سعة العلم والأمانة.^(٢)

وتمتعت كل هذه المؤسسات وتوابعها بدخل مالي خاص بها، مما مكنها من أداء رسالتها وتدعيم نظامها، ومصدر هذا الدخل هو الأوقاف من أراض وبيوت وأسواق ومعاصر،^(٣) ومما يقدمه السلاطين والأمراء وأصحاب الخير من فئات الشعب،^(٤) وكان الربيع الذي تقدمه العقارات الموقوفة على المؤسسة شهرياً أو سنوياً، نقداً أو عيناً، هو الضمان لاستمرار العمل فيها، حيث تدفع منه مرتبات موظفي تلك المؤسسة بكل درجاتهم.^(٥)

ومن خلال دراسة الحياة الفكرية في العصر المملوكي وما تقدم ذكره، يمكن القول بأن العصر المملوكي شهد نهضة فكرية واسعة قل نظيرها، تميزت بالعديد من الخصائص:

١ - كانت اللغة العربية هي لغة العلم والمعرفة، فمنذ أن نشأت الحركة العلمية في العصر العباسي الأول، سائرت اللغة العربية هذه الحركة، واستطاعت بما تمتلكه من مرونة بمفرداتها وتراكيبها ومصطلحاتها أن تكون لغة التأليف في العصور اللاحقة ومنها العصر المملوكي، فاللغة العربية منذ العصر الإسلامي الأول لم تعد لغة العرب وحدهم، بل صارت لغة الأمة الإسلامية كلها، لكونها لغة القرآن الكريم والدين الحنيف. وقد شهدت في العصر المملوكي اهتماماً بالغاً من قبل المماليك وذلك لكونهم: مسلمون يتوجب عليهم إتقان لغة دينهم،^(٦) ولأنهم سلاطين

(١) النهار: العصر، ص ٢٢٥.

(٢) محمد أمين، محمد: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دار النهضة العربية، ط ١، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٢٥٧-٢٥٨. عاشور: المجتمع المصري، ص ١٦١-١٦٢. سيشار إليه بـ محمد أمين: الأوقاف.

(٣) العلي، أكرم حسن: دمشق بين عصري المماليك والعثمانيين، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، ط ١، دمشق، ١٩٨٢م، ص ١٦٢. سيشار إليه بـ العلي: دمشق.

(٤) الحججي، حياة ناصر: السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده، مكتبة الفلاح، ط ١، الكويت، ١٩٨٣م، ص ٩١-٩٢.

(٥) محمد أمين: الأوقاف، ص ٢٤٠-٢٤٢، ٢٦٠. النهار: الأوقاف الإسلامية وأثرها على النهضة العلمية في عصر المماليك، بحث غير منشور، ص ٢.

(٦) العلي: دمشق، ص ١٥٩.

الأمة الإسلامية فمن الضروري معرفة لغة من يحكمونهم للتقرب إليهم، فضلاً عن أنهم كانوا قد جلبوا صغاراً إلى البلاد وتربوا فيها تربية إسلامية شأنهم في ذلك شأن أهلها. كما كانت اللغة العربية هي لغة الحكم والإدارة في العصر المملوكي وذلك لعجز أي لغة عن أداء ما تتطلبه أمورها في بلاد يتكلم سكانها اللغة العربية.^(١)

٢ - الإقبال الكبير على تأليف الموسوعات الضخمة، والتي تحوي الواحدة منها الكثير من المعلومات المتباينة، فمثلاً موسوعة "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" للقلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م، وموسوعة "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري المتوفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م، وموسوعة "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" لابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، التي احتوت كل منها على معلومات متنوعة في الأدب والتاريخ والجغرافيا ... إلخ،^(٢) كذلك وجدت الكثير من الكتب التي اختصت بعلم محدد، فمثلاً في التاريخ كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك" لتقي الدين المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م، وكتاب "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" لابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م، وفي الطبقات كتاب "الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة" لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م، وكتب أخرى عديدة تناولت معظم ألوان المعرفة من جغرافيا وفلك وعلوم دينية وطب وفلاحة وآداب ومعارف عامة ... وغيرها.

٣ - لم تقتصر الحياة العلمية ومقوماتها على إقليم محدد، بل شملت جميع أنحاء البلاد، فأُنجبت مصر والحجاز وبلاد الشام علماء متميزين وضعوا مصنفات في مختلف ألوان العلم، غدت منهاجاً للمعرفة في مختلف العصور، حيث لا تزال مكتبات العالم تزخر بها إلى اليوم.

٤ - شاركت المرأة وأسهمت إسهاماً فعالاً في نهوض الحركة الفكرية في العصر المملوكي.^(٣)

(١) سليم: عصر سلاطين، ج ٣، ص ٧٠. العنزي: الحياة الفكرية، ص ٢٥٧.

(٢) عاشور: مصر والشام، ص ٢٧٨. العنزي: الحياة الفكرية، ص ٢٥٧.

(٣) العنزي: الحياة الفكرية، ص ٢٥٨.

٥ - لا يمكن فصل الحياة العلمية في العصر المملوكي الأول عنها في الثاني، فقد سارت وفق نفس الخطى في كلاهما ولم تتأثر بجنسية الحكام.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول: إن علماء العصر المملوكي كانوا بحق علماء أفذاذ، استطاعوا وبزمن قياسي إعادة جمع ما خسره التراث والفكر الإسلامي الذي تعرض للنهب والإحراق والإغراق والإتلاف على يد المغول في سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، ولم يقفوا عند ذلك بل تابعوا مسيرة التأليف والإبداع، فكوّنوا نخبة عظيمة توجت حلقات تطور الحضارة الإسلامية.

ثانياً: دراسة حياة البدر العيني

١- أخباره الشخصية:

أ- اسمه ونسبه وولادته:

هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود، الحلبي الأصل، العينتابي المولد، ثم القاهري الحنفي، يُكنى بأبي محمد وأبي الثناء، ويُلقب ببدر الدين.^(١) ولم يفصح أي من المؤرخين عن شيء غير ذلك، أهو عربي الأصل أم غير عربي؟ ومنْ منْ أجداده قدم إلى حلب؟ ومتى كان ذلك؟ وما الدوافع وراء هذا الانتقال؟ كل هذه الأسئلة لم يحاول أي من المؤرخين أن يوضحها، والمؤرخ كذلك لم يكشف عنها الغطاء، فهو يذكر أن جده شرف الدين موسى قدم مع أبيه شهاب الدين أحمد إلى حلب من بلاد الروم، ولم يبيّن متى وصلاً، وما سبب قدومهما، ولم يوضح عمل جده في بلاد الروم، ولماذا سافر إليها. ولكنه يذكر أن والده أخبره أن جده موسى تولى أثناء إقامته بحلب الإشراف على حفر نهر الساجور الممتد إلى عينتاب، والنظر عليه، وكتابة المصروف من الأموال عليه، ثم انتقل بعد ذلك إلى عينتاب حيث تولى جده نيابة الحكم بها.^(٢) ولم يوضح العيني كذلك متى قدم جده إلى عينتاب من حلب ولماذا استقر بها....

ذكر ابن تغري بردي مولده في ٢٦ رمضان سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م بمدينة عينتاب^(٣).

(١) ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٤٣٢. كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، د.ت، ج١٢، ص١٥٠. سيّشار إليه بكحالة: معجم الزركلي، خير الدين بن محمود: الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٧، ص١٦٣. سيّشار إليه ب الزركلي: الأعلام. عبدالله، يسرى: معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩١م، ص١٣٤.

(٢) الصفحة ٢٤٧ من هذا البحث.

(٣) عينتاب: مدينة لها قلعة حصينة، بين حلب وأنطاكية، كانت تُعرف بدلوك، واليوم هي مدينة كبيرة في تركيا. الحموي، ياقوت بن عبدالله ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م: معجم البلدان، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٩٩٥م، مج٤، ص١٧٦. سيّشار إليه ب الحموي: البلدان. ابن عبد الحق، عبد المؤمن ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٨م: مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجليل، ط١، بيروت، ١٩٩١م، مج٢، ص٩٧٧. سيّشار إليه ب ابن عبد الحق: مرصد. الغزي كامل بن حسين ت: ١٣٥١هـ/١٩٣٢م: نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، ط٢، حلب، ١٩٩٨م، ج١، ص٣٤٥. سيّشار إليه ب الغزي: نهر الذهب.

لذلك عُرف بالعيبي.^(١) لكن السخاوي ذكر مولده في ١٧ رمضان من السنة ذاتها.^(٢)

ب- أسرته:

ينتمي العيني إلى أسرة مشهورة بالعلم والتدين، فقد ولد والده شهاب الدين أحمد بن موسى بحلب سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م ونشأ بها،^(٣) ثم انتقل إلى عينتاب وتولى قضاءها لمدة ثلاثين سنة، ثم استقل حاكماً بها مدة من الزمن، وتوفي فيها سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، وكان رجلاً صالحاً فقيهاً في الفروع والأصول، خبيراً بأمور المكتبات الشرعية والسجلات الحكومية، وله مشاركة في سائر الفنون^(٤).

كان للبدر أخ اسمه أحمد، ولأحمد ابن اسمه قاسم، وكان قاسم بن أحمد خارق الذكاء، وأحد الفضلاء في الحساب والهندسة والنجوم والطلسمات وعلم الحرف، توفي سنة ٨١٤هـ/١٤١١م ودفن بمدرسة عمه في القاهرة.^(٥)

تزوج البدر العيني عدة زوجات منهن: أم الخير المتوفاة سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م،^(٦) وله العديد من الأولاد منهم: عبد العزيز المتوفى سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م،^(٧) وعبد الرحمن الذي مات بمرض الطاعون سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م،^(٨) وعبد الرحيم الذي يُنسب إلى ولده أحمد (القصر العيني) المشهور بمدينة القاهرة،^(٩) وغيرهم.

(١) النجوم، ج ١٦، ص ٨-١١.

(٢) الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣١-١٣٥، التبر المسبوك، ص ٣٧٥.

(٣) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٣٧٥.

(٤) ابن تغري بردي: المنهل، ج ٢، ص ٢٣١.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١٧٨.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٢، ص ١٤٦.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤، ص ٢٣٤.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٥٦.

(٩) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١، ص ٣٤٥.

ج- نشأته وعناية عائلته به:

نشأ العيني بمدينة عينتاب نشأة أبناء العلماء في زمانه، فاهتم به والده القاضي شهاب الدين أحمد ووجهه إلى حفظ القرآن الكريم، وإلى طلب العلم، فمنذ السابعة من عمره تعلم الخط على يد محمود بن إبراهيم القزويني الذي لم يكن له نظير في الخط الحسن، كما حفظ القرآن الكريم، فقرأه على المعز الحنفي المتوفى سنة ٧٩٢هـ/١٣٨٩م،^(١) كما قرأ الفقه على والده، وبرع فيه حتى استطاع في شبابه أن يتولى منصب القضاء نيابة عنه،^(٢) وأخذ العيني ينتقل بين مدارس عينتاب لينهل من علوم علمائها في الفقه واللغة والحديث وغيرها، وأخذ يستعد لمرحلة أكثر انطلاقة لتحقيق ذاته^(٣).

٢- حياته العلمية:

أ- رحلاته العلمية:

لم يقف طموح البدر العيني على تلقي العلوم على علماء بلده، بل ارتحل إلى البلاد الأخرى طلباً للعلوم، ففي سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م أقام في حلب، وأخذ يرتاد مجالس العلم فيها وفي المدن المجاورة لها، حتى تكوّنت شخصيته، وكان أول تصنيف له هناك ما سماه "شرح مراح الأرواح" لأحمد بن علي بن مسعود، ت: ؟، وقد عرضه على مشايخه، فأذعنوا له بالقبول، وبعد ذلك بعام عاد إلى بلده عينتاب حيث توفي والده في تلك السنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م.^(٤)

(١) العوا، أنور: تحقيق قطعة من مخطوط: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، رسالة ماجستير، إشراف: شكران خربوطلي، غير منشورة، جامعة دمشق، ٢٠٠٩م، ص ٣٤. سيشار إليه بـ العوا: عقد الجمان.

(٢) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٣٧٦.

(٣) العيني: السيف المهند، ص أ.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣١. والتبر المسبوك، ص ٣٧٦.

لم تطل إقامته في عينتاب، فرحل إلى بهسنا^(١) وكختا^(٢) وملطية^(٣)، وأخذ العلم من شيوخها، ثم عاد إلى بلده^(٤) لكنه في عام ٧٨٥هـ/١٣٨٣م قام برحلة جديدة إلى دمشق رغبة منه في السير بطريق العلم إلى نهايته، وليوسع دائرة فكره، وينوع معلوماته، وليعدد شيوخه، فدمشق إحدى مدائن العلوم الكبيرة^(٥). وبعد ذلك عاوده الحنين إلى علماء حلب، فوجه شطره نحوها، ليستفيد من معين العلم الذي لا ينضب، ولكي يعرض على مشايخه ما استفاده من رحلاته السابقة^(٦).

وفي سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م سافر العيني لآداء فريضة الحج، فلما وصل إلى الحجاز تردد بين مكة والمدينة لآداء مناسك الحج من ناحية، ولأخذ من علماء الحجاز من ناحية أخرى، ولما عاد إلى بلاده كان إحدى علاماتها البارزة في العلم ينشره بين أهله ومواطنيه في مدارس عديدة، فظل لمدة عامين يؤدي رسالته، حتى رغب بزيارة بيت المقدس بفلسطين، وكان في نيته العودة بعد مدة وجيزة، لكن القدر شاء له أن يرسم له بداية طريق طويل في العلم، فالتقى في بيت المقدس وبلا سابق موعد شيخ علماء العصر علاء الدين أحمد بن محمد السيرامي، فلأزمه وداوم صحبتته، وعندما دعا السلطان الظاهر برقوق الشيخ

(١) بهسنا: قلعة حصينة عجيبة قرب مرعش وسمسيط، من أعمال حلب وتبعد عنها أربع مراحل، (المرحلة ٤٠ كم). الحموي: البلدان، ج ١، ص ٥١٦. العمري، العمري ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، ط ١، أبو ظبي، ٢٠٠٢م، ج ٢٧، ص ٤١٢. سيشار إليه به العمري: مسالك.

(٢) كختا: قلعة قديمة على نهر كختاصو، وتقع على بعد أربعين ميلاً جنوب شرق ملطية. أبو الفداء، اسماعيل بن علي ت: ٧٣٢هـ/١٣٣٢م: تقويم البلدان، تصحيح: ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م، ص ٢٦٣. سيشار إليه به أبو الفداء: تقويم.

(٣) ملطية: مدينة عظيمة بآسيا الصغرى شمال أعالي الفرات، وهي إحدى الثغور المهمة للمسلمين على الحدود بين بلاد الجزيرة وبلاد الروم، فتحها حبيب بن مسلمة الفهري ليعياض بن غنم سنة ٢٠هـ/٦٤٢م. الحموي: البلدان، ج ٥، ص ١٩٢. القزويني، زكريا بن محمد ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٥٦٤. سيشار إليه به القزويني: آثار البلاد. ابن عبد الحق: مرآصد، ج ٣، ص ١٣٠٨. الحميري، ابن عبد المنعم ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٥م: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط ٢، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٥٤٥. سيشار إليه به الحميري: الروض المعطار. لسترانج، كي: بلدان الخلافة الشرقية، تر: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٥٢. سيشار إليه به لسترانج: بلدان الخلافة.

(٤) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٣٧٦.

(٥) Ross Burns: Monuments of Syria- an Historical Guid, 1.B, Tauris, Landon, Newyork, p.75-76

(٦) العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح: عبد الرزاق الطنطاوي القرموط، الزهراء للإعلام العربي، ط ١، ١٩٨٩م، ص ١١-١٢.

السيرامي للتدريس بمدرسته البروقية، اصطحب الشيخ السيرامي البدر العيني معه إلى القاهرة، وهناك تعين صوفياً بالبروقية، فتهياً له طول الملازمة لشيخه، وسعة الفرصة لتلقي العلوم على غيره من أكابر الشيوخ في القاهرة.^(١)

وبعد وفاة شيخه السيرامي سنة ١٣٨٨/هـ ١٧٩٠م،^(٢) تولى العيني الأمور بالمدرسة البروقية لمدة شهرين، فدرس الحاسدين له عند الأمير جركس الخليلي^(٣)، فعزله عن المدرسة، فغادر القاهرة وعاد إلى عينتاب في سنة ١٣٨٨/هـ ١٧٩١م، حيث عمل فيها بالتدريس والوعظ، وفي سنة ١٣٩٠/هـ ١٧٩٣م غادر البدر العيني إلى القاهرة واتخذها وطناً ولم يغادرها إلا مرتين للحج.^(٤)

وهكذا أفادت العيني رحلاته العديدة، فصقلت موهبته وشحذت فكره، وأظهرت مكنون علمه، فظهر البدر واكتمل، وبلغ في العلوم كماله، لأنه استفاد من رحلاته ثقافة وعلماً، فكراً وخلقاً، مع مشاهداته ومعرفته بطبائع الناس فيها، ودراسة أحوالها وظروفها، مما كان له انعكاس واضح على مؤلفاته، لذلك كانت الرحلة أحد أسباب نبوغ البدر العيني وتفوقه.

ب- شيوخه:

تتلمذ البدر العيني على يد شيوخ وعلماء بلده عينتاب، ثم بدأ في شبابه رحلاته إلى العديد من المدن والبلدان التي أقام فيها، وأخذ يدرس على يد علمائها الكثير من الكتب في مختلف العلوم، تلك العلوم التي اصطلاح على أنها تُكوّن العلماء في عصره (علوم الفقه الإسلامي وتفسير القرآن الكريم) والتي كان لا بد لطالب العلم أن يتفقه فيها وأن يتمكن منها، حتى يُجاز كعالم له الحق في الإفتاء والتدريس، ومن هؤلاء العلماء وما درس على أيدهم من الكتب:

● ذو النون أحمد بن يوسف السرماري^(٥)، المتوفى سنة ١٣٧٧/هـ ١٣٧٥م، حيث قرأ البدر العيني عليه

(١) العيني: السيف المهند، ص أ.

(٢) المقرئ: السلوك، ج ٥، ص ٢١٤. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٣٦٤.

(٣) جركس الخليلي: أمير آخور، قتل في محاربة يلبغا الناصري خارج دمشق سنة ١٣٨٨/هـ ١٧٩١م، كان عارفاً مهاباً عاقلاً، وله خان في القاهرة يُعرف به. المقرئ: السلوك، ج ٥، ص ٢٧٠.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٢.

(٥) نسبة إلى قرية سمراري من بخاري. الحموي: البلدان، ج ٣، ص ٢١٥.

"الضوء على المصباح" للأسفرايين المتوفى سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م.^(١)

- الفقيه عيسى بن الخاص السرماري، المتوفى سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م، وقد قرأ العيني عليه العديد من العلوم منها "التبيان في علم المعاني والبيان" للطبي المتوفى سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م، وكتاب "مفتاح العلوم" لسراج الدين السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م.^(٢)
- الشيخ علاء الدين أحمد بن محمد السيرامي، المتوفى سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م، وهو الذي كان سبباً في قدوم البدر العيني إلى القاهرة، ولعل نبوغ البدر في علم المعاني والبيان والفقه والأصول والتفسير يرجع إلى هذا العالم الجليل، حيث قرأ عليه كتاب "الهداية" لبرهان الدين علي المرغيناني المتوفى سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م، وكذلك: "الكشف عن حقائق التأويل" و"المفصل" للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م.^(٣)
- خير الدين القصير، المتوفى سنة ٧٩٢هـ/١٣٨٩م، قرأ عليه "المصباح" في البيان للمطرزي المتوفى سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م.^(٤)
- الشيخ فتح الدين أبو الفتح محمد بن أحمد العسقلاني، المتوفى سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م، حيث سمع عليه "الشاطبية"^(٥) في القراءات بقراءة شمس الدين محمد بن علي الزراتي المتوفى سنة ٨٢٥هـ/١٤٢١م.^(٦)
- محمد بن عبيد الله شارح المصابيح، المتوفى سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م، حيث قرأ عليه المعوذتين إلى ربع القرآن الكريم.^(٧)

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣١.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣١.

(٣) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٣٧٦.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣١.

(٥) الشاطبية: هي كتاب حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، لمؤلفها: القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله ت: ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م، ج ١، ص ٦٤٦. سيشار إليه به حاجي: كشف الظنون.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣١.

(٧) العوا: عقد الجمان، ص ٣٤.

- العلامة أثير الدين جبريل بن صالح بن إسرائيل البغدادي، المتوفى سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م، حيث قرأ عليه "المفصل في النحو" للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م، وكذلك كتاب "التوضيح على متن التنقيح" لأحمد بن عبيد الله المحبوبي المتوفى سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م.^(١)
- الشيخ قاضي القضاة نجم الدين أحمد بن عماد الدين إسماعيل، المعروف بالنجم بن الكشك، المتوفى سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٦م، قرأ عليه البدر العيني أول "صحيح البخاري" وذلك سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م، بالمدرسة النورية^(٢) بدمشق.^(٣)
- جمال الدين يوسف بن موسى الملطي، المتوفى سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، قرأ العيني عليه كتاب "الأصول في الفقه" للإمام علي البزدوي المتوفى سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م، وسمع عليه "المنتخب في أصول المذهب" في الفقه الحنفي للأخسيكتي^(٤).^(٥)
- الشيخ محمود بن محمد بن عبدالله العيتابي، المتوفى سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م، أخذ البدر عنه "تصريف العزي" لإبراهيم الزنجاني المتوفى سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م، و"الفرائض السراجية" للإمام سراج الدين محمد بن محمود السجاوندي من علماء القرن السابع الهجري/الرابع عشر الميلادي، وذلك في سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م.^(٦)

(١) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٣٧٥.

(٢) المدرسة النورية: بدمشق أنشأها نور الدين محمود بن زنكي بخطط الخواصين سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م، لتدريس المذهب الحنفي، وفيها دفن نور الدين محمود. النعمي، عبد القادر بن محمد ت: ٩٢٧هـ/١٥٢١م: الدارس في تاريخ المدارس، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٠م، مج ١، ص ٤٦٦. سيشار إليه بـ النعمي: الدارس. كرد علي، محمد: خطط الشام، مكتبة النوري، ط ٣، دمشق، ١٩٨٣م، ج ٦، ص ١٢٥. سيشار إليه بـ كرد علي: خطط الشام.

(٣) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٣٧٧.

(٤) الأخسيكتي: هو أحمد بن محمد بن القاسم، أبو رشاد الملقب بذي الفضائل، أديب بارع في اللغة والنحو، وهو من أهالي بلدة أخسيكت بفرغانة من خراسان. السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان/صيدا، د.ت، ج ١، ص ٣٧٤. سيشار إليه بـ السيوطي: بغية الوعاة. الكرخي، إبراهيم بن محمد ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م: المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٣٣٣. سيشار إليه بـ الكرخي: المسالك.

(٥) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٣٧٦.

(٦) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٣٧٦.

- الحافظ سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني، المتوفى سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م، والذي أعجب بذكاء العيني، حتى أنه شفع له عند الأمير جركس الخليلي عندما أراد نفيه إلى خارج القاهرة سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م، وقد سمع العيني عليه "محاسن الاصطلاح وتضمنين كتاب ابن الصلاح" للسراج، وذلك بحدود سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م.^(١)
- الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي، المتوفى سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، سمع عليه كتاب "الإمام في أحاديث الأحكام" لابن دقيق العيد سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م، وكذلك "صحيح البخاري ومسلم".^(٢)
- الشيخ شهاب الدين أحمد بن خاص التركي، المتوفى سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، وهو أحد علماء القاهرة الذين أخذ عنهم البدر العيني الفقه سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م.^(٣)
- مسند الديار المصرية المحدث تقي الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الدجوي، المتوفى سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، حيث قرأ عليه "الكتب الستة"^(٤) والثلث الأول من "مسند أحمد" و"مسند عبد ابن حميد" الكشي المتوفى سنة ٢٩١هـ/٩٠٣م.^(٥)
- شريف الدين محمد بن محمد الشهير بابن الكويك، المتوفى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م، قرأ العيني عليه كتاب "الشفاء" للقاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م، وأجازه بجميع مروياته ومسموعاته، وذلك بحدود سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، كما قرأ عليه الجزء الخامس من "مسند أبي حنيفة" للحارثي المتوفى سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م.^(٦)

(١) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٣٧٦.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣١.

(٣) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٣٧٦.

(٤) الكتب الستة: هي الكتب الصحيحة في الحديث النبوي الشريف: (صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن الترمذي، سنن أبو داود، سنن النسائي، سنن ابن ماجه). الفلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٣٦٩.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣١.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣١.

- الشيخ المحدث زين الدين تغري برمش بن يوسف التركماني، المعروف بالفقيه، المتوفى سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م، والذي أخذ عنه شرح "معاني الآثار" للطحاوي المتوفى سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م، وروى عنه "مصاييح السنة" للبغوي المتوفى ٥١٦هـ/١١٢٢م.^(١)
- علاء الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الفوي، المتوفى سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م، حيث أخذ عنه "السنن" للدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م، وذلك في سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م، و"السنن الكبرى" للنسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م، و"التسهيل" لابن مالك الجبائي المتوفى سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م، وذلك سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م.^(٢)
- شمس الدين محمد الراعي المتوفى سنة...؟ والذي كان بارعاً في الصرف والعربية والمنطق، فقرأ العيني عليه: "مراح الأرواح" في علم التصريف، و"الشافية" في النحو لابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م، و"رمز الكنوز" و"شرح الشمسية" للآمدي المتوفى سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م،^(٣) كما سمع عليه بقراءة شخص يُسمى: أيوب الرومي "شرح مطالع الأنوار" لقطب الدين الرازي المتوفى سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م، و"شرح الشافية" في الصرف للجاربردي المتوفى سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م.
- كما أخذ العيني عن غيرهم من الشيوخ منهم: عبد الكريم بن التقي بن الحافظ الحلبي ت...؟ حيث قرأ عليه "المعاجم الثلاثة" للطبراني المتوفى سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م، والشيخ ميكائيل ت...؟ والذي قرأ عليه كتاب "مجمع البحرين وملتقى النهرين" في الفقه وأصوله لابن الساعاتي المتوفى سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م، وكذلك أخذ عن ولي الدين البهسني، وعن علاء الدين الكختاوي، وعن بدر الدين الكشافي، ومن الكتب التي درسها أيضاً: "البحار الزاخرة في المذاهب الأربعة" في الفقه للعلامة حسام الدين الرهاوي.^(٤)

(١) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٣٧٦-٣٧٧.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٢؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٦-٣٧٧.

(٣) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٣٧٥.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٢؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٥-٣٧٧.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول: إن الدارس لحياة البدر العيني سيجد كلفاً في إحصاء أسماء الشيوخ والعلماء الذين تلقى البدر علومه على أيديهم، لكثرتهم، وقام بوضع ترجمات لهم في كتاب أسماء "معجم الشيوخ" وذلك عرفاناً منه بفضلهم ووفاء لحقهم.

ج- أقرانه من العلماء:

لقد تبين من خلال دراسة الحياة الفكرية في العصر المملوكي، أن هذا العصر شهد نهضة فكرية عامة، أنجبت الكثير من العلماء الأفذاذ، الذين وضعوا مصنفات ضخمة في مختلف العلوم، وبخاصة في علم التاريخ، ومن أشهر العلماء الذين عاصروا البدر العيني، وكتبوا في علم التاريخ:

- العلامة المؤرخ والفيلسوف ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المتوفى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م، وهو صاحب كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر".
- ابن دقمان، إبراهيم بن محمد، المتوفى سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، صاحب كتاب "الانتصار لواسطة عقد الأمصار"، "الجواهر الثمين في سير الملوك والسلطين"، "نزهة الأنام في تاريخ الإسلام".
- القلقشندي، أحمد بن علي، المتوفى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م، صاحب موسوعة "صبح الأعشى في صناعة الإنشا".
- جمال الدين أحمد بن عقبة، المتوفى سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٥م، مؤلف كتاب "عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب".
- المقريزي، أحمد بن علي، المتوفى سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م، وله كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك"، "المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار".
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، المتوفى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م، وكتابه "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة".
- ابن الجيعان، يحيى بن شاعر، المتوفى سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م، واضع كتاب "التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية".

- الظاهري، خليل بن شاهين، المتوفى سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م، صاحب كتاب "زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك".
- يوسف بن تغري بردي الأتابكي، المتوفى سنة ٨٧٤هـ/١٤٧٠م، صاحب كتاب "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، "المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي".
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، المتوفى سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٧م، مصنف كتاب "الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع"، "التبر المسبوك في ذيل السلوك".

وقد ترتب على وجود هؤلاء العلماء في حقبة واحدة، أن يأخذوا الكثير من العلوم والمعارف نفسها من مصادر مشتركة على يد شيوخ ذلك العصر أنفسهم، مما ولّد عندهم الكثير من المنافسة لإثبات مدى قدرة كل منهم على التمكن من معارفه، إلا أن هذه المنافسة خرجت عن إطارها الطبيعي عندما شُحنت بعوامل أخرى، كقيام السلاطين بتقريب بعضهم وإبعاد آخرين، وكذلك الاختلاف المذهبي بين العلماء أنفسهم، مما أوصلهم إلى درجة من الضغينة المستمرة بينهم، التي تجلت في كتاباتهم في كثير من الأحيان.

وتشير كتب التاريخ إلى أن البدر العيني لم يكن على وفاق مع ابن حجر العسقلاني الذي توفي قبل البدر بثلاث سنوات، فالبدر كان حنفي المذهب بينما ابن حجر كان شافعيًا، وكذلك تقلد كل منهم منصب القضاء، فصار لهم أنصار وأعوان، ففي سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م استقر كلاهما مدرسان في الجامع المحمودي، وعلى أثر حادثة تهدم المئذنة الشمالية للجامع سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م، نظم ابن حجر شعراً قال فيه^(١):

لجامع مولانا المؤيد رونق	منارته بالحسن تزهو وبالزین
تقول وقد مالت عليهم: امهلوا	فليس على جسمي أضر من العين ^(٢)
فرد عليه العيني بالأسلوب ذاته فقال:	

(١) ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٤، ص ٧٥-٧٦. ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ١٤٥. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٢٧٢.

(٢) البحر الطويل: طويل له دون البحور فضائل فعولن مفاعيل فعولن مفاعلن

منارة كعروس الحسن إذ جليت
وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا: أصيبت بعين، قلت: ذا غلط
ما آفة الهدم إلا خسة الحجر^(١)

وقد بلغ الخلاف أشده عندما وضع كل منهما شرحاً لصحيح البخاري، فابن حجر وضع شرحه باسم "فتح الباري"، أما العيني فقد وضعه باسم "عمدة القاري"، وكان العيني قد بدأ بوضعه سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م وانتهى منه في سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م.^(٢) عندها اتهم ابن حجر البدر العيني بالنقل من كتابه "فتح الباري"، وقد أشار السخاوي تلميذ ابن حجر إلى ذلك بقوله: "ومن تصانيفه - أي العيني - شرح البخاري في واحد وعشرون مجلداً، أسماه عمدة القاري استمد فيه من شرح شيخنا، بحيث ينقل منه الورقة بكاملها"^(٣)

وعندما عمل البدر العيني أرجوزة "الجوهرة السنية في الدولة المؤيدية" التي تلخص مناقب السلطان المؤيد شيخ الحمودي، تعرض له ابن حجر، فانتقدها وأخرج الأبيات الركيكية التي بلا وزن، والتي بلغت نحو أربعمئة بيت ووضعها في جزء من كتاب أسماه "قذى العين في نظم غراب البين".^(٤)

إلا أن ذلك لم يمنع كل من العالمين من التواصل والاستفادة من معارف بعضهم، حيث يقول السخاوي: "ورأيت يسأل شيخنا في مرض موته وقد جاء ليعوده، عن مسموعات الزين العراقي، فقال له: ليست مجموعة في كتاب، لكنني أوردت في ترجمته من معجمي ما أخذته عنه، وذلك شيء كثير، فانظروه، فإذا حصلتموه نأخذ النظر في الباقي"^(٥) كما ذكر السخاوي أن المقرئ أخذ عن العيني فقال: "سمع عليه ثلاثة أحاديث لأجل البلدانات بظاهر عيتاب بقراءة موقعه ابن المهندس، مع ما بينهما ما يكون بين المتعاصرين غالباً"^(٦)

(١) البحر البسيط: إن البسيط لديه يبسط الأمل مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

(٢) العيني: عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، ضبطه وصححه: محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠٠١م، ج ٢٥، ص ٣٠٤. سيشار إليه بـ العيني: عمدة القاري.

(٣) الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٣.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٣٠٩-٣١٠. حاجي: كشف الظنون، ج ٢، ص ١٣١٦.

(٥) التبر المسبوك، ص ٣٧٨.

(٦) الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٣.

كما ظهرت منافسة أخرى بين العيني وبين مؤرخ العصر تقي الدين المقرئ الذي توفي قبل العيني بعشر سنوات، وقد تجلت هذه المنافسة في ترجمة كل منهما للآخر، فقد أورد السخاوي أن المقرئ ذكر في كتابه (العقود الفريدة): إنه - أي العيني - أخرج من البرقوقية خروجاً شنيعاً لأُمور رمي بها، والله أعلم بحقيقتها، وشفع فيه البلقيني حتى أعفي من النفي.^(١)

وأورد السخاوي أيضاً: أن البدر العيني قال في المقرئ: كان منشغلاً بكتابة التواريخ وبضرب الرمل^(٢)، تولى الحسبة في القاهرة في آخر أيام الظاهر يعني برقوق، ثم عُزل بمسطره^(٣)، ثم تولى مرة أخرى في أيام الدوادار الكبير سودون^(٤) ابن أخت الظاهر عوضاً عن مسطره، بحكم أن مسطره عزل نفسه بسبب ظلم سودون المذكور.^(٥)

فالمقرئ ذكر حادثة عزل العيني عن وظيفته كمدرس بالبرقوقية، كما أن العيني ذكر حادثة عزل المقرئ عن وظيفته كمحتسب، مما يدل على أن المنافسة بينهما كانت بسبب منصبه كموظف في الدولة، حيث أن كل منهما كان يتولى الحسبة أو التدريس ويُعزل عنها ثم يعود إليها مرة أخرى^(٦)، وبذلك تختلف هذه المنافسة عن تلك التي كانت بين العيني وابن حجر والتي قامت على أساس علمي ينتقد فيه كل منهما الآخر في معارفه.

(١) الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٥.

(٢) ضرب الرمل: هو العرافة، أي طريقة قراءة المجهول، وتعتمد على رسم خطوط وأشكال في الرمل. عبد الحميد عمر، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط ١، د.م، ٢٠٠٨م، ج ٢، ص ٩٤٤. سيشار إليه بـ عبد الحميد عمر: معجم.

(٣) بعد الرجوع إلى كتاب السلوك للمقرئ والنجوم والمنهل لابن تغري بردي والوافي للصفدي وغيرها، لم يتم الحصول على أية ترجمة له.

(٤) سودون: الأمير سودون بن عبد الله الحمزاوي، الخاصكي، كان من مماليك الظاهر برقوق وخاصكيته، تولى نيابة صفد، ثم خازندار مصر، ثم دوادار كبير، قُتل بأمر السلطان الناصر محمد سنة ٨١٠هـ / ١٤٠٧م. ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٣، ص ١٦٩، والمنهل، ج ٦، ص ١٢٣-١٢٦. ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٢، ص ٣٨٣. السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٧٥.

(٥) الضوء اللامع، ج ٢، ص ٢٤. التبر المسبوك، ص ٢٤.

(٦) سيأتي ذكرها في دراسة الحياة الوظيفية للبدر العيني ص ٦٤.

د- تلامذته:

عاش البدر العيني لأكثر من تسعين عاماً، وبدأ بالتدريس في الخامسة والعشرين من عمره، وامتاز خلال حياته بحسن العشرة والتواضع، وبساطة العبارة والقدرة على الإيضاح والبيان، وكثرة الاطلاع،^(١) لذلك تتلمذ على يده الكثير من المؤرخين وعلماء الفقه والشريعة، وقد استفادت الأبحاث التي تناولت دراسة مخطوط "عقد الجمان" في ذكر الكثير منهم،^(٢) إلا أنه لا بدّ في هذا البحث من التعرف على أشهر تلاميذ العيني:

- أرغون شاه البيدموي الظاهري برقوق، تعلم في القاهرة و"سمع الصحيحين البخاري ومسلم، وكتاب المصاييح للبغوي على جماعة منهم: الشيخ بدر الدين محمود العيتابي"^(٣) توفي سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م.^(٤)
- الكختاوي، زين الدين أبو بكر بن إسحق بن خالد الكختاوي، الحلبي ثم القاهري الحنفي، يعرف بباكير، ولد سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م ببلده كختا، اشتغل في الفنون وأخذ عن غير واحد، يقول السخاوي: "وقد ذكره العيني وقال: أخذ عنه وهو أمرد"^(٥)، الصرف ببلده كختا سنة خمس وثمانين، ثم في عينتاب بعد ذلك"^(٦) توفي سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م.^(٧)
- الحجازي، شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد القليوبي، القاهري الشافعي، المعروف بالحجازي، أخذ عن الكثير من علماء عصره "كالبدر العيني، قرأ عليه شرحه للشواهد، وأصلح فيه بتحقيقه

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٣.

(٢) من تلك الأبحاث: تحقيق قطعة تؤرخ للسنوات ١٣-١٧هـ/٦٣٤-٦٣٨م، حققها الطالب: أنور العوا.

(٣) ابن الصيرفي: نزهة، ج ٢، ص ٦٣.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ٢٦٧.

(٥) أمرد: شاب طلع شاربه ولم تنبت لحيته. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٣، ص ٢٠٨٥.

(٦) الضوء اللامع، ج ١١، ص ٢٦.

(٧) السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٤٩. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٩، ص ٣٧٩.

شيئاً كثيراً^(١) توفي سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م، من مؤلفاته: "مختصر الحاوي"، "شرح التلخيص" لابن البنا في الحساب.^(٢)

- ابن قلقيلة، بدر الدين حسن بن قلقيلة، الحسيني سكناً الحنفي "أخذ عن البدر العيني واستقر به إمام مدرسته"^(٣) توفي سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٥م.^(٤)
- ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن مسعود السيواسي، القاهري الحنفي، ولد سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م، درس مختلف أنواع العلوم وأخذ "الدواوين السبع أشعار العرب عن العيني، وكان أحد المقررين عنده في محدثي المؤيدية"^(٥) له تصانيف كثيرة منها: "شرح الهداية"، "التحرير" في أصول الفقه، توفي سنة ٨٦١هـ/١٤٥٦م.^(٦)
- الطنوبي، شرف الدين عيسى بن سليمان بن خلف بن داود الطنوبي، القاهري الشافعي، ولد سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م بالقاهرة، ومن شيوخه "البدر العيني واختص به"^(٧) توفي سنة ٨٦٣هـ/١٤٥٨م.^(٨)
- ابن تغري بردي الأتابكي، جمال الدين يوسف، القاهري الحنفي، ولد سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م، درس على علماء عصره فتنقه "بشمس الدين الرومي، وبالعيني وغيرهما"^(٩) ورغب في دراسة التاريخ واجتهد في ذلك حتى فاق أقرانه، وقد انتهت إليه رئاسة فن التاريخ في عصره، من مؤلفاته: "النجوم الزاهرة"، "المنهل الصافي"، توفي سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م.^(١٠)

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص ٥١.

(٢) البغدادي، اسماعيل باشا: هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج٢، ص ١٩٦. سيشار إليه بـ البغدادي: هدية العارفين.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص ١٣١.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص ١٣١-١٣٢.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص ١٢٧-١٢٨.

(٦) السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص ٤٧٤. وبغية الوعاة، ج١، ص ١٦٦. ابن العماد: شذرات الذهب، ج٩، ص ٤٣٧.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص ١٥٣.

(٨) الداودي، محمد بن علي ت: ٩٤٥هـ/١٥٣٨م: طبقات المفسرين، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٢م، ج١، ص ٤٤. سيشار إليه بـ الداودي: طبقات.

(٩) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٩، ص ٤٧٢.

(١٠) السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص ٣٠٥.

• البليسي، أبو حامد محمد بن خليل بن يوسف بن علي البليسي، الرملي المقدسي الشافعي، نزيل القاهرة، ولد سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م بالرملة، حفظ القرآن الكريم، وأخذ العلوم عن علماء عصره "ومن أذن له العيني وأثنى عليه بخطه غير مرة"^(١) توفي سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، من مؤلفاته: "شرح المنهاج"؛ "شرح البهجة".^(٢)

• السخاوي، أبو الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، القاهري الشافعي، ولد سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م، حفظ القرآن الكريم وهو صغير، ودرس على شيوخ عصره ومنهم البدر العيني، حيث يذكر "وكننت ممن قرأ عليه أشياء، وقرض لي بعض تصانيفي، وبالغ في الثناء عليّ لفظاً وكتابة"^(٣) وله الكثير من المؤلفات تجاوز عددها المئة، في مقدمتها: "الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع"، "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ"، وقد انتهى إليه علم الجرح والتعديل، توفي سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م.^(٤)

• ابن الصيرفي، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن صدقة بن أحمد بن حسن بن عبد الله العسقلاني، المكي الأصل، القاهري الشافعي، ولد سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م، أخذ عن الكثير من الشيوخ في القاهرة ومكة، وأخذ "في الصرف وعلم الحديث عن شيخنا وعلى العيني"^(٥) توفي سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩م، ومن مؤلفاته: "نظم النخبة لابن حجر"، "مقدمة في الفلك".^(٦)

ومن تلاميذه أيضاً:

- شمس الدين محمد بن علي بن حسن، المعروف بابن السقا، صاهر العيني، وأخذ عنه شرحه للشواهد، وشرحه للبخاري، وباشر عنه في الأحباس، توفي سنة ٨٦٧هـ/١٤٦٢م.^(٧)

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧، ص ٢٣٦.

(٢) الشوكاني، محمد بن علي ت: ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ١٦٩. سيشار إليه بـ الشوكاني: البدر الطالع.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٣.

(٤) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١٠، ص ٢٣-٢٣. السخاوي: الضوء اللامع، ج ٨، ص ٢-٣٠.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١، ص ٣١٦.

(٦) البغدادلي: هدية العارفين، ج ١، ص ١٣٧.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٨، ص ١٧٩.

- شهاب الدين أحمد بن أسعد بن عبد الواحد الأميوطي، أخذ عن العيني شرح الشواهد وغيرها، توفي سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م.^(١)
- ابن قاضي عجلون: نجم الدين محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن، المتوفى سنة ٨٧٦هـ/١٤٧١م.^(٢)
- نور الدين علي بن أحمد الدكماوي، المتوفى سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م.^(٣)
- فخر الدين عثمان بن إبراهيم بن أحمد بن يوسف الطرابلسي، المتوفى سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٧م.^(٤)
- زين الدين عبد الرحيم بن غلام الله بن محمد المنشاوي، المتوفى سنة ٨٩٦هـ/١٤٩٠م.^(٥)

هـ - مؤلفاته:

بعد أن قام البدر العيني برحلاته في مختلف البلدان والتي التقى خلالها الكثير من الشيوخ والعلماء، استقر في القاهرة وعمل في التدريس وعقد حلقات العلم لتلاميذه، وبدأ منذ ذلك الحين بالتأليف والتصنيف في مختلف أنواع العلوم المعروفة في عصره، فترك عدداً كبيراً من المصنفات في علوم: التفسير؛ الحديث؛ اللغة؛ الفقه؛ والتاريخ وغيرها، حيث يقول السخاوي: "لا أعلم بعد شيخنا أكثر تصانيف منه"^(٦) لذلك من الصعب حصر مؤلفات البدر العيني طالما أن معاصريه وطلابه لم يتمكنوا من ذلك، ولكن أشهر مؤلفاته:

١ - الكتب المخطوطة:

- ١- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان - موضوع البحث -

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١، ص ٢٢٧.

(٢) السيوطي: نظم العقيان في أعيان الأعيان، تح: فيليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت، ص ١٥٠. سيشار إليه بـ السيوطي: نظم العقيان. السخاوي: الضوء اللامع، ج ٨، ص ٩٦.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٧٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٢٤٠.

سيشار إليه بـ السخاوي: التحفة اللطيفة. الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٢٣.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٨٣.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٣.

- ٢- تحفة الملوك في المواعظ والرقائق: كتاب في الفقه، كتبه العيني في ثمان مجلدات، وقد ذكره السخاوي وابن العماد والشوكاني،^(١) وتوجد نسخة منه في مكتبة برلين تحت رقم: ٤١/٤٥٠، وفي مكتبة الجزائر تحت رقم: ٩٩٢. (٢)
- ٣- العلم الهيب في شرح الكلم الطيب: "الكلم الطيب" كتاب في علم الحديث لابن تيمية الحراني، وكتاب العيني مخطوط موجود بدار الكتب المصرية تحت رقم: ١١٢/حديث، ويحتوي على ١٨٢ ورقة بخط المؤلف،^(٣) فرغ العيني من كتابته سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م، وقد ذكره السخاوي وحاجي خليفة والشوكاني. (٤)
- ٤- المسائل البدرية المنتخبة من الفتاوى الظهيرية: "الفتاوى الظهيرية" كتاب في الفقه الحنفي لظهير الدين محمد بن أحمد بن عمر البخاري، المتوفى سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م،^(٥) وتوجد نسخة من كتاب العيني في مجلد واحد في دار الكتب المصرية تحت رقم: ٤٢٨ فقه حنفي،^(٦) وقد فرغ العيني من تأليفه سنة ٨٤٠هـ/١٣٣٦م، وذكره السخاوي وحاجي خليفة وابن العماد. (٧)
- ٥- الدرر الزاهرة في شرح البحار الزاهرة: كتاب في الفقه وأصوله، يتألف من مجلدين، وتوجد منه نسخة في دار الكتب المصرية تحت رقم: ١٨٣، ١٨٤،^(٨) وقد ذكره السخاوي وحاجي خليفة والشوكاني. (٩)

(١) الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٨٠. شذرات الذهب، ج ٩، ص ٤١٩. البدر الطالع، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٢) العيني: السيف المهند، ص: ح.

(٣) العيني: السيف المهند، ص: ح.

(٤) الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩. كشف الظنون، ج ٢، ص ١٥٠٦. البدر الطالع، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٥) القرشي: الجواهر المضية، ج ٢، ص ٢٠.

(٦) العيني: السيف المهند، ص: ح.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤. كشف الظنون، ج ٢، ص ١٢٢٦. شذرات الذهب ج ٩، ص ٤١٩.

(٨) العيني: السيف المهند، ص: ح.

(٩) الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩. كشف الظنون، ج ١، ص ٢٢٠. البدر الطالع، ج ٢، ص ٢٩٥.

- ٦- شرح قطعة من سنن أبي داود: وتقع في مجلدين، الأول ٢٨٠ ورقة والثاني: ٢٦٩ ورقة، وتوجد نسخة منه بدار الكتب المصرية تحت رقم: ٢٨٦/حديث،^(١) وقد ذكره السخاوي وحاجي خليفة.^(٢)
- ٧- مباني الأخبار في رجال معاني الآثار: "معاني الآثار" كتاب في علم الحديث للطحاوي المتوفى سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م، وتوجد نسخة من كتاب العيني تتألف من مجلدين بدار الكتب المصرية برقم: ٧٢/مصطلح حديث،^(٣) وهي بخط المؤلف، وقد ذكره السخاوي وابن العماد وحاجي خليفة والشوكاني.^(٤)
- ٨- المستجمع في شرح المجمع: المجمع هو كتاب "مجمع البحرين وملتقى النهرين" في الفقه الحنفي لأحمد بن علي بن تغلب، المعروف بابن الساعاتي، المتوفى سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م،^(٥) وتوجد نسخة من جزأين لكتاب العيني بدار الكتب المصرية برقم: ٤١٨، ٧٩٠/فقه حنفي، وقد ذكره السخاوي والشوكاني والسيوطي وحاجي خليفة وابن العماد.^(٦)
- ٩- منحة السلوك في شرح تحفة الملوك: "تحفة الملوك" كتاب في الفقه الحنفي لأبي بكر محمد بن أبي بكر عبد المحسن، المتوفى آواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي،^(٧) وتوجد لكتاب العيني عدة نسخ بدار الكتب المصرية، وقد ذكره السخاوي وابن العماد وحاجي خليفة والشوكاني.^(٨)

(١) العيني: السيف المهند، ص: ح.

(٢) الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩. كشف الظنون، ج ٢، ص ١٠٠٥.

(٣) العيني: السيف المهند، ص: ح.

(٤) الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩. كشف الظنون، ج ٢، ص ١٧٢٨. شذرات الذهب، ج ٩، ص ٤١٩. البدر الطالع، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٥) القرشي: الجواهر المضئية، ج ١، ص ٨٠.

(٦) الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩. كشف الظنون، ج ٢، ص ١٥٩٩. شذرات الذهب، ج ٩، ص ٤١٩. البدر الطالع، ج ٢، ص ٢٩٥. بغية الوعاة، ج ٢، ص ٢٧٥.

(٧) القرشي: الجواهر المضئية، ج ٢، ص ٣٤.

(٨) الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩. كشف الظنون، ج ١، ص ٣٧٤. شذرات الذهب، ج ٩، ص ٤١٩. البدر الطالع، ج ٢، ص ٢٩٥.

١٠- نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار: توجد نسختان منه بدار الكتب

المصرية الأولى: بخط المؤلف وتقع في ثمان مجلدات برقم: ٥٢٦/حديث،^(١) والثانية برقم:

٢١٥٤٧ ب. (٢)

١١- تكميل الأطراف: كتاب في الوعظ والخطب، يتكون من مجلد واحد موجود في مكتبة شهيد علي

باشا في تركيا برقم: ٣٨٧،^(٣) ولم يذكره أحد ممن ترجم للعيني، لكنه ذكر في مقدمة كتاب عمدة

القاري. (٤)

١٢- رسائل الفئة في شرح العوامل المثة: "العوامل المثة" كتاب في الفقه لأبي بكر عبد القاهر بن عبد

الرحمن الجرجاني، المتوفى سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م،^(٥) وتوجد نسخة من كتاب العيني في دار الكتب

المصرية برقم: ٤٦٣٣، وقد ذكره السخاوي وابن العماد وحاجي خليفة. (٦)

٢ - الكتب المطبوعة:

١- عمدة القاري في شرح الجامع الصحيح للبخاري: من أشهر كتب العيني في علم الحديث، ومن

أجل الشروح لصحيح البخاري، ابتدأ العيني بتأليفه سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م، وفرغ منه في سنة

٨٤٧هـ/١٤٤٣م. (٧)

(١) العيني: السيف المهند، ص: ح.

(٢) سيد، فؤاد: فهرس المخطوطات التي اقتنتها دار الكتب المصرية من سنة ١٩٣٣م إلى ١٩٥٥م، مطبعة دار الكتب،

القاهرة، ١٩٨٣م، ج ٣، ص ١٥٥.

(٣) العيني: السيف المهند، ص: ح.

(٤) العيني: عمدة القاري، ص ١٧.

(٥) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٠٨.

(٦) الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩. كشف الظنون، ج ٢، ص ١١٧٩. شذرات الذهب،

ج ٩، ص ٤١٩.

(٧) العيني: عمدة القاري، ج ٢٥، ص ٣٠٤.

- ٢- البناية في شرح الهداية: كتاب في الفقه الحنفي، وكتاب "الهداية" لعلي بن أبي بكر المرغيناني المتوفى سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م،^(١) ابتداءً العيني بتأليفه سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م وفرغ منه سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م.^(٢)
- ٣- رمز الحقائق في شرح كنز الدقائق: كتاب في الفقه الحنفي، وكتاب "كنز الدقائق" لعبدالله بن أحمد بن محمود النسفي،^(٣) المتوفى سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م، وقد فرغ العيني من كتابته سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م.^(٤)
- ٤- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، المعروف بالشواهد الكبرى: كتاب في علم اللغة، وهو شرح للشواهد الواقعة في شروح الألفية لكل من: ابن الناطم،^(٥) وابن قاسم،^(٦) وابن هشام،^(٧) وابن عقيل،^(٨) وقد قام العيني بإزالة كل ما فيها من مبهمات، وذكر وزن كل بيت ونسبه إلى بحره، والمناسبة لهذه القصيدة مع تعريف قائلها، وتُعرّب البيت ويبين موضع الاستشهاد فيه.^(٩)

(١) القرشي، عبد القادر بن محمد ت: ٧٧٥هـ/١٣٧٣م: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه، كراتشي، د.ت، ج ١، ص ٣٨٣. سيُشار إليه بـ القرشي: الجواهر المضية.

(٢) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٣٧٦.

(٣) ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ١٧.

(٤) العيني: رمز الحقائق في شرح كنز الدقائق، مخطوط موجود في مكتبة الأسد في دمشق تحت رقم: ١٣٦٩٤٠، ٧٦٢، ١٦٢١٩، ٦٦٨١، ٧٢٩٢، ١٢٣٣٩، ورقة: ١-٢. سيُشار إليه بـ العيني: رمز الحقائق.

(٥) ابن الناطم: محمد بن محمد بن عبدالله بن مالك، ابن صاحب الألفية، برع في النحو والبيان والمعاني والبدیع والعروض، شرح ألفية والده وكافيته ولاميته، توفي سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م. السيوطي: بغية الوعاة، ج ١، ص ٢٢٥.

(٦) ابن قاسم: الحسن بن قاسم بن عبدالله، المعروف بابن أم قاسم، أتقن العربية وغيرها، وشرح الألفية والتسهيل، توفي سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ١٣٨-١٣٩. السيوطي: بغية الوعاة، ج ١، ص ٥١٧.

(٧) ابن هشام: عبدالله بن يوسف، فاق أقرانه في العربية، وتخرج على يديه الكثير، توفي سنة ٧٦١هـ/١٣٥٩م. ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ٩٣-٩٥. السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢، ص ٦٨. وحسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٣٦.

(٨) ابن عقيل: عبدالله بن عبد الرحمن بن عقيل العقيلي، برع في النحو واللغة، توفي سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م. ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ٤٢. السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢، ص ٤٧. وحسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٣٧.

(٩) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٩، ص ٣٦.

- ٥- فرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد، المعروف بالشواهد الصغرى: كتاب في علم اللغة، وهو مختصر لكتاب الشواهد الكبرى، قال العيني في مقدمته: "فلخصت تفاوته، وخلصت نقايته، مع بعض زيادة شريفة ونزر من نوادر لطيفة"^(١)
- ٦- ملاح الألواح في شرح مراح الأرواح: كتاب في علم اللغة، وضعه العيني وهو في الحادية والعشرين من عمره، وكتاب "مراح الأرواح" هو مختصر في التصريف لعلي بن أحمد بن مسعود.^(٢)
- ٧- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر: كتاب في التاريخ، ألفه العيني هدية للظاهر ططر،^(٣) المتوفى سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م، تناول فيه حياة الظاهر ططر ومناقبه.^(٤)
- ٨- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد: كتاب في التاريخ، تناول حياة السلطان المؤيد شيخ الحمودي المتوفى سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م،^(٥) بالإضافة إلى وصايا وتحذيرات للسلطان ابتغى العيني فيها الإصلاح والتهديب.^(٦)

٣ - الكتب المفقودة:

لقد ذكر الكثير من المؤرخين من معاصري البدر العيني وتلامذته وغيرهم في ثنايا مصنفاتهم أسماء العديد من الكتب التي نسبوها إلى البدر العيني، لكن هذه الكتب لم يعثر عليها في مكتبات العالم إلى اليوم، ومن هذه الكتب:

الحواشي على شرح الشافية للجاربردي.^(٧) الحواشي على شرح الألفية.^(٨) الحواشي على شرح

(١) فرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد، المطبعة الكاستيلية الزاهرة، القاهرة، ١٨٧٩م، ص ٣. سيُشار إليه بـ العيني: فرائد القلائد.

(٢) السيوطي: بغية الوعاة، ج ١، ص ٣٤٧.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤، ص ٧.

(٤) العيني: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تقديم: محمد زاهر الكوثرى، مطبعة دار الأنوار، القاهرة، ١٩٥٠م، ص ١٥-٤٠. سيُشار إليه بـ العيني: الروض الزاهر.

(٥) ص ١١-٢٨٠.

(٦) ص ٢٨٥-٢٩٠.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ والتبر المسبوك، ص ٣٧٩. حاجي: كشف الظنون، ج ٢، ص ١٠٢١.

الشوكاني: البدر الطالع، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤. حاجي: كشف الظنون، ج ١، ص ١٥٢.

التوضيح لابن هشام المتوفى سنة ٧٦١هـ/١٣٥٩م.^(١) الحواشي على تفسير الكشاف للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م.^(٢) الحواشي على تفسير البغوي المتوفى سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م.^(٣) تاريخ الأكاسرة (باللغة التركية).^(٤) تذكرة نحوية.^(٥) تذكرة متنوعة.^(٦) سيرة الأنبياء.^(٧) سيرة الأشرف برسباني.^(٨) شرح تسهيل ابن مالك في النحو.^(٩)

الحاوي في شرح قصيدة الساي في العروض.^(١٠) شرح لامية ابن الحاجب في العروض.^(١١) شرح المنار في الأصول.^(١٢) طبقات الحنفية.^(١٣) طبقات الشعراء.^(١٤) كشف اللثام عن سيرة ابن هشام.^(١٥) مختصر تاريخ دمشق.^(١٦) مختصر عقد الجمان.^(١٧) مختصر وفيات الأعيان.^(١٨) معجم

-
- (١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩. الشوكاني: البدر الطالع، ج ٢، ص ٢٩٥.
(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٥؛ التبر المسبوك، ص ٣٨٠.
(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٥؛ التبر المسبوك، ص ٣٨٠.
(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩.
(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩.
(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٨٠.
(٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩.
(٨) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٨٠. حاجي: كشف الظنون، ج ٢، ص ١٠١٥.
(٩) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٩، ص ٤١٩. السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤.
(١٠) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩.
(١١) حاجي: كشف الظنون، ج ٢، ص ١١٣٤. السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩.
(١٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩.
(١٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٩، ص ٤١٩. حاجي: كشف الظنون، ج ٢، ص ١٠٩٨. الشوكاني: البدر الطالع، ج ٢، ص ٢٩٥. السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢، ص ٢٧٥. وحسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٧٤.
(١٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٩، ص ٤١٩. حاجي: كشف الظنون، ج ٢، ص ١١٠٢. الشوكاني: البدر الطالع، ج ٢، ص ٢٩٥. السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢، ص ٢٧٥.
(١٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩. حاجي: كشف الظنون، ج ٢، ص ١٠١٢. الشوكاني: البدر الطالع، ج ٢، ص ٢٩٥.
(١٦) السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢، ص ٢٧٥. حاجي: كشف الظنون، ج ١، ص ٢٨٤.
(١٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٩، ص ٤١٩. الشوكاني: البدر الطالع، ج ٢، ص ٢٩٥.
(١٨) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٩، ص ٤١٩.

الشيخ. (١) مقدمة في التصريف ومقدمة في العروض. (٢)

و- مكانته العلمية:

إن التراث الذي خلفه البدر العيني يعطي فكرة واسعة عن القيمة العلمية التي تميّز بها العيني في عصره، فقد كان في الحديث والفقه والتاريخ والعربية بجرأاً لا تعكره الدلاء، آية في استحضر أحاديث الأحكام، وإبداء علل أسانيدھا ومتونها، بارعاً في الموازنة بين أدلة المسائل الخلافية بين فقهاء الأمصار، واسع الاطلاع على مذهب سلف الأمة وآراء الأئمة، بالغاً في الفحص غايته وفي التنقيب نهايته، (٣) ولقد أثنى عليه الكثير من العلماء ممن عاصروه أو جاؤوا بعده:

قال أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي: "كان بارعاً في عدة علوم، مفتياً، كثير الاطلاع، واسع الباع في المعقول والمنقول، لا يستنقصه إلا متغرض، قلّ أن يُذكر علم إلا وله فيه مشاركة جيدة" (٤)

وقال السخاوي: "كان إماماً عالماً علامة، حافظاً للتاريخ واللغة، كثير الاستعمال لها، مشاركاً في الفنون، لا يمل من المطالعة والكتابة" (٥)

وقال شمس الدين محمد بن الحسن النواجي (٦):

لقد حزت يا قاضي القضاة مناقباً
يقصر عنها منطقي وبياني
وأثني عليك الناس شرقاً ومغرباً
فلا زلت محموداً بكل لسان (٧)

=ص ٤١٩. الشوكاني: البدر الطالع، ج ٢، ص ٢٩٥.

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤. التبر المسبوك، ص ٣٧٩. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٩،

ص ٤١٩. الشوكاني: البدر الطالع، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤؛ التبر المسبوك، ص ٣٧٩. الشوكاني: البدر الطالع، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٣) العيني: عمدة القاري، ج ١، ص ٩.

(٤) النجوم، ج ١٦، ص ١٠.

(٥) التبر المسبوك، ص ٣٧٨.

(٦) محمد بن الحسن النواجي: شاعر مشهور، أصله من قرية نواج بالغريرة، نشأ في القاهرة وتعلم فيها، توفي سنة

٨٥٩هـ/١٤٥٤م. ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٦، ص ١٧٧. السيوطي: نظم العقيان، ص ١٤٤. الشوكاني: البدر

الطالع، ج ٢، ص ١٥٦. السيوطي: نظم العقيان، ص ١٧٤.

(٧) البحر الطويل.

هذا وكل من ترجم له من المؤرخين وصفه بالأمانة وسعة العلم والبراعة، وحدة الذكاء في حل المشكلات، ففي سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م أرسل شاه رخ بن تيمورلنك^(١) يطلب من السلطان الأشرف برسبائي أن يسمح له بكسوة الكعبة، لأنه نذر ذلك، فبحث السلطان هذا الأمر مع القضاة الأربعة، فطال الجدل بينهم، فأجاب العيني بأن نذر شاه رخ لا ينعقد، ولم يتكلم أحد بعده، وأنصرفوا على جواب العيني، وأصبح السلطان يقول للعيني مندوحة في منع شاه رخ من الكسوة.^(٢) وكان العيني على علاقة جيدة به، فكان يقرأ له التاريخ بالعربية ويفسره بالتركية، وكان معلمه الخاص في أمور الدين ومصالح المسلمين، مما جعل السلطان ينيبه في استقبال بعض الوفود، بالإضافة إلى أنه كان المترجم الخاص للسلطان، فقال فيه: "لولا العيني ما حُسِّن إسلامنا، ولا عرفنا كيف نسير في المملكة"^(٣).

وذكروا بأن العيني سريع القلم، وقد يتصفح على القارئ في تاريخه الكثير من الكلمات: كالثوري بالنوري، وقصوره بخسروه، والمقري بالمغربي، وقد يُسقط في التراجم بعض الأسماء عند ذكر أنسابهم لاسيما فيمن اتفق اسمه واسم أبيه، إلا أن بعض المؤرخين دافع عن العيني في ذلك، فقال التميمي: ليس هذا في شأن العيني مما يعاب بالنظر إلى كثرة مؤلفاته.^(٤)

وللعيني نظم ونثر، فقال السخاوي: "له نظم كثير فيه المقبول وغيره"^(٥) وقال السيوطي: "وأما نظمه فمنحط إلى الغاية، وربما يأتي بلا وزن"^(٦).

(١) شاه رخ بن تيمورلنك: صاحب هراة وسمرقند وبخارى وشيراز وما والاها من بلاد العجم وغيرها من بلاد الشرق على الإطلاق، تولى الملك بعد ابن أخيه خليل بن أميران بن شاه بن تيمورلنك، توفي سنة ٨٥١هـ/١٤٣٧م. الشوكاني: البدر الطالع، ج ١، ص ٢٧١. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٦، ص ١٩٩. السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٩٧. ابن عريشاه، أحمد بن محمد ت: ٨٥٤هـ/١٤٥٠م: عجائب المقدور في أخبار تيمور، تح: علي محمد عمر، طبعة كلكتا، ١٨١٧م، ص ٣١٦ وما بعدها.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٥، ص ٤٩-٥٠. ابن إياس: بدائع، ج ٢، ص ١٥٨-١٥٩. المقرئ: السلوك، ج ٧، ص ٢٧٧.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٥، ص ١١٠.

(٤) العيني: عمدة القاري، ج ١، ص ١٠.

(٥) التبر المسبوك، ص ٣٨٠.

(٦) السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢، ص ٢٧٥.

كما أثنى عليه الألوسي بقوله: "هو الإمام العالم العلامة، الحافظ المتقن، شيخ العصر وأستاذ الدهر، محدث زمانه المنفرد بالرواية والدراية، حجة الله على المعاندين، وآيته الكبرى على المبتدعين، شرح صحيح الإمام البخاري بشرح لم يسبق له نظير في شروحه، مع ما كان له من المصنفات المفيدة والآثار السديدة"^(١).

٣- حياته الوظيفية:

أ- التدريس:

بدأ العيني أول أيامه العمل في التدريس بمدرسة والده وغيرها من المدارس في عينتاب،^(٢) وفي مصر وبعد وفاة شيخه علاء الدين السيرامي تولى التدريس بالبرقوقية لمدة شهرين، ثم عُزل بأمر من الأمير جركس الخليلي^(٣)، فعاد إلى بلاده وتولى التدريس بمدارسها،^(٤) وفي أيام الناصر فرج بن برقوق^(٥)، تولى العيني العديد من الوظائف الدينية ووظائف التدريس كتدريس الفقه في المحمودية، كما تولى التدريس بالمؤيدية أول ما افتتحت سنة ٧٨٩هـ/١٣٧٧م واستمر في ذلك لمدة أربعين سنة.^(٦)

ب- الحسبة:^(٧)

(١) الألوسي، محمود شكري ت: ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م: غاية الأمان في الرد على النبهاني، تح: أبو عبدالله الداني، مكتبة الرشد، ط ١، الرياض، ٢٠٠١م، ج ٢، ص ١٥٤.

(٢) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٣٧٦.

(٣) جركس الخليلي: جركس بن عبد الله الخليلي كان تركماني الأصل، أصله من ممالك يلبغا الناصري، وتقدم عند الظاهر برقوق، وكان حسن الشكل مهيباً مع الرأي الرصين والعظمة، ولأه الظاهر أمير آخور بتقدمة ألف، وقرره مشير الدولة وخلف أموالاً كثيرة جداً، وكان بإحدى رجليه داء الفيل، قتل في المعركة بالربوة ظاهر دمشق سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م. ابن حجر: إنباء الغمر، ج ١، ص ٣٨٥.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٢.

(٥) فرج بن برقوق: ولد سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م، وسمّاه أبوه بلغاق، ثم سمّاه فرجاً، وأجلس على التخت يوم الجمعة نصف شوال سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م، بعهد من أبيه وعمره عشر سنين وستة أشهر، وقتل بمصر سلطاناً ليلة السبت سادس عشر صفر سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م. ابن العماد: شذرات، ج ٩، ص ١٦٧. المقرئ: السلوك، ج ٦، ص ٣٢٧.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٢.

(٧) الحسبة: وظيفة دينية جليلة رفيعة الشأن، وهي من النظم الإدارية الإسلامية يتولى صاحبها النظر في المحافظة على النظام العام والمراقبة لما يجري بين الناس من معاملات، والفصل الفوري بين المنازعات مما لا يدخل في اختصاص القاضي، وكذلك من اختصاصه حفظ ومراقبة الأسعار والنظر في المقاييس والمكايل والموازين. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٨. دهمان، محمد أحمد: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، ط ١، دمشق، ١٩٩٠م، ص ٦١. سيشار إليه بـ دهمان: معجم الألفاظ.

في سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م عاد العيني إلى القاهرة، وأخذ يتقي شر حساده فتقرب إلى الأمراء: قلمطاي العثماني الدوادر،^(١) وتغري بردي القردمي،^(٢) وجكم من عوض،^(٣) وغيرهم من أصحاب النفوذ،^(٤) وبمسعى من هؤلاء الأمراء لدى السلطان فرج بن برقوق، تولى العيني حسبة القاهرة سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م عوضاً عن تقي الدين المقريري.^(٥)

وفي ثاني المحرم سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م صُرف العيني عن الحسبة واستقر فيها جمال الدين الطنبذي^(٦)، فباشرها إلى نصف ربيع الآخر، فصُرف وأُعيد العيني، لكن في أواخر سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م عزل العيني نفسه عن الحسبة فتولاها المقريري.^(٧)

في عاشر ربيع الآخر سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م أُعيد العيني إلى الحسبة عوضاً عن البجانسي^(٨)، لكنه عُزل في نفس السنة بعد رجوع السلطان من دمشق، واسقر البجانسي فيها في سابع جمادى الآخرة.^(٩)

-
- (١) قلمطاي: الأمير سيف الدين قلمطاي بن عبدالله العثماني، الدوادر الكبير، كان من أجل ممالك الظاهر برقوق، تسلم الدوادرية في عهده، توفي سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٨م. المقريري: السلوك، ج ٥، ص ٤٢٣. ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٢، ص ١٦٣.
- (٢) تغري بردي القردمي: الأمير سيف الدين بن عبدالله القردمي، كان من أكابر أمراء العشرات خلال حكم الظاهر برقوق، توفي قتيلاً في محبسه سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٦م. ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٢، ص ١٥٤. المقريري: السلوك، ج ٥، ص ٣٩٠.
- (٣) جكم من عوض: الأمير سيف الدين جكم بن عبدالله من عوض الظاهري، يُلقب بالملك العادل، كان من عتقاء الملك الظاهر برقوق ومن أعيان خاصكيته، تولى إمرة عشرة ثم طبلخانة، وفي دولة الناصر فرج بن برقوق أصبح أمير مئة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم ترقى حتى تسلم الدوادرية، ثم نائباً لحلب. قتل في آمد (في الجزيرة الفراتية) سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٤، ص ٣١٣-٣٢٢.
- (٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٢.
- (٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٢.
- (٦) جمال الدين الطنبذي: محمد بن عمر بن علي الطنبذي، الشهير بابن عرب الشافعي، توفي سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م. ابن العماد: شذرات، ج ٩، ص ٣٧٨.
- (٧) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٢، ص ٩١.
- (٨) البجانسي: شمس الدين محمد بن البجانسي الصعيدي. ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٣، ص ٣٤.
- (٩) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٢، ص ١٤٢.

وفي سنة ٨٢٥هـ/١٤٢١م تولى العيني حاسبة القاهرة عوضاً عن صدر الدين بن العجمي^(١)،^(٢) حتى سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م حيث صُرف عنها بإينال الششماني^(٣)،^(٤) لكن العيني مالبت أن أُعيد إليها سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م.^(٥)

عزل العيني نفسه عن الحاسبة سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م فوليها بدر الدين بن نصر الله^(٦) حتى سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠م حيث أُعيد العيني إليها،^(٧) وفي سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م عُزل العيني عن الحاسبة لمدة سنة،^(٨) فأُعيد إليها سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م واستمر إلى أن عُزل عنها نهائياً سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م.^(٩) ومن خلال ما سبق يتبين أن ولاية العيني للحاسبة كانت متكررة ولم تستمر في كل مرة لأكثر من سنة، فأطول مدة ولي فيها الحاسبة كانت بين عامي ٨٢٥-٨٢٩هـ/١٤٢١-١٤٢٥م، أما السبب في ذلك فيعود إلى طبيعة هذه الوظيفة التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بمعيشة الناس وأرزاقهم، فمتى ما حصلت قلة في ذلك، ثار الناس ضد المحتسب وهاجموه، لذلك فإن صاحب هذه الوظيفة لا تطول مدة ولايته فيها، فيُعزل عنها إما إرضاءً للعامة أو تجنباً للمشاكل والإزعاج، وخير دليل على ذلك ما حصل سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٤م عندما قلَّ وجود الخبز في الأسواق وغلت أسعاره مع وجود الكثير من القمح في البلاد، فثار الناس ضد المحتسب - وكان البدر العيني - ورجموه وهو سائراً من داره إلى القلعة، عندها اتسعت

(١) صدر الدين بن العجمي: أحمد بن محمود بن محمد بن عبد الله القيسري، المعروف بابن العجمي، ولد سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م، برع في الفقه والأصول والعربية، عمل موقفاً في ديوان الإنشاء وتولى حاسبة القاهرة مراراً، أفتى ودُرس، توفي بالطاعون سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م. ابن العماد: شذرات، ج ٩، ص ٢٩٥. ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٤٢٣. ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٤، ص ٣٤٤.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٧٥.

(٣) إينال الششماني: الأمير سيف الدين إينال بن عبد الله الششماني، الناصري، أصله من ممالك الناصر فرج، تولى إمرة عشرة، وحاسبة القاهرة، وأمير طبلخاناه، وناب في صفد، ثم أمير مئة ومقدم ألف في دمشق ثم تولى الأتابكية فيها، توفي في دمشق سنة ٨٥١هـ/١٤٤٨م. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٣، ص ٢٠٧. النجوم، ج ١٥، ص ٥٢٢.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٤، ص ٢٨٣. ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٣٦٤.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٤، ص ٣٣٧. المقرئ: السلوك، ج ٧، ص ٢٠٣.

(٦) بدر الدين بن نصر الله: حسن بن نصر الله بن حسن بن محمد الأذكوي، تولى عدة وظائف: كاتب سر، ناظر الجيش، أستاذار، محتسب، توفي في القاهرة سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م. ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٥، ص ٤٩٤.

(٧) المقرئ: السلوك، ج ٧، ص ٤٦٢.

(٨) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٤، ص ١٨٠.

(٩) ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٥، ص ٣٤٩، ٣٥٦-٣٥٧.

القضية وكادت أن تكون فتنة لولا وقوف السلطان إلى جانب المحتسب، حيث قبض على جماعة ممن أثاروا المشكلة، وبعدها انحلت القضية وتراجع الحال وكثر الخبز.^(١)

ج- ناظر الأحباس:^(٢)

تولى البدر العيني وظيفة ناظر الأحباس سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م، لكنه لم يستمر طويلاً حيث عُزل عنها في العام نفسه، إلى أن أعيد إليها في عهد السلطان المؤيد شيخ سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م،^(٣) فاستمر فيها حتى سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م.^(٤)

د- قاضي قضاة الحنفية:

تولى البدر العيني وظيفة قاضي قضاة الحنفية لأول مرة يوم الخميس السابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م، فباشرها بمجاردة لمدة أربع سنوات، حتى أوقع به حساده عند السلطان الأشرف برسبائي ٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م، وذلك لكثرة خلافه مع القاضي الشافعي ابن حجر، فعزله سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م وكذلك عزل ابن حجر.^(٥) وفي سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م صُرف القاضي زين الدين التفهني^(٦) وأُعيد العيني إلى القضاء، فباشره مع الحسبة ونظر الأحباس جميعاً لمدة طويلة، وقلما اجتمع هذا لأحد قبله، وظل العيني قاضياً حتى وفاة السلطان الأشرف برسبائي سنة ٨٤١هـ/١٤٣٨م، حيث عزله الظاهر جقمق عن القضاء في تلك السنة.^(٧)

(١) ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٤، ص ٢٨١-٢٨٢. المقرئزي: السلوك، ج ٧، ص ١٢٣. ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٣٥٠. ابن إياس: بدائع، ج ٢، ص ١٠١.

(٢) ناظر الأحباس: من الوظائف الدينية، يتولى صاحبها النظر في الأموال الموقوفة على المساجد والربط والزوايا والبيمارستانات، حيث يرفع إليه حسابها لينظر فيه ويدققه فيمضي مايمضي ويرد الباقي. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١١، ص ٢٤٩. دهمان: معجم الألفاظ، ص ١٥٠. الخطيب، مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٤٦. سيشار إليه بـ الخطيب: معجم المصطلحات. (٣) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ١٠٣.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٥، ص ٣٩٧. السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٣.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم، ج ٧، ص ١٣٣، ج ١٥، ص ١٣٤. السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٢. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٨٦. المقرئزي: السلوك، ج ٧، ص ٢٠٢.

(٦) زين الدين التفهني: قاضي القضاة عبد الرحمن التفهني، الحنفي، برع في الفقه والأصول والعربية، أفتى ودرّس وناب في الحكم عدد من السنين في القاهرة، توفي سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م. ابن حجر: النجوم، ج ١٥، ص ١٧٥.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم، ج ٧، ص ١٣٣، ج ١٤، ص ٣٥٧، ج ١٥، ص ٢٣٠. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٨٦. المقرئزي: السلوك، ج ٧، ص ٣٧١. ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٤٧١، ج ٤، ص ٨٨.

إضافة إلى ما قام به العيني من وظائف، فقد أرسله السلطان المؤيد شيخ الحمودي سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م مبعوث خاص عنه إلى بلاد ابن قرمان في جنوب آسيا الصغرى^(١)، وذلك بهدف تخليف نواب تلك البلاد بالولاء والطاعة للسلطان، وكشف أخبارهم ونواياهم، وقد قام العيني بهذه المهمة خير قيام، فتوثقت علاقته بالسلطان المؤيد، وصار العيني يدخل عليه القصر من غير أن يحجبه الحجاب، وأصبح يجلس معه دون وساطة من أحد.^(٢)

٤ - وفاته:

توفي البدر العيني ليلة الثلاثاء ٤ ذي الحجة سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م وهو ابن ثلاث وتسعين سنة، وصلي عليه من الغد بالجامع الأزهر،^(٣) ودفن بمدرسته البدرية التي أنشأها بجانب مسكنه بحارة كتامة والتي اكتمل بناءها سنة ٨١٤هـ/١٤١١م،^(٤) وكان رحمه الله من مشاهير عصره علماً وزهداً وورعاً، ومن له اليد الطولى في الفقه والحديث، وقد أسف المسلمون على فقده، وهو الحري بقول القائل:^(٥)

وإني لمعدور إذا ما بكيته	بأكثر من قطر الغمام وأغزر
ولي عبرة لم ترق عند أذكاره	كمالي فيه عبرة المتفكر
وقد كان لم يحجب سنانه بحاجب	ولم تستتر أضواؤه بمسـتر
فوا أسفي إن كان يغني تأسفي	و واحدري إن كان يغني تحذري
وكنـت أراـني في النوائـب صابراً	فأعـدمـني صـبري فـأين تصـبري
وإني لمقبول المعاذير في الأسى	ومن يعتذر مثلي إلى الصبر يعتذر ^(٦)

(١) بلاد ابن قرمان: تقع في جنوب آسيا الصغرى قاعدتها لارندة، ومن مدنها سيواس وقونية وأرمناك، وتسمى بذلك

نسبة إلى زعيم التركمان علي بك بن قرمان. ابن بطوطة: الرحلة، ج ٢، ص ١٧٦.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٢١. السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٢.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٦، ص ٨. السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٣.

(٤) ابن الصيرفي: نزهة، ج ٢، ص ٢٩٠.

(٥) الألوسي: غاية الأمان، ج ٢، ص ١٥٥.

(٦) البحر الطويل.

الفصل الثاني:

أولاً: دراسة المخطوط

عقد الجُمان في تاريخ أهل الزمان

٧١١-٧١٤هـ/١٣١١-١٣١٤م

١. توثيق المخطوط

٢. وصف المخطوط

٣. القطعة موضوع التحقيق:

أ. وصف القطعة

ب. أهمية القطعة

ج. خطة التحقيق

د. موارد البدر العيني في القطعة المحققة:

١^٢. المؤرخون ومؤلفاتهم

٢^٢. الروايات

٣^٢. التحصيل المعرفي

ثانياً: النص المحقق

أولاً: دراسة مخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان

١. توثيق المخطوط:

تؤكد المصادر المعاصرة للبدر العيني والمصادر التي جاءت بعده وترجمت له، أن كتاب "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان" هو من أشهر المؤلفات التاريخية للبدر العيني، ويُعرف بالتاريخ الكبير أو تاريخ البدر العيني، ومن أشهر المؤرخين الذين ذكروا ذلك:

- ابن حجر العسقلاني، حيث يقول: "وطالعت عليه تاريخ القاضي بدر الدين محمود العيني".^(١)

- السخاوي: "وتاريخاً كبيراً في تسعة عشر مجلداً... وانتهى إلى سنة خمسين".^(٢)

- ابن العماد: "والتاريخ الكبير على السنين في عشرين مجلداً".^(٣)

- الشوكاني: "وتاريخ كبير في تسعة عشر مجلداً".^(٤)

- البغدادي: "ومن كتبه عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان أربعة وعشرين مجلداً".^(٥)

- حاجي خليفة: "تاريخ العيني كبير وهو عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان".^(٦)

- فاندريك: "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان المعروف بتاريخ البدر العيني ... جمع فيه تاريخ الناس من مبدأ الدنيا إلى سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م".^(٧)

(١) إنباء الغمر، ج ١، ص ٤.

(٢) الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٣٤.

(٣) شذرات الذهب، ج ٩، ص ٤١٩.

(٤) البدر الطالع، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٥) هدية العارفين، ج ٢، ص ٤٢١.

(٦) كشف الظنون، ج ١، ص ١٩٨، ج ٢، ص ١١٥٠.

(٧) فاندريك، إدوارد كرنيليوس: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، مطبعة الهلال، مصر، ١٩٨٦م، ص ٣٧٦.

- كحالة: "ومن تصانيفه الكثيرة: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان في تسعة عشر مجلداً" (١).

- الزركلي: "وعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، كبير انتهى فيه إلى سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م" (٢).

٢. وصف المخطوط:

مخطوط "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان" كتاب في التاريخ العام، ذكر المؤلف في مقدمته: "قد كنت جمعت في حادثة سني وعنفوان شبابي تاريخاً من مبدأ الدنيا إلى سنة خمس وثمانمائة، حاوياً لقصص الأنبياء عليهم السلام، وما جرى في أيامهم، وسيرة نبينا صلى الله عليه وسلم، وما جرى بعده بين الخلفاء والملوك في كل زمان، مع الإشارة إلى وفيات الأعيان، متوجاً بذكر الملكوت العلوية، والملوكوت السفلية، ثم بدا لي أن أنقحه بأحسن منه ترتيباً، وأوضح تركيباً، مع زيادات لطيفة، ونوادر شريفة، وضبط ما يقع فيه من المبهمات من أسامي الرجال والأمكنة المذكورات، وترجمته (عنوانته) بعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، وفصلته على فصول، تسهياً للحصول، متوجاً بمقدمة تنبئ عن أصل التاريخ، ومعناه، وعن سبب وضعه ومبناه" (٣).

اشتمل مخطوط عقد الجمان على مرحلة زمنية طولها ثمانية قرون ونصف للهجرة، عدا ما أركه لبدء الخلق وأول المخلوقات وقصص الأنبياء، وأخبار العرب والفرس والروم والترك والأكراد والفرانجة واليونان قبل الإسلام، مع ذكر الأحداث التي أحاطت بذلك، كما تحدث عن السيرة النبوية حديثاً ظهر فيه شغفه بالحديث وتأثره به.

ذكر العيني أخبار العالم القديم مرتبة حسب وقوعها وتحت فصول معينة، أما بعد الهجرة فقد رتبته على السنين بقوله: "فصل فيما وقع من الحوادث في السنة ... وانتهى فيه إلى آخر سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م، وتلى أحداث كل سنة ذكر وفيات الأعيان.

(١) كحالة: معجم، ج ١٢، ص ١٥٠.

(٢) الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ١٦٣.

(٣) العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح: محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م، ج ١، ص ١١. سيشار إليه بـ العيني: عقد الجمان.

أفرد العيني للأحداث التي لا تندرج تحت ما يذكره، أو نسي بعضها، عنواناً خاصاً "ذكر بقية الحوادث" وقد يضع عنواناً للحادثة.

اعتمد في تأريخه لعصره على وثائق كنصوص عقود الصلح والمعاهدات، وكذلك على الرسائل التي كانت ترد إلى السلطنة وعلى مشاهداته للأحداث ومشاركته فيها، حيث اكتفى باستخلاص المادة التاريخية منها، كما اعتمد في تأريخه للأحداث التي سبقت عصره على الرواة والكتب التاريخية فقام بمقارنتها وتمحيصها واستخلص الواضح والمرجح منها.

إن تولي العيني للعديد من الوظائف الدينية كالقضاء والحسبة ونظر الأحباس، إضافة إلى قربه من السلطة الحاكمة ساعده على الوصول إلى معلومات دقيقة عن الأحداث التي أورها.

لم يقف العيني عند ذكر الأحداث السياسية الداخلية والخارجية فقط، بل تناول الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والدينية.

ترجم العيني لكثير من الشخصيات التي عاصرها والتي لم يعاصرها، فأعطى لكلٍ حقه دون تحيز. كتب العيني كتابه بالأسلوب النثري المرسل مُتجنباً الزخرفة اللفظية والألفاظ الخشنة، فخلت صياغاته من التعقيد.^(١)

وما وجد حتى الآن من كتاب عقد الجمان أجزاء متناثرة في مكتبات متعددة من أنحاء العالم، كما وجدت نسخ أخرى غير كاملة كتبت فيما بعد، ومن أشهر ما وجد من هذا الكتاب نسخة ملفقة من ثلاث نسخ مخطوطة محفوظة بمكتبة ولي الدين باسطنبول: النسخة الأولى منقولة عن خط المؤلف بخط محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي الإخميمي الحنفي، كتبها بالقاهرة فيما بين سنتي ٨٩٣-٨٩٨هـ/١٤٨٧-١٤٩٢م، والنسخة الثانية بخط الشيخ عبدالله بن عيسى بن إسماعيل العمري الأزهري المالكي، كتبها سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦م، والنسخة الثالثة بخط المؤلف.

(١) العيني: عقد الجمان، تح: عبد الرزاق القرموط، ص ٤٤-٥٠.

تقع النسخة الملفقة في ٢٣ جزءاً في ٦٩ مجلداً، وعن هذه النسخة صورة بدار الكتب المصرية تحت رقم: ١٥٨٤ تاريخ، وعنهما أيضاً نسخة كتبت حديثاً وتقع في ٢٨ مجلداً تحت رقم: ٨٢٠٣ م. كما توجد بدار الكتب المصرية ٦ مجلدات من هذا الكتاب كتبت سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م تحت رقم: ٧١ م.

وتوجد أجزاء من نسخ أخرى، بعضها بخط المؤلف في مكتبة أحمد الثالث تحت رقم: ٢٩١١، ومكتبة سليم آغا تحت رقم: ٨٣٥، ومن هذه الأجزاء نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة. كما يوجد جزء من مختصر عقد الجمان للمؤلف، وهو المعروف باسم "تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر" محفوظ في مكتبة المتحف البريطاني في لندن تحت رقم: Add 22360.^(١)

ويعد كتاب "عقد الجمان" من أشهر وأهم مؤلفات البدر العيني في التاريخ والتراجم، وبخاصة للحقبة التي عاصرها، فبهذا الكتاب نال العيني صيتاً ذائعاً بين المؤرخين والفقهاء والوعاظ، وارتقى إلى المراتب الأولى بين المؤرخين، ومما يؤكد ذلك ما قاله ابن تغري بردي مادحاً البدر العيني: "وأعظم من رأيناه في هذا الشأن - أي التاريخ والتراجم - الشيخ تقي الدين المقرئ وقاضي القضاة بدر الدين العيني ... ولم أرد بذلك الخط على أحد، وإنما الحق يقال على أي وجه كان، وها هي مصنفات الجميع باقية فمن لم يرض بحكمي فليتأملها، ويقتدي بنفسه"^(٢).

ولم يعتمد العيني في كتابه هذا على سرد الحوادث السياسية المتعلقة بالحكام والسلاطين فقط، بل اهتم بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية، وأورد تراجم للعديد من العلماء والفقهاء والصالحين، فضلاً عن الخلفاء والسلاطين والأسرات الحاكمة، مما جعل من الكتاب تاريخاً عاماً يلقي الضوء على مختلف نواحي الحياة.

وعلى الرغم من هذه الأهمية الواسعة للكتاب إلا أن القسم الأكبر منه لا يزال مخطوطاً، ولم يُحقق منه إلا أجزاء وقطع يسيرة تتناول حقب زمنية مختلفة، ومنها:

(١) العيني: عقد الجمان، تح: محمد أمين، ج ١، ص ١١-١٢.

(٢) النجوم، ج ١٤، ص ١٥٠-١٥١.

- قطعة تتحدث عن حقبة زمنية في صدر الإسلام من سنة ١٣هـ/٦٣٤م إلى سنة ١٩هـ/٦٤٠م حققها الطالب: أنور العوا، والطالبة: رنه الشيخ في قسم التاريخ بجامعة دمشق.

- قسم يتناول الحديث عن الحروب الصليبية حققه: الأستاذ الدكتور سهيل زكار.^(١)

- أربعة أجزاء تبحث العصر المملوكي الأول من سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م إلى سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م حققها الدكتور: محمد محمد أمين.^(٢)

- قطعة تتحدث عن العصر المملوكي الثاني من سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م إلى سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م، حققها: الدكتور عبد الرزاق الطنطاوي القرموط.

٣. القطعة موضوع التحقيق (تؤرخ للسنوات ٧١١-٧١٤هـ/١٣١١-١٣١٤م):

أ. وصف القطعة:

تؤرخ القطعة موضوع التحقيق للسنوات من ٧١١-٧١٤هـ/١٣١١-١٣١٤م، حيث تقع حوادث وتراجم سنتي ٧١١-٧١٢هـ/١٣١١-١٣١٢م ضمن الجزء العشرين، حسب تجزئة النسخة الملفقة وتشغل ١٩٩ ورقة، من الورقة رقم: ٢٧٠ حتى الورقة رقم: ٤٦٨، وقد تم الحصول على صورة عن هذه الأوراق من مكتبة الأستاذ الدكتور سهيل زكار الخاصة، أما حوادث وتراجم سنتي ٧١٣-٧١٤هـ/١٣١٣-١٣١٤م فتقع ضمن الجزء الحادي والعشرين حسب تجزئة النسخة الملفقة، وتشغل ٤٨ ورقة، من الورقة رقم: ٢ إلى الورقة رقم: ٤٩، وقد تم الحصول على صورة عن هذه الأوراق من دار الكتب المصرية بالقاهرة أثناء تواجد الطالب أنس المحمد هناك بهدف الحصول على مصادر لأطروحاته في الدكتوراه.

أما حسب تجزئة الناسخ لهذه الأجزاء من المخطوط وهو الشيخ عبدالله بن عيسى بن إسماعيل العمري، فتقع حوادث وتراجم سنتي ٧١١-٧١٢هـ/١٣١١-١٣١٢م ضمن الجزء الحادي والثلاثين، وحوادث وتراجم سنتي ٧١٣-٧١٤هـ/١٣١٣-١٣١٤م فتقع ضمن الجزء الثاني والثلاثين.

^(١) زكار، سهيل: الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م، ج ٢٤.

^(٢) الجزء الأول: ٦٤٨-٦٦٤هـ/١٢٥٠-١٢٦٦م، الجزء الثاني: ٦٦٥-٦٨٨هـ/١٢٦٧-١٢٨٩م، الجزء الثالث: ٦٨٩-٦٩٨هـ/١٢٩٠-١٢٩٩م، الجزء الرابع: ٦٩٩-٦٠٧هـ/١٣٠٠-١٣٠٧م.

ولقد كُتبت هذه الأوراق بأسلوب عادي وبخط نسخي واضح جيد لا توجد أي صعوبة بقراءته، تبلغ مسطرتها ١٩ سطراً في الورقة الواحدة، وبمتوسط ٩ كلمات في السطر، وقد أعتُمِدَت فيها عناوين رئيسية وفرعية بخط ذو حجم أكبر.

كُتبت أوراق المخطوط على الوجه دون الظهر، وحملت ترقيم متسلسل واحد كُتبت على الهامش الأيمن للورقة وعلى الهامش الأيسر للورقة التي تليها، وهو الترقيم الذي تم اعتماده حسب تجزئة النسخة الملفقة، أما الناسخ فلم يعتمد أي ترقيم، بل اعتمد طريقة تكرار كتابة الكلمة الأولى في الورقة على آخر الهامش السفلي للورقة التي قبلها.

وهناك ملاحظات على طريقة الكتابة:

- لم يستخدم الناسخ علامات الترقيم على الإطلاق.
- أهمل همزة القطع في الأفعال والأسماء والحروف، والهمزة في وسط الكلمة وفي آخرها، فكتب: اعطى بدلاً من أعطى، ارغون بدلاً من أرغون، ان شا بدلاً من إن شاء، المؤرخين بدلاً من المؤرخين.
- أبدل الهمزة ياء في كثير من المواضع، فكتب: سبعمائة بدلاً من سبعمائة، البشائر بدلاً من البشائر، نايب بدلاً من نائب.
- تهاون في تنقيط الحروف، فلم ينقط الكثير من الحروف أو زاد في عدد النقط على أخرى، فكتب: جمل بدلاً من حمل، استاده بدلاً من أستاذة، علي بدلاً من على، الي بدلاً من إلى، مهني بدلاً من مهني، همدان بدلاً من همدان.
- أبدل التاء المربوطة في بعض المواقع تاء مبسوبة، فكتب: نيابت بدلاً من نيابة.
- كتب لفظ الجلالة: الله، بدون تشديد في بعض المواضع ومشددة في أخرى، كما أهمل كتابة الألف في بعض الأسماء ذات الرسم القرآني، فكتب: اسمعيل بدلاً من إسماعيل، عثمان بدلاً من عثمان، صلوة بدلاً من صلاة.
- قام باستدراك بعض الكلمات والعبارات فكتبها في الهامش الأيمن أو الأيسر، لكنه أشار إلى الموضع الذي يجب إدخالها فيه ضمن المتن.

- عند كتابته أيام الشهر بدّل الألف المقصورة بالممدودة وبالعكس، فكتب إحدا بدلاً من إحدى.
- وضع عدة نقاط حيث يوجد فراغ.
- كتب معظم أبيات الشعر كل شطر على سطر، ووضع نقاط في الفراغ حوله.
- تخط في كتابة بعض الكلمات، فكتب مناجيق مرة ومجانيق مرة أخرى، وكتب عين تاب في موضع وعينتاب في موضع آخر.
- ما كان يتعلق بنهر النيل تركه فراغاً.
- أحاط العنوان بثلاث نقاط . . .
- لم يلتزم بقاعدة كتابة الألف في كلمة ابن، فقد كتبها في بداية السطر في مواضع وأهمّلها في مواضع أخرى، وكذلك بين اسمي العلم.
- وضع تنوين النصب أو الجر في مواضع وأهمّله في مواضع أخرى.
- شطب الناسخ بعض الكلمات التي كررها في بعض المواضع.
- إضافة إلى ذلك كانت الصياغة اللغوية للنص أقرب إلى اللهجة العامية منها إلى اللغة الفصحى.

ب. أهمية القطعة:

تعود لكونها تؤرخ لأوائل المرحلة الثالثة من حكم الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤٠م، والتي شهدت خلالها الدولة المملوكية الكثير من الأحداث المهمة داخلياً (هروب عدد من أمراء الدولة المملوكية ولجؤهم إلى بلاد التتار) وخارجياً (غزو التتار لمدينة الرحبة سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م وحصارهم لها ثم انسحابهم) حيث انفرد العيني بذكر تلك الأحداث وغيرها بشكل مفصل ومطوّل، وذكر جزئيات صغيرة لم يتطرق إليها أي من المؤرخين حتى أولئك الذين عاصروا تلك الأحداث، كما ذكر العيني فيها تراجم لشخصيات مهمة من ملوك وعلماء وشيوخ، وسرد شيئاً من سيرهم مما يعطي تصور واضح عن المرحلة التي عاشوا فيها، إضافة إلى أن العيني كان قد درس وتعلم على

يد علماء وشيوخ عاشوا في عصر الناصر محمد مما مكنه من جمع معلومات دقيقة عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية لذلك العصر.

ج. خطة التحقيق:

إن الهدف من دراسة وتحقيق المخطوطات هو الوصول بالنص المخطوط إلى الصيغة التي أراد المؤلف إيصالها إلى القارئ، وليست الصيغة التي وضعها النساخ وما وقعوا به من تصحيقات وتحريفات خلال عمليات النسخ، مع توخي الحذر في المحافظة على المادة العلمية دون أي نقص أو إضافات على النص إلا فيما يخدم المعنى المراد من قبل المؤلف، ولذلك تم العمل وفق مايلي:

- كتابة النص بالرسم الكتابي الحديث المتداول، مع استدراك كل الملاحظات السابقة، وكذلك تم تقسيم النص إلى فقرات بحسب الأفكار ضمن العناوين الرئيسية والفرعية، كي يتسق الأسلوب ويقف القارئ على صورة واضحة.

- استكمال النقص من الكلمات التي سقطت عن طريق السهو من المؤلف أو الناسخ، وكذلك الكلمات المطموسة، وحذف التكرار، وذلك عن طريق المقارنة مع المصادر المعاصرة له والتي استفادت منه، مع وضع تلك الكلمات بين حاصرتين [] والإشارة إلى ذلك في الحواشي.

- الضبط بالشكل مع الشرح لكل الألفاظ الاصطلاحية واللغوية والأسماء التي يلتبس على القارئ فهمها، وذلك بالرجوع إلى كتب المصطلحات ومعاجم التاريخ واللغة والكتب المعاصرة.

- ضبط الآيات الشعرية بالشكل، وذكر اسم البحر وتفعيلته لكل منها.

- نقل الحواشي إلى مواضعها المشار إليها في المتن ووضعها بين حاصرتين [] مع الإشارة إلى ذلك في الحواشي.

- تصويب الأخطاء الكتابية والنحوية التي لا يخفى على أحد صوابها، والتي يمكن أن تقرأ بغير الوجه المقصود، ووضعها بين حاصرتين [] مع الإشارة إلى ذلك في الحواشي.

- الاحتفاظ بالترقيم الموجود على كل ورقة ووضع الرقم بين خطين مائلين / / عند نهاية كل ورقة.

- مقابلة الأحداث والتواريخ وأبيات الشعر الواردة في النص مع المصادر التاريخية الأخرى التي ذكرت ذلك، وتبيان الفروق والاختلافات بينها.

- إصلاح الأخطاء الواردة في النص من حوادث أو أسماء والتي نجمت عن سهو الناسخ أو غير ذلك، من خلال الرجوع إلى المصادر الأخرى، ووضعها بين حاصرتين [] والإشارة إلى ذلك في الحواشي.

- التعريف بأسماء الأعلام والشعوب والجماعات والأمكنة، وكذلك الألفاظ والمصطلحات الحضارية واللغوية، من خلال الرجوع إلى المصادر والمعاجم المختصة، وأشير في الحواشي إلى الأسماء التي لم يتم الحصول على تعريفها، ما عدا الأسماء التي استخدم المؤلف بعض العبارات التي تُعرف بها مثل: يُدعى، يُقال له، يُسمى، أخو فلان، زوجة فلان، مملوك فلان.

- إثبات جميع التواريخ الواردة في النص وفقاً للتقويمين الهجري والميلادي.

- توحي الأمانة العلمية ما أمكن، فلم يتم تغيير أي شيء في النص دون الدلالة عليه في الحواشي.

د. موارد البدر العيني في القطعة المحققة:

تعد دراسة موارد الكتب التاريخية من أكثر الدراسات أهمية في دعم مناهج البحث العلمي، فمن خلالها يمكن التعرف على مصادر المعلومات الأولى، باعتبارها المنابع الأساسية لمعرفة الوقائع التاريخية، ولدعم هذا البحث لا بد من دراسة موارد البدر العيني في القطعة موضوع التحقيق.

اعتمد البدر العيني في تأريخه للسنوات ٧١١-٧١٤هـ/١٤١١-١٤١٤م على العديد من

الموارد، منها:

١ . المؤرخون ومؤلفاتهم: لقد استفاد البدر العيني من مؤلفات المؤرخين الذين سبقوه، فكان في كثير من المواقع يذكر اسم المؤرخ الذي أخذ عنه، ويورد النص المأخوذ، وفي مواقع أخرى يقول: "قال بعض المؤرخين" ^(١) و"ذكر بعض المؤرخين" ^(٢) دون الإشارة إلى أسمائهم أو أسماء كتبهم، ومن المؤرخين الذين

(١) ص ٢٤٣، ٢٤٩.

(٢) ص ٨٤، ١٨٤، ٢٤٦.

أخذ عنهم البدر العيني وذكرهم:

(١) **بيبرس الدوادار**^(١): الأمير ركن الدين بيبرس المنصوري الخطائي، الدوادار، المولود في مصر، والذي كان من مماليك المنصور قلاوون واستنابه في الكرك، ثم عمل بعد ذلك دوادار للسلطان وناظراً للأعباس، وفي عهد الناصر محمد تولى نيابة السلطنة بالديار المصرية، توفي سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م، وله تصانيف عدة منها: "التحفة الملوكية في الدولة التركية" يتناول فيه تاريخ سلاطين المماليك من سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م إلى سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م، وتاريخه الكبير المشهور "زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة" وهو الكتاب الذي أشار البدر العيني إلى أنه أخذ عنه بقوله: "وقال هو في تاريخه" (٢) و"قال بيبرس في تاريخه" (٣).

(٢) **ابن كثير**^(٤): له في علم التاريخ مؤلف "البداية والنهاية" وهو المؤلف الذي اعتمد عليه البدر العيني في التأريخ للكثير من الحوادث، حيث يُصرّح عن ذلك بقوله: "قال ابن كثير" (٥) ثم يورد النص المأخوذ عنه.

(٣) **النويري**^(٦): من أشهر مؤلفاته "نهاية الأرب في فنون الأدب" وهو أشبه بدائرة معارف، وقد ذكر البدر العيني أنه أخذ عنه في كثير من المواضع، بقوله: "قال النويري" (٧).

(١) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٧٩-٨٠. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٥٠. ابن تغري بردي: المنهل، ج ١، ص ٣٨١. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٥٥. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٨، ص ١٢٠. الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٨٠.

(٢) ص ٩١.

(٣) ص ١٨٤، ٢١٦.

(٤) تم التعريف به في دراسة المصادر ص ١٧. ترجم له: ابن تغري بردي: المنهل، ج ٢، ص ٤١٤-٤١٥. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١، ص ٦٧-٦٨. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٤٤٥-٤٤٦. الزركلي: الأعلام، ج ١، ص ٣٢٠. مصطفى، شاكرو: التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، ط ٢، بيروت، ١٩٨٠م، ج ٤، ص ٨٣-٨٤.

(٥) ص ٨٣، ٩٢، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٦٠، ١٦٨، ١٨٢، ١٨٥، ٢٠٢، ٢١١، ٢١٢، ٢١٦، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦٩، ٢٧٢.

(٦) تم التعريف به في دراسة المصادر ص ١٨. ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٢٨١، والوافي، ج ٧، ص ١١٠-١١١. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٢٣١. المقرئ: السلوك، ج ٣، ص ١٧٠. ابن تغري بردي: المنهل، ج ١، ص ٣٨١. الزركلي: الأعلام، ج ١، ص ١٦٥-١٦٦.

(٧) ص ١٨٢، ٢١٦، ٢٧٣.

٤) اليوسفي^(١): عماد الدين موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي، مؤرخ، عارف بعلوم الحرب، ولد في القاهرة سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م، أحب التاريخ وتعانى بالنظم والنشر، وتوفي سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٨م، وله كتاب "كشف الكروب في معرفة الحروب" كما جمع تاريخاً كبيراً في نحو خمس عشر مجلداً سماه "نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر" ابتدأه بدولة المنصور قلاوون وانتهى فيه إلى سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م، وأفاد فيه كثيراً من الوقائع والتراجم، وهو التاريخ الذي صرح البدر العيني في الأخذ عنه، حيث يذكر ذلك بالعديد من العبارات: "وذكر صاحب سيرة الناصر"^(٢) و"ذكر في كتاب سيرة الناصر"^(٣) و"قال صاحب سيرة الناصر"^(٤)

٢. الروايات: لقد اعتمد البدر العيني في تأريخه لبعض الأحداث على الرواية في نقل الخبر، فمنها ما أوضح البدر أنه سمعه شخصياً كقوله: "ولقد أخبرني والدي شهاب الدين أبو العباس أحمد: أن جدي والد أبي الشيخ شرف الدين موسى، كان متولي أمر هذا النهر المذكور"^(٥) ومنها ما كان يعبر عنه في كثير من المواضع بقوله: "قال الراوي"^(٦) لكنه لم يذكر أنه قد سمع شخصياً من ذلك الراوي، وكذلك لم يذكر اسم الراوي أو عن أي شخص أخذ الراوي ذلك الخبر.

(١) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٤٨٧. ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ١٤٦. الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ٣٢٨. كحالة: معجم المؤلفين، ج ١٣، ص ٤٧.

(٢) ص ٩٢، ٢٧٠.

(٣) ص ١٠٢، ٢١٧.

(٤) ص ٢٥١.

(٥) ص ٢٤٧.

(٦) ص ٩٥، ٩٦، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٨، ١١٥، ١٣٦، ١٨٨، ١٩١، ١٩٥، ٢٠١، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢٥٣، ٢٥٢، ٢٢٩.

٣ . التحصيل المعرفي: إن ثقافة البدر العيني ومعرفته وكثرة اطلاعه على العديد من العلوم والمعارف في الفقه والحديث والتاريخ، مكنته من القدرة على اختيار مادته من بين الكثير من المصادر والروايات والموارد الأخرى، وذلك بعد أن يخضعها للتحليل والتدقيق، مما جعله يزيد على بعض الأخبار، ففي بعض المواضع وبعد أن يذكر أنه أخذ الخبر عن مورد ما يقول: "قلت"^(١) وهذا دليل على تحليله للأحداث وإبداء رأيه، إضافة إلى أن مكانته الاجتماعية والمهنية وقربه من السلطة الحاكمة يسرت له الاطلاع على دقائق الأحداث، ومن العبارات التي وردت في النص والتي تدل على كثرة اطلاع البدر العيني وغزارة ثقافته: " وذكّر أيضاً "^(٢) و "قل في ذلك"^(٣) و "قل أيضاً "^(٤)

كما اعتمد البدر العيني في ذكره للتراجم إضافة إلى الموارد السابقة على مصادر اختصت بتراجم الأعيان، مثل "الوافي بالوفيات" و "أعيان العصر وأعوان النصر" للصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٢م، و "العبر في خبر من غبر" للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، فكل ترجمة من التراجم التي أوردها العيني في القطعة موضوع التحقيق، كانت قد وردت في كتب التراجم السابقة وغيرها، وهذا دليل على كثرة اطلاع العيني على المصادر التي سبقت عصره حيث درسها وقابلها ونقل منها بأسلوبه الخاص.

(١) ص ٨٤، ١٨٤، ٢٥٤.

(٢) ص ١٠٣.

(٣) ص ١٥٧.

(٤) ص ١٥٧.

- النص المُحقق:

فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الحادية عشر بعد السبعمئة*

استهلت هذه السنة والخليفة المستكفي بالله العباسي^(١)، وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الناصر محمد بن قلاوون،^(٢) ونائبه بمصر الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار^(٣)، وبالشام الأمير سيف

* يوافق أولها الخميس ٢٠ أيار (مايو) سنة ١٣١١م. باشا، محمد مختار: التوقيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، د. م. ١٩٨٠م، مج ١، ص ٧٤٤. سيشار إليه بـ باشا: التوقيقات الإلهامية.

(١) المستكفي بالله: ٦٨٣-٧٤٠هـ/١٢٨٤-١٣٤٠م، أبو الربيع سليمان بن أحمد بن علي، الخليفة المستكفي بالله، ابن الحاكم بأمر الله، الهاشمي العباسي، البغدادي الأصل، المصري المولد، خطب له بعد وفاة أبيه سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م، فَوُضَّ الأمور إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، سار معه لغزو التتار فشاهد مصاف شقحب، وفي سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م ساءت حاله مع السلطان الناصر محمد فأخرجه عنوة إلى قوص (بالصعيد)، فأقام بها إلى أن توفي، كان فاضلاً جواداً شجاعاً، يجيد لعب الكرة ورمي البندق، ويجالس العلماء والأدباء. الصفدي: الوافي، ج ١٥، ص ٢١٦-٢١٧. ابن العماد: شذرات الذهب، مج ٨، ص ٢٢٢. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٣٢٢. والمنهل، ج ٦، ص ١٨. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٢٧٩. الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ١٢١.

(٢) الناصر محمد: ٦٨٤-٧٤١هـ/١٢٨٥-١٣٤١م، السلطان الأعظم الملك الناصر، محمد بن قلاوون، من أكابر ملوك الدولة القلاوونية، له آثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل بجلائل الأعمال، أقام طفولته بدمشق، ولي سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م وهو صبي، وخلع منها لحدائثه سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م، فأرسل إلى الكرك، أعيد إلى السلطنة بمصر سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م، فأقام في القلعة كالمحجور عليه، والأمور في يد الأستادار الأمير بيبرس الجاشنكير ونائب السلطنة الأمير سَلَّار، في سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م هرب إلى الكرك وأقام فيها لمدة سنة، ثم ذهب إلى دمشق وجمع أنصاره وزحف إلى مصر، وهناك قتل المظفر بيبرس وشرَّد أنصاره، فعاد إلى عرشه سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م، وامتلك قيادة الدولة، استمر ٣٢ سنة وشهرين و٢٥ يوماً كانت له فيها سيرة عظيمة، وهو السلطان التاسع من ملوك الترك بالديار المصرية. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ١٨٩، ٢٤٩. الصفدي: الوافي، ج ٤، ص ٢٥١. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٨، ص ٤١ وما بعدها. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٨، ص ٢٣٣-٢٣٥. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ٤٠٤-٤٠٥. الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ١١.

(٣) بكتمر الجوكندار: الأمير سيف الدين بكتمر، كان السلطان الناصر محمد يدعوه (يا عمي)، وكان لا يتفارقان، تولى نيابة صفد سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م عندما استعفى نائبها سنقر شاه المنصوري نتيجة مرضه، في سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م وقف إلى جانب السلطان الناصر محمد في استعادة عرشه وتوجه معه إلى القاهرة، فولاه نيابة السلطنة بمصر، في سنة ٧١١هـ/١٣١١م أُوْتِمَ بموافقة بتخاص على خلع الناصر محمد، فقبض عليه وسجن بالإسكندرية، ثم نقل إلى الكرك، ويقال أنه قتل بها سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م، كان خيِّراً، كثير الصدقة، لين الجانب، أجرى عيناً من الماء إلى بلد الخليل أنفق عليها أربعين ألف دينار. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٢٠-٢١. الصفدي: الوافي، ج ١٠، ص ١٢٤-١٢٥. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٣، ص ٣٩٨-٤٠٠. والجوكندار: لقب يطلق على الذي يحمل الجوكان للسلطان في لعب الكرة، وهو مركب من لفظتين فارسيتين: جوكان: وهو المحجن (عصا الخيزران المعقوفة الطرف) الذي تضرب به الكرة، ودار: ومعناها ممسك. فيكون المعنى ممسك الجوكان. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٣٠. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٣١. دهمان: معجم الألفاظ، ص ٥٨.

الدين كراي^(١)، وبحلب الأمير [شمس]^(٢) / ٢٧٠ / الدين قراسنقر المنصوري^(٣).

وقال ابن كثير:^(٤) استهلت هذه السنة - أعني سنة إحدى عشرة وسبعمئة - وقد مات نائب

حلب الأمير أسندمر^(٥)، وهي شاغرة عن نائب، وأرغون^(٦) الدوادار^(٧) قد وصل إلى دمشق لتسفير

^(١) كراي: الأمير سيف الدين كراي بن عبدالله المنصوري، كان من مماليك السلطان المنصور قلاوون، ثم نائباً بصغد وصرف منها سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م، أقام بعدها أميراً بالقاهرة، ثم خرج منها نتيجة استبداد بيبرس وسالار، أقام ناظرًا بالقدس والخليل، ثم دخل القاهرة مع السلطان الناصر محمد، في أول سنة ٧١١هـ / ١٣١١م تولى نيابة حلب، ثم نيابة السلطنة بدمشق، وضيق كثيراً على الناس فيها، فشكوه إلى السلطان الناصر الذي أرسل أرغون الدوادار فاعتقله في منتصف سنة ٧١١هـ / ١٣١١م في الكرك، ثم أفرج عنه سنة ٧١٧هـ / ١٣١٧م، فتوجه إلى بلبس وهناك اعتقله مغلطاي الجمالي وسجنه في قلعة الجبل حيث مات سنة ٧١٩هـ / ١٣١٩م، كان شجاعاً، صعب، الخلق، أهوج. الصفدي: الوافي، ج ٢٤، ص ٢٥٠-٢٥١، وتحفة، ج ٢، ص ٢٢٢-٢٢٥. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٣١١. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٦٨.

^(٢) في الأصل: سيف، التصحيح من مصادر ترجمته.

^(٣) قراسنقر: أبو محمد الأمير شمس الدين قراسنقر، الجوكندار الجركسي المنصوري، اشتراه المنصور قلاوون، تولى نيابة حلب في عهده، وفي عهد السلطان لاجين أصبح نائباً للسلطنة بمصر، ثم عزل واعتقل سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م، في عهد الملك الناصر ناب في الصبية (قلعة بلدة بانياس في الجولان بين سورية وفلسطين)، ثم في حماة، ثم نقل إلى نيابة حلب، وفي سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م أصبح نائباً لدمشق، في سنة ٧١١هـ / ١٣١١م أصبحت بينه وبين السلطان وحشة فدخل إلى أراضي التتار واستقبله ملكهم خربندا سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م، مات بمدينة مراغة من بلاد التتار سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م، كان ذا خبرة ودهاء، وعنده أموال عظيمة. الصفدي: الوافي، ج ٢٤، ص ١٥٩-١٦٦؛ تحفة، ج ٢، ص ٢١٥-٢٢٢. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٢٨٧-٢٨٩. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٢٧٦، ٢٨٠. ابن طولون، محمد ت: ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م: إعلام الوري بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تح: محمد دهمان، دار الفكر، ط ٢، دمشق، ١٩٨٤م، ص ٣٧. سيشار إليه بـ ابن طولون: إعلام الوري.

^(٤) البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٦٨-٦٩.

^(٥) أسندمر: الأمير سيف الدين أسندمر بن عبدالله الكرجي، نائب طرابلس، كان والي البر بدمشق بين سنتي ٦٩٢-٦٩٥هـ / ١٢٩٢-١٢٩٥م، وفي سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م تولى نيابة طرابلس، وعندما جاء السلطان الناصر محمد من الكرك، حضر أسندمر إليه وتوجه معه إلى مصر، فولاه نيابة حماة، ثم نقل مكرهاً إلى نيابة حلب، اعتقله السلطان سنة ٧١١هـ / ١٣١١م، ونقل إلى الكرك وتوفي في تلك السنة. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٤٦١-٤٦٢. الصفدي:

أعيان، ج ١، ص ٥٣٤-٥٣٥. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٢، ص ٤٤٣. البرزالي: المفتي، ج ٢/٢، ص ٤٨.

^(٦) أرغون: الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصري، نائب الممالك الإسلامية، اشتراه الملك المنصور قلاوون لولده الملك الناصر، فربي معه وألف به، في سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م ولاه الناصر النيابة بمصر، وفي سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م اتهمه الناصر بالتأخر عن القبض على مهني ملك العرب، فقبض عليه وسجنه، في سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م ولاه النيابة بحلب وبقي فيها حتى وفاته سنة ٧٣١هـ / ١٣٣١م، كان رحيماً لا يحب سفك الدماء. الصفدي: الوافي، ج ٨، ص ٢٣١-٢٣٢. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٤١٧-٤١٨. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٨٨. والمنهل، ج ٢، ص ٣٠٦-٣٠٧.

^(٧) الدوادار: لقب يطلق على الشخص الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير، ويتولى جميع الأمور المتعلقة بها من حكم وتنفيذ، ويتركب من لفظين: الأول عربي وهو الدواة، والثاني فارسي وهو دار بمعنى ممسك، ويكون المعنى ممسك الدواة، والدوادارية: وظيفة موضوعها نقل الرسائل والأوامر عن السلطان وعرض القصص والبريد. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٣٤. دهمان: معجم الألفاظ، ص ٧٧.

قراسنقر المنصوري منها إلى نيابة^(١) حلب، وإحضار الأمير كراي إلى نيابة دمشق، فخرج قراسنقر من دمشق في ثالث المحرم منها، وسار معه أرغون لتقريره بحلب، وجاء المرسوم إلى نائب القلعة^(٢) الأمير بهادر السنجري^(٣) أن يتكلم في الأمور بدمشق إلى أن يأتيها نائب، ثم قدم النائب كراي المنصوري إلى دمشق نائباً عليها يوم الخميس الحادي والعشرين من المحرم^(٤) قلتُ: وقد ذكرنا مما ذكر غيره من المؤرخين، أن الناصر أرسل الأمير كراي المنصوري المذكور مع عسكر إلى حلب في السنة الماضية، وأنه مسك نائبها الأمير أسندمر، ثم جاء المرسوم من السلطان أن يتقرر قراسنقر - وكان نائب الشام - في نيابة حلب^(٥)، وأن يتقرر الأمير كراي المذكور في نيابة دمشق^(٦)، ثم جرى عليهم ما نذكره إن شاء الله تعالى عن قريب

ذكر مَنْ قدم من الرسل وغيرهم

وفيهما عادت رسل السلطان من عند الملك طقطا^(٧)، وصحبتهم رسل طقطا، فاعترضهم

(١) النيابة: وظيفة من وظائف أرباب السيوف، ويعبر عن صاحبها بالنائب الكافل، وهو يحكم في كل ما يحكم به السلطان، وله كل صلاحياته في التوقيع، وينوب عن السلطان في غيبته، ولكل ولاية في مصر والشام نائب عن السلطان، ومنها نيابة دمشق وهي أرفع النيابات، ويقال لنائبها: نائب السلطنة. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٦-١٨. دهمان: معجم الألفاظ، ص ١٤٩.

(٢) نائب قلعة دمشق: وظيفة من وظائف أرباب السيوف، وهي نيابة منفردة عن نيابة السلطنة، وليس لنائب السلطنة بدمشق عليها حديث، وولايتها من الأبواب السلطانية، وعليه حفظ القلعة وصيانتها، وله أجناد مقيمون فيها لخدمته، ولا يحضر أحد من هؤلاء دار النيابة بالمدينة. وكذلك نيابة قلعة حلب. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٩١.

(٣) بهادر السنجري: الأمير سيف الدين بهادر بن عبدالله السنجري، كان نائباً بقلعة دمشق، وفي المحرم سنة ٧١١هـ/١٣١١م جاءه المرسوم بأن يكون نائب الغيبة بدمشق، تنقل في النيابات بين البيرة وغزة، ثم حمص حيث توفي فيها سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٦١-٦٢، وتحفة، ج ٢، ص ٢٢٢.

(٤) ورد هذا الكلام عند ابن كثير في البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٦٩، لكن مع وجود اختلاف في بعض الألفاظ.

(٥) في المحرم سنة إحدى عشرة وسبع مئة. ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٣٧. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٥. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٧٨.

(٦) دخلها يوم الخميس حادي عشر المحرم قادمًا من حلب، ووصل معه الأمير سيف الدين أرغون الدوادار. اليونيني، موسى بن محمد ت: ٧٢٦هـ/١٣٢٦م: ذيل مرآة الزمان، تح: حمزة عباس، د.م، د.ت، مع ٢، ص ١٤٢٨. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٦. وفيها ولي سيف الدين كراي نيابة السلطنة بدمشق عوضاً عن شمس الدين قراسنقر المنصوري. ابن حبيب: درة، ج ١، ورقة: ١٨٨.

(٧) طقطاي: الملك طقطاي بن منكوتر بن طوغان بن باطوخان بن دوشي خان بن جنكيزخان، صاحب بلاد المغول الشمالية الممتدة في نواحي الترك والقفقاق والتي مركزها مدينة حراي، ملكها سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، توفي طقطاي سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٦١٤ والوافي، ج ١٦، ص ٢٦٩. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٨٩. النويري: نهاية الأرب، ج ٢٧، ص ٣٥٦، ٣٦٨.

الفرنج^(١) في ربيع الأول وأسروهم /٢٧١/ جميعهم، وكانوا هم وأتباعهم تقدير ستين نفراً، ومروا بهم على البلاد الساحلية^(٢)، وعرضوهم للبيع، وحلفوا ألا يأخذون في ثمنهم إلا ستين ألفاً^(٣)، فلم يشتريهم أحد، فتوجهوا بهم إلى جزيرة المصطكى^(٤)، فأمر السلطان بالقبض على مَنْ بالإسكندرية من تجار الفرنج، والحوطة^(٥) على أموالهم إلى أن يُحضروا رسله، فتوجه شكران^(٦) الجنوي^(٧) التاجر إلى جزيرة المصطكى، وخلصهم وبعث بهم إلى مصر، ووصلوا في سادس عشر ربيع الآخر من سنة اثنتي عشرة وسبعمائة^(٨). وفيها عادت رسل صاحب سيس^(٩) المسمى أوشين^(١٠) إليه، وخالته معهم لأنها كانت جاءت لزيارة القدس^(١١). وفيها وصلت رسل الملك المؤيد هزبر الدين^(١٢)، صاحب اليمن، بهداياه إلى الأبواب

^(١) الإفرنج أو الفرنجة: في عصر الحروب الصليبية أطلق المسلمون هذا الاسم على جموع الصليبيين الذين وفدوا من غرب أوروبا سواءً من فرنسا أو انكلترا أو ألمانيا - دون تحديد لأصل عنصري - وربما كان السبب في ذلك هو غلبة العنصر الفرنجي (الشعب الذي حكمه الميروفنجيون والكارولنجيون في فرنسا وشمال أسبانيا) على الموجة الصليبية. والمقصود هنا: عصابات فرسان الصليبيين من الإيستارية والتيتون التي اتخذت من جزر البحر المتوسط مراكز لها بعد طرد الصليبيين من البلاد العربية. المقرئزي: السلوك، ج ٢، ص ٤٦٨. مرسي الشيخ، محمد: دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨١م، ص ١٣-١٥.

^(٢) المقصود السواحل الشرقية للبحر المتوسط "ووصلوا بهم إلى طرابلس الشام". النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٧٥.

^(٣) المقصود ستين ألف دينار. المقرئزي: السلوك، ج ٢، ص ٤٦٩. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٧٦.

^(٤) المصطكى: جزيرة بالقرب من فم الخليج القسطنطيني، داخلية في بحر الروم (البحر المتوسط) على مائة وخمسين ميلاً من الخليج القسطنطيني، سميت بذلك لأنه ينبت بها شجر المصطكى، ومنها تجلب المصطكى إلى البلاد، وهي صمغ شجر ينبت بها يشبه شجر الفستق الصغار، يشترط في فصل الربيع بمشاريط فتسيل منها المصطكى، ثم تجمد على الشجر، وربما قطر منه شيء على الأرض، والأول أجود. العمري: مسالك، ج ٣، ص ٣٧٩. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٣٥٣.

^(٥) الحوطة: حوْط، يحوْط، تحوْطاً، حوْط فلاناً: أحرق به "حوطت الشرطة المنطقة"، حوْط ملكاً / ثروة، والمراد هنا: الحجز. عبد الحميد عمر: معجم، مادة: ح و ط، ج ١، ص ٥٨٣.

^(٦) سكران. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٧٦. و بعد الرجوع إلى كتاب السلوك للمقرئزي والنجوم والمنهل لابن تغري بردي والوافي للصفدي وغيرها، لم يتم الحصول على أية ترجمة له.

^(٧) الجنوي. نسبة إلى مدينة جنوة من بلاد الفرنج.

^(٨) يوافق أولها الثلاثاء ٩ أيار (مايو) ١٣١٢م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٧٤٥.

^(٩) سيس: سيسيه، هي عاصمة أرمينيا الصغرى (إقليم قيليقية)، موقعها بين أنطاكية وطرسوس، وهي من أعظم الثغور الشامية، كانت مدينة كبيرة ذات أسوار على جبل مستطيل، لها بساتين ونهر صغير، وهي الآن بلدة في جنوب تركيا الأسيوية. الحموي: البلدان، مج ٣، ص ٢٩٧. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، حاشية ٤ ص ٩٧.

^(١٠) أوشين: أوشين بن ليفون بن هيثوم، صاحب سيس، هلك سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٣، ص ١١٤.

^(١١) كانت رسل صاحب سيس قد وصلت إلى دمشق في ثالث ربيع الأول، ومعهم تقادم وتحف. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٣.

^(١٢) الملك هزبر الدين: داوود بن يوسف بن عمر بن رسول، الملك المؤيد هزبر الدين، التركماني الأصل، ولي اليمن =

السلطانية، وكانت وقر^(١) مائتي جمل من أنواع القماشات وخيول ووحوش وطيور وتحف غير ذلك،^(٢) ففرقها السلطان على الأمراء الأكابر والأصاغر. وفيها وفد سليمان بن مهني^(٣) بن عيسى الأبواب السلطانية، وطالع ما أغار على التتار^(٤) ما بين هيت^(٥) وتكرت^(٦)، في جماعة من آل فضل، قاتلوا فيهم

= بعد أخيه الملك الأشرف في المحرم سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م، وتوفي سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٢٢٤-٢٢٥. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٨، ص ١٠٠. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٥٣. الكتي، محمد بن شاکر ت: ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م: فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط ١، بيروت، ١٩٧٤م، ج ١، ص ٤٢٨. سيشار إليه بـ الكتي: الوفيات.

(١) وقر: الوقر هو الحمل الثقيل. ابن منظور، محمد بن مكرم ت: ٧١١هـ / ١٣١١م: لسان العرب، دار صادر، ط ٣، بيروت، ١٩٩٣م، ج ٥، ص ٢٨٩. سيشار إليه بـ ابن منظور: لسان.

(٢) "... وعلى يديه تقادم وتحف سنينة كثيرة على جمال عدتها أربع مئة وتسعة أجمال" عند اليوناني: ذيل مرآة الزمان، مج ٢، ص ١٤٥٣. "مائتي جمل ومائتي جمال" عند المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٢. "أربع مائة جمال وتسعة حاملين" عند ابن أبيك، أبي بكر بن عبد الله ت: بعد ٧٣٦هـ / بعد ١٣٣٥م: كنز الدرر وجامع الغرر (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)، تح: هانس رومر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠م، ج ٩، ص ٢١٧. سيشار إليه بـ ابن أبيك: كنز الدرر.

(٣) سليمان بن مهني: سليمان بن مهني بن عيسى بن مهني، من آل الفضل بن ربيعة، ويلقب: علم الدين، أمير عرب الفضل في بادية حمص والفرات، رحل إلى ملك التتار في ماردين وأقام هناك إلى سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م، بعدها عاد إلى الرحبة، تولى إمرة العرب سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م، مات في سلمية سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٦، ص ٥٥. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٤٥٤-٤٥٥. الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ١٣٥-١٣٦. ابن الورد، عمر بن مظفر ت: ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م: تاريخ ابن الورد، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٦م، ج ٢، ص ٣٢٤. سيشار إليه بـ ابن الورد: تاريخ.

(٤) التتار: مجموعة من القبائل تنتمي إلى الجنس الأصفر كانت تقطن المنطقة التي تحد شمالاً بنهرى أرقون وسلنجا ومملكة القرغيز، وشرقاً بإقليم الخطا (الصين الشمالية)، وغرباً بممالك الأويغور، وجنوباً بإقليم التبت ومملكة التانجوت، وكانت تعيش في رخاء وذات علاقات متوترة مع ملوك الخطا (المغول في الصين الشمالية)، وقد اعتاد مؤرخو العصور الوسطى إطلاق اسم التتار على جيوش المغول التي غزت المشرق الإسلامي على الرغم من الفرق الكبير بين الجنس: المغولي والتتري، ويعود ذلك إلى أن المغول بقيادة جنكيزخان بعد أن استطاعوا إخضاع القبائل التتارية لسيطرتهم أرغموا بعضهم على الانضمام إلى جيوشهم ومشاركتهم في حروبهم قسراً، وأصبح اسم التتار دليل على الحمجية والقسوة. والمقصود في النص: المغول الإيلخانيين في العراق. الشنتناوي، أحمد، وآخرون: موسوعة دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة، بيروت، د.ت، مج ٤، ص ٥٧٦. كريم الله، أبرار: من هم التتار، تر: رشيدة الصبروتي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٤م، ص ١٧-٢٥. الصياد، فؤاد عبد المعطي: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م، ج ١، ص ٢٥-٢٧.

(٥) هيت: مدينة على شاطئ الفرات، فوق الأنبار، ذات نخل كثير وخيرات واسعة، وهي مجاورة للبرية، والهيت: الموضع الغامض المنخفض، أرسل إليها سعد بن أبي وقاص جيشاً لفتحها سنة ١١٦هـ / ٦٣٨م. القزويني: آثار البلاد، ص ٢٨١. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ٤٢٠-٤٢١.

(٦) تكرت: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب، تقع غرب نهر دجلة، لها قلعة حصينة أحد جدرانها إلى دجلة وهي قصبتها المنيرة، فتحها المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ع سنة ١١٦هـ / ٦٣٨م. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٣٨. الحميري: الروض المعطار، ج ١، ص ١٣٣.

وأُسروا منهم، واستاقوا مواشيهم، وأحضروا نفرًا من أساراهم، فأحسن السلطان رفاذته وأجزل صلتته. وفيها وصل كرنيس النوبي^(١)، صاحب دنقلة^(٢)، وحمل ما هو مقرر عليه من الرقيق ٢٧٢/ والشمار وغير ذلك،^(٣) إلى الأبواب الشريفة، وكان كرنيس هذه السنة عوضاً عن أخيه [إيَّاي]^(٤) بحكم وفاته، والله أعلم....

ذكر مَنْ أُعطي إمرة أو وظيفة ومَنْ قُطِع:

وفيها فوضت الوزارة^(٥) بمصر للصاحب أمين الدين عبدالله بن غنام^(٦)، وكان ناظر الدواوين،^(٧) وذلك عوضاً عن سيف الدين بكتمر الحسامي^(٨)، ونقل الحسامي إلى الحجوبية^(٩)، عوضاً عن شمس

^(١) كرنيس: هو ملك دنقلة، ملكها إثر مقتل أخيه إيَّاي سنة ٧١١هـ/١٣١١م، واستمر حتى سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م. والنوبي نسبة إلى منطقة النوبة، وهي بلاد واسعة جنوب مصر شرقي النيل وغربيه، أهلها أمة عظيمة وهم نصارى بعامتهم. القزويني: آثار البلاد، ص ٢٤. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٥١٦. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٥٠١.

^(٢) دنقلة: مدينة عظيمة عاصمة بلاد النوبة، ممتدة على ساحل النيل، أهلها نصارى يعاقبة، أرضها شديدة الحرارة، ينبت فيها الشعير، والحنطة، والذرة، والنخل، والكروم، والأرك، غزاها عبدالله بن سعد بن أبي السرح سنة ٦٥٣هـ/٣١م خلال خلافة عثمان ت. القزويني: آثار البلاد، ص ٣٩.

صاحب دنقلة: هو رعية من رعايا صاحب مصر، يقع عليه حمل مقرر يقوم بتأديته كل سنة، ويخطب ببلاده لخليفة العصر وصاحب مصر، ويكون مسلماً أو مسيحياً. العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٤٨. سيُشار إليه بـ العمري: التعريف. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٨، ص ٤٤.

^(٣) وردت هذه الحادثة عند ابن إياس في حوادث سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م. ابن إياس: بدائع، ج ١، ق ١، ص ٤٤١.

^(٤) في الأصل: آبي، وهو ملك النوبة، قديم إلى مصر مستنجداً ضد تائر ثار عليه سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م، فجرد معه عسكر هزم التائر واستمر في مملكته إلى أن قتل سنة ٧١١هـ/١٣١١م. العسقلاني: الدرر، ج ١، ص ٥٠١.

المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٣٧٩.

^(٥) الوزارة: وظيفة من وظائف أرباب الأقلام في العصر المملوكي، وقد اقتضت مهمة الوزير في عهد الناصر محمد بن قلاوون على التحدث في أمور ثلاثة: ناظر المال وشاد الدواوين لتحصيل المال وصرف النفقات، وناظر الخاص لتدبير الأمور العامة، وكتب السر في دار العدل. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٨-٢٩.

^(٦) عبدالله بن غنام: صاحب الوزير الكبير أمين الدين عبدالله بن تاج الرئاسة، القبطي الأسلمي، أسلم على يد بيبرس الجاشنكير، ولي الوزارة ثلاث مرات، مات سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٧، ص ٨٣. ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ٢٣-٢٤.

^(٧) الناظر: هو من ينظر في الأموال وينفذ تصرفاتها، ويعبر عن ناظر الدواوين بـ (ناظر الدولة) الذي يشارك الوزير في التصرف بالأموال العامة، والرواتب، والنفقات. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٣٧.

^(٨) بكتمر الحسامي: الأمير سيف الدين بكتمر بن عبدالله الحسامي، سجنه الناصر محمد سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م لمدة سنة ونصف، ثم أفرج عنه وولي نيابة صفد، ثم عزل سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م ورجع إلى القاهرة، توفي سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٨، ٤١، ٥٥-٥٦.

^(٩) الحجوبية: نسبة إلى الحاجب، وظيفة من وظائف أرباب السيوف في عصر الناصر محمد، ويتولاها ثلاثة حجاب: حاجب الحجاب وهو مملوك من مرتبة مقدم ألف ويأتي بعد النائب، طبلخانان. القلقشندي: صبح الأعشى، =

الدين سنقر الكمالي^(١)، وذلك في سادس ربيع الآخر^(٢). وفيها في حادي عشرين ربيع الآخر أعيد بدر الدين بن جماعة^(٣) إلى القضاء بمصر،^(٤) واستقر جمال الدين الزُرعي^(٥) قاضي العسكر^(٦)، ورسم له [بالتدريس في]^(٧) جامع الحاكم^(٨)، وأن يجلس بين القضاة مع الحنفي والحنبلي بدار العدل^(٩) عند السلطان. وفيها في مستهل جمادى الأولى، فوضت نيابة السلطنة بغزة^(١٠) لعلم الدين سنجر الجاولي^(١١)،

= ج ٤، ص ١٩٢.

(١) سنقر الكمالي: الأمير سنقر الكمالي الحاجب، كان نائباً بشيزر، ثم قدم إلى القاهرة في أيام لاجين، ثم أصبح أحد كبار الأمراء في دولة الناصر محمد، اعتقل سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م بقلعة الجبل، ومات معتقلاً سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٢٥.

(٢) " في مستهل ربيع الآخر " عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٧٦.

(٣) ابن جماعة: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة، الكتاني الحموي الشافعي ٦٣٩-٧٣٣هـ/١٢٤١-١٣٣٣م، قاضي القضاة، من علماء الحديث وسائر علوم الدين، ولد في حماة، ولي الحكم والقضاء بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر، توفي بمصر. الكتبي: الوفيات، ج ٣، ص ٢٩٧. الصفدي: الوافي، ج ٢، ص ١٥. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ٤-٧. الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ٢٩٧.

(٤) ابن حبيب: درة، ج ١، ورقة: ١٨٨.

(٥) الزُرعي: جمال الدين سليمان بن عمر بن سالم ٦٤٥-٧٣٤هـ/١٢٤٧-١٣٣٣م، قاضي القضاة، أصله من المغرب، ولد بأذرعات (درعا حالياً)، ولي قضاء زرع فدعي بالزُرعي، ناب في دمشق ومصر، ثم ولي القضاء بمصر، ثم التدريس وقضاء العسكر فيها، توفي بمصر. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٤٥٠. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٠٢. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٦، ص ٤٦-٤٧. ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٢٤٩. الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ١٣١.

(٦) قاضي العسكر: وظيفة من وظائف أرباب الوظائف الدينية أصحاب التواقيع، يحظر صاحبها بدار العدل مع القضاة، ويسافر مع السلطان، وقد جرت العادة أن يكون قضاة العسكر أربعة من كل مذهب قاض. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١١، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٧) في الأصل: بتدريس، والتصحيح لتقوم المعنى.

(٨) جامع الحاكم: بني هذا الجامع خارج باب الفتوح (أحد أبواب القاهرة)، وأول من أسسه الخليفة الفاطمي العزيز بالله ابن المعز، ثم أكمله الحاكم بأمر الله، وكان يعرف أولاً بجامع الخطبة، ويقال له: الجامع الأنور، تمت عمارته سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٢٥٣. المقرئ: الخطط، مج ٤، ص ٥٨-٥٩.

(٩) دار العدل: موضعها تحت القلعة، بناها الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م، وكان يجلس بها كل يوم اثنين وخميس لعرض العساكر، ثم صار لدار العدل موظف يدعى: نائب دار العدل، ويساعده القضاة للنظر في المظالم، ويصدر عن دار العدل الفتاوى. المقرئ: الخطط، مج ٣، ص ٣٥٨-٣٦١.

(١٠) غزة: مدينة في أقصى الشام من جهة مصر، غرب عسقلان، بها قبر هاشم بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ، وبها ولد محمد بن إدريس الشافعي، فتحها معاوية بن أبي سفيان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ر. القزويني: آثار البلاد، ج ١، ص ٢٢٧. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ٩٩٣. العزيزي، الحسن بن أحمد ت: ٣٨٠هـ/٩٩٠م: المسالك والممالك، تح: تيسير خلف، دار التكوين، م. د، ٢٠٠٦م، ص ١٠٢. سيشار إليه بـ العزيزي: المسالك الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٢٠٢.

(١١) علم الدين سنجر: الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الجاولي، من أمراء الناصر محمد، عمل نائباً في الشوبك، ثم استاداراً للملك الناصر محمد، ثم نائباً بغزة وحماة، توفي بالقاهرة معزولاً سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م. الصفدي: الوافي، =

عوضاً عن الأمير قطلقتمر^(١)، وقبض على قطلقتمر واعتقل. وفيها عزل القاضي زين الدين علي بن مخلوف المالكي^(٢) عن القضاء، بسبب بناء أراد السلطان بعضه، فأبى المذكور، فعزله عن الحكم، ثم أعاده بعد أيام في سادس رجب. وفيها في صفر، فوض لسيف الدين طوغان المنصوري^(٣) شاد الدواوين^(٤) بدمشق عوضاً عن فخر الدين [إياس]^(٥)، ووصل دمشق وقبض على إياس في الثامن عشر من صفر^(٦)، وأخذ خطه بثلاثمائة / ٢٧٣ ألف درهم، وسلم إلى طوغان [المذكور]^(٧). وفيها فوّض^(٨) للأمير ركن الدين العلائي^(٩) النيابة بمحصر^(١٠)، وتوجه إليها، وفوّض^(١١) للأمير بهادر

- = ج ١٥، ص ٢٩٢. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣١٦. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٦، ص ٧٤.
- (١) قطلقتمر: الأمير سيف الدين قطلقتمر، يعرف بصهر الجالحق، كان أحد الأمراء بدمشق، ثم ولي نيابة غزة، توفي سنة بضع عشرة وسبع مئة. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ١١١. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٢٩٢.
- (٢) علي بن مخلوف: قاضي القضاة علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم النويري المالكي، كان حاكماً بالديار المصرية منذ سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م، توفي سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م ودفن بسفح المقطم بمصر. الذهبي: العبر، ج ٤، ص ٤٩. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٩٠. الصفدي: الوافي، ج ٢٢، ص ١١٨.
- (٣) طوغان: الأمير سيف الدين طوغان، ولي شد الدواوين بدمشق عدة مرات، كما تولى نيابة البيرة، ثم نيابة قلعة صغد، توفي سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٧م. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٦٢٢.
- (٤) شاد: هو المفتش، وتضاف الكلمة لاسم الوظيفة، مثل شاد الزكاة وشاد الأوقاف (ناظر الأوقاف ومديرها) وشاد الموارد، وغيرها من الوظائف. شاد الدواوين: هي وظيفة من وظائف أرباب السيوف، وتعني مفتش الدواوين وضابط حساباتها، ويكون صاحبها رفيقاً للوزير، ويتحدث في استخلاص الأموال للسلطان، وعادتها إمرة عشرة. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٣. دهمان: معجم الألفاظ، ص ٩٥.
- (٥) في الأصل: إياز. وهو: الأمير فخر الدين الشمسي، مملوك الأمير شمس الدين سنقر الأعسر، كان نائباً بقلعة الروم، ثم بحماة، وفي سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م تولى شد الدواوين بدمشق، ثم عزل وتوجه إلى طرابلس، وأقام بها أميراً، توفي سنة ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م. الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٦٤١-٦٤٢. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٥٠١.
- (٦) يوم الخميس ثالث عشر صفر. عند البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١١.
- (٧) في الأصل: المذكوري شاد الدواوين، وشطب الناسخ على الزيادة كونها مكررة فيما سبق.
- (٨) في سادس عشر ربيع الآخر. عند البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٧.
- (٩) بيبرس العلائي: الأمير ركن الدين بيبرس العلائي، من أمراء دمشق، ناب في غزة من سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م إلى سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م، قبض السلطان عليه مع جملة من الأمراء بمحصر سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م. الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٧٧.
- (١٠) حمص: مدينة من أوسع مدن الشام، لها نحر عظيم منه شرب أهلها، وفي طرفها القبلي قلعة، وطرقها معبدة بالصخر، وهي في منتصف الطريق بين دمشق وحلب، أهلها من طيء وكندة وحمير وهمدان وغيرهم من بطون اليمن، اتصف أهلها بالمروءة والجمال المفرط، سيّر أبو عبيدة بن الجراح جيشاً بقيادة خالد بن الوليد ففتحها صلحاً سنة ٦٣٧هـ/ ١٣٠٧م. بها دار خالد بن الوليد وقبره. يعقوبي، أحمد بن إسحاق ت: ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م: البلدان، تح: محمد أمين ضنا، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠٠١م، ص ١٦٠-١٦٢. سيّشار إليه بـ يعقوبي: البلدان. الإدريسي، محمد بن محمد ت: ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، ط ١، بيروت، ١٩٨٨م، مج ١، ص ٣٧٤. سيّشار إليه بـ الإدريسي: نزهة المشتاق. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٢٠٢-٢٠٣.
- (١١) يوم الاثنين التاسع عشر من جمادى الآخرة. عند البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٢٨.

آص^(١) نيابة صفد^(٢)، عوضاً عن الأمير قطلوبك^(٣)، فقبض عليه، وولي سيف الدين ببيغا الأشرفي^(٤) نيابة الكرك^(٥) عوضاً عن أيتمش^(٦). وفيها في ثاني رمضان، فوض شد الدواوين بدمشق لبدر الدين بكتوت القرماني^(٧)، عوضاً عن سيف الدين طوغان، وفوضت الحجوبية بها إلى الأمير زين الدين كتبغا المنصوري^(٨)، عوضاً عن سيف الدين قطلوبك الجاشنكير^(٩). وفي ثامن عشر رمضان، ورد المرسوم إلى

(١) بهادر آص المنصوري: الأمير سيف الدين بهادر آص المنصوري، من أكبر أمراء دمشق، وهو القائم بأمر السلطان الناصر محمد، عزل عن نيابة صفد سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م فرجع إلى إمرته بدمشق حيث مات فيها سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م ودفن خارج باب الجابية. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٥٦. الذهبي: العبر، ج ٤، ص ٨٨. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٨١. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٥.

(٢) صفد: مدينة في سفح جبل عامل بفلسطين، بجانب عكا خفيفة الماء، لها قلعة بناها الفرنج (الدواية) سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م، يتبع لها العديد من الأعمال: الناصرة، عثليث، السواد، بيسان، هونين ١٠٠٠ إلخ. العمري: مسالك، ج ٣، ص ٥٤١.

(٣) قطلوبك: الأمير سيف الدين قطلوبك الكبير، من المماليك المنصورية، ولي الشد بدمشق، ثم الحجوبية بمصر سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م، ثم أعطي إمرة مئة بدمشق، ثم نيابة صفد سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م التي صرف عنها وسجن بالكرك، مات مقتولاً سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٢٩٤. الصفدي: الوافي، ج ٢٤، ص ١٩٥.

(٤) ببيغا: الأمير سيف الدين ببيغا الأشرفي، من أمراء الديار المصرية، عزل عن نيابة الكرك فولي نيابة قلعة صرخد، توفي بعد سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٥٥. الصفدي: الوافي، ج ١٠، ص ٢٢١.

(٥) الكرك: قلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء، وهي على جبل عال، وحصنها من أمنع الحصون ويعرف بحصن الغراب، يحيط به واد من جميع جهاته، له باب واحد تحت المدخل إليه في الحجر الصلد، إليه يلجأ الملوك في النوائب، كما فعل السلطان الناصر محمد، سكنه النصاري الذين غالباً ما يهاجمون قوافل المسلمين وهي في طريق الحج. ابن بطوطة: الرحلة، ج ١، ص ٣٤٤. الحميري: الروض المعطار، ص ٢٠٢.

(٦) أيتمش: الأمير أيتمش الأشرفي المغلي، أحد مماليك الأشرف خليل، ثم دخل في خدمة الناصر فاستنابه بالكرك سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م، ثم نقل إلى مصر، أخرجه السلطان في عسكر إلى الحجاز ثم إلى بركة، ثم ناب في صفد سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م حيث توفي في تلك السنة، كان عارفاً بلغة المغول. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٥٠٤. الصفدي: الوافي، ج ٩، ص ٢٤٩. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٢، ص ٢٩١.

(٧) بكتوت: الأمير بدر الدين بكتوت القرماني، كان من مماليك قلاوون، ثم الناصر، ناب في حمص، اعتقله تنكر سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م، أفرج عنه بعد ثمان سنوات، مات بالطاعون سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م. الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٧١٦. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٢٦.

(٨) كتبغا: الأمير زين الدين كتبغا العادلي الحاحب، ولي شد الدواوين والأستادارية والحجوبية، مات سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ١٤٧. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٣٠٩.

(٩) قطلوبك الجاشنكير: الأمير سيف الدين قطلوبك بن قراسنقر، ابن الأمير شمس الدين الجاشنكير، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق، ولي الحجوبية بدمشق، ثم صرف عنها وعاد إلى إمرته، توفي سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ١٢٥. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٢٩٦. والجاشنكير هو الذي يتصدى لتذوق المأكول والمشروب قبل السلطان. دهمان: معجم الألفاظ، ص ٥٠.

دمشق بولاية بلبان^(١) النائب بقلعتها عوضاً عن بهادر السنجري، ورسم [لبهادر]^(٢) نيابة قلعة البيرة^(٣). وفيها، تولى كتابة السر^(٤) بالديار المصرية القاضي علاء الدين علي بن تاج الدين بن الأثير^(٥)، عوضاً عن القاضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمري^(٦)، ورسم لابن فضل الله بكتابة سر الشام عوضاً عن أخيه القاضي محيي الدين^(٧). وفيها فوّض السلطان النيابة بالديار المصرية للأمير ركن الدين بيبرس المنصوري الدودار -صاحب التاريخ^(٨)- وذلك في العشر الأوسط من جمادى الأولى، وقال هو في تاريخه: وفي العشر الأوسط من جمادى الأولى رُتبت في نيابة السلطنة، عوضاً عن الأمير ٢٧٤/ بكتمر

(١) بلبان البدري: الأمير سيف الدين بلبان البدري، أحد مقدمي الألف بدمشق، ولي إمرة الحج سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م، وناب في قلعة دمشق، ثم نيابة صفد، ثم نيابة حمص، وتوفي سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٤٧. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٢٩.

(٢) إضافة للتوضيح من: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٢.

(٣) البيرة: بلد قرب سمسيات بين حلب والثغور الرومية، بينها وبين سروج مرحلة، لها قلعة حصينة ورستاق واسع، يتسع الفرات تجاهها فيحتمل سير السفن، مشهورة بتجارة الشعير والزبيب، وتنسج فيها العباءات القطنية. الغزي: نهر الذهب، ج ١، ص ٤٣٩. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ٢٤٠. الحموي: البلدان، مج ١، ص ٥٢٦.

(٤) كاتب السر: هو صاحب ديوان الإنشاء، مهمته قراءة الكتب الواردة إلى السلطان، وكتابة أجوبتها، وأخذ خط السلطان عليها وتفسيرها، والجلوس بدار العدل لقراءة القصص (الاستدعاءات، الطلبات) والتوقيع عليها، ومشاركة الوزير في أمور البريد، ولكل نيابة كاتب سر. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٣٦. دهمان: معجم الألفاظ، ص ١٢٧-١٢٨.

(٥) علاء الدين علي: علاء الدين علي بن أحمد بن سعيد بن الأثير، القاضي الحلبي الأصل، توجه مع السلطان الناصر محمد إلى الكرك، فخدمه مدة ثم أعاده إلى القاهرة، ولما رجع السلطان فوّض إليه بكتابة السر بالديار المصرية، توفي بمرض الفالج سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م. الصفدي: الوافي، ج ٢٠، ص ١٢٨. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ١٥. أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط ١، القاهرة، د.ت، ج ٤، ص ١٠٠. سيشار إليه بـ أبو الفداء: المختصر.

(٦) عبد الوهاب: القاضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله القرشي العمري، ولي كتابة السر بمصر والشام، كان مولده سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م، وتوفي سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م. الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ١٩١. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٧، ص ٣٨٧. ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ٢٣٦.

(٧) محيي الدين: القاضي أبو المعالي يحيى بن فضل الله القرشي العمري، ولي كتابة السر بالشام ومصر، ولد بالكرك سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٣م، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٦م. الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٥٧١. ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ١٩٢. الذهبي: معجم الشيوخ، تح: محمد الهيلة، مكتبة الصديق، ط ١، الطائف، ١٩٨٨م، ج ٢، ص ٣٧١. سيشار إليه بـ الذهبي: معجم. السبكي، عبد الوهاب بن علي ت: ٧٧١هـ/١٣٧٠م: معجم الشيوخ، تح: بشار معروف وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط ١، بيروت، ٢٠٠٤م، ج ١، ص ٤٨٩.

(٨) بيبرس المنصوري: الأمير المؤرخ ركن الدين بيبرس المنصوري الخطائي الدودار، كان من مماليك قلاوون الذي استنابه بالكرك، ثم عمل دودار وناظر للأحباس، تولى نيابة السلطنة بمصر بعد بكتمر الجوكندار سنة ٧١١هـ/١٣١١م، توفي بالقاهرة سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م، ويلقب بصاحب التاريخ نسبة إلى كتابه (زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة). ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٥٠. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٥٥. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٨، ص ١٢٠. الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٨٠.

الجوكندار، وقبض عليه وسُيِّر إلى [الكرك] ^(١)، فاعتقل بها حتى مات.

ذكر القبض على الأمير بكتمر الجوكندار نائب السلطان بالديار المصرية

قال ابن كثير: وفي يوم الجمعة سادس ^(٢) عشر جمادى الأولى أمر السلطان بالقبض على نائبه بكتمر الجوكندار وعلى إلزامه ^(٣)، فقبض عليه وعلى: صهره سيف الدين ألكتمر ^(٤)، وصهره الآخر علاء الدين أيدغدي النعماني ^(٥)، وشمس الدين بكمش الساقى ^(٦)، وعز الدين أيدمر الصفدي ^(٧)، وأيدمر الشيعي ^(٨)، وسيف الدين منكوتر الطباخي ^(٩)، فاعتقلوا كلهم إلا الطباخي فإنه قتل لوقته لكلام تكلم به. ^(١٠)

وكان السبب في ذلك ما ذكره صاحب سيرة الناصر: ^(١١) أن الأمير بكتمر الجوكندار لما رأى ما يحل بالأمرء، وأن حرمة قلّت، خاف على نفسه، فطلب إليه بتخاص ^(١٢)، الذي كان نائب صفد،

^(١) في الأصل: كرك، والتصحيح لاكتمال المعنى.

^(٢) سابع. عند المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٦٩، النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٧٧، ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٨.

^(٣) إلزامه: ألزم يلزم، إلزاماً، ألزمه دَفَع دَيْنَه/ ألزمه بدَفَع دَيْنَه: أوجه عليه وفرضه. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٣، ص ٢٠٠٧.

^(٤) ألكتمر: الأمير سيف الدين ألكتمر بن عبدالله، توفي سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٤١.

^(٥) العثماني. عند المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٦٩. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٩. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٧٧. ولم تذكر هذه المصادر وغيرها أية معلومات عنه.

^(٦) بدر الدين. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٧٧. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٩. ولم تذكر هذه المصادر وغيرها أية معلومات عنه.

^(٧) بعد الرجوع إلى كتاب السلوك للمقرئ والنجوم والمنهل لابن تغري بردي والوافي للصفدي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات عنه.

^(٨) أيدمر: الأمير عز الدين أيدمر بن عبدالله الشيعي، كان من ممالك الناصر محمد، وفي عهد السلطان الناصر حسن ولي نيابة حماة مرتين، توفي بحلب سنة ٧٧٣هـ/١٣٧٢م. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٥١٠. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٣، ص ١٧٦.

^(٩) توفي سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م. المقرئ: السلوك، ج ٣، ص ١١. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٤٤.

^(١٠) لم يرد هذا النص في البداية والنهاية.

^(١١) صاحب سيرة الناصر: عماد الدين موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي، مؤرخ، عارف بعلوم الحرب، ولد بالقاهرة سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م، اشتهر بكتابه: (نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر)، وله كتاب: (كشف الكروب في معرفة الحروب)، توفي بالقاهرة سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٨م. الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٤٨٧. ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ١٤٦. الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ٣٢٨. كحالة: معجم المؤلفين، ج ١٣، ص ٤٧.

^(١٢) بتخاص: الأمير سيف الدين بتخاص بن عبدالله، من جملة الأمراء البرجية، كان أميراً بدمشق، ثم نائباً بصفد، أمسكه السلطان الناصر محمد سنة ٧١١هـ/١٣١١م، وسجن بالكرك حيث توفي في تلك السنة. الصفدي: =

وغيره ممن يلوذ به، فقال لهم: قد علمتم ما يفعل السلطان بالأمرء، فمنهم من يأخذه بحق، ومنهم من يأخذه بغير حق، وأنا خائف منه، وما أدري ما أصنع؟ فقالوا له: والله، نحن كذلك، قال: فأبصروا ماذا نعمل؟ فقال بتخاص: ما في الأمر إلا أنك توافقنا عليه، وكلنا نخلف لك أنك سلطاننا، فقال لهم الجوكندار: وعلى ماذا عزمتم؟ فقالوا: نكتب قطلوبك، وكراي، وقطلقتمر، [وقراسنقر]^(١)، ٢٧٥/ ونجتمع كلنا على كلمة واحدة، ونقبض هذا السلطان ونخصمه^(٢) في دار، وله ما يأكل وما يشرب، وما نخرجه إلى الممات، فقال لهم: هذا هو الرأي، فاتفقوا على هذا الاتفاق.

وكتب الجوكندار إلى الأمير كراي نائب الشام، وكان خشدادشه^(٣)، وذكر له صفة ما هم عليه، وكذا كتب إلى قطلوبك نائب صفد، وإلى قطلقتمر نائب غزة، وما كتب إلى الأمير قراسنقر نائب حلب^(٤)، لأنه قال: هذا خائف ولا نأمن أن يُعرّف بحالنا إلى السلطان، ويتوجه إليه.

ورجع قُصَّاد الجوكندار إليه، الذين أرسلهم إلى الشام، وقد وافقه قطلوبك نائب صفد، وقطلقتمر نائب غزة، وأما كراي، نائب دمشق، فإنه سَير إليه، ويقول: يا أخي، قد علمت ما الذي جرى على غيرك، وكانوا أقدر منك، فلا تُدِر هذا في ذهنك فتَهلك وتَهلك معك، وهذا ابن أستاذنا^(٥)

=الوافي، ج ١٠، ص ٤٦، وأعيان، ج ١، ص ٦٧٨. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٣، ص ٢٣٧. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣. البرزالي: المفتي، ج ٢/ق ٢، ص ٤٨.
(١) كُتبت بشكل مائل في نهاية الورقة.

(٢) الخُصْمُ: (الزاوية)، أي الناحية أو الجانب من أي شيء، والمراد هنا وضعه تحت الإقامة الجبرية. الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م: تاج من جواهر القاموس، تح: مجموعة من الباحثين، دار الهداية، د.م، د.ت، ج ٣٢، ص ١٠٣. سِيشار إليه ب الزبيدي: تاج.

(٣) خشدادش: كلمة فارسية معربة، معناها الزميل في الخدمة، ومنها اشتقت الخشدادشية وهي: لقب يطلق على الأمراء المماليك الذين نشأوا عند سيد واحد، فنمت بينهم رابطة الزمالة، فقد كان هؤلاء يجلبون من أسواق النخاسة وليس بينهم رابط سوى هذه الرابطة. ابن طولون: إعلام الوري، ص ٨٤. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ١٦٢. دوزي، رينهارت ت: ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م: تكملة المعاجم العربية، تر: محمد النعيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، ط ١، بغداد، ٢٠٠٠م، ج ٤، ص ٢٦. سِيشار إليه ب دوزي: تكملة المعاجم.

(٤) حلب: مدينة بالشام، بينها وبين قنسرين اثنا عشر ميلاً، سميت بحلب رجل من العمالقة، وهي مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات، لها سور حصين من حجارة بيضاء وبها قلعة منيعة ومسجد كبير، لها سبعة أبواب، أغلب أسواقها مسقوفة، يخترق المدينة نهر صغير يدعى: قويق، تسكنها طوائف من العرب والتركمان، وبها جماعة من اليهود ونصارى نسطوريون. القزويني: آثار البلاد، ص ١٨٣. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ٤١٧. الغزي: نهر الذهب، ج ١، ص ٧ وما بعدها. الحميري: الروض المعطار، ج ١، ص ١٩٦. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٢٨٢-٢٨٨. أبو حجر، آمنة: موسوعة المدن العربية، دار أسامة، ط ١، عمان، ٢٠٠٢م، ص ١٨٢.

(٥) أستاذ: كلمة ليست عربية، وبالفارسية معناها: معلم أو عالم قدير في العلم أو الفن، أطلقت في العصرين الأيوبي والمملوكي على من كان يشتري العبد المملوك ويتعهد بالتربية والتعليم إلى أن يبلغ مبلغ الرجال، فيعتقه. دهان: =

وقد أخذ الملك وهو خائف. فلما قرأ الجوكندار الكتب التي جاءت من الشام على الأمير برلغي^(١) وبتخاص قالوا: نحن نعرف كراي أنه ما يوافق، وما نحن بمحتاجين إليه، ونحن نقضي الشغل، فإذا قضينا الشغل وافقتنا الناس كلهم، لأن كل الناس خائفون من هذا السلطان.

واتفق رأيهم على أن يدخلوا عليه بماليكهم، فإن رأوا أنهم مستظهرون عليه قبضوا عليه، وإلا قتلوه، واتفقوا على ٢٧٦/ أن يكون هذا يوم الخميس، وكان الاتفاق يوم الثلاثاء، ولم يطلعوا أحداً على هذا الأمر، وباتوا تلك الليلة، ومن الغد على هذا.

وطلع بكتمر [إلى]^(٢) الخدمة، لأنه نائب ولا يقدر على الانقطاع، فوقف في الخدمة إلى قريب الظهر، وكان قد طلع معه مملوك صغير، ابن عشر سنين، يحمل سروجته^(٣)، وكان السلطان أمرهم أن لا يعبر أحد عليه إلا بمملوك صغير، وكان هذا المملوك واقفاً بين الأبواب عند الخدام^(٤)، فجاء إليه مملوك من مماليك السلطان، صغير مثله، فلعب معه، فتضاربا، فاجتمع الصغار من مماليك السلطان عليه، وضربوا مملوك الجوكندار، فجاء خادماً من الخدام وخلصه منهم، وبقي مملوك الجوكندار ما يرجع عنهم، والخدام يردونه، وهو ما يرتد، فضربه زمام الدار^(٥) وقال له: ما ترجع عن مماليك السلطان، يا شيطان، فبكى، وقال: يا عبد النحاس راحت دولتكم، غداً أقول لكم.

ولما سمع زمام الدار بذلك المقال منه، مسكه، ودخل به إلى السلطان، وقال له من حيث لا

=معجم الألفاظ، ص ١٤. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٢٧.

(١) برلغي: الأمير سيف الدين برلغي بن عبدالله الصغير، قريب السلطان الملك الناصر، تزوج بابنة الأمير بيبرس الجاشنكير قبل سلطنته، ثم قبض عليه السلطان الناصر بعد زوال دولة الجاشنكير، وسجنه عشرين سنة، ثم أفرج عنه وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف، فدام على ذلك إلى حيث توفي سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م. ويلتبس برلغي الصغير مع برلغي الأشرفي، فكلاهما كان عضداً للجاشنكير، وكانا في عصر واحد. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٣٦.

(٢) إضافة لاكتمال المعنى.

(٣) سروجته: كلمة فارسية الأصل مركبة من كلمتي: (سر) بمعنى فوق و (موزة أو موجة) بمعنى خف، فيصبح المعنى ما يليس فوق الخف، وهي نوع من الأحذية، صندل، بابوج، وتعرف عند العامة بالسرماية، وأكثرهم يقولها بالصاد بدل السين (حذاء يستر مقدم القدم وعقبها ويبلغ إلى الكعبين). دوزي: تكملة المعاجم، ج ٦، ص ٦٧. غنيمة، يوسف: فوائد لغوية، مجلة لغة العرب العراقية، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٢٨م، العدد: ٥٦، ص ١٣٢-١٣٣.

(٤) خدام: مفردهما: خادماً، وهو الشخص الذي يكون رهن إشارة وطوع أمر لشخص آخر. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٦٢٠.

(٥) زمام الدار: من فئة أمراء الطليخاناه، يتصل عمله بكل ما له علاقة بالقصور السلطانية ورعاية شؤونها، وهو عادة من كبار المماليك وأمثلهم وجاهة. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٣٢. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٢٢٤.

يسمعه أحد: جرى من الأمر كذا وكذا، فلما سمع السلطان ذلك طار عقله، وقال له: هات المملوك، ثم سَيرَ عشرين مملوكاً، وقال لهم: إن طلب بكتمر النائب الرواح، لا تمكنوه، فخرجوا إليه من حيث لا يعلم بهم، وطلب السلطان /٢٧٧/ المملوك وقال له: ما معنى ما قلت: راحت دولتكم غداً أريكم؟ ففزع المملوك، فقال له السلطان: لا تفزع، أنت اليوم مملوكي، وضحك في وجهه، فحكى له المملوك كل ما جرى بين أستاذة الجوكندار وبين بتخاص وبرلغي، فقال السلطان: [هل معهم آخر، قال: كانوا يقولون إن معهم أمراء آخرين، ولكن أنا ما أعرفهم، فقال السلطان]^(١): اطلبوا بكتمر النائب، فطلبوه، وهو على غاية الاحتراز، وقد حمل أثقاله^(٢)، وذلك أنه كان له عند السلطان من يخبره بكل ما جرى عند السلطان في غيبته، ولما بلغه أمر مملوكه، أمر بشيل الأثقال والخزائن^(٣)، وطلب مماليكه، وحكى لهم بالقضية، فلما سمعوا بقوا مفكرين ساعةً من غير جواب، فقال لهم: خذلتُم يا مخائنة^(٤) من حديث؟ فالله يدري أهو صحيح أو كذب، فلعن الله من يرجوكم لدفع شدة، ثم أنه دمدم ونحر^(٥)، وقال: كم نحمل الضرر، ولا نشير العُبن، وهم يبلوننا بها، فيظنون أنني مثل من أخذوه قبلي، هيهات هيهات، والله، إن الوصول إليَّ بعيد، والقُدوم عَلَيَّ صعب شديد، وأنا أقسم بالله العظيم، ونبيه الكريم، لعن لم [ينتهوا]^(٦) عني لأثيرن حرباً تعثر الخيل فيها بالجماحم وتقطع فيها الزرادم^(٧)، ثم التفت إلى مماليكه وقال لهم: الساعة لا بد من ركوب الخيل ولبس الغُدد^(٨).

قال الراوي: فبينما هو يقول لهم ذلك، إذ سَيرَ إليه السلطان يطلبه، فما قدر على المخالفة، فلما حضر، أمرهم السلطان بأن يأخذوا /٢٧٨/ سيفه، فأخذوه، ثم قال له: ما عملت معك من القبيح

(١) كتب هذا الكلام على الهامش، وأشار الناسخ على موضعه بالمتن.

(٢) أثقال: مفردها: ثقل، وهو متاع المسافر وحشمه، وكل شيء نفيس مصون له قدر ووزن. الزبيدي: تاج، ج ٢٨، ص ١٥٦.

(٣) خزائن: مفردها: خزانة، وهي الموضع الذي يخزن فيه الشيء. ابن منظور: لسان، ج ١٣، ص ١٣٩.

(٤) مخائنة: مفردها: مخنث، وهو المتشبه بالمرأة لبساً وكلاماً وحركة "يفقد المخنث احترام الناس لسوء سلوكه". عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٧٠٠.

(٥) نحر الإنسان: مد الصوت والنفس في خياشيمه. الزبيدي: تاج، ج ١٤، ص ١٨٩.

(٦) في الأصل: تنتهوا.

(٧) الزرادم: الزردمة هي: الغلصمة من الإنسان وتقع تحت الحلقوم واللسان مركب فيها. والمراد هنا: الرقاب. ابن منظور: لسان، ج ١٢، ص ٢٦٤.

(٨) الغُدد: مفردها: عُدة، وهي العتاد أي الشيء الذي تعده لأمر ما وتهيئه له، وما أعد الرجل من السلاح والدواب وآلة الحرب. ابن منظور: لسان، ج ٣، ص ٢٧٩.

حتى أنك تجازيني بمثل هذه المجازاة؟ فقال له بكتمر: والله، ما ضررتني إلا أنك ضريت الناس وأهلكتهم وقتلتهم بغير حق، فقال السلطان: أصحيح ما قالوا عنك؟ فقال له: نعم، فقال السلطان لمماليكه: شيلوه إلى أسندمر.

قال الراوي: فشالوه إلى الحب^(١)، ثم سير السلطان خلف بتخاص بعض مماليك الجوكندار، لأنه بعد مسكه طلب مماليكه كلهم، وخلع^(٢) على أعيانهم، ووعدهم بما يسرّ قلوبهم، وطيب خواطرهم، فباسوا الأرض، ثم قال لهم: من كان فيكم يرسله أستاذكم إلى الأمراء؟ فأشاروا إلى مملوك، وقالوا: هذا الذي كان يروح إلى الأمراء، ثم أرسل إلى برلغي، فجاء إليه ذلك المملوك ورآه وهو قائم يصلي الظهر، فلما سلّم، قال له: إن الأمير يطلبك، فقال له برلغي: من عنده؟ فقال: عنده بتخاص، ولما سمع نخض طالباً بيت بكتمر، وكان السلطان قد أرسل إلى بيت بكتمر مائتي مملوك، وقال لهم: إذا دخل برلغي اقبضوا عليه.

قال الراوي: فلما دخل برلغي ومعه مملوكه يحمل السرموجة، دارت عليه المماليك من خلفه، وقبضوا عليه قبضاً باليد، وساروا به إلى السلطان، فلما وصلوا به إليه قال لهم: ودّوه إلى الحب. وكان السلطان قد أرسل أيضاً مائتي مملوك إلى بيت بتخاص / ٢٧٩ / وأمرهم بالقبض عليه. ثم إن السلطان أرسل بكتمر الجوكندار إلى الكرك، وحبس فيها إلى أن مات.

ذكر مسك نائب صفد

وأرسل السلطان الأمير سنجر الجمقदार^(٣) إلى صفد، ومعه كتب إلى الأمراء الذين بها، يقول

(١) الحبّ: البئر الكثيرة الماء البعيدة القعر. وهي بئر بقلعة الجبل، لسجن الأمراء، كان مهولاً مظلماً كثير الوطاويط كرية الرائحة، يقاسي المسجون فيه ما هو كالموت أو أشد منه، وقد بدأه السلطان قلاوون سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٠م، ولم يزل يستخدم حتى عصر الناصر محمد والذي هدمه سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م. المقرئزي: الخطط، مج ٣، ص ٣٣٠. الزبيدي: تاج، ج ٢، ص ١٢٠-١٢١.

(٢) الخلع: جمع خلعة، ثوب أو نحوه يمنحه السلطان أو الخليفة إلى أحد المقربين إليه عنواناً على رضاه، وكانت الخلعة تشتمل عادة على جبة مطرزة وعمامة وطيلسان وسيف، ويعد منح الخلع من التقاليد التي عرفت عن الخلفاء، يخلعون على وزرائهم بمناسبة توليهم العرش، وعلى قضاة المذاهب الأربعة، وعلى رجال الأدب وكبار الضيوف. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٥٣-٥٧. ماير، ل: أ: الملابس المملوكية، تر: صالح الشيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت، ص ١٠١-١١٤. سيشار إليه ب ماير: الملابس.

(٣) سنجر الجمقदार: كان من المماليك المنصورية، وتنقل في الخدم، ثم أميراً بدمشق، ثم نقل إلى القاهرة خلال فتنة الناصر أحمد، توفي سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٣م. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٢١. والجمقदार: هو الذي يمشي في المواكب السلطانية على يمين السلطان، يحمل دبوساً له رأس ضخمة مذهب، ومن واجباته أن يكون نظره متجهاً إلى السلطان لحمايته، ويتصف صاحب هذا اللقب بحسن الهيئة. دهمان: معجم الألفاظ، ص ٥٤. الخطيب: معجم =

فيها: إن امتنع قطلوبك عن المرسوم، وخرج من بينكم راحت أرواحكم، وكان ذلك نهار الإثنين،^(١) فأخرج الجمقدار الكتب و[أعطاهما]^(٢) لقطلوبك بحضور الأمراء، فلما قرأها قال: السمع والطاعة لمولانا السلطان، أنا .. والله، لي سنة انتظر هذا اليوم، فعند ذلك أخرج الجمقدار قيداً وحطه في رجلي قطلوبك، بحضور [الأمراء]^(٣)، فلما رأته ممالكه ذلك نظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: ما تُمكن أحداً من أستاذنا، وهما بالجمقدار، فصرخ عليهم قطلوبك وردهم عنه، وفي تلك الساعة ركب الجمقدار وأخذ معه قطلوبك وسار به إلى الكرك. فكان وصول كراي نائب الشام، ودخول قطلوبك نائب صفد، وقطلقتمر نائب غزة إلى الكرك في يوم واحد، فسلموهم إلى نائب الكرك، فأنزلهم كلهم في الحب. ونذكر الآن قضية كراي نائب الشام.

ذكر مسك الأمير كراي نائب الشام

قال ابن كثير: وفيها، في يوم الأربعاء الثاني والعشرين من جمادى الأولى، حضر سيف الدين أرغون، على البريد إلى دمشق / ٢٨٠، وعلى يده مكاتبات للأمراء بالقبض على الأمير كراي النائب بدمشق. وصفة مسكه: أنه قدم الأمير أرغون الدوادار فنزل القصر، فلما كان يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى خلع على كراي خلعاً سنياً فلبسها وقبّل العتبة^(٤)، وحضر الموكب، ومد السِماط^(٥)، فقيّد بحضرة الأمراء، وحُمِل على البريد إلى الكرك صحبة غرلو العادلي^(٦)، وبيبرس الجحنون^(٧).^(٨)

=المصطلحات، ص ١٢٦.

^(١) يوم الجمعة الرابع والعشرين من جمادى الأولى. عند البرزالي: المقتفي، ج ٢/ق ٢، ص ٢٥.

^(٢) في الأصل: أعطاه.

^(٣) في الأصل: الأمر.

^(٤) العتبة: هي أسكفة الباب التي توطأ. ابن منظور: لسان، ج ١، ص ٥٧٦.

^(٥) السِماط: قطعة من الجلد تفرش على الأرض، يوضع فوقها صحن الطعام، وأصبحت الكلمة تطلق على وجبة الطعام الذي يقدم في وليمة، ويقال: سِماط السلطان أو سِماط العيد: أي الطعام الذي يقدمه السلطان في المواسم والأعياد. المقرئ: الخطط، مج ٢، ص ٢٥٢. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٦، ص ١٤٧.

^(٦) غرلو: الأمير سيف الدين غرلو العادلي، كان قد استنابه العادل كتبغا في دمشق سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م، أقام في دمشق أميراً، توفي سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م. الذهبي: العبر، ج ٤، ص ٥٤.

^(٧) بيبرس الجحنون: أحد الأمراء بدمشق، حج بالناس سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م، توفي سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٥٠.

^(٨) ورد هذا الكلام عند ابن كثير في البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٠. ويوجد اختلاف في بعض الألفاظ.

ثم قدم الأمير آقوش^(١) نائب الكرك على نيابة دمشق يوم الأربعاء [رابع عشر جمادى الآخرة]^(٢) منها، وتلقاه الناس، واشتعلت الشموع، وكان يوماً مشهوداً.

وقال ابن كثير: وفي يوم الأربعاء الثاني والعشرين من جمادى الأولى وصل مملوك سيف الدين كراي إلى دمشق، وصحبته لمخدومه تشریف^(٣) وحياسة^(٤) وسيف، واتفق في ذلك اليوم وصول رسل التتار، فأصبح كراي المذكور يوم الخميس ركب الموكب، ولبس التشریف، ورجع فمَدَّ السماط، وكان قد احتفل فيه لأجل^(٥) التشریف، ولأجل رسل التتار، فلما أكلوا رسم للرُّسل بالانصراف، وأحاطت الأمراء بكراي المذكور، وأخرجوا له المرسوم بالقبض عليه، فأجاب بالسمع والطاعة، وقلع شاش التشریف وضرب به الأرض، وقيد من وقته، وحمل إلى الكرك، فاعتقل بها.^(٦)

وقال ابن كثير أيضاً: ٢٨١/ إن كراي لما تولى دمشق قرر على أهلها في أول الشهر الذي قدم فيه، وهو شهر المحرم من هذه السنة، ألفاً وخمسمائة فارس، لكل واحد خمسمائة درهم^(٧)، فضربت على الأملاك والأوقاف، فتألم الناس بسبب ذلك، وسعوا إلى الخطيب جلال الدين^(٨)، فسعى إلى القاضي^(٩)،

(١) آقوش: الأمير جمال الدين آقوش الأشرقي، نائب الكرك، ولي نيابة دمشق مدة، ثم ارتحل إلى القاهرة، كان السلطان يعظمه، توفي بالإسكندرية سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م. الصفدي: الوافي، ج ٩، ص ١٩٥. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٣، ص ٢٧.

(٢) في الأصل: الرابع والعشرين من ربيع الآخر. والتصحيح من: المفتي، ج ٢/٢، ص ٢٦. وهو الأرجح لأن مسك كراي كان في الثالث والعشرين من جمادى الأولى كما سبق. ونهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٨٢.

(٣) التشریف: هو الشارة التي توضع على الخلعة من السلطان، تعطى لكبار الموظفين والأمراء إشعاراً بتوليهم الوظائف الكبرى كالوزارة والنيابة، وتكون مصنوعة من الشاش أو الدانتيل المخرم. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٥٤. ماير: الملابس، ص ١٠٣-١١٠.

(٤) الحياصة: هي الحزام أو المنطقة، ومنها ما يكون من ذهب مرصع بالفصوص، ومنها غير ذلك. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٢.

(٥) إضافة لاستكمال الكلمة.

(٦) لم يرد هذا النص في البداية والنهاية.

(٧) الدرهم: نوع من أنواع النقود، كان عيارها منذ النصف الثاني من القرن السابع الهجري حتى نهاية القرن الثامن الهجري: ثلثين من الفضة وثلث من النحاس، ثم قلت الفضة بعد هذا التاريخ. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٥٣٥. الكرملي، انستاس: رسائل في النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، مكتبة الثقافة الدينية، ط ٢، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ١٢٦. سيشار إليه بـ الكرملي: النقود العربية.

(٨) جلال الدين: محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني، خطيب دمشق، أصله من قزوين، ولد بالموصل سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م، تولى قضاء دمشق سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م، ثم قاضي القضاة بمصر سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م، ثم عاد إلى قضاء دمشق سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م، توفي بدمشق سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ٢٤٩. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٤٩٢. الزركلي: الأعلام، ج ٦، ص ١٩٢. كحالة: معجم المؤلفين، ج ١٠، ص ١٤٥.

(٩) القاضي: وكان نجم الدين بن صصري. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٣١١. وهو: قاضي القضاة أحمد بن محمد بن =

فاجتمع الناس بكرة الإثنين ثالث عشر المحرم، واختلفوا في الاجتماع، وأخرجوا معهم المصحف العثماني^(١) والأثر النبوي^(٢) والسناجق^(٣) [الخليفية]^(٤)، ووقفوا في الموكب، فلما رآهم النائب تغيظ عليهم، وشمتم القاضي والخطيب، وضرب مجد الدين التونسي^(٥)، ورسم^(٦) عليهم، ثم أطلقهم بضمان وكفالة، فتألم الناس لذلك كثيراً، فلم يمهله الله إلا عشرة أيام، وجاءه الأمر فجأة، فقيّد وعُزل، وحُبِس، ففرح الناس لذلك فرحاً شديداً.^(٧)

ذكر قضية الأمير قراسنقر المنصوري نائب حلب وتوجهه إلى الحجاز^(٨) ثم توجهه إلى خربندا^(٩)

ملك التتار

قال ابن كثير: وفيها أرسل شمس الدين قراسنقر المنصوري نائب [حلب]^(١٠) يسأل الإذن من

-
- = سالم، ولد سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م، ولي القضاء بدمشق سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، وبقي فيه إلى أن توفي سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م. الصفدي: الوافي، ج ٨، ص ١٢. ابن تغري بردي: المنهل، ٢، ص ٩٧.
- ^(١) المصحف العثماني: هو المصحف الذي دون بخط الخليفة عثمان بن عفان ت، وأرسل إلى كل مصر من الأمصار نسخة منه، وكانت هذه النسخة موجودة بمسجد دمشق (المسجد الأموي)، ويذكر ابن القلانسي: أن المصحف العثماني حملة عثمان بن عفان ت إلى طبرية، فحملة أتابك طغتكين إلى الجامع الأموي بدمشق. ابن القلانسي، حمزة بن أسد ت: ٥٥٥هـ/١١٦٠م: تاريخ دمشق، تح: سهيل زكار، دار حسان، ط ١، دمشق، ١٩٨٣م، ص ٢٩٨. العمري: مسالك، ج ١، ص ٢٥٢. الأبياري، إبراهيم: الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، د. م، ١٩٨٤م، ج ١، ص ٣٥٢-٣٥٦.
- ^(٢) نعل النبي P. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٨١.
- ^(٣) سناجق: مفرد سناجق: لفظ تركي يطلق في الأصل على الرمح، والمقصود به الرايات والأعلام السلطانية. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٨، ج ٥، ص ٤٣٠.
- ^(٤) في الأصل: الخليفة. والتصحيح من صبح الأعشى: ج ٥، ص ٤٣٠.
- ^(٥) هو: أبو بكر بن محمد بن قاسم، المرسى الأصل، ولد بتونس سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، تعاني بالقراءات، دخل القاهرة ثم دمشق، درّس النحو بالمدرسة الناصرية، وصار شيخ القراء والعربية بالبلد، توفي سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٣٢. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٥٥١.
- ^(٦) رسم على فلان: خصص له من يراقبه، مثال: رسم عليه عشرين مملوكاً، أي جعل لمراقبته عشرين مملوكاً، أي سجنه. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٥، ص ١٣٦.
- ^(٧) ورد هذا النص عند ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٠.
- ^(٨) الحجاز: هي المنطقة الممتدة بين هضاب نجد في الشرق، وسهول تامة في الغرب، والعقبة شمالاً، وتخوم بلاد عسير في الجنوب، وسمي حجازاً لأنه حجز بين الغور والشام وحجز بين نجد والسرّة، وفيه مكة المكرمة والمدينة المنورة. القزويني: آثار البلاد، ص ٨٥-٨٦. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٢١٨. الحميري: الروض المعطار، ص ١٨٨-١٩٠.
- ^(٩) خربندا: غياث الدين محمد بن أرغون بن أبغا بن هولكو بن جنكيزخان المغلي، القان، المعروف بخدابندا، وعلى أسنة العامة خربندا، ومعناه بالعربية: عبدالله، ملك العراق وخراسان وأذربيجان، مات سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م. الصفدي: الوافي، ج ٤، ص ٣١٤. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ١١٣.
- ^(١٠) إضافة لاستكمال النص.

السلطان في التوجه إلى الحجاز، فأذن له، وأنعم عليه بألفي دينار^(١) عيناً، وفوضت نيابة حلب في غيبته للأمير شهاب الدين قرطاي^(٢) الحاجب، وخرج قراسنقر على نية الحج، فلما وصل إلى أطراف البلاد من بلاد البلقاء^(٣)، بلغه أن السلطان /٢٨٢/ جرد جماعة من مماليكه بالهجن^(٤) والخيل، فظن أنهم يقصدونه، فرجع إلى حلب، فمُنِع من الدخول إلا بعد العود من الحجاز الشريف، أو بمرسوم شريف، فطلب موجوده الذي بحلب فمُنِع أيضاً منه، فجاء إلى الأمير [حسام الدين مهني]^(٥) وعرفه بذلك، فأرسل إلى الأمراء بحلب في تمكينه من موجوده^(٦)، وإن لم تفعلوا هجم حلب ونهبها، فمكنوه من موجوده، فأخذه وقصد البرية، وجهز ولده فرج^(٧) إلى ديار مصر بجملة من أمواله، فوصل إلى القاهرة في أواخر ذي الحجة، فأنعم عليه بإمرة عشرة، واستقر بالقاهرة مع أخيه علاء الدين علي، ثم إن قراسنقر كاتب آقوش الأفرم^(٨) نائب طرابلس^(٩) وبذل له الطاعة، وأن يكون هو صاحب الأمر، وبذل له المال

(١) دينار: مفرد دنانير: هي قطع ذهبية تستخدم كنقد، وهي معلومة الأوزان والقيمة مقابل غيرها من النقود الأخرى، يؤتى بها من بلاد الفرنجة والروم وبعضها يصنع محلياً، تحمل على وجهيها صور ونقوش تدل على الدولة التي تنتمي إليها. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٥٠٧. الكرملی: النقود العربية، ص ١٢٤.

(٢) هو: الأمير شهاب الدين الأشرفي، الجوكندار، الحاجب، نائب طرابلس، توفي سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٤م. الصفدي: الوافي، ج ٢٤، ص ١٦٨.

(٣) البلقاء: إقليم من أرض الشام قصبته مدينة عمان، يتصل به من الجنوب إقليم الشراة، ومن الشمال إقليم حوران، ومن الشرق بادية الشام وصحراء العرب، ويشرف غرباً على الغور الأردني، ومنطقته جبال عالية. ابن عبد الحق: مراصد: ج ١، ص ٢١٩. الحميري: الروض المعطار، ص ٩٦. الحموي: البلدان، مج ١، ص ٤٨٩. الحري، عاتق: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة، مكة المكرمة، ١٩٨٢م، ص ٤٩.

(٤) الهجن: هي الإبل البيضاء، وهي أكرم الإبل، وتطلق أيضاً على الجمل السريع الجري. ابن منظور: لسان، ج ١٣، ص ٤٣١. الزبيدي: تاج، ج ٣٦، ص ٢٧٣.

(٥) في الأصل: ابن مهني، والتصحيح من: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٨٥. السلوك، ج ٢، ص ٤٧٣. وهو: مهني بن عيسى بن مهني بن مانع الطائي، حسام الدين، من آل فضل، وآل فضل من طيء، أمير بادية الشام من سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٢م حتى سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، وله من الأولاد سليمان وموسى وأحمد وغيرهم، توفي سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٤م. الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٤٥٩. ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ١٣٣. الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ٣١٦.

(٦) موجوده: أمواله. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٤.

(٧) فرج: الأمير جمال الدين فرج بن قراسنقر المنصوري، كان أحد الأمراء بمصر، توفي بدمشق سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٣٥. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٢٦٩.

(٨) الأفرم: الأمير جمال الدين آقوش بن عبدالله الدواداري المنصوري، ناب في دمشق، ولي نيابة طرابلس سنة ٧١١هـ/١٣١١م وبقي فيها لمدة ستة أشهر، ثم خرج مع قراسنقر إلى بلاد التتار، فأقطعه خربندا همدان، توفي سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م. الصفدي: الوافي، ج ٩، ص ١٩٠، وتحفة، ج ٢، ص ٢٠٨-٢١٥. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٣، ص ٩-١٣. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٤٧٢.

(٩) طرابلس أو أطرابلس: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام بين اللاذقية وعكا. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، =

مرة ومرة ومرة، وهو يُدافعه.^(١)

ولما اتصل خبر قراسنقر بالسلطان جرّد الأمير أرغون وجماعة أمراء، فوصلوا دمشق واستصحبوا جماعة من عسكرها وتوجهوا، ثم أردف السلطان هذه العساكر بعساكر أخرى، فوصلوا إلى حمص واجتمعوا بمرجها، ولما توجهت العساكر توهم آقوش الأفرم منهم، فركب ونزل على رأس عين^(٢)، ووصل إليه بها: أيدير [الزردكاش]^(٣)، وبلبان الدمشقي^(٤)، وبيسري الحسامي^(٥)، وذكروا له أن الكلمة قد اجتمعت عليه، و[كاتب]^(٦) الأمراء بطرابلس فلم يجيبوه، فركب /٢٨٣/ وقصد البرية، فتبعه أروكتمر الجمدار الناصري^(٧)، فلحق أثقاله فأخذها، ولم يلحقه فرجع، ولما بلغ قراسنقر مسير الأفرم خلفه، ظنه مكيدة، فجعل كلما نزل منزلة يتقدمه منزلة، حتى أرسل إليه يحلف له إنما جاء في ميعاده، فقال: إن كان الأمر كذلك [فلتجتمع]^(٨) معي مع مملوكين، فركب على الهجن ولحقه، وحلف له، فاطمأن، ثم قال: خفف من هذا الجمع الذي معك فليس لنا بهم حاجة، فاحتال عليهم الأفرم حتى رجعوا، وتوجه هو وقراسنقر والثلاثة الأمراء الذين كانوا لحقوا بالأفرم، كما ذكرنا، وتبعهم العسكر الناصري^(٩) إلى الرحبة^(١٠)، ثم رجع، ولما قربا من بلاد التتر كتبوا إلى خربندا يستأذنه في الوصول إليه، فأرسل إليهما الإذن

=ص ٩١. الحموي: البلدان، مج ١، ص ٢١٦.

^(١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ج ١٤، ص ٧١ خبر رجوع قراسنقر من طريق الحجاز بعد أن وصل إلى بركة زيزاء في البلقاء فقط.

^(٢) رأس عين: لم يتم الحصول على التعريف بهذا المكان مما توفر من المصادر المختصة ومنها: معجم البلدان ومراسد الاطلاع والروض المعطار، وأغلب الظن أنه أحد الأماكن المجاورة لمدينة طرابلس، وهو بالتأكيد غير (رأس العين) المشهور في الجزيرة الفراتية الخاضع في هذه المرحلة لسيطرة التتار، فالمفهوم من كلام المؤرخ أنه قريب من طرابلس. الباحث.

^(٣) في الأصل: الزركاش، وهو: الأمير عز الدين أيدير الزردكاش، من أمراء دمشق، والأفرم متزوج ابنته، انسحب مع الأفرم وقراسنقر إلى بلاد التتار فأقطعه خربندا نهاوند. الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٦٥٦، والوافي، ج ٢٤، ص ١٦٣.

^(٤) بلبان: الأمير سيف الدين بلبان، والي قلعة دمشق. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٤.

^(٥) بيسري الحسامي. في: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٤. الأمير بدر الدين، بيسري الحسامي، أحد أمراء العشرات بدمشق، في: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٨٨.

^(٦) في الأصل: كانت. والتصحيح لاكتمال المعنى.

^(٧) بكنمر الجمدار الناصري. في: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٠. والجمدار: لقب لموظف من أمراء الطبلخاناه، يتصل عمله بالناية بخزانة ملابس السلطان أو الملك، والباسه الثياب الخاصة بكل مناسبة. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٣١. دهمان: معجم الألفاظ، ص ٥٤. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ١٢٦.

^(٨) في الأصل: فلتجمع. والتصحيح لاكتمال المعنى.

^(٩) عسكر السلطان الناصر محمد بن قلاوون. الباحث.

^(١٠) الرحبة: مدينة غرب الفرات بين الرقة وعانة، وتدعى رحبة مالك بن طوق بن عتاب التغلبي. الحموي: البلدان، =

والخلع، فوصلوا إليه فأكرمهم، وأعطى جمال الدين آقوش الأفرم همدان^(١) فتوجه إليها، ولم يزل بها حتى مات، وأقام قراسنقر عند التتار إلى أن مات في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة^(٢) كما [سندكره]^(٣) إن شاء الله تعالى.

وذكر في كتاب سيرة الناصر: أن قراسنقر طلب مماليكه وقال لهم: إني بقيت رجلاً كبيراً، والله تعالى يعلم ما بقي من عمري، وقد عولت أن أسير إلى بيت الله الحرام، وأزور قبر نبيه محمد سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، فإن شاء الله تعالى أجاور في بقية عمري عند ضريح / ٢٨٤ / النبي عليه السلام، فتجهزوا، ثم كتب كتاباً إلى السلطان يستأذنه إلى الحجاز الشريف، و[يشاوره]^(٤) على من يكون النائب مكانه إلى حين يجيء، وأرسل الكتاب مع مملوكه مغلطاي الخطاي، فلما وصل إلى مصر وتمثل بين يدي السلطان، باس الأرض وناولته الكتاب، فلما قرأه السلطان، قال لمغلطاي: لم ما أعلمني من قبل هذه الأيام حتى كنت أجهز جميع ما يحتاج إليه، وأقمت بواجب حقه؟ لأن الأمير شمس الدين عندي في منزلة الملك المنصور^(٥)، فباس مغلطاي الأرض ودعا له، فأمره السلطان بالانصراف إلى حين يكتب جوابه. وفي تلك الليلة طلب السلطان نائبه بيبرس الخطاي^(٦)، وقال: غداً أطلب لي الجمالين الجادة إلى الحجاز، وتخليهم أن يحملوا إلى مكة [شرفها]^(٧) الله، ألف إردب^(٨) شعير ومائة قنطار^(٩)

=مج ٣، ص ٣٤. الحميري: الروض المعطار، ص ٢٦٨.

^(١) همدان: مدينة في إيران، وهي مدينة (أكيتان) القديمة، تقع شمال غرب الري وأصفهان، جنوب غرب طهران، فتحها بدليل بن عبدالله بن وراق سنة ٢٣هـ/ ٦٤٥م، فيها قبر ابن سينا. اليعقوبي: البلدان، ص ٨٢. ابن عبد الحق: مرصده،

مج ٣، ص ١٤٦٤. القزويني: آثار البلاد، ص ٤٨٣. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ٤١٠.

^(٢) يوافق أولها الأحد ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٣٢٧م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٧٥٨.

^(٣) في الأصل: سيذكره.

^(٤) في الأصل: نشاوره.

^(٥) يقصد والده السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالح النجمي، تولى السلطنة بعد سلامش بن الظاهر بيبرس سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م، وحكم لمدة ١٢ سنة، توفي سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م، ومولده في بلاد القبحاق على

البحر الأسود. الصفدي: الوافي، ج ٢٤، ص ١٩٩. الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ٢٠٣.

^(٦) بيبرس المنصوري الخطائي سبقت ترجمته ص ٩١.

^(٧) في الأصل: شرف.

^(٨) إردب: مكيال لتقدير الحبوب، يسع أربعة وعشرين صاعاً، ويزن ٤١، ٤٧٢ كغ. المقرئ: النقود الإسلامية، تح: محمد بحر العلوم، دار الزهراء، ط ٦، بيروت، ١٩٨٨م، ص ١٦٣. رمضان، حميد: الأوزان والمقاييس والمكاييل عند

العرب والمسلمين، دار الملاح، ط ١، دمشق، ٢٠٠٠م، ص ٥. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٨٣.

^(٩) قنطار: معيار يختلف وزنه حسب الأمكنة والأزمنة، فهو ١٠٠ رطل في مصر، ويعادل ٤٤، ٩٢٨ كغ. رمضان:

الأوزان، ص ٨٦. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٣، ص ١٨٦٣.

بقسماط^(١)، وألف علبة حلاوة، وأن يُشترى هناك خمسمائة رأس غنم لأجل قراسنقر، ثم أرسل البريدي إلى الكرك، وأمر لنائبها بأن ينزل لقراسنقر، ويُرسَل له: ألف إردب شعير وخمسمائة رأس غنم، وأن يُجهز له الإقامة^(٢) في المنازل، ثم طلب مملوكه وكتب جواب كتاب قراسنقر يقول فيه: والله لقد عتبت على الوالد كيف أنه ما أعلمني من قبل، وربما كنت أنا أيضاً توجهت إلى الحج، وكنا نقضي الفرض جميعاً، وأنت تعرف علو منزلتك عندي، والإذن معك وأي من أردت / ٢٨٥ / أنت عيّن لنيابة الغيبة^(٣) إلى حضورك، لأنك تعلم بأن حلب هي لك ما لأحد فيها حكم.

وذكر أيضاً أنه أرسل لأجله إلى مكة^(٤) كذا وكذا، وأمر من الكرك أيضاً، وخلع على مملوكه خلعة هائلة، وسير معه لقراسنقر أيضاً خلعة كاملة، فلما وصل إلى أستاذه وقرأ قراسنقر الكتاب، قال: الله يكفيننا شر هذا العطاء، ثم إن قراسنقر عاد إلى مكره وخداعه، وقال: قل للذي يدعي علم الفلسفة: حسبت شيئاً وغابت عنك أشياء، إن كان [في]^(٥) خاطر الملك الناصر شيء لأجلني، وأذن لي أن أدخل البلاد ليتمكن مني مثل ما يريد، فقد فرطت أنا في روحي، على أي أدعي أي أدري أهل الأرض وأمكر من كل ماكر.

ثم كتب كتاباً إلى السلطان، يقول فيه: أقل المماليك قراسنقر المنصوري الناصري لما أتى إليه المثال^(٦) الشريف قبله قائماً، وقابله لاثماً، وأثنى بالشكر لله على ذلك دائماً، وإن المملوك يسأل من

(١) بُقسماط: أو بُقسُمات، نوع من الخبز، يخبز ويخفف ويستعمل أثناء الطوارئ حين لا يتوفر الرغيف الطازج، خبزٌ محمص. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٨٢-٨٣. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٢٣١.

(٢) الإقامة: هي مظاهر الزينة التي كانوا يقومون بها للاحتفال بمرور موكب الملك أو الأمير وذلك إعراباً عن البهجة وحسن الاستقبال. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٣٧.

(٣) نيابة الغيبة: وظيفة من وظائف أرباب السيوف، يتقلدها أحد الحجاب من مرتبة مقدم ألف، يقوم مقام نائب السلطنة إذا غاب في مهمة أو صيد أو غير ذلك، وإليه ترد المراسيم السلطانية بقبض نائب السلطنة إذا أراد السلطان، ويتصدى لحال البلد على أن يقام لها نائب. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٢٥.

(٤) مكة: مدينة تقع في أقصى غرب الحجاز، بها المقدسات الإسلامية: بيت الله الحرام، منى، مزدلفة، عرفات، أخصها الله سبحانه وتعالى بالتكريم عبر العصور، هي مسقط رأس النبي محمد ﷺ، يقصدها ملايين الحجاج كل عام لآداء فريضة الحج، وكان بناء بيت الله الحرام العامل الرئيسي لقيام مكة. الكرخي: المسالك، ص ١٥. القزويني: آثار البلاد، ص ١١٢. المقدسي، محمد بن أحمد ت: ٣٨٠هـ / ٩٩٠م: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، ط ٣، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٧١. سيشار إليه بـ المقدسي: التقاسيم. الحميري: الروض المعطار، ص ٩٣. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ١٨١.

(٥) إضافة لاستكمال المعنى.

(٦) المثال: أوراق رسمية تحول الحاصلين عليها حياة الإقطاع والتصرف به، وهو أمر دون الفرمان والمنشور. دهمان: معجم الألفاظ، ص ١٣٥. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٣٨٧.

الصدقات الشريفة [مرسوماً]^(١) شريفاً بأن لا يدخل إلى دمشق، لأن أهلها حين خرج المملوك من بينهم سبوه، وشتموه، ولولا خوفهم من سطوة السلطان رجموه، وربما إذا دخلت إليها، فأهلها يُسمعونني ما لا أريده، وقد شملت المملوك الصدقات الشريفة]^(٢) فيكون تمامها أن يروح [إلى]^(٣) البرية، ولا يخرج إلا من الكرك.

فلما وصل كتابه إلى السلطان، ردَّ إليه الجواب: بأن البلاد كلها في تصرفك وتحت حكمك، أينما أردت توجه، فلما أتى إليه الجواب فرح فرحاً شديداً، واهتم في أمره، وتجهز هو ومماليكه، وتجهز معه أكثر أهل حلب، ثم كتب كتاباً إلى مهني يُعلمه أنه قصد سفر الحجاز، وسأله أن يُرسل إليه ابنه /٢٨٦/ [سليمان]^(٤)، ليكون معه، فلما وصل الكتاب إلى مهني، أرسل إليه ابنه مع جماعة من العريان، فأُنزلهم قراسنقر في الميدان، ورتب لهم ما يكفيهم طول إقامتهم، ثم خرج قراسنقر من حلب في الثاني عشر من شوال من هذه السنة، وقيل من سنة اثني عشر.

قال الراوي: وخرج في زي عظيم عجيب، حتى قال أهل حلب: [هذه]^(٥) نهاية قراسنقر بالعجب، إن كان يرد إلى حلب بعد ذلك، وكان أخرج معه مخملاً^(٦) أصفر، وعليه رصافيّة^(٧) من

(١) المرسوم: هو أمر الأمير أو السلطان وبخاصة إذا كان مكتوباً. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٥، ص ١٤٠.

(٢) كُتِبَ بهامش الأصل، وأشار الناسخ إلى موضعه في المتن.

(٣) في الأصل: على.

(٤) في الأصل: مكتوبة خارج النص في نهاية الصفحة.

(٥) في الأصل: هذا.

(٦) المحمّل: هو محمل الحج، وهو آلة تحمل على ظهر الجمل كالهودج، وعليه غشاء من حرير أطلس أصفر، في أعلاه قبة فضية وعلم، يُزَيَّن بالذهب والجواهر ويُزخرف بالآيات القرآنية، ويحوي هذا المحمل أستار الكعبة المشرفة (الكسوة) وهدايا ذات قيمة عالية للحرمين الشريفين وصرة سلطانية كبيرة (كمية من المال) تحتوي على قطع ذهبية كثيرة ومجوهرات كريمة، توزع على أهل الحجاز، وتُصرف على إصلاح طرق الحج وموارد الماء وإعمار المرافق في مكة والمدينة، وأول من أمر بتجهيزه الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م، واستمر العمل به إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، نتيجة الخلاف بين الحكومتين المصرية والسعودية، بسبب ما كان يرافق المحمل من مظاهر تتعارض وروح العقيدة الإسلامية كالعزف الموسيقي، وأعمال الرقص التي يقوم بها الجذب والدرايش. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ١٤٥ و ج ٤، ص ٥٩. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٣٩٠. الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية، ط ١، ٢٠٠٧م، مج ١٨، ص ١٠٧.

(٧) الرصافيّة: قلنسوة عالية، كالطاقية، وتسمى الطويلة كان يعتمرها الخلفاء العباسيون، وغيرهم. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٥، ص ١٤٥. دوزي: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، تر: أكرم فاضل، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، الرباط، د.ت، ص ٤٧.

الذهب وقد رُصعت بالفصوص، وهو على جمل بُحْتِي^(١) في رقبته قلائد الذهب والفضة، وفي رجليه خلاخيل^(٢) الذهب، وحوله جملة كجاوات^(٣) من الأطلس^(٤) المختلفة الألوان، وخرج هو في سبعمائة مملوك غائصين في حديد، ورُفعت العصائب^(٥) على رأسه، ودُقَّت الكوسات^(٦)، ورُفعت البُوقات، واستناب مملوكه جركس وأوصاه بأن لا يقطع كتبه عنه مع النَّجابة^(٧)، ويطالعه الأخبار ساعة بساعة، ولا يخرج من حلب، ثم سار بمن معه من منازل البرية، والعرب أدلاؤه في الطرقات، فما خرجوا به إلا من تحت صلخد^(٨)، ثم ساروا حتى انتهوا إلى زيزاء^(٩)، فاجتمع بركب دمشق، وكان أمير الحاج للركب الشامي: طيغا قراباش أخو بهادر آص، فلاقى قراسنقر وسار معه في خدمته حتى نزل في خيمه، وما استقر به النزول حتى جاءت إليه من الكرك الأغنام /٢٨٧/ والشعير. وكان قراسنقر لما نزل بالركب على زيزاء، أمر لمماليكه أن لا ينزلوا مع الركب ولا يخلوا أحداً منهم ينزل بينهم، ولا يدخل بينهم غريب، فنزلوا على جانب من الركب، ولم يزل طيغا أمير الركب الشامي معه إلى نصف الليل، فخلع عليه قراسنقر، ثم

(١) البُحْت: الإبل الخراسانية التي تنتج من عربية وفالج، والفالج البعير ذو السنامين. الجاحظ، عمرو بن بحر: ٢٥٥هـ / ٨٦٩م: الحيوان، دار الكتب العلمية، ط ٢، بيروت، ٢٠٠٣م، حاشية ٩، ج ٥، ص ٢٤٤. النويري: نهاية الأرب، ج ١٠، ص ١١٠. ابن منظور: لسان، ج ٢، ص ٩.

(٢) خلاخيل: مفردها خلخال وهو حلية من فضة كالسوار تحلي المرأة بها رجليها، تلبس فوق كعب القدم. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٦٧٦.

(٣) كجاوة: نوع من الرحال والأقتاب، يتكون من مقعدين صغيرين معلقين على جانبي أي دابة من دواب الحمل، واللفظ فارسي بمعنى هودج. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٧، ص ٤١٠.

(٤) الأطلس: الحرير السادة بدون نقوش. الزبيدي: تاج، ج ١٦، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٥) العصائب: جمع عصابة، وهي راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٧.

(٦) الكوسات: صنوج من نحاس تشبه الترس الصغير، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصص. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٨.

(٧) النَّجَاب: هو راكب النجيب من الإبل (القوي منها والخفيف والسريع)، مهمته نقل الرسائل وتبليغها لأصحابها. ابن منظور: لسان، ج ١، ص ٧٤٨.

(٨) صلخد: أو صرخد، بلد ملاصق لبلاد حوران، وهي ذات قلعة مرتفعة حصينة، وولاية حسنة، واليوم هي بلدة في محافظة السويداء جنوب القطر العربي السوري، تبعد عن السويداء ٣٠ كم، وعن دمشق ١٣٧ كم. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ٨٣٨. البكري، عبدالله بن عبد العزيز ت: ٨٧٤هـ / ١٠٩٤م: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، ط ٣، بيروت، ١٩٨٢م، ج ٣، ص ٨٣١. سُبشار إليه ب البكري: معجم. الحموي: البلدان، مج ٣، ص ٤٠١. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، مركز الدراسات العسكرية في دمشق، ط ١، ١٩٩٢م، مج ٤، ص ١٤٢.

(٩) زيزاء: من قرى البلقاء، كبيرة يطؤها الحاج ويقام لهم بها سوق، وفيها بركة عظيمة. الحموي: البلدان، مج ٣، ص ١٦٣.

أمره بالانصراف فانصرف، وأقاموا هناك ثلاثة أيام، ومن الليلة الرابعة، حرك قراسنقر كوساته ورحل، فرحل طيغاً خلفه، وكل منزلة ينزلها قراسنقر يجد فيها الإقامة من الكرك، وكذا لما نزل على الكرك بعث له النائب شيئاً كثيراً، وأعلمه بأنه سيّر إلى معان^(١) خمسمائة إردب شعير، وكان قراسنقر دائماً يقول: اللهم اعطنا خير هذا العطاء، واكفنا شره.

ولما نزل قراسنقر على معان وصل إليه بُحَّابان من مصر، من عند ابنه، ومعهما كتاب، فلما قرأه تغير لونه، فقال: الله أكبر، والله حسبت هذا الحساب، ثم اختلى بمماليكه الذين يعتمد عليهم، فقال له مملوكه بنجار: رأيت وجهكم قد تغير حين قرأت الكتاب؟ فقال: حتى أقرأه عليكم، فإذا فيه: ساعة وقوفك على الكتاب، احذر على روحك غاية الحذر، واعلم بأن السلطان قد جهز أرغون الدوادار ومعه: قرا لاجين،^(٢) ولاجين الزيرباج،^(٣) وجنكلي بن البابا،^(٤) ومعهم جماعة من الفرسان أكثر من ألفي نفس / ٢٨٨ /، وأمرهم أن يروحوا إلى غزة، فإذا خرجت إلى البر يسيرون إلى الكرك، ويتوجهون خلفك، وجرّد أيضاً أمير [حُسين بن جندر]^(٥)، والأمير قلبي^(٦) ومعهم عسكر أكثر من ألفي نفس، وأمرهم بأن يسيروا ويلاقوك من طريق المدينة النبوية، فاحذر كل الحذر.

قال الراوي: فلما سمع مماليكه ذلك الكلام بهتوا وشخصوا، فقال لهم قراسنقر: ذللتُم يا مخانثة، الله يدري أصحيح هذا أم كذب؟ فإذا كان صحيحاً هل يتلاقون معنا أم لا؟ فلعن الله من يرجوا منكم خيراً يوم الشدة، ثم إنه أمر لهم أن يردوا ما معهم من الأثقال ولا يخلوا معهم غير نصف الزاد، ثم طلب

(١) معان: مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز، منها ينزل ركب الحج الشامي إلى البر. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٣، ص ١٢٨٧. الحميري: الروض المعطار، ص ٥٥٥. الحموي: البلدان، مج ٣، ص ١٦٣.

(٢) قرا لاجين: الأمير حسام الدين قرا لاجين المنصوري الأستاذار، توفي سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥م. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٢٥، المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٣، ٤٧٤، ٥١٢.

(٣) لاجين: الأمير حسام الدين لاجين المنصوري الجاشنكير، المعروف بالزيرباج، أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية. اعتقله السلطان سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م، وأفرج عنه سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ١٨٠. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٩. المقرئ: السلوك، ج ٣، ص ١١٠.

(٤) جنكلي: الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا، من كبراء أمراء الدولة الناصرية ورأس الميمنة بعد الأمير آقوش نائب الكرك، توفي بالقاهرة سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م. الصفدي: الوافي، ج ١١، ص ١٥٤. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٥، ص ٢٢.

(٥) في الأصل: حسين بن جندار، وهو: الأمير شرف الدين حسين بن جندر الرومي، أحد الأمراء المقرئين من الملك الناصر محمد وموضع سره، توفي بالقاهرة سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م. الصفدي: الوافي، ج ١٢، ص ٢١٥. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٣.

(٦) قلبي: الأمير سيف الدين قلبي السلاح دار، توفي سنة ٧١٧هـ / ١٣١٧م. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٣، ٥٢٧.

سليمان بن مهنى، وقال له: يا سليمان جرى كذا وكذا، وأوقفه على الكتاب، فقال له سليمان: على ماذا عولت يا أمير؟ فقال: يا سليمان أنا ما اخترتك معي إلا لعلمي بغزارة مروءتك وزيادة كرمك وشدة شجاعتك، ومثلك لا يضيع نزيله، ولا يُحَيَّب سائله، وأنا اليوم صرت من أُلزامك ومن جملة نزلائك، فقم معي قومة الرجال ولا تخلّ يتحدث فيك الأردال.

فلما سمع سليمان بذلك انتحى وهزته أريجية المروءة وطبع العرب، فقال: يا أمير شمس الدين، طيب قلبك واشرح صدرك، فها نحن بين يديك، والله، ما يصيبك إلا ما يصيبنا، ولكن أخبرنا على ماذا عولت؟ فقال له: /٢٨٩/ أعلم أن معنا الحریم والعيال والأحمال والأثقال في هذه البراري، وليس من المروءة أن نضيعهم، فنرجع بهم، وأنت قدامنا في البراري حتى نصل إلى حلب، فإذا وصلنا نرى هناك رأياً آخر مما قدره الله تعالى، فقال سليمان: نعم ما رأيت، وما أصبح الصباح حتى شالوا الأحمال، وحملوا الجِمال، وساروا وسليمان أمامهم.

ثم إن قراسنقر [أخذ]^(١) يتذكر ما جرى عليه، وتفيض عيناه بالدموع وينشد ويقول:

وقامَ الحربُ ملاً العيانَ	إذا ثارَ الغبارُ إلى العنانِ
يكفُ ^(٢) همامها البطلُ المدانِ ^(٣)	وأبرقتِ الصوارمُ مشهراتٍ
كؤوسُ الموتِ يا بئسَ الأواني	ودارتِ منَ الأكفِ على البرايا
أقْدُ الرؤوسَ ضرباً باليماني	هناكَ ترى مني صبراً جميلاً
أنا قُطِبُ الرّحى أبو المغاني	وإن دارتِ رَحى الموتِ يوماً
عليّ كُثْرُ الخطوبِ وإنْ دهاني /٢٩٠/	حلفتُ وليَ جناناً لا يُيالي
ولي جَلَدٌ على رَيبِ الزّمانِ	ولي قلبٌ صبورٌ على الرّزايا
وأخولُ لهاكلَ اللسانِ	وكم من شدةٍ ورخاءٍ وضيقٍ
ودلّت من حُسامي مع سِناني	صبرتُ لها فوّلتُ عندَ صبري
وأمرأءُ آلِ فضلٍ يُعضّدانِ	فكيف أخشى منَ الأيامِ ريباً
برامكةٍ علوا يومَ الطعانِ	غطارفةٌ سموا للعزِ قادة
إليك وقد دهاني ما دهانِ	أبا موسى مهنى قد لجأنا

(١) إضافة لاستكمال المعنى.

(٢) يكفُ: كفَّ الله أذاه: رَدَّه، صَرَفَه، مَنَعَه (عَسَى اللهُ أَنْ يَكْفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا) سورة النساء، الآية ٨٤. والمراد في النص الرد والمنع. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٣، ص ١٩٤٤.

(٣) المدان: الماء الشديد الملوحة، والمراد في النص البطل الصبور. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، د.ت، ج ٢، ص ٨٥٨. سيشار إليه بـ مجمع اللغة: المعجم الوسيط.

وإني واثقٌ منكم بحبلٍ
فكن لي عنده حصناً حصيناً

متينٌ لا يُرثُ^(١) له مباني
فليني في ذمامك في أمان^(٢)

قال الراوي: فلما سمع سليمان ذلك من قراسنقر، طرب واهتز على ظهر حصانه، وأنشد يقول:

ألا يا صاح دُعِ ذكرَ المغاني / ٢٩١/
ولهُوَ العيشُ مع بيضٍ وغيدٍ
ألا يا آلَ فضلٍ يا عوادي
أجيبوا للنداءِ بكلِّ فحلٍ
وكلُّ سَمِيدٍ^(٣) شهِمِ همامٍ
أنا ليثُ الحروبِ أبو المعالي
إذا ثارَ الغبارُ من السعالي
هناك تَرى ليشاً عبوساً
بسيفٍ كان لي في عهدٍ عادٍ
وتبصرَ موقفي في كلِّ أرضٍ
مهني كن لنا ظهراً وحصناً
إذا جئنا نزلنا منك أرضاً

وكاساتِ المثالِ والمثاني
تعرقُ الشمسُ حسناً مع معاني
أيا عوناً على ريبِ الزمانِ
متينِ المتنِ مُعتدِّ حصانِ
غضنفرٍ بأسلِ ضخمِ اليدانِ
سليمانَ غداً تنظرُ طعاني
وطارَ الشُّهُبِ من تحتِ اليدانِ
أوافيها ولو قطعْتَ يَماني
صقيل^(٤) المتنِ أخضرَ هندواني
صديقي مع عدوي يشهداني / ٢٩٢/
فنحنُ إليك نسعى لاستماني^(٥)
فشمسُ الدينِ يصبحُ في أمان^(٦)

قال الراوي: فلما سمع قراسنقر ذلك من سليمان شكره ودعا له، فقال له سليمان: يا أمير
شمس الدين، طيب قلبك واشرح صدرك، ما بقي ينالك مكروه ها نحن لك وبين يديك، وأنت تعلم
إش^(٧) بينك وبين مهني من الصداقة والمودة، فقال قراسنقر: صدقت، ولكن أخاف أن الصداقة في ذلك
الزمان كانت وأنا مالك البلاد؟ فقال سليمان: دع عنك هذا المقال، والله لو أعطي مهني ملؤ الدنيا ذهباً
على أن يتركك لما تركك، ولا يتخلى عنك.

(١) يُرثُ: رثَ الثوبُ: بلي، لا يُرثُ: لا يبلى. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٢، ص ٨٥٦.

(٢) البحر الوافر: بحور الشعر وافرها جميل مفاعلتن مفاعلتن فعولن.

(٣) سَمِيد: السيد الكريم الشجاع والجميل الجسم موطأ الأكناف، والأكناف هي النواحي. ابن منظور: لسان، ج ٨، ص ١٦٨.

(٤) صقيل: قاطع لاعم. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٢، ص ١٣٠٩.

(٥) أي لطلب الأمان (للاستئمان). الباحث.

(٦) البحر الوافر.

(٧) هكذا بالأصل والمقصود: ما أو ماذا؟ وهو لفظ شائع عند العرب قديماً، وورد في العديد من كتب المؤرخين. الباحث.

ثم إنهم جدوا في السير ليلاً ونهاراً، حتى قطعوا البراري من بين الرحبة وتدمر^(١) على قرية يقال لها أريكة، فنزلوا عليها يومين، واستراحوا، ورحلوا في اليوم الثالث طالبين حلب. وشاعت الأخبار برجوع قراسنقر، وسمع السلطان بذلك، فأرسل البريدي في الحال إلى حلب، وعلى يده كتاب للأمير قرطاي الحاجب ولبقية الأمراء بحلب، يقول: إن كان يجيء إليكم قراسنقر، فلا تمكنوه من العبور إلى حلب،/٢٩٣/ فلما وقفوا على كتب السلطان احترزوا وتأهبوا، ومسك قرطاي نائب قراسنقر الذي استنابه في حلب، وهو مملوكه جركس، كما ذكرنا، وحبسه في قلعتها. وأقاموا ينتظرون قدوم قراسنقر، فإذا به وقد قدم ومعه مماليكه وحاشيته كلهم مُلبسُونَ^(٢)، وخرج أمراء حلب بعسكرها، ولما وقعت العين على العين، أرسل قرطاي الحاجب يقول لقراسنقر: مالك عبور إلينا، لأنك خرجت على أنك تروح إلى الحجاز، ثم رجعت، فلا ندري هل رجعت بمرسوم السلطان أم لا؟ ولا نمكنك من الدخول إلا بمرسوم السلطان، فقال قراسنقر: حباً وكرامة، فأنا أنزل على حيلان^(٣) وأرسل إلى السلطان ليرسل مرسوماً بذلك، فخلوا حريمي يدخل حلب، فخلوا الحريم، فدخلوا الدور، وأقام قراسنقر على حيلان، وهي قرية بالقرب من حلب من ناحية الشمال، والقناة التي تعبر حلب تجوز عليها، وخيولهم تَلَفَتْ جداً من كثرة السَّوق وبُعد المسافة.

وكان قراسنقر لما خرج من حلب خَلَّى جملة خيل على القصيل^(٤)، وهو ربيع حلب، وكانت قد سمنت من أكل القصيل والراحة، فقال لأصحابه: أبصروا كيف تعملون حتى تجيئوا لنا هذه الخيل، فقالوا: كيف الوصول إليها؟ وهي في داخل حلب، وبعضها في بستان /٢٩٤/ السلطان، وقرطاي كل ليلة يُبَيِّت عليها حُرَّاساً، فقال رجل منهم، من أهل النجدة والقوة يسمى عثمان بن قرا علام: أما التي في

(١) تدمر: مدينة قديمة مشهورة في بركة الشام، بينها وبين حلب خمسة أيام، أبنيتها عجبية موضوعة على أعمدة رخامية، فتحت صلحاً على يد خالد بن الوليد حين مر بها في طريقه من العراق إلى الشام سنة ١٤هـ/٦٣٦م. القزويني: آثار البلاد، ج ١، ص ١٦٩. البكري: معجم، ج ١، ص ٣٠٦. الحميري: الروض المعطار، ص ١٣١. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ١٧.

(٢) مُلبسُونَ: أي يرتدون أسلحتهم.

(٣) حيلان: من قرى حلب الشمالية، تخرج منها عيون فوارة، كثيرة الماء تسيح إلى حلب تدعى: قناة حلب، يجري ماؤها إلى حلب فيسقي البساتين ويتفرع ضمن قنوات صغيرة إلى الدور والجوامع، وينتهي إلى بانقوسا. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ٤٤٢. الغزي: نهر الذهب، ج ١، ص ٦١. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٣٣٢.

(٤) القصيل: ما اقتطع من الزرع لعلف الدابة، وهو الشعير يُزرع في فصل الخريف ويقطع وهو أخضر ليقدم علناً للخيول. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٨، ص ٢٩٧.

البستان فأنا أجيبها الليلة، وكانت مائة فرس، فلما جن الليل^(١) أخذ معه عشر مماليك وسار يطلب البستان حتى وصل إليه، وإذا بالبيّاتة^(٢) على الباب، وهم مقدار عشرين رجلاً، من حلقة حلب^(٣)، فخلّاهم عثمان ودار إلى خلف البستان، وأخرب موضعاً من الحائط، وعبروا على السّواس^(٤) بقدمهم، فقاموا وأخرجوا الخيل كلها من ذلك الموضع، وساروا بها إلى قراسنقر، فلما رأهم قراسنقر فرح فرحاً شديداً، وقال: كُنّا رجالة [قلّماً]^(٥) ركبنا الخيل، وأخبره السّواس وأمير آخوره بما جرى في حلب، وأن جركس مملوك ملك الأمراء محبوس في القلعة.

وكان سليمان بن مهني سار إلى أبيه يطلبه وكان على الجبّول^(٦)، ثم إن قراسنقر جمع مماليكه وقال لهم: إني غداً أريد أن أهاجم على حلب، فإن ظفرت بما أريد فيها، وإن جاء عسكر دمشق، أو تجريدة^(٧) من مصر، دخلت البرية مع العرب، فقال مماليكه: كيف تعمل بعسكر حلب وهم أيضاً كثير؟ فقال قراسنقر: أكثرهم ما يقاتلون، فأجناد الحلقة لا يقاتلون، ولا يقاتل منهم إلا الأمراء وأنتم كفؤ لهم. ولما أصبحوا ركب قراسنقر /٢٩٥/ ومعه مقدار سبعمئة مملوك من الذين كانوا معه في السفر، ومن الذين اجتمعوا حوله حين قدم، وسمع الأمير قرطاي حاجب حلب بذلك، فركب وركب أمراء حلب بعسكرها، فلما تلاقوا صاح عليهم قراسنقر وقال لهم: يا طناجرة^(٨) مسكتكم مملوكي وكسرتم حرمتي، فيأش جرى؟ [أنا]^(٩) عاصي للسلطان حتى فعلتم ما فعلتم؟ ثم حمل عليهم حملة من أيس من الحياة، فتقلعوا

(١) جنّ الليل: اشتد ظلامه. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٤٠٧.

(٢) بيّاتة: مفرداها بئث، وهو الجندي أو الشرطي الذي يتولى الحراسة ليلاً. دوزي: تكملة المعاجم، ج ١، ص ٤٩٦.

(٣) حلقة حلب: أي أجناد حلقة حلب، وأجناد الحلقة هم: طائفة من الجيش المملوكي، يخدمون في الجيش مقابل أخذ الإقطاعات، ولكل أربعين جندياً منهم مقدم منهم ليس له سلطة عليهم إلا في القتال، حيث ينظمهم في مواقعهم، ويتوزعون على النيابات في الدولة. المقرئ: الخطط، مج ١، ص ١٨٧. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٦.

(٤) السّواس: أو السائس وهو من يقوم على خدمة الخيل. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ١٢٠. ابن منظور: لسان، ج ٦، ص ١٠٨.

(٥) في الأصل: فلما، والتصحيح للسياق.

(٦) الجبّول: قرية كبيرة إلى جنب ملاحه حلب التي يصب فيها نهر الذهب، حيث يجمد فيها ويصير ملح أبيض، يحمل إلى كثير من بلدان الشام والجزيرة. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ٣١٣. الغزي: نهر الذهب، ج ١، ص ٥١. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ١٠٧. كرد علي: خطط الشام، ج ٤، ص ١٦٣.

(٧) التجريدة أو الجريدة: هم فرقة من العسكر الخيالة دون الرجالة، والمقصود فيها سير الجنود على وجه السرعة دون أثقال أو حشد. دهمان: معجم الألفاظ، ص ٤٢.

(٨) طناجرة: مفرداها طنجير، وهي كناية عن الجبان اللئيم. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٧، ص ٨٢.

(٩) في الأصل: أنا، والإضافة لاستكمال صيغة السؤال.

من بين يديه إلى قريب القلعة، ثم أرسل إليهم ناصر الدين الدوادار يقول لهم: أقسم بالله العظيم، لئن لم تطلقوا مملوكي جركس ولم تسلموا لي بقية خيلي وجمالي التي في حلب نُهبت حلب وأحرقته، ولا أبالي، فلما سمع الأمراء بذلك قالوا لقرطاي: ما كان القبض على مملوكه بمصلحة، فقال قرطاي: قد كان ذلك، وإن لم يرجع إلى أن يجيء مرسوم السلطان قاتلناه، فقال له جمال الدين بن قرا علي: يا أمير بمن نقاتل؟ وهو نار محرقة، والله، يقاتل معك واحد وعشرة ما تقاتل، فقالت بقية الأمراء: صدق والله جمال الدين، فطلب قرطاي الحاجب قضاة حلب وأكابرهما، فأرسلهم إلى قراسنقر ليرجعوه عما هو فيه، فجاءوا إليه، وقال لهم قراسنقر: لماذا جئتم؟ فقالوا: يا مولانا شمس الدين، نسألك لوجه الله تعالى أن ترحم هؤلاء المساكين وترجع /٢٩٦/ عنهم، فإن الذي تفعل، فيه خراب المملكة وفساد بين الخلق وسفك الدماء، وحاشا منك أن تكون سبباً لهذه الأشياء، ولا يخفى عليك أن في حلب طوائف مُجمّعة وفيهم أكراد^(١)، فنخاف إذا وقع القتال ينهب هؤلاء المدينة فيحصل الفساد في حريم الناس، فقال لهم قراسنقر: ما أقل عقولكم، فأخلى مملوكي في الحبس من غير ذنب وأترك أموالي وأروح بغيرهم لأجلكم! فوالله العظيم، لئن لم يطلقوا مملوكي ومالي لدخلت في دماء أهل حلب، فعادوا وأخبروا قرطاي بذلك، فقال: ما أقدر على إطلاق مملوكه إلا بمرسوم السلطان.

وهم قراسنقر بالحملة عليهم ولكن ما منعه من ذلك إلا غبار شديد ثار عليهم من جهة جبّول، فأنكشف الغبار عن جماعة من الفرسان وهم عرب مهني ملك العرب، ومهني قدامهم ومعه إخوته، ولما رآه قراسنقر، أسرع إليه و[تصافح]^(٢) معه وهما على ظهر الخيل، فقال مهني: ما الخير؟ فحدثه قراسنقر بما جرى على مملوكه جركس، وكيف منعه أهل حلب عن الدخول إليها، ثم إن مهني قال لولده سليمان: اذهب إلى قرطاي وقل له: يقول لك مهني: أقسم بالله العظيم، لئن لم تُخرج كل شيء /٢٩٧/ للأمير شمس الدين قراسنقر وتطلق مملوكه تركت حلب كجوف حمار، فسار سليمان إلى قرطاي وبلغه ما قال له مهني، فقال له قرطاي: نحن قد فرحنا لما جاء أبوك، وقلنا إنه يرده عنا، وما هو إلا يقويه

(١) الأكراد: طائفة من الناس من بني إيران بن آشور بن سام بن نوح، ويعيش معظم الأكراد في المنطقة الجبلية الواقعة جنوب غرب آسيا، ومعظم الأكراد مسلمين سنيين، ويتحدثون اللغة الكردية التي هي إحدى اللغات الهندو أوروبية القريبة إلى حد كبير من الفارسية. وكان منهم بنو أيوب ملوك مصر بعد الفاطميين. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٤٢٣. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط ١، الرياض، ١٩٩٦م، ج ٢، ص ٤٣٩.

(٢) في الأصل: صافح.

علينا، ولما أبطأ سليمان على مهني أرسل أخاه فضلاً^(١) وقال له: قل لهذا النحس قرطاي: إن كان معه مرسوم السلطان بالقبض على مملوك الأمير قراسنقر يوقفنا عليه، وإلا يطلقه سريعاً، فسار فضل إليه وبلغه ما قال له مهني، قال: والله، ما جاءني مرسوم بذلك غير أنني قبضت عليه، ولا أقدر على إطلاقه إلا بمرسوم من السلطان، فقال له فضل: أخرجته وسلمه إليّ بالإشهاد بأنك سلّمته إلي، وكذا [خيله]^(٢) وقماشه، وكل شيء له، فقال له قاضي حلب: هذا هو المصلحة، فأنزلوا جركس من القلعة وكل من معه، وأخرجوا كل شيء لقراسنقر في حلب من الخيل والجمال.

ثم سار قراسنقر ومهني بمن معهما، ونزلوا على خيّلان، وتشاورا تلك الليلة، فقال قراسنقر لمهني: يا ملك العرب، أنت اليوم ملك العرب، وليس في الترك^(٣) ولا في العرب أكبر منك، ولا أدري بالأمر، وأنا ما بقي لي مقام مع السلطان الملك الناصر بعد أن جرى هذا الأمر، ولا بقيتُ آمن على روعي منه، وقد علمت /٢٩٨/ ما جرى على الذي قبلي، فقال له مهني: ماذا تريد تفعل؟ قال أعبر إلى بلاد التتار، وأجلب العساكر، وأقلع الملك منه، فقال له مهني: بئس الرأي، تبدل الإيمان بالكفر، فما الذي جرى عليك الآن؟ فلا تعرف رجوعك إلى حلب إلا منيّ، وفي هذه الساعة أكتب إلى السلطان فيك، ونجيب لك بكل ما تختار، فقال: يا ملك العرب، لا تفعل، لأنني ما بقيتُ آمناً على نفسي منه أبداً، لأنني رأيت كيف حلف لغيري، ثم أخذه، فقال مهني: أنا أقول لك شيئاً آخر، وهو أنني آخذ لك حلب وأتدرك أن لا يسيّر إليك تجريدة، وأنت تدرك بلاد حلب؟ فقال قراسنقر: رضيت بذلك، ولكن إذا جاء عليّ عسكر كثير فأذهب حينئذ إلى البلاد.

ثم إن مهني وقراسنقر تحالفا أن يكونا على قلب واحد في السراء والضراء. ثم في الحال طلب

(١) هو: الأمير شجاع الدين فضل بن عيسى بن مهني بن مانع بن حديثة، أخو الأمير حسام الدين مهني بن عيسى، تولى إمرة آل فضل سنين عديدة. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٤٤. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٢٧٠. المقرئزي: السلوك، ج ٢، ص ٥١٥.

(٢) في الأصل: خليه.

(٣) الترك: أمة قديمة من ولد يافث بن نوح وأبوه ترك، وقد خرجت القبائل التركية من جبال التائي وتفرقت في أنحاء آسيا العليا، وكان الفرس يسمون هذه البلاد توران، فكان اسم توران أو تورانية اسماً جنسياً للقبائل المتوحشة، وعند الفتح العربي لم تدع هذه القبائل إلا بعد طول حرب ومراس، وكان شأنهم أن لا يستعينوا برفيقهم في شيء مما يعانون من الغزو والفتوح. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٤٢٠. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ت: ٨٠٨ هـ/١٤٠٦ م: تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحادة، دار الفكر، ط ٢، بيروت، ١٩٨٨ م، مج ٢، ص ١١. الموسوعة العربية العالمية، ج ١، ص ١١١.

مهني ولده سليمان، وكتب [معروضاً وأرسله]^(١) معه إلى السلطان، وذكر فيه أحوال قراسنقر، وأنه كان رائجاً إلى بلاد العدو المخدول، وقد منعه عن ذلك، وضمنت له عن مولانا السلطان أنه يردّه إلى حلب كما كان، وسؤاله من الصدقات الشريفة أن لا يُرَدُّ ما سأله المملوك، لأن مولانا السلطان يعلم أني ما قصدت بهذا إلا خيراً لمولانا السلطان، ولبلاده، لأنه لو عبر إلى بلاد ٢٩٩/ التتار لكان يحصل منه فساد كثير، وربما كان يحصل إلى أمور لا يقدر عليها غيره، فمولانا السلطان، خَلَدَ الله ملكه، يعلم ما جرى على المسلمين في نوبة [قفحق]^(٢)، ولا شك أن قفحق ما يجيء قدر دَرَّة في قراسنقر، ولولا أني أدركته لفات الأمر، وكنا نتعب بعد ذلك. وهم في هذا، فإذا بقاصد قراسنقر قد وصل من دمشق وأخبر أن أرغون الدودار قد وصل إلى دمشق ونزل على القابون^(٣)، وقد تجرد معه أربعة آلاف فارس وهم طالبون [حلب]^(٤)، فقال قراسنقر لمهني: كيف ترى ما أقول لك؟ فقال: طيب قلبك فأنا ما أُخَلِّي أحداً منهم يتجاوز عن حمص حتى يجيء إلينا مرسوم من السلطان بما نعتد عليه، فركب قراسنقر من حلب ونزل على الباب^(٥)، ثم رحل من الباب، ونزل على بالس^(٦).

(١) إضافة لاستكمال المعنى.

(٢) في الأصل: قفحق، والتصحيح: هو الأمير سيف الدين قفحق أو قبحق المنصوري، نائب دمشق وحماة وحلب، أصله من المغل، تولى نيابة الشام في سلطنة لاجين سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م، هرب إلى التتار سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م، بعد أن أوقع بينه وبين لاجين فأقطعه ملك التتار (قازان) ولاية همذان، وعند دخول التتار بلاد الشام بعد وقعة وادي الخازندار سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م تولى نيابة دمشق للتتار، لكنه بعدها تصالح مع السلطنة في مصر وتولى نيابة الكرك، وفي سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م كان له الفضل الكبير في انتصار الجيش المملوكي في معركة شقحب ضد التتار، فأعطي بعدها نيابة حماة، وفي سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م انظم إلى الملك الناصر محمد عند عودته من الكرك إلى القاهرة فولاه الناصر نيابة حلب حيث بقي فيها إلى أن مات سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٦١-٧١. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ٢٨١-٢٨٣.

(٣) القابون: موضع بينه وبين دمشق ميل واحد في طريق القاصد إلى العراق، وهو المنطقة الواقعة في الطرف الشمالي من دمشق والشرقي من برزة، وهو اليوم أحد أحياء دمشق. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٢٩٠. الشهابي، قتيبة: معجم دمشق التاريخي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ١٠١. سيشار إليه بـ الشهابي: معجم.

(٤) إضافة لاستكمال سياق الحديث ومعناه.

(٥) الباب: يعرف بباب بزاعا: بليدة في طرف وادي بطنان من أعمال حلب، بينها وبين منبج نحو ميلين، وإلى حلب عشرة أميال. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ١٤٢. الحموي: البلدان، مج ١، ص ٣٠٣.

(٦) بالس: بلدة بالشام، بين حلب والرقّة، على ضفة الفرات الغربية، فلم يزل الفرات يشقّ عنها قليلاً قليلاً حتى صار بينهما أيام ياقوت الحموي المتوفي سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م أربعة أميال، أرسل إليها أبو عبيدة بن الجراح جيشاً بقيادة حبيب بن مسلمة ففتحها صلحاً، وتسمى اليوم مدينة (مسكنة) في سوريا. القزويني: آثار البلاد، ص ٣٠٦. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ١٥٦. الحموي: البلدان، مج ١، ص ٣٢٨. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، مج ٥، ص ٢٥٠.

وأما سليمان فإنه لما حضر بين يدي السلطان أعطاه [كتاب]^(١) والده، فقرأه وعلم ما فيه، فقال: ولأي معنى رجع قراسنقر من سفر الحجاز؟ وقد سَيرنا له الإقامات إلى المنازل، واحتفلنا له غاية الاحتفال؟ فباس سليمان الأرض، وقال: فكأنه توهم من العسكر الذي أخرجه مولانا السلطان مع أرغون الدودار فظن أنه لأجله، وداخله الخوف من السطوات الشريفة، ولولا مهني لكان قراسنقر الآن في بلاد ٣٠٠/ العدو، غير أنه قد عوقه وضمن له عن مولانا السلطان، فقال السلطان: هذا الذي توهمه قراسنقر قطّ ما مر بخاطري، ولكن لما سافر هو خفت على أطراف البلاد، فجردت أرغون إليها فيقيم بها إلى حين يقدم قراسنقر، وما عندي في أمراء مصر والشام أحدٌ أكبر منه عندي، فيرجع إلى حلب منشرج الصدر طيب خاطر منبسط الأمل، ثم أمر سليمان بالخروج.

وأما كتاب مهني لما وصل إلى أرغون فإنه قد تأخر عن حمص مثل ما أشار به مهني، ثم بعد خروج سليمان من مصر، قدم مملوك أرغون الدودار إلى مصر ومعه كتاب أرغون فيه: إننا لما وصلنا إلى حمص جاءنا كتاب مهني، يذكر فيه: إنك أي وقت تتحرك من حمص يهرب قراسنقر، ويذهب إلى بلاد العدو المخدول، فتأني فيه إلى أن يجيء مرسوم السلطان، فإني قد سَيرت إليه، وننظر بماذا يجيء الجواب فنعتمد نحن وأنت عليه. واليوم قراسنقر على الجزيرة المنسوبة للرقّة^(٢)، ولو تقدمنا يوماً واحداً قطع الفرات إلى برّ العدو، وأما مهني فإنه نازل على سلمية^(٣)، وأخوه فضل وولده موسى^(٤) عندي.

ولما وقف السلطان على كتابه، كتب جواب كتاب مهني: بأننا نحن نعلم ما أشار به الوالد من شفقتة على هذه ٣٠١/ الدولة، وأما ما ذكره من قراسنقر، فو الله العظيم، أنا ما عندي خبر من كل ما جرى، وما هذا الوهم الذي دار في قلبه؟ وما موجب هذا؟ وأنا ما أنسى خدمة قراسنقر لي، ولا في ممالكهم من هو خير منه عندي ولا أكبر منه، وحلب دُرِست^(٥) له، والذي جرى من قرطاي

(١) في الأصل: كتّا.

(٢) الرقة: مدينة مشهورة على الجانب الشرقي لنهر الفرات، بينها وبين حران ثلاثة أيام، يقال لها: الرقة البيضاء، أرسل إليها سعد بن أبي وقاص جيشاً بقيادة عياض بن غنم، ففتحها صلحاً سنة ١٧هـ/٦٣٩م. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ٦٢٦. الحميري: الروض المعطار، ص ٢٧٠. الحموي: البلدان، مج ٣، ص ٥٨.

(٣) سلمية: بلدية في ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ٧٣١. الحموي: البلدان، مج ٣، ص ٢٤٠.

(٤) هو: الأمير مظفر الدين موسى بن مهني بن عيسى، تولى إمرة آل فضل في حياة أبيه وأخذها مرة من عمه فضل، توفي سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م ودفن بتدمر. الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٤٩٠. الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ٣٢٩.

(٥) درس: أغلق الباب أو النافذة بالمترس، والمراد هنا: تثبيت سلطته فيها. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٤، ص ٣١٣.

الحاجب كان بغير أمري، وإن أراد هو، أرسل إليه وأُخرجته من حلب، وكذلك الأمراء الذين قاتلوا معه، فيرجع هو إلى بلده، ونحن لا نستغني [عن]^(١) مشورته وكتبه على عادته، فما بقي من ممالكي الكبار لأبي غيره، وأما [أرغون]^(٢) فقد أرسلت إليه وقلت له: إنه إذا سمع بأن قراسنقر قد رجع إلى حلب يرجع هو من حمص.

وكتب أيضاً [لأرغون]^(٣) مثل كتاب مهني في الظاهر، وفي الباطن: إنك تكشف أخبار قراسنقر، فإذا تحققت عبوره إلى حلب اعمل كما عمل الأمير كراي للأمير أسندمر، وهو أنك تركب أول الليل من حمص ولا تُدري أحداً وتسوق إلى ناحية حلب، فتهجم على قراسنقر على غفلة، ثم تعود من حلب وتأتي إلى طرابلس، وتعمل مع الأفرم كما عملت مع قراسنقر، ثم تأتي إلى حمص فإن كان مهني على سلمية تركب من الليل وتكبس عليه وتمسكه، وتمسك معه أولاده، وإياك أن ينفلت / ٣٠٢ / منهم أحد واحذر كل الحذر، ثم ارجع بهم إلى دمشق، وامسك في دمشق الأمير [الزردكاش]^(٤) والبرواني^(٥) وبلبان الدمشقي^(٦)، وهاتم صحبتك تحت الاحتياط.

وكتب أيضاً كتاباً لقرا لاجين مثل كتاب أرغون، وكتب لبقية الأمراء لكل واحد بمعنى، ثم أمر لمملوك أرغون بالخروج والروح إلى أستاذه.

ولما خرج تلاقي في الطريق سليمان بن مهني، فإنه كان خرج قبله بمقدار نصف يوم، فسارا ليلاً ونهاراً إلى أن وصلا إلى قاقون^(٧)، وكان قد وقع بينهما أنس في الطريق، وكان سليمان صاحب مكر وخداع.

قال الراوي: فشرع كلاهما يتحدثان في أمر قراسنقر، فقال سليمان: والله، لو أني كنت صاحب

(١) في الأصل: من.

(٢) في الأصل: رغون.

(٣) في الأصل: لقراسنقر، والتصحيح يتفق مع السياق.

(٤) في الأصل: الزركاش، سبق تصحيحه ص ١٠١.

(٥) البرواني: الأمير علم الدين سنجر البرواني، ترقى في سلطنة بيبرس الجاشنكير، وعندما رجع الناصر محمد من الكرك قبض عليه وسجنه، ثم أفرج عنه سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م واستقر أمير طبلخاناه، توفي فجأة سنة ٧٣١هـ/١٣٣١م ودفن بالقرافة. المقرئ: السلوك، ج ٣، ص ١٤٨. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٢٠. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٤٧٤.

(٦) بلبان الدمشقي: الأمير سيف الدين بلبان، الدمشقي، والي قلعة دمشق. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤١٣، ٤٧٤.

(٧) قاقون: حصن بفلسطين قرب الرملة، وقيل: من عمل قيسارية بساحل الشام. ابن عبد الحق: مرصده، مج ٣، ص ١٠٥٩. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٢٩٩.

مصر ما كنت أبقي قراسنقر ساعة واحدة لأنه شيطان الأرض، وكل شر يقع في مصر أو في الشام فهو من تحت رأسه، وهو ذخيرة سوء، وإش كان هذا النحاس حتى ردَّ السلطان إليه حلب، فماذا يرجوا منه؟ وكان المملوك عُثْمِيًّا^(١) لا يعرف المكر ولا المكيدة، فلما سمع هذا الحديث من سليمان ضحك، وقال له: أنت تظن أن هذا صحيح من السلطان وأنه يرّد قراسنقر إلى حلب، والله، ما بينك وبينه إلا جوازه إلى حلب، ثم أحاط به البلاء.

فلما سمع سليمان هذا الكلام من المملوك سكت /٣٠٣/ وأضمّره في خاطره، وركبا من قاقون وسارا، فصار سليمان يتحيل إلى [أن]^(٢) يسرق بعض الكتب التي مع مملوك أرغون، فتَمَّا سائران إلى أن وصلا إلى دمشق وقت العشاء الآخرة، فقال سليمان للمملوك: قد هجم علينا الليل ونحن سهارى، وما ينقطع الليل إلا بالتلهي، ثم أخرج ديناراً وأعطاه لغلام البريد، وقال له: خذ لنا بهذا نُقْلاً^(٣) وحلاوة صابونية تنتقل بها في الطريق حتى لا ننفس، فأخذ الغلام ذلك، ثم ركبوا، ولما وصلوا إلى قابون، قال سليمان للغلام: هات لنا الحلاوة، فأتى بعلبة ففتحتها سليمان، وأخرج منها قطعة لنفسه، وقطعة للمملوك، وأعطى الباقي الغلام، فأكلوا وهم سائرون إلى أن وصلوا إلى حرستا^(٤)، فصار المملوك لا يقدر أن يحمل روحه من غلبة النوم، فقال لسليمان: يا أمير، قد قتلنا النوم، انزل بنا ساعة نستريح، ثم نركب، فنزلوا وانطرح المملوك مثل الميت وهو يشخر، وكان مع سليمان بنج^(٥) في كاغد^(٦)، فجعل منه شيئاً في الحلاوة التي دفعها للمملوك، وكان سبب تغلبه ذلك، ثم مد سليمان يده إلى جراب^(٧) المملوك وأخرج جميع الكتب وقرأ عناونها، فأخذ الكتاب الذي باسم أرغون، [وقرأ]^(٨) كل ما ذكره السلطان في حق

(١) الأَعْتَم: العُتْمَة: عُجْمَة في المنطق، ورجلاً أَعْتَمَ وعُتْمِي: لا يُفْصَح شيئاً. ابن منظور: لسان، ج ١٢، ص ٤٣٣. الرازي، محمد بن أبي بكر، ت ٦٦٦هـ/١٢٦٥م: مختار الصحاح، تح: يوسف شيخ محمد، المكتبة العصرية، ط ٥، ص ٢٢٤م، ١٩٩٩م.

(٢) إضافة لتوضيح المعنى.

(٣) النُّقْل: ما يُنْقَل به على الشراب كالفسق. ابن منظور: لسان، ج ١١، ص ٦٢، ٦٧٦.

(٤) حَرَسْتًا: قرية عامرة كبيرة وسط بساتين دمشق على طريق حمص، بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ باتجاه الشرق، وتعرف بحرستا الزيتون. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ٣٩٢. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٢٤١. الشهابي: معجم، ج ١، ص ١٧٢.

(٥) بُنْج: صمغ أو عصارة تستخرج من نبات مُسَبِّت مُخَدَّر، مُخَبِّط للعقل، مُسَكِّن لأوجاع الأورام والبثور وأوجاع الأذن. الزبيدي: تاج، ج ٥، ص ٤٢٩. دوزي: تكملة المعاجم، ج ١، ص ٤٤٦.

(٦) كاغد: الورقة التي تصلح ظرفاً (ورقة التغليف). دوزي: تكملة المعاجم، ج ٩، ص ١٠٦.

(٧) جِراب: وعاء يحفظ فيه الزاد ونحوه ويكون عادة من الجلد. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٣٥٨.

(٨) في الأصل: فقال، والتصحيح يتفق مع سياق الكلام.

قراسنقر في هذا الكتاب، ورد باقي الكتب في الجراب، ثم اتكأ ونام إلى الصبح، ثم انتبه ونبه المملوك /٣٠٤/ فقعد وهو مُحَبَّل من البنج، فركبوا وساروا إلى القصير^(١)، فغيروا خيولهم، ولم يزلوا سائرين إلى أن وصلوا إلى القطيفة^(٢)، فافترقا، فسار سليمان يطلب درب جنيجل^(٣)، وسار المملوك يطلب حمص. ولما وصل سليمان إلى أبيه مهني وهو في سلمية، دفع له كتاب السلطان، فلما قرأه فرح وشرع يسأل عما جرى عند السلطان في حق قراسنقر، فلما سمع ذلك من أبيه أخرج له الكتاب الذي أخذه من جراب المملوك، وقال له: إقرأ هذا، فلما قرأه، قال: الله أكبر، يا للرجال، ثم أمر في الحال بأن ترحل بيوته من سلمية، فرحلوا، وما أصبح الصباح إلا وهم على منزلة يقال لها الشجيرة، وطلب سليمان، وقال له: يا ولدي، اذهب إلى قراسنقر، وقل له يأتي إلينا بالعجلة حتى نتفق معه على أمرٍ نفعله، وأعطاه الكتاب الذي [كتبه]^(٤) إليه السلطان والكتاب الذي كتبه إلى أرغون فيه، فسار سليمان حتى وصل إلى الرقة، فاجتمع به وأعطاه الكتابين، فلما قرأ الكتاب الذي له فرح وانشرح صدره، ولما قرأ الآخر اصفر وجهه وتغير لونه، ثم قال: يا أمير سليمان، لولا هذا الكتاب راحت أرواحنا، فكيف يكون التدبير؟ فقال: مهني يطلبك حتى تتفق معه على مصلحةٍ تُفعل.

فبينما هما في الحديث إذ عبر مملوكه /٣٠٥/ مغلطي وقال: قد حضر بريدي من السلطان، فأمر بإحضاره، فحضر، فإذا هو علاء الدين بن الدبيس^(٥)، فدفع له الكتاب، فقرأه، فإذا فيه: عتبٌ على قراسنقر من جهة تحليه بهذا الخيال الذي لم يخطر على البال، وهذا جزاؤك مني! فأنت عندي أكبر من الكل وأخير، فحال وقوفك على هذا الكتاب ترد إلى حلب على ما كنت عليه، وتُخرج منها قرطاي والأمراء الذين اتفقوا معه على ما جرى في حقك.

فقال قراسنقر: يا علاء الدين، أنا ما بقي يجيء مني نائب في حلب، وقد بقيت شيخاً كبيراً،

(١) القصير: ضيعة صغيرة، وهي أول منزل لمن يريد دمشق من حمص. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٣٦٧.
(٢) القطيفة: بلدة على طريق دمشق - حمص، بعد ثنية العقاب لقاصد دمشق من ناحية حمص، تتبع اليوم لمحافظة ريف دمشق، وتبعد عن دمشق ٤١ كم شمالاً بشرق. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٣، ص ١١١١. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٣٧٨. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، مج ٤، ص ٥٨١.
(٣) بالعودة إلى كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، وكتاب مراصد الاطلاع لابن عبد الحق، والروض المعطار للحميري، لم يتم الحصول على أية معلومات عن هذا الدرب (الطريق).
(٤) في الأصل: كتب.
(٥) بعد الرجوع إلى كتاب السلوك للمقريزي والنجوم والمنهل لابن تغري بردي والوافي للصفدي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات عنه.

فإن كان الكلام صحيحاً، وله فيَّ حُسن ظن يعطيني البيرة أو الرحبة، وأنا أكفيه مؤنة التجاريد^(١) إلى الأطراف في كل وقت، وأكون أنا ومماليكي مقيمين بها، وإن كان كرهني فأنا أخليه وأروح من البلاد، فقال له علاء الدين بن الديس: اصبر عَلَيَّ حتى أروح إلى مصر وأعود إليك بكل ما تريد، ولكن اكتب معي كتاباً إلى السلطان بطلب أي قلعة أردت، حتى آتي بمرسوم السلطان بما تريد، فكتب قراسنقر، وطلب البيرة، ثم قال لعلاء الدين: قل لأرغون لا يتحرك من حمص، فأني وقت ركب من حمص، عبرت إلى بلاد العدو، فركب علاء الدين وسار.

وأما مملوك أرغون فإنه لما وصل إليه دفع له الكتب التي معه، ففرقها ٦/٣٠ / للأمرء وما رأى كتاباً يخصه، فتحير وقال: لله العجب، ما جاءني كتاب؟! ثم سأل عن لاجين، فقال: أين كتابك؟ فأحضره وقراه، وإذا فيه نسخة الكتاب الذي كتبه السلطان لأرغون، وهو الذي أخذه سليمان في الطريق كما ذكرنا، وكلما يذكر فصلاً يقول: هكذا ذكرنا في كتاب أرغون، فعلم أرغون أنه جرى أمر في كتابه، فأختلَى بمملوكه، فقال له: قل كيف كانت قضيتك؟ وما جرى في الكتاب الذي أرسله السلطان إليَّ مع كُتب الأمرء؟ فشرع يحكي له بجميع ما جرى له مع سليمان حين رافقه في الطريق، وكيف ناموا في حرستا، فقال أرغون: ما أخذ الكتاب إلا سليمان بلا شك، وإنه قد جَفَل^(٢) قراسنقر ومهني، ففي تلك الساعة أمر بالركوب، فركب هو وساق يطلب حلب، وقال للأمير جوبان^(٣): خذ معك ألف فارس، وخرج بهم إلى الرحبة، فأخذهم، وساروا نحو الرحبة.

وجاء الخبر إلى قراسنقر بجاسوسه^(٤) أن أرغون وصل إلى حلب، فرحل من الرقة ونزل على جعبر^(٥)، وأرسل جواسيساً من الناس الثقات عنده يُعَرِّفُونَهُ الأخبار كل وقت، ورحل أرغون من حلب

(١) التجاريد: جمع تجريدة، تم شرحها فيما سبق ص ١١٠.

(٢) جفل: مصدر جَفَل. يقال: جفل الفرس نفخ بقوة من الفزع، وشخر من الفزع، والمراد في النص: الفزع والرعب. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٢، ص ٢٣٠.

(٣) جوبان: الأمير سيف الدين جوبان المنصوري، كان من مماليك الأشرف وأمراءه، ثم أمره الناصر بدمشق، توفي سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٩٤. الصنفدي: أعيان، ج ٢، ص ١٧٢.

(٤) جاسوس: الشخص الذي يقوم بجمع معلومات سرية لصالح جهة معينة. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٣٧٤.

(٥) جعبر: قلعة حصينة في البر الشمالي الشرقي من نهر الفرات بين بالس (مسكنة) والرقة قرب صفين، كانت تعرف بدوسر نسبة إلى عبد للنعمان بن المنذر وهو الذي بناها حين جعله النعمان على أفواه الشام، ثم ملكها رجل من بني نمير يقال له: جعبر بن مالك فسميت باسمه. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ٣٣٥. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ١٤١.

ونزل على الحمامات، فجاء الخبر بذلك إلى قراسنقر، فخاف على نفسه، فقال له سليمان: يا أمير لا تخف، وطيب قلبك، فو الله، لو أن القوم أشرفوا علينا ما نُبالي، /٣٠٧/ ولا سيّما بيننا وبينهم مسيرة يومين.

ثم كتب قراسنقر إلى أرغون كتاباً وأرسله مع مملوكه مغلطاي، مضمونه أنه يقول لأرغون: لا تستعجل عليّ، هذا مرسوم السلطان جاءني بحلب، وأنه ما يُغيّر عليّ شيئاً، ولولا وصلت إلى ههنا لكنت أنا اليوم في حلب، وقد أرسلت إلى مصر وطلبت مرسوم السلطان برجوعك، فلا تستعجل عليّ، واصبر حتى يجيء [المرسوم]^(١) بما اعتمد عليه أنا وأنت.

وكان الأمير بيبرس العلائي، نائب حمص، مع أرغون، فقال له: المصلحة أن تصبر فلعل مرسوم السلطان^(٢) يجيء وتستريح من هذا التعب، فقراسنقر اليوم مثل بازٍ على قُفّاز^(٣)، وأي وقت [رحلنا]^(٤) من ههنا يذهب إليه الخبر بجاسوسه، فيدخل إلى بلاد العدو، فلا يبقى لنا وصول إليه، فقال أرغون: صدقت، والوقت لا يحتمل إلا المدارة، فلعله ينخدع.

وأقام أرغون إلى الحمامات تسعة أيام، ونفذت أزواد الناس، وعلائق^(٥) الخيل، فهرب أكثرهم من الجوع، فأعلم الأمراء بذلك لأرغون، فأمرهم بالرجوع إلى حمص. وأما جويان فإنه كان هو ونائب الرحبة^(٦) كل يوم يركبان ويتصيدان في تلك البراري حتى أن

(١) في الأصل: المرسوم السلطان، وشطب الناسخ على كلمة السلطان.

(٢) السلطان: مكتوبة في هامش الأصل، وأشار الناسخ إلى موضعها في المتن.

(٣) بازٍ على قُفّازٍ: مثّل يقال في الرجل اللبق الذلق. والمراد في النص: متأهب. الخوارزمي، محمد بن العباس ت: ٣٨٣هـ/٩٩٣م: الأمثال المولدة، الجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٢٤٤. بازٍ: جنس من الطيور الصغيرة أو المتوسطة الحجم، لها مهارة فائقة في الصيد، وهي من أشد الجوارح تكبراً وأضيقتها خُلُقاً، كالباشق والبيدق. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٢٦٢. قُفّازٍ: لباس الكف من نسيج أو جلد. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٢، ص ١٨٤٤.

(٤) في الأصل: احلنا.

(٥) علائق: ما يقدم للدابة من طعام (عليق من شعير أو عشب يابس). عبد الحميد عمر: معجم اللغة، ج ٢، ص ١٥٣٩.

(٦) نائب الرحبة: موسى بن أبي بكر، الأمير بدر الدين بن الأمير سيف الدين الأركشي، كان له اليد البيضاء في قتال التتار، نازله خربندا ومعه عساكر المغل و قراسنقر وسليمان بن مهني و الأفرم، ونصبوا على بلده المنجنيق، فقاتل وصبر وثبت إلى أن رحلوا، توفي سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م بدمشق. ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ١٤٩. الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٤٧٦.

خيل جوبان كانت وصلت إلى البليخ^(١).

البليخ: بفتح الباء الموحدة وكسر اللام وسكون الياء آخر الحروف وفي آخره /٣٠٨/ خاء معجمة، وهو نهر بالعراق معروف، قاله البكري، وقال غيره: هو موضع بجزيرة الشام، ويقال: هو برقة الشام.

وكان عليه كشافة^(٢) لجوبان، فجاءوا وأعلموه أن قراسنقر رائج إلى عَرَبان^(٣)، فركب جوبان ومعه الأركشي بألف فارس، وجدوا في السير يومين، وفي اليوم الثالث أصبحوا على عريان عند طلوع الشمس، فاندعرت أهل عريان، فخرجوا من البلد وأتوا إلى جوبان، وقالوا: نحن ممالك السلطان وتحت أوامره، فقال الأركشي: قراسنقر في أين؟ قالوا له: يا مولانا، والله ما له عندنا خبر، غير أن نهار أمس جاء إلينا من مملكته عشرة أنفس، قد هربوا منه من البليخ، وكان أناس عندنا من جهة صاحب ماردين^(٤)، فأخذوهم وراحوا بهم إلى ماردين، فنزل جوبان والأركشي على عريان، وتزودوا منها لهم ولدوابهم، وأقاموا ذلك اليوم عندهم.

وأما أرغون فإنه لما نزل على حمص علم قراسنقر بذلك، وعاد وقطع الفرات^(٥)، وسار طالباً مهني، ومعه سليمان، فوصلا إلى مهني، فقال له قراسنقر: يا ملك العرب، ما لهذا السلطان نية جيدة، فإذا قدر، لا يُخْلِي منا أحداً، فكيف نعمل؟ قال له: صدقت، ثم إنه في الحال أرسل قاصده إلى دمشق،

(١) البليخ: اسم نهر بالركة، يجتمع فيه الماء من عيون أعظمها يقال لها: الهذبان في أرض حران، فتجري نحو خمسة أميال، فتصير إلى حصن بناه مسلمة بن عبد الملك وأجرى ماء تلك العيون تحته، فإذا خرج من تحت الحصن سمي بليخاً، ويشعب من ذلك الموضع أنهار تسقي بساتين وقرى، ثم تصب في الفرات تحت الرقة بميل. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ٢٢١. الغزي: نهر الذهب، ج ١، ص ٤٦١. الحموي: البلدان، مج ١، ص ٤٩٣.

(٢) كشافة: الرواد أو الطليعة التي ترسل في مقدمة الجيش لكي تستخبر تحركات العدو. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٩، ص ٩٨.

(٣) عَرَبان: بليدة بالخابور من أرض الجزيرة. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ٩٢٧. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٩٦.

(٤) ماردين: مدينة من ديار ربيعة يعمل الموصل، لها قلعة عظيمة على فنة جبل بالجزيرة، مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين، وأمامها روض عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات ومدارس وربط، فتحها عياض بن غنم سنة ١٩٩ هـ / ٦٤١ م. القزويني: آثار البلاد، ص ٣٥٩. الحميري: الروض المعطار، ص ٥١٨. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ٣٩.

(٥) الفرات: في أصل كلام العرب أعذب المياه، وهو نهر عظيم مخرجه من أرمينية قرب خلاط، ويدور بتلك الجبال، ثم يدخل أرض الروم ويمر بملطية ومسيماط، ثم قلعة نجم مقابل منبج، ويحاذي بالس (مسكنة) إلى دوسر (جعبر) والرقة ورحبة مالك بن طوق، وتصب فيه أنهار صغيرة مثل: سنجة، كيسوم، ديسان، البليخ، الخابور، ثم يمر بعانة وهيئة وبعدهما يصير أنهاراً تسقي زروع السواد بالعراق، وما فضل من مياهه ينصب في دجلة بين البصرة وواسط. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٠. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٣، ص ١٠٢١. الحميري: الروض المعطار، ص ٤٣٩. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٢٤١.

ومعه كتاب إلى الزردكاش، والكتاب الذي أرسله ٣٠٩/ السلطان إلى أرغون، وذكر في كتابه: أنكم شبه غنم في حبس جزار، فكل وقت يُخرج منكم جماعة فيذبجهم، والبقية ينتظرون الموت بالنوبة، فخذوا لأرواحكم وارحموا على أنفسكم، ففي الساعة التي تقفون على كتاب السلطان اركبوا وروحوا إلى الأفرم نائب طرابلس، وخذوه معكم، وتعالوا إلينا لندبر أمراً يكون لنا ولكم فيه خلاص أرواحنا، وإن تعوقتم راحت أرواحكم.

وكان قد اتفق أن السلطان أرسل تجريدة أخرى تقوية لأرغون و[فيها]^(١) من الأمراء: أمير حسين بن جندر والأمير قلي، وكانوا قد وصلوا إلى أرغون واجتمعوا على حمص. ولما وقف الزردكاش على كتاب مهني، طلب في الحال: بلبان الدمشقي، والتاجي،^(٢) والبيسري،^(٣) وغيرهم، وعرض عليهم الكتاب الذي جاءه، والكتاب الذي جاء لأرغون، فقال التاجي: الله يعلم أن هذا صحيح أم لا؟ وربما يكون هذا دسيصة^(٤) مهني وقراسنقر لأجل أنهما قد خامرا^(٥) على السلطان، فقال الزردكاش: أنتم إلى الآن تُكذبون الخبر فسنرى من يندم.

ثم اتفق الزردكاش وبلبان الدمشقي والبرواني^(٦) على أنهم يروحون إلى الأفرم ويأخذونه ويذهبون إلى قراسنقر، فحلفوا على ذلك، وتشاوروا أنهم يخرجون وقت الظهر يوم السبت، وتواعدوا على أنهم ٣١٠/ يجتمعون على صيدنايا^(٧)، فلما فرغ الموكب يوم السبت طلب الزردكاش مماليكه وأمرهم أن يركبوا كلهم بالعدة، ثم ركبوا كلهم، وهم ثمانون فارساً، وخرجوا من باب الفرج^(٨)، ورآهم الناس، وظنوا أنهم

(١) في الأصل: فيهم.

(٢) التاجي: ببيرس التاجي، والي القاهرة في بداية الأيام الناصرية، ثم صرف عنها وولي إمرة دمشق، قبض عليه سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٤٨. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨١.

(٣) البيسري: بلبان بن عبدالله القراني، يسمى عبد اللطيف ويقال له: البيسري نسبة إلى بيسري، توفي سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٢٨-٢٩.

(٤) دسيصة: مكيدة وحيلة خفية. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٤، ص ٣٤٨.

(٥) خامر على فلان: خادعه وحاول المكر به. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٤، ص ٢٠٣.

(٦) البرواني: الأمير علم الدين سنجر البرواني، أحد أمراء الطبلخاناه بالديار المصرية، توفي سنة ٧٣١هـ/١٣٣١م. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٤٧٤. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٢٠. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨١.

(٧) صيدنايا: بلد من أعمال دمشق في جبال القلمون، مشهورة بكثرة الكروم والخمر الفائق. الحموي: البلدان، مج ٣، ص ٤٣٨.

(٨) باب الفرج: أحد أبواب دمشق الثمانية، وهو الباب الموجود بالقرب من القلعة في السوق التي يقال له: المناخلية، المركب بعضه على نهر بردى، وهو باب متين من الجهة الشمالية، أحدثه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي عندما دخل دمشق وأسماه بباب الفرج تفاؤلاً لما وجد من الفرج لأهل البلد بفتحه. ابن عساكر، علي بن الحسن =

خارجون إلى الصيد، وكان بلبان الدمشقي نازلاً بالعُقَيْيَّة^(١)، فجاز عليه الزردكاش فركب معه، ولحقهما البيسري أيضاً، فخرجوا ووقع الصوت أن الأمراء قد هربوا، وأمر النائب^(٢) ل[جمال الدين]^(٣) والي البر^(٤)، وقال له: اركب خلفهم، وانظر إلى أين يروح هؤلاء، فإنهم لو كانوا هاربين لكانوا خرجوا بالليل، وركب أيضاً وراءهم الأمير طرنطاي الحموي^(٥) والمشد^(٦) في مائتي فارس، وأدركوهم وهم نازلون على بركة صيدنايا، فركب الزردكاش والبيسري مع جماعة، وخرجوا وحملوا على طرنطاي، وكان طرنطاي رجلاً عاقلاً، فقال لهم: نحن ما جئنا لنقاتلكم، بل جئنا حتى ننظر إلى أين أنتم راثحون؟ فقال الزردكاش: وإش تريدون؟ ونحن راثحون إلى الصيد، ارجعوا عنا، وإلا يكون بيننا أشأم الأيام، فرجع طرنطاي الحموي ومعه المشد، ولاقوا في الطريق ثلاثين بغلاً مُحَمَّلَةً قرقلات^(٧) وخوذ ونحو ذلك فأخذوها.

وأما الزردكاش فإنه رحل في الليل وطلع على غُسال^(٨)، ٣١١/ ونزل على اللفيكة^(٩) وقطع العاصي^(١٠)، وسار يريد مرج حين^(١١)، وكان الأفرم نازلاً عليه ومعه أمراء طرابلس، وكان أمير حسين بن

= ت: ٥٧١هـ/١١٧٦م: تاريخ دمشق، تح: عمرو العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ج ٢، ص ٤٠٨. ابن بدران، عبد القادر ت: ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تح: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط ٢، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٣٥. سيشار إليه بـ ابن بدران: منادمة الأطلال. الشهابي: معجم، ج ١، ص ٢٧.

(١) العُقَيْيَّة: هي الجانب الشمالي من مدينة دمشق، وهو مدينة مستقلة بذاتها ذات أبنية جليلة وعمائر ضخمة، يسكنها كثير من الأجناد والأمراء، وهي إحدى ضواحي دمشق المعروفة اليوم. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٩٨. الشهابي: معجم، ج ٢، ص ٨٨.

(٢) آقوش الأشرفي، تقدمت ترجمته ص ٩٨.

(٣) حسام الدين لاجين الحسامي، عند اليوناني: ذيل مرآة الزمان، مج ٢، ص ١٤٢٥.

(٤) والي البر: هو وال يحكم على عدة مدن صغيرة تكون تابعة لمدينة كبيرة كدمشق. دهمان: معجم الألفاظ، ص ١٥٤. (٥) بعد الرجوع إلى كتاب السلوك للمقريزي والنجوم والمنهل لابن تغري بردي والوافي للصفدي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات عنه.

(٦) المشد: شاد الدواوين بدمشق، الأمير بدر الدين بكتوت القرماني، وقد تقدمت ترجمته.

(٧) قرقلات: نوع من دروع الزرد. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٨، ص ٢٤٧. دهمان: معجم الألفاظ، ص ١٢٣.

(٨) غُسال: من أعمال دمشق، عند شق معلولا. العمري: مسالك، ج ٣، ص ٥٢٥.

(٩) بالعودة إلى كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، وكتاب مراصد الاطلاع لابن عبد الحق، والروض المعطار للحميري، لم يتم الحصول على أية معلومات عن هذا المكان.

(١٠) العاصي: اسم نمر حماة وحمص، مخرجه من بحيرة قدس ومصبه في البحر قرب أنطاكية، سمي بالعاصي لجرانه من الجنوب إلى الشمال أو لخروجه من بلاد الإسلام إلى بلاد الروم. خسرو، ناصر ت: ٤٨١هـ/١٠٨٨م: سفرنامه، تح: يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، ط ٣، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٤٦. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٦٧. ابن جبير، محمد بن أحمد ت: ٦١٤هـ/١٢١٧م: الرحلة، دار الهلال، بيروت، د.ت، ص ٢٠٧.

(١١) بالعودة إلى كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، وكتاب مراصد الاطلاع لابن عبد الحق، والروض المعطار =

[جندر]^(١) أرسل إليه من حمص يقول له: إني أريد أن أتصيد أنا وأنت والأمير قلبي معنا من جبل مرج حين إلى بعلبك^(٢)، وكان الأفرم قد أرسل مملوكه أَلطُنْقَش^(٣) وهو استاداره أيضاً، إلى الناعم^(٤)، ومعه إقامة للأمراء، ولما وصل إلى الأفرم قاصد الزردكاش وأعلمه بقدمه، ركب هو وعسكر طرابلس فلاقوا الزردكاش، وأخذهم الأفرم إلى وطاقه^(٥)، ثم [اختلى]^(٦) الزردكاش مع الأفرم، وأوقفه على الكتاب الذي جاء إلى أرغون بقبضهم، فلما قرأه اصفر وجهه، ثم قال: ماذا تعمل؟ قال الزردكاش: نروح إلى مهنى وقراسنقر، ونتفق معهما على أمر نفعله، فقال الأفرم: كيف نروح وأمراء طرابلس معنا، مع العسكر؟ فقال الزردكاش: نُزَوِّر كتاباً على لسان أمراء الشام ونائب دمشق وأرغون والمصريين كلهم بأنهم اتفقوا كلهم على أن يسلطنوا الأفرم، وها نحن رائجون إلى حمص، وتأخذ معك من تريد من الأمراء، فإذا عدّينا هذا الجبل افتصلنا في أرواحنا، فقال الأفرم: هذا هو الرأي.

/٣١٢/ وكان عند الأفرم رجل نصراني^(٧)، كاتب له، يُقال له: المكين، وكان أمكر النصرانية، وما كان بينهم مثله، فطلبه الأفرم وقال له: نريد أن نكتب كتاباً حتى أن من رآه، ومن قرأه لا ينكر عليه، فقال له: أكتب كُتُباً وأضغ عليها علائم الأمراء، بحيث لو وقع كتاب منها بيد المزور عليه لحلف أنه خطه، ثم شرع الزردكاش يُملي ويكتب النصراني، ولما فرغ قرأه على الأفرم، فقال: والله لولا علمي به

=للحميري، لم يتم الحصول على أية معلومات عن هذا المكان.

^(١) في الأصل: جمدار، والتصحيح مما سبق ص ١٠٦.

^(٢) بعلبك: مدينة قديمة بالشام، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام إلى الشمال الغربي من جهة الساحل، فتحها أبو عبيدة بن الجراح صلحاً بعد دمشق سنة ١١٤هـ/٦٣٦م. العمري: مسالك، ج ٣، ص ٥٢٨. الحميري: الروض المعطار، ص ١٠٩. ابن عبد الحق: مراصد، ج ١، ص ٢٠٧. الحموي: البلدان، مج ١، ص ٤٥٣.

^(٣) في الأصل: الطنقاش، وهو: الأمير سيف الدين أَلطُنْقَش الجمالي، كان من ممالك الأفرم، ولما توجه أستاذه الأفرم إلى بلاد التتار، حضر إلى مصر فاعتقله الناصر محمد، ثم أفرج عنه وأمره ببلخاناه، توفي بالقاهرة سنة ١٣٤٤هـ/١٣٤٤م. الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٦١٥. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٣٣ و ج ٣، ص ١٥٣.

^(٤) بالعودة إلى كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، وكتاب مراصد الاطلاع لابن عبد الحق، والروض المعطار للحميري، لم يتم الحصول على أية معلومات عن هذا المكان.

^(٥) وطاق: كلمة تركية (أوتاغ)، تعني مجموعة خيم ومعسكر أو حامية، ذكرته المصادر العربية في العصرين الأيوبي والمملوكي، وهو المخيم الذي يقام أثناء سير المعارك في الموقع المتقدم، يكون بمثابة مقر قيادة. دوزي: تكملة المعاجم، ج ١١، ص ٨١. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٤٤١ - ٤٤٢.

^(٦) في الأصل: اخلى.

^(٧) نصراني: واحد النصراني، وسموا نصراني لنصرة بعضهم لبعض، وقيل: سموا بقرية تدعى الناصرة سكنها الرسول عيسى عليه السلام فنسب إليها، وهم أتباع السيد المسيح عيسى وأصحاب ديانتته (النصرانية). الحميري، نشوان بن سعيد ت: ٥٧٣هـ/١١٧٧م: شمس العلوم وداء كلام العرب من الكلوم، تح: حسين العمري وآخرون، دار الفكر =

لحلفث أنه صحيح.

ثم [أرسل]^(١) النصراني إلى حاله، وطلب أمراء طرابلس، وقال لهم: تعلمون لأجل ماذا طلبتكم؟ فقالوا: لا، فقال: إن أمراء دمشق ونائبها اتفقوا مع الأمير قراسنقر ومهني ملك العرب على أنهم يسלטونني في الشام، وقد حلف الجميع على ذلك، وهذه خطوطهم وأيمانهم، فأخرج الكتاب الذي بخط النصراني، فقرأه الموقّع^(٢) عليهم، فإذا فيه خطوط أمراء مصر والشام كلهم وأيمانهم، فلما سمع أمراء طرابلس والساحل بذلك، قالوا: نحن لا نخالف وهذه أكبر شهواتنا، ثم قال الأفرم: يا أمراء، طيبوا خواطركم، فإن استمررت في السلطنة جعلتكم أقرب الأمراء إليّ، ودعوا له.

ثم عين الأفرم منهم خمسة أمراء، /٣١٣/ وقال للباقي: اذهبوا إلى طرابلس لأنه ربما يخرج الإفرنج طمعاً في غيبتنا، فأجابوه بالسمع والطاعة، فعند ذلك ركب الأفرم في مماليكه، والأمراء الذين عينهم معه. وأما أرغون فإنه جمع أمراء مصر، وقال لهم: إن السلطان قد أرسلنا في أمور، وما قضينا أمراً واحداً، وقد عولت أن أسير وأمسك الأفرم، لأنه من بعض الغرماء الذين عينهم السلطان، فقالوا: افعل ما بدا لك، فطلب أمير حسين بن جندار وقلبي، وعين معهما ألفي فارس من عسكر مصر والشام من الرجال المشهورين، وقال لهم: اقصدوا مرج حين، واهجموا على الأفرم واقبضوا عليه، فركبوا من حمص وساقوا يقطعون الأرض بغير راحة، حتى وصلوا إلى مرج حين، وكبسوا المرج، فلم يجدوا فيه غير تركمان وبعض الغلمان الذي انقطع مع الثقل، فسألوهم عن الأفرم، فقالوا: البارحة رحل وسار يطلب حمص لأنه جاءه من دمشق ثلاثة أمراء فأخذوه وراحوا، ولما سمع بذلك أمير حسين وقلبي قالوا: على أي طريق أخذوا؟ فقالوا: على هذه الطريق، وأشاروا إليها، فسارا خلفه.

وكان على المقدمة أمير من أمراء دمشق يقال له قطلوبك بن جاشنكير^(٣)، وكان حامل رنك^(٤)

= المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط ١، ١٩٩٩م، مج ١٠، ص ٦٦٩. الزبيدي: تاج، ج ١٤، ص ٢٣٠.
(١) في الأصل: أرسلت.

(٢) الموقّع: هو الذي يكتب المكاتبات والولايات وغيرها في ديوان الإنشاء، وكان يعرف باسم كاتب الدرج. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٣٧.

(٣) قطلوبك: الأمير سيف الدين قطلوبك بن الأمير شمس الدين قراسنقر الجاشنكير، أحد أمراء الطليخاناه بدمشق، توفي سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ١٢٥. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٢٩٦.

(٤) الرنك: كلمة فارسية بمعنى لون، واستخدم بمعنى الإشارة أو الشعار أو الرمز الذي يتخذه السلطان أو الأمير المملوكي لنفسه دون غيره، وكذلك للدلالة على وظيفة الأمير، والأصل المباشر لرنوك المماليك هو أساتذتهم الأيوبيين، وقد يمثل الرنك معنى من المعاني التي يهواها الأمير أو السلطان، كالشجاعة التي تمثلها ببرس في الأسد، فأتخذ صورة=

الأفرم / ٣١٤ / وقد سبق العسكر جميعه، وهو واقف على عين في طرف مرج حين يسقي خيله، فطلع المصريون ورأوه، فوقع فيهم الصوت، وقالوا: جاء الأفرم، فرجعت الناس إلى ورائهم، وكان أمير حسين وأمير قلبي خلف الناس، فقالوا: ما للناس؟ فقالوا: قد أشرف الأفرم وهذي سناجقه، فتغيرت ألوان الناس، ولبس [أمير]^(١) حسين وقلبي اللبوس، وبقي ينظران إلى السناجق وهي لا تتحرك من مكانها، فسير أمير حسين من يكشفها، وإذا بها سناجق قطلوبك بن جاشنكير، فغضب أمير حسين وطلبه، وأحرق^(٢) به وضريه مائة، وتشوَّش^(٣) وأحرق سناجقه.

ثم نزلوا من مرج حين إلى جانب العاصي، فرأوا منزلة الأفرم، فيها جماعة من الفلاحين يفتشونها، فسألوهم عن الأفرم، قالوا: بات البارحة ههنا، ولكن جماهم ما وصلت إلى الصباح، فلما سمعت الأمراء بذلك ساقوا على آثارهم إلى بعد الظهر فوصلوا إلى الغسولة^(٤)، ولم يروا أحداً فأيسوا منه.

وجاء واحد من مماليك أمير حسين إلى خان الغسولة يسأل عن الأفرم، فأخبره واحد بأن الأفرم عبر عليهم، وهم مقدار خمسمائة فارس وجماعة أمراء، وجاء الزردكاش إلينا وأخذ خيل البريد وراحوا من ضحوة النهار، وأما جماله وثقله / ٣١٥ / [فما]^(٥) راحت.

فأخبر المملوك بذلك لأمر حسين، فساروا بمحدين، وقد ذكرنا أن مغلطاي كان قد انقطع مع الثقل في ثلاثين فارساً وهم سائقون محدون، فإذا بأمر حسين قد أدركهم هو والأمير قلبي، ولما رآهم مغلطاي صاح لأصحابه، فقال: إن سلّمنا لهؤلاء يكون عيب عظيم، فقوموا واجتهدوا واتبعوني أينما رحنا ولا يهرب منكم أحد، فأبي من هرب ضربت رقبتة.

ثم إنه لما رأى أمير حسين قدام الخيل عرفه، فقال له: يا ولد الزنا وتربية الخنا^(٦)، هذا جزاء

= الأسد زنكاً له ونقشه على نقوده، ومن أمثلة الرنوك الدالة على مهنة صاحبها: الدواة أو المقلمة لكُتّاب السر والدوادارية، والكأس للساقي، والسيف والخنجر للسلّاحدار وغيرها. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٦٣. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٢١٣.

(١) في الأصل: الأمير، وقد شطب الناسخ على: الأ.

(٢) أحرق: أخرج بفلان: أخذه بذنوبه وجازاه على سيئاته وأدبه. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٤، ص ٦٨.

(٣) تشوَّش: ارتبك ولم يعد يميز الأمور. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٢، ص ١٢٤٧.

(٤) الغسولة: منزل للقوافل فيه خان، بين حمص وقار، على بعد يوم من حمص. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ٩٩٥. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٢٠٤.

(٥) في الأصل: فكما.

(٦) الخنا: شيء معيب ويراد به الفجور بالمرأة، أو بيت البغاء. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٤، ص ٢٢٧.

الأفرم منك؟! فعارضه كالبرق الخاطف، وكان مغلطاي شجاعاً مشهوراً بينهم، ورماه بسهم فأصاب رقبة فرس أمير حسين، ثم رماه بآخر فأصاب جنبه، فوقع الحصان على الأرض، فأسرعت إليه مماليكه وأركبوه، فنجوا منه، بعد أن قتل سبعة [رؤوس]^(١) من الخيل.

فأخذ أمير حسين وقلبي الثقل كله، وعاد مغلطاي إلى أستاذه وفي قلبه النار، فسأله عن قضيته، فأخبره بما جرى، وأن الثقل قد أُخذ، وبأنه بعد جهد عظيم تخلص منه، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأما الأمراء [الذين]^(٢) كانوا مع الأفرم فعلموا في ذلك الوقت أن الكتاب الذي قرأه الأفرم عليهم كان زوراً، وأنه رائج إلى قراسنقر، وكان كل ما يملكه الأفرم ٣١٦/ كان على الجمال التي أُخذت.

ولم يزل الأفرم سائراً حتى أتى إلى سلمية، وسأل عن مهني، فقالوا: هو على القسطل^(٣)، وكان قد جاء إليه خبر الأفرم بأنه واصل إليه، وكان قد أخفى قراسنقر وغير حليته، وكان يقول للناس: إنه قد راح من عندي، وكان أرغون قد أرسل إليه يعتب عليه، ويقول له: لا تضيع ما بينك وبين السلطان لأجل قراسنقر، ويكون ذلك سبب دمار العرب كلها، وعلى كل حال إن قراسنقر مملوك السلطان، فلا تدخل بينه وبين مملوكه، فأرسل مهني إليه: إن قراسنقر راح من عنده، وكان مهني قد قال لابنه سليمان: خذ قراسنقر وابعده عنا مسيرة يوم في البرية.

ولما جاء الخبر بذلك إلى أرغون كتب إلى السلطان: بأن مهني بأطراف البرية وقراسنقر عنده، ولولاه لأخذنا قراسنقر، وأن أخا مهني فضلاً وولده موسى عندي مواظبين الخدمة ليلاً ونهاراً، وأخبره بجميع ما جرى، وأرسل كتابه مع ابن موسى وكان شاباً يسمى: محمد، [وكتب]^(٤) فضل أيضاً كتاباً إلى السلطان.

وأما الأفرم والزردكاش فإنهما وصلا إلى مهني، فركب إلى ملاقاتهما، ثم أنزلهما في جواره، فسألاه عن قراسنقر، فقال: إنه مع ابني سليمان في البرية يصطادان، ثم قال الأفرم: أريد أن توقفني على الكتاب

(١) في الأصل: أروس.

(٢) في الأصل: الذي.

(٣) القسطل: موضع بين حمص ودمشق، تنزله القوافل. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٣٤٧.

(٤) في الأصل: وكتب أيضاً، وهو تصحيف.

الذي جاء به سليمان، فأحضره مهني ووقف /٣١٧/ عليه الأفرم، فإذا فيه: إلى أرغون، إنك إذا قبضت على قراسنقر، اقبض على مهني وعلى الأفرم، وعلى عشر أمراء من دمشق وعينهم بأسمائهم. فقال الأفرم: الله أكبر هذا الرجل نيته أن لا يُخْلَى أحداً منا، وسمع مهني بأن [كل ما]^(١) كان مع الأفرم أخذ، فقال له: لا تضيق صدرك مما قد راح منك، فهذه أموالك كلها بين يديك، فقال الأفرم: نريد أن نبصر الأمير قراسنقر، فطلب مهني ولده أحمد^(٢)، وقال له: اركب إلى أخيك يحضر هو ومعه قراسنقر، واعلمهم بقدمهم الأمراء، فسار خلفهم.

وأما أمير حسين بن جندر فإنه وصل إلى حمص ومعه ثقل الأفرم، وأحضره بين يدي أرغون، وحدثه بجميع ما جرى له، وفي الحال جهز أرغون بريدياً إلى السلطان يُعلم أن الأفرم قد هرب وراح إلى مهني، وقد ساقوا خلفه فلم يلحقوا إلا ثقله فأخذوه وأحضره إلى دمشق، ونحن نازلون على حمص، وهم نزول على القسطل، وكشافتهم عندنا ليلاً ونهاراً، وربما يكتابهم بعض الأمراء الذين عندنا، وقد اجتمعت عندهم جماعة كثيرة، قيل: إنهم أكثر من خمسة آلاف نفس.

وأما قراسنقر فإن الأمراء قد اجتمعوا به وتشاوروا فيما بينهم فيما يعملون به، ومهني معهم، وكل واحد منهم رأى رأياً، فقال /٣١٨/ الزردكاش: اعلّموا أن كل شيء فيه تأخير يكون للشيطان فيه تدبير، وعندي من الرأي أن نركب جميعاً ونسوق ونكبس العسكر الذي على حمص مع أرغون، ثم نعبّر دمشق وقد انتظم لنا الأمر كما نريد، وينضم إلينا كل من في الشام، وما دُمنّا نحن في هذه البرية لا يجيء إلينا أحد ويقل عدداً ونضعف، فقال الأفرم: والله صدقت. فقال مهني: هذه هي المصلحة، غير إننا نخاف أن يهلك بيننا مسلمون، ونعدم شيئاً كثيراً، فيتعلق ذلك برقابنا، بل الرأي عندي أن نكتب الأمراء الذين على حمص، فلعلهم يوافقوننا، ونعدهم بكل جميل، فإذا مالوا إلينا هان أمرنا بغير حرب ولا قتال مع المسلمين. فقال الزردكاش: هذا الأمر لا يتم لكم وسوف تعلمون قدر كلامي، فقال له مهني: أنت يا أهلك رجل جاهل، وهذا ما هو بمصلحة، فبينما هم في الكلام إذ جاء حاجب مهني، وقال لهم: جاء علاء الدين بن ديبس ومعه مملوك السلطان، فقال له مهني: خلّه يحضر، فأذن لهما، فدخل على مهني،

(١) في الأصل: كلما.

(٢) هو: الأمير شهاب الدين أحمد بن مهني بن عيسى، أمير آل فضل، توفي سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٣٨٠. ابن تغري بردي: المنهل، ٢، ٢٢٥. الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٣٩٨. الزركلي: الأعلام، ج ١، ص ٢٦١.

وسلما عليه وعلى الأمراء الحاضرين، ثم أخرج المملوك كتاب السلطان وناولوه لمهني، ثم أخرج كتاباً آخر وقال: هذا لقراسنقر، ثم قال: أين قراسنقر حتى أعطيه كتابه؟ فقال له مهني: أنت ما تعرف قراسنقر؟ قال: بلى أعرفه، ولكنه ما هو عندكم هنا، /٣١٩/ قال له مهني: هذا هو قراسنقر، فأشار إلى رجل بجانبه، فنظر إليه [مملوك السلطان ومعه]^(١) ابن الدبيس، فإذا هو بدوي عليه ثياب البدوية، وقد تلثم بلثامين، وكان هو قراسنقر قد غير حليته، فكشف عن لثامه فعرفه المملوك، فقام إليه وقبل يديه، ثم أعطاه كتاب السلطان، فأخذه، وقال لمهني: تقرأ كتابك أولاً أو أقرأ كتابي؟ فقال مهني: لا، إلا، كتابي، ففتح مهني كتابه، وإذا فيه يقول لمهني:

يا والدي كنت أحسب كل حساب، ولكن ما كنت أحسب أنك خيرت قراسنقر عليّ، فيا سبحان الله، بلغ قراسنقر إلى هذا الحد حتى يجاوبني ويقابلني بهذه المقابلة، وأنت ترضى له بهذا الفعل، هذا قط ما خطر بخاطري، فأريد من شفقة الوالد، كما أعرف منه قديماً، أن لا يرضى بشق العصا ولا [بإخلال]^(٢) النظام، لأن بهذا الأمر الذي فعله قراسنقر يُطمع غيره في المملكة ويضر في الدولة، فأريد من إحسان الوالد، إن لم تقبض عليه وتسلمه إلى مملوكي أرغون فابعده عنك إلى مكان، ثم أرسل إلى أرغون وأعلمه بمكانه، فيروح هو إليه ويكبس عليه ويأخذه، ويكون لك اليد البيضاء.

فوقف مهني على ما في الكتاب جميعه، ثم طواه وشاله، ثم فتح كتاب قراسنقر وإذا فيه يقول: من ولده محمد بن قلاوون، والله العظيم، /٣٢٠/ لقد أتعبت نفسك وأتعبتنا من غير شغل، أنا أعطيتك حلب وبلادها على عادتك، فأنت ترسل إلي وتطلب مني البيرة، وإش البيرة؟ فوالله، ما أرضاها لبعض ممالكك، لكن الأغراض تُنفق السلع، وقد أجبتك إلى ما طلبت، وأعطيتك البيرة تقيم فيها، وخبزك الذي في حلب معك، ولا تُخلّ نائباً في حلب إلا من تريده أنت، وإن أردت أن تكون في البيرة وتعين نائباً في حلب من ممالكك، وكل شيء في خاطرك أشرحه لي حتى أزيل الذي لا ينفعك، وهذا الخيال الذي تخيلت به ما وقع في [خاطري]^(٣)، والله العظيم، فانظر بين يديك ومن ورائك، ولا تشمت بك أعداءك، فقرأ الكتاب على الأمراء جميعهم.

ثم إن قراسنقر التفت إلى مملوك السلطان، وقال: بطل حكم هذا الكتاب، لأني كنت أولاً

(١) مكتوبة بهامش الأصل، وأشار الناسخ إلى موضعها بالمتن.

(٢) في الأصل: بخلال.

(٣) في الأصل: خاطره.

وحدي، والآن صرنا جماعة، فقال مهني للمملوك ولابن الدبيس: رُوحوا الآن واستريحوا، فقاموا وراحوا، وبعد خروجهم قرأ مهني كتابه على الأمراء، فقال الأفرم: يالدين محمد، ما يأمن إلى هذا السلطان إلا مَنْ ليس له عقل، أين هذا الكتاب من هذا الكتاب؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم تحدث كل واحد منهم على مقدار عقله، وقال لهم مهني: وأنا ما أمكنكم من الرّواح /٣٢١/ إلى بلاد العدو أبداً، ونفسي دون نفوسكم، فنقيم في هذه البلاد على هذه الصورة، وأكتب إلى السلطان بأن يعطيكم الرحبة وقلعة البيرة وقلعة الروم^(١) وبهسني^(٢)، وأنتم تدركون الأطراف، وأخباركم على حالها، فإذا أجاب وأقمتهم في هذه الأطراف أمنتهم شره، وأنا ظهركم، وتكون البرية حصننا، فأى وقت ظهر لكم منه شرٌّ، اخرجوا من البلاد إلى البرية، وهي قريبة منكم، فقالوا: هذا رأي جيد، غير أننا نريد أن تحلف لنا أنت وأخوك محمد^(٣) وابنك سليمان، فقال لهم: نعم، فاجتمعوا، وحلفوا كلهم بأيمان مغلظة على أنهم يدّ واحد، يعيشون جملةً واحدةً، ويموتون جملةً، ولا يتخلف بعضهم عن بعض.

ثم كتب مهني إلى السلطان وطلب هذه الأماكن المذكورة، وذكر في كتابه أيضاً: أما ما ذكره مولانا السلطان أبي قد خيّرْت قراسنقر عليه، فهذا شيء لا يكون أبداً، ولولا مولانا السلطان ما عرفت أنا قراسنقر ولا غيره من الترك، غير أن قراسنقر قد جاز على المملوك^(٤) وهو في بيته، وقد لزم المملوك أن يؤدي حقه بكل ممكن، لأن [عادة]^(٥) العرب من قديم الزمان أن لا يُضام نزيلهم، ولو كان هذا غريباً أجنبياً جاز على بيتي، بذلت روحي دونه ولا سيّما هذا رجل كبير أمير من الأمراء الكبار، فكيف كان يليق /٣٢٢/ بالمملوك أن يغدر به أو يشوش عليه وهو نزيله، ومع هذا، المملوك ما عمل شيئاً قبيحاً فإنه عوقه عنده، ولولا المملوك لكان قد ذهب إلى بلاد العدو من زمان، ومما يذكره المملوك أن جماعة من الأمراء أيضاً قد وصلوا إلى المملوك وفيهم: الأفرم، والزردكاش، وغيرهما، وقد سألوا المملوك بأن يسأل

(١) قلعة الروم: قلعة حصينة غرب الفرات، بين سمسياط والبيرة، بها مقام بطرك الأرمن ويدعى (كيتاغيكوس). الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٣٩٠.

(٢) بهسني: قلعة حصينة عجيبة قرب مرعش وسمسياط، من أعمال حلب وتبعد عنها أربع مراحل، (المرحلة ٤٠ كم). العمري: مسالك، ج ٢٧، ص ٤١٢. الحموي: البلدان، مج ١، ص ٥١٦.

(٣) هو: الأمير شمس الدين محمد بن عيسى بن مهني، من أعيان أمراء آل فضل في بادية الشام، توفي بسلمية سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م. الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٤١. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ٣٩١. الزركلي: الأعلام، ج ٦، ص ٣٢٣.

(٤) المقصود بالمملوك: مهني.

(٥) في الأصل: عادت.

مراحم مولانا السلطان ويتصدق عليهم بالقلاع المذكورة التي في أطراف البلاد التي لا يحصل لمولانا السلطان منها فائدة، وهم يتدركون البلاد ويكونون تحت ظل الدولة القاهرة، والمملوك يضمنهم في كل ما يجري منهم، فإن قبل مولانا السلطان كلام المملوك وسؤاله هذا، يرسل مملوكاً من مماليكه فيُخْلِي لهم هذه القلاع، والمملوك يوديعهم إليها، وإلا فهم مصممون على الرواح إلى بلاد العدو، ويكون المملوك قد عَرَفَ المصلحة وما قُبِلَ منه، فإن نقل ناقل خلاف ذلك فقد كَذَبَ، فإن المملوك على حلفه الذي حلفه للسلطان بأن لا يتخلى عنه ولا يخونه.

ثم إن مهني أوقف الأمراء على هذا الكتاب، ثم سلمه إلى حاجبه وأمره أن يُسَيِّرَه إلى السلطان، ثم يأتي بجوابه، فركب المذكور وسار.

ثم بلغ مهني أن أرغون سائر إليه وإلى الأمراء الذين عنده، فكتب إليه:

يا أرغون، لا يلعب أحد بعقلك بالركوب إلينا؛ والله العظيم، /٣٢٣/ ما أخلي أحداً يخرج معك، فاسكن في موضعك، فإني كتبت إلى السلطان كتاباً وأنا مُنتظر جوابه، فإذا حضر الجواب كان لنا الرأي بعد ذلك فيما يُفعل.

وأما قراسنقر فإنه قد أرسل إلى بيبرس العلائي^(١) والأمراء الذين على حمص مع أرغون، لكل واحد منهم كتاباً ومعه ألف دينار، وقال لهم: أنتم تظنون أن الملك الناصر إذا أخذني يخلي منكم أحداً؟! والله بعد أن يأخذني ما يخلي منكم ذقناً، فهلما بنا حتى نتفق ونملك الشام، فأني وقت حلفتكم لي ووافقتهموني، أطاعنا الشام كلها، وإن خالفتكم، فأنا خَلَّيت وُرُحت، فبعد ذلك يقبض عليكم كلكم، فتندمون ولا ينفعكم الندم، وقد ظهر لكم فعله بغيركم، وإن أمراء دمشق كلهم كاتبوني، وكذا كاتبني نائب دمشق^(٢)، والمعول عليه كله أنت، [يقول]^(٣) لبيبرس العلائي.

ولما وصل القاصد إلى بيبرس بالذهب، طلب كجكن^(٤) وغرلو^(٥) وغيرهما من الأمراء الذين على حمص وقرأ عليهم الكتاب، فقال كلهم: والله، إنه لصادق فيما قاله، وفرق عليهم الذهب، فأعطى ألف

(١) هو نائب حمص، وقد سبقت ترجمته ص ٨٩.

(٢) آقوش بن عبدالله الأشرقي، وقد تقدمت ترجمته ص ٩٨.

(٣) في الأصل: تقول.

(٤) كجكن: الأمير سيف الدين كجكن المنصوري، من أكابر مقدمي الألوفاً بدمشق، توفي سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م.

الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ١٤٩. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٣١٠.

(٥) غرلو العادلي، وقد سبقت ترجمته ص ٩٧.

دينار لطوغان وألف دينار لبرواني، وألف دينار لبيرس المجنون، وألف دينار للتاجي، وألف دينار لكجكن.

وسير قراسنقر أيضاً قاصداً إلى نائب دمشق، جمال الدين آقوش، وسير له معه جملة من الذهب، /٣٢٤/ قيل مقدار خمسين ألف دينار، وكتاباً يذكر فيه على لسان الأمراء المماليك: قراسنقر، وآقوش الأفرم، وأليك وبلبان الدمشقي، ومن معهم من الأمراء، يقبلون الأرض، وينهون أن المماليك قد اتفقوا مع أمراء الشام، وحلفنا كلنا بأن قد رضينا بأن تكون أنت سلطاناً علينا لما نعلم من دينك، وعقلك ومروءتك ورفقك بالرعية، وحلف معنا أيضاً مهني وجميع أمراء العربان، ونحن منتظرون الجواب.

فلما قرأ نائب الشام كتاب قراسنقر ورأى [الذهب]^(١) الذي مع قاصده إليه، صدقه في نفسه، فكتب جوابه: بأن المملوك رجل غريب في الشام، وما أظهر [السّر]^(٢) لأحد من أمراء الشام، ومهما [عملتم]^(٣) أنتم، فأنا موافق لكم.

ولما جاء الجواب بهذا إلى قراسنقر فرحاً شديداً.

وأما ممالك الأفرم وممالك قراسنقر وممالك بقية الأمراء، اتفقوا مع التركمان^(٤) الذين معهم، وقالوا: والله إن عيشنا عيش قَدَر^(٥) نكد، ونحن في هذه البراري فلا نشبع ولا نستريح فلماذا نُضَيِّع حالنا وأولادنا وأوطاننا ونخالف السلطان، فالرأي أن نكبس بالليل على الأمراء وعلى مهني أيضاً ونقتلهم، ونأخذ رؤوسهم ونذهب بها إلى الملك الناصر، فتحالفوا على ذلك [وفوضوا]^(٦) أمرهم إلى أمير التركمان علاء الدين بن الدريساكي^(٧)، /٣٢٥/ واتفقوا على أن يكون عملهم بهذا ليلة الجمعة، وكان اتفاقهم

(١) مكتوبة بهامش الأصل، وأشار الناسخ إلى موضعها بالمتن.

(٢) في الأصل: بيرس. والتصحيح لتقويم المعنى، حيث أن نائب الشام (آقوش) يقصد نفسه بأنه رجل غريب في دمشق وليس له أنصار ولا يستطيع أن يُظهر الكلام الذي عرضه عليه الأمراء.

(٣) في الأصل: علمتم.

(٤) التركمان: أمة من العجم ويدعون بالخزر، وهم من ولد توغرخا بن كومر بن يافث بن نوح، وقيل هم من بني طيراش بن يافث، وقيل نوع من الترك. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٤٢١. والمقصود في النص الجنود الذين ينتسبون إلى هذه الأمة.

(٥) قَدَر: ضَيِّق، نكد، أي قدره الله علينا نكداً. الزبيدي: تاج، ج ١٣، ص ٣٧٣.

(٦) في الأصل: وفوضوا. والتصحيح لتقويم المعنى.

(٧) هو: الأمير علاء الدين علي بن الدريساكي، أحد أمراء الطبلخاناه بدمشق. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٨٨.

فخرج ابن الدريساكي، واجتمع بالأفرم وحكى له جميع ذلك، فاجتمع الأفرم بقراسنقر، وأعلمه بذلك وكانت عدة المماليك نحو ألف وخمسمائة مملوك غير [التركمان]^(١)، فلما سمع قراسنقر بذلك تحيّر، ثم قال: قوموا بنا إلى مهني، فجاءوا إلى مهني وأخبروه بذلك، فقال مهني: والله حسبت هذا الحساب، والرأي عندي أن نفرق هؤلاء المماليك فإنهم مضرة غير منفعة، ثم قال لبعض عبيده: اطلب لي سليمان، فلما حضر حكى له الحكاية، ثم قال له: البس أنت وعبيدك وأعمامك وإخوتك، وألبس معك ثلاثة آلاف فارس من العرب، وتحضر بهم عندي قبل العصر، وإياك أن تعلم به أحداً.

فخرج سليمان من عنده على هذا، ومكث قراسنقر والأفرم عند مهني إلى العصر، فحضر سليمان ومعه ثلاثة آلاف فارس في عدد كاملة.

ثم طلب الأمراء مماليكهم، فلما حضروا كلهم، قال لهم الأفرم وقراسنقر:

اعلموا يا أولادي بأنكم ما قصرتم فيما فعلتم، وخدمتم كما ينبغي، حيث تركتم أولادكم وحرمتكم وجئتم معنا إلى هذا المكان، وهذا المكان فيه شقاء وتعب وجوع وعدم راحة، وهلك خيولكم وتلفتم أنفسكم، والمطلوب نحن، وما عليكم / ٣٢٦ / شيء، وقد رأينا المصلحة أن تروحوا إلى أهليكم وأولادكم، فإن انصلح أمرنا كنتم مماليكنا على عادتكم، بل نعمل معكم خيراً أكثر مما في خواطركم، وإن كانت الأخرى كنتم أنتم عند أولادكم.

فنظر المماليك بعضهم إلى بعض، ورأوا العرب ملبسين مستعدين، وسليمان على مقدمتهم، فعلموا أنهم علموا بحالهم، [فقالوا]^(٢): السمع والطاعة، غداً نروح، فقال مهني: والله، ما أخلي أحداً منكم يمشي في هذا المكان، فشيعوا^(٣) الجميع، غير أن كل أمير منهم خلى عنده عشرة مماليك أو اثني عشر ممن يثق بهم ويعتمد عليهم، وكذا شيعوا التركمان.

وقال الأفرم لابن الدريساكي: أنت اليوم مقدم التركمان، وربما تنفعنا في يوم آخر.

فركب ابن الدريساكي وأخذ التركمان معه، وسار يطلب حمص، ولما وصل إليها راح إلى أرغون واجتمع به، فقال بيبرس العلائي: هذا قد كان مع الأفرم، والآن قد جاء ومعه خلق من التركمان، فأوهم

(١) في الأصل: التركماني.

(٢) في الأصل: فقال. والتصحيح للسياق ليتوافق مع المعنى.

(٣) شيع: أرسل وتابع. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٦، ص ٣٩٨.

أرغون من ذلك، فقال له أرغون: كيف كان رواحك إليهم ثم مجيئك عندنا؟ قال: لا شك أن الأفرم كان حاكماً علينا، وكنا تحت أوامره، فلما طلعتنا معه إلى مرج حين، أخرج كتاباً مزوراً بأن الأمراء الذين على حمص قد اتفقوا على أنهم يسلطونني، وأنا رائج إلى حمص، وأن أرغون قد حلف معي، فاعتقدنا أنه صحيح، فلما نزلنا من الجبل /٣٢٧/ أخذنا وراح إلى ناحية مهني، وكنا عاجزين في ذلك الوقت، لأنه كان معه جمع كثير، فصرنا معه حتى وصلنا إلى مهني، فلما كان أول أمس أعطى الأمراء لمماليكهم دستوراً^(١) فتفرقوا، وما بقي عندهم أحد، فركبتُ أنا في الليل وخرجت من عندهم بالترکمان الذين كانوا معي، فقال له أرغون: طيب قلبك ورج استرح، فخرج من عند أرغون، فقالت الأمراء: لم ما مَسَكْتَ هذا الشيطان، هذا [هو]^(٢) الذي أثار الفتنة؟! فقال لهم أرغون: إذا جاء وقت العصر مسكناه، فسمع بذلك بعض تركمان حمص، وأعلم لابن الدريساكي بذلك، فركب يطلب حلب، لأن بيوته كانت قريبة من حلب، وسمع أرغون بأنه هرب، فأركب وراءه الخيل، وأرسل بطاقة إلى حلب، إلى الأمير قرطاي الحاجب، بأن ساعة وصول ابن الدريساكي تقبض عليه.

وأما ابن الدريساكي فإنه سمع في الطريق أن بيوته راحت إلى بلاد مرعش^(٣)، فسار إليها، ولما وصل إلى بيوته رَحَّلَهَا إلى جبال منيعة في بلاد سيس، وَحَصَّنَهَا هناك، وكان معه خمسة من أمراء التركمان، ومعهم خمسمائة بيتاً.

وأما قرطاي فإنه لما جاء له بطاقة ركب في مائتي نفس من عسكره، فلم يقدرُوا عليهم، فرجعوا خائبين، ثم أرسل قرطاي إلى أرغون بأن ابن الدريساكي ما جاء إلى حلب، /٣٢٨/ بل أخذ بيوته وراح إلى جبال منيعة في بلاد سيس، فالآن ما يقدر عليهم أحد. وأما ما كان من حاجب مهني الذي أرسله إلى السلطان، وابن موسى الذي أرسله أرغون، فإنهما لما وصلا إلى مصر وحضرا قُدَّامَ الملك الناصر، فقرأ الملك الناصر أولاً كتاب أرغون وفهم ما فيه، ثم قرأ كتاب مهني، ثم قال لحاجبه، وهو مُغْضَب: إش

(١) دَسْتُور: إجازة، إذن، رخصة. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٤، ص ٣٥٣.

(٢) مكتوبة بهامش الأصل، وأشار الناسخ إلى موضعها بالمتن.

(٣) مرعش: بلد في أرمينية، وهو أحد الثغور بين الشام وبلاد الروم، لها سوران وخندق وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني نسبة إلى مروان بن محمد، وبها رضى يعرف بالهارونية نسبة إلى الرشيد، فتحها خالد بن الوليد بتوجيه أبي عبيدة بن الجراح سنة ١٧هـ/٦٣٨م. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٣، ص ١٢٥٩. الحميري: الروض المعطار، ص ٥٤١. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ١٠٧.

مهني، وإش مقداره؟ حتى يكتب لي في كل وقت مثل [هذه]^(١) الكتب التي ليس تحتها طائل، ويأمرني أن أفرق البلاد على هؤلاء الكلاب، ولولا مهني ما خرجوا عليّ وهو الذي أطعمهم فيّ، دعه يأخذهم ويروح بهم إلى موضع شاء، ثم أمر في الحال أن يُخلع على ابن موسى، وأمر أن يُكتب له نصف إمرة العرب، ونصفها لفضل بن عيسى، فكتب الإمرة بين الإثنين، وكتب إلى أرغون يقول:

حال وقوفك على هذا الكتاب، وقبل وضعه من يدك، تركب بعسكر مصر والشام وتسوق خلف الأفرم وقراسنقر ومهني أينما كانوا، إما أنك تجيهم، وأما تهلك أنت ومن معك في البراري. ثم أمر لابن موسى بالرجوع، وأرسل معه كتباً لموسى وفضل ومشافهة كثيرة لهما، فقال ابن موسى: والله، لنحضرهم بين يدي مولانا السلطان وهم أذلاء صاغرون، ولو غاصوا في الأرض / ٣٢٩ / السابعة، فشكره السلطان.

وأما حاجب مهني فإنه طلب جواب كتابه، فقال السلطان: خَلّوه يروح، وليس لمهني ولا لقراسنقر عندي ولا الأفرم جواب، دعهم يفعلون ما يريدون، فعليهم الهرب وعَلَيَّ الطَّلَب.

فخرج ابن موسى وحاجب مهني من مصر طالبين، فوصل [ابن]^(٢) موسى ومعه منشور^(٣) إلى عمه بالإمرة، ومعه كتاب إلى أرغون بأنه يسوق خلفهم أينما كانوا، ووصل حاجب مهني وليس معه جواب، وأخبر لمهني أن خُبْرَه قد خرج لفضل بن عيسى، وشُطِب على خُبز سليمان.

فقال مهني: أنا خرجت من الخبز وعن البلاد من اليوم الذي جرى هذا الأمر، وجاء له الخبر بأن السلطان أرسل إلى أرغون بأن يسوق خلفهم، ولا يرجع عنهم، وأنه مع الأمراء في تجهيز الرّوايا^(٤) والقرب^(٥)، فقال قراسنقر: كيف يكون احتيالنا؟ قال مهني: إيش جرى؟ إن جاءوا يرجعون مثل الكلاب، وأنا لي كشافة عندهم يكشفون أخبارهم ليلاً ونهاراً، فكلما يتقدمون نتأخر نحن إلى البرية ولا نبالي نحن،

(١) في الأصل: هذا.

(٢) في الأصل: بن.

(٣) منشور: بيان بأمر من الأمور يذاع بين الناس ليعلموه، وهو عند الأيوبيين والمماليك: أمر سلطاني مكتوب إلى الأمراء والجنود بما يجري في أرزاقهم من ديوان الإقطاع، يختلف باختلاف مرتبة الصادر إليه، يقابله فرمان عند الأتراك العثمانيين. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٣، ص ٢٢١٢. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٤١١.

(٤) الرّواية: كل دابة يستقى الماء عليها، وهي أيضاً الوعاء الذي يوضع فيه الماء. الزبيدي: تاج، ج ٣٨، ص ١٩٢.

(٥) القرب: جمع قرية، وهو وعاء مصنوع من الجلد يستعمل لحفظ السوائل كالماء أو الحليب أو اللبن. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٣، ص ١٧٩٢.

لأن معنا الأكل والشرب، فالشرب من ألبان الإبل والأكل من فصلانه^(١)، ثم أمر سليمان ابنه أن يأخذ معه خمسمائة فارس يكونون وراءهم، فأبي من تقدم منهم للكشف يأخذونه، فإن كان /٣٣٠/ من الأجناد لا تؤذونه لأنه خرج غصباً، وأي من ظفرتهم من العرب فاقتلوه.

ثم إن مهني رحل من القسطل.

وأما أرغون فإنه جرد ثلاثة آلاف فارس مع كجكن وغرلو، وقال لهم: سوقوا خلف مهني، فساروا إلى سلمية، ومنها شالوا الماء في القرب والروايا ورحلوا، ثم نزلوا على الشجيرة، ثم رحلوا طالبين القسطل، فلقوا في ذلك اليوم مشقة عظيمة، وكان يوم صيف شديد الحر، وحمي عليهم البر، وقَلَّ الماء، وهم يرجون أن يكون في القسطل ماء، وسار بهم العرب مسيرة ثلاثة أيام حتى جاؤوا إلى الماء، ثم من أين للجند راوية يجيب فيها ماء يسقي خيله؟ فأخذهم سليمان، وبات العسكر على [القسطل]^(٢) في [أشأم]^(٣) بيات، وعند الصباح رحلوا راجعين، ولم يزالوا حتى وصلوا إلى حمص، فتلقاهم أرغون وقال لهم: ما جرى؟ فأخبروه بأن مهني ضرب في البرية ومعه الأمراء، وسرنا خلفهم ثلاثة أيام حتى هلكت خيلنا من العطش، ورجعنا ونحن في أسوأ حال.

ثم إن مهني أرسل إلى سليمان، يقول له: إن العسكر قد رجع إلى حمص، ورجع هو من المربة^(٤) ونزل على الشجيرة بجانب سلمية.

وأرسل أرغون بريدياً إلى مصر يُعلم السلطان بأن العسكر راحوا خلف مهني ومن معه /٣٣١/ ثلاثة أيام، فلم يظفروا بهم، لكونهم دخلوا في البرية، وهلكت خيول الناس، فرجعوا، فما وصلوا إلى حمص حتى عاد مهني بمن معه إلى سلمية، وبهذا الحال ينكسر عسكر السلطان ولا يحصل المقصود، وأنهم لا يقدرون على العرب إلا بعسكر يركبون الهجن ويجنبون^(٥) الخيل ويكون معهم روايا وقرب كثيرة.

فأرسل السلطان إلى أرغون، وهو ينكر عليه، ويقول: من هلك من الأمراء، ومن خرج منهم؟

(١) الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه (عند فطامه). ابن منظور: لسان، ج ٤، ص ٢٢١.

(٢) في الأصل: القسطل، والتصحيح مما سبق.

(٣) في الأصل: أيشم.

(٤) المربة: هي المكان الذي ترحل إليه القبيلة في فصل الربيع من أجل رعي المواشي. الباحث.

(٥) أي يستطيعون القتال على الهجن (الجمال) لقدرة على التحمل في البراري، لأن العرب يقطنون البراري ويركبون الهجن ويقاتلون عليها. الباحث.

فو الله العظيم، إن لم يروحوا وراءهم، ويسوقوا خلفهم، أخرجت ديارهم، وأعدمت أرواحهم، فَجَرَّدَ كل من عندك وتبقى أنت وحدك على حمص.

فلما وقف أرغون على هذا في كتاب السلطان قال للأمرءاء: هذا مرسوم السلطان يأمركم أن تخرجوا وراءهم ولا ترجعوا عنهم إلا أن يخرجوا من البلاد وتهلكوا أنتم كلكم، فقالوا: السمع والطاعة. فعند ذلك جَرَّدَ أرغون: الأمير كجكن، والأمير غرلو، والأمير جنكلي [بن] ^(١) البابا، ومعهم خمسة آلاف فارس، ومعهم: محمد بن أبي بكر ^(٢) وآل علي، وموسى بن مهني، ^(٣) فركبت العساكر، وبلغ الخبر إلى مهني، فرحل من الشجيرة ونزل على القسطل.

قال الراوي: بلغني أن في ذلك النهار بينما وصلوا إلى سلمية هلكت مئة وخمسون / ٣٣٢/ فرساً، ثم رحلوا من سلمية إلى قدم وقدم ^(٤)، [وبقوا] ^(٥) يومين وثلاثة ما رأوا نقطة من ماء، فهلكت الناس، وسليمان مع العرب يذبجون الجمال ويرمونها في الماء، فيأتي العسكر عليه فأبي من يشرب منه يرميه في الحال من فوق وأسفل ^(٦).

وخرجت جماعة من آل علي يُدَوِّرون على الماء، فأخذهم سليمان بن مهني، وما بقي أحد من العرب يستجري [أن يخرج] ^(٧) إلا ويأخذه، فيصادف أصحاب سليمان جماعة من الجند فيقولون: ما جاء بكم هاهنا؟ فيقولون: العطش، فيقول لهم أصحاب سليمان: دلونا على العرب الذين معكم ونحن نسقيكم، فيدلونهم عليهم، فيحصلونهم، ثم لم يزل سليمان يعترض العسكر تارة من اليمين وتارة من الشمال، فكلما يطرده يَرُدُّ عليهم فيكسر منهم، فلم يزل العسكر سائرين كذلك حتى وصلوا إلى عُرض ^(٨)، وهم في أسوأ حال من العطش، وقد انقطع أكثرهم من العطش والسوق،

^(١) إضافة مما سبق للتوضيح.

^(٢) محمد بن أبي بكر: الأمير شمس الدين محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة بن غضية بن فضل بن ربيعة، أمير آل علي (من آل فضل). المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٢٤١.

^(٣) كان موسى بن مهني وعمه فضل بن عيسى عند أرغون، حسب ما سبق.

^(٤) بالعودة إلى كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، وكتاب مراصد الاطلاع لابن عبد الحق، والروض المعطار للحميري، لم يتم الحصول على أية معلومات عن هذا المكان.

^(٥) في الأصل: بقيوا.

^(٦) نتيجة شرب الماء الملوث يُصاب الجنود بأمراض الهضم، فيبدأ لديهم القيء والإسهالات الشديدة. الباحث.

^(٧) مكتوبة بهامش الأصل، وأشار الناسخ إلى موضعها بالمتن.

^(٨) عُرض: موضع بين تدمر والرصافة في الطريق إلى حلب، ويدعى: الطيبة. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ٩٠٠. البكري: معجم، ج ٢، ص ٦٢٩. و ج ٣، ص ٩٢٣.

وفلق^(١) منهم في ذلك النهار خلق كثير وخيل كثير، ولما وصلوا إلى عُرض وقعوا على قناتها مثل القَطَا^(٢)، وكان ماؤها قليلاً، فصاروا يتضاربون عليها بالسيوف، وعَظُم الأمرُ بين المصريين والشاميين، وسليمان واقف من بعيد ينظر إلى أحوالهم، ولو أراد الكبس عليهم لكبسهم وأخذهم، ولكن أباه مهني /٣٣٣/ ما كان يُمكنه من ذلك، وما كان يريد أن يؤذي مسلم، ثم رحلت العسكر يطلبون الرحبة.

وأما مهني فإنه نزل على جانب الفرات، على أرض فيها ماء ومرعى وكلاً، وبقي هو مع الأمراء يتصيدون، وسمع أهل عانة^(٣) والحديثة^(٤) بهم، فجلبوا إليهم القمح والشعير وكل ما يحتاجون إليه.

ونزلت عسكر السلطان مع كجكن على الرحبة، وتلقاهم نائب الرحبة الأركشي، وجاز سليمان وراءهم من الرحبة، وأرسل يقول للأركشي: أحسن إلى ضيوفك، وجاء إلى أبيه وأخبره بأن العسكر وصلت إلى الرحبة، وهم في أسوأ حال، وتلف منهم خيل كثير، وهلك منهم ناس، وتضاربوا على الماء بالسيوف، فقال مهني: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هذا والله نقص في المسلمين، وما ينال المشقة إلا الأجناد المساكين، والغلمان والخدام، وأما الأمراء فإنهم لا يبالون بذلك، وهذا كله في ذمة الملك الناصر، فقال سليمان: والله، لولا خوفاً منك لكنت كبستهم في الليل، وما كنت أُخَلِّي منهم ذقناً،

ثم طلب مهني ولده أحمد، فقال له: خذ معك مئتين من العرب واذهب بهم إلى المشهد^(٥)، واعمل لنا يزكاً^(٦)، ولا تغفل عن كشف القوم ليلاً ونهاراً، وأمر ولده الآخر أن يأخذ معه خمسمائة فارس

(١) فلق: شقق، والمراد في النص تشرد العسكر. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٨، ص ١١٦.

(٢) القَطَا: نوع من الطيور أصغر من طائر الحجل، رمادي اللون رأسه شبيه بطائر السمان. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٨، ص ٣٣١.

(٣) عانة: بلد مشهور بين رحبة مالك بن طوق وهيت، على الفرات، وهو من أعمال الجزيرة الفراتية، فيه قلعة حصينة.

القزويني: آثار البلاد، ص ٤١٨. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ٩١٢. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٧٢.

(٤) الحديثة: حديثة الفرات، وتدعى: حديثة النورة، وهي بلد فوق هيت على بعد فرسخ من الأنبار، لها قلعة حصينة وسط الفرات والماء يحيط بها، وجه إليها عمار بن ياسر عندما كان والياً على الكوفة من قبل الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب ع جيشاً بقيادة أبو مدلاج التميمي ففتحها وأنشأ مدينتها. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ٣٨٧. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٢٣٠.

(٥) المقصود هنا: مشهد الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب ع، بالقرب من رحبة مالك بن طوق على الفرات. الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٣٩٨.

(٦) يزك: (فارسية) رئيس العسس، حرس الطليعة، ويقام اليزك بين الطريق والعدو ليمنع من يخرج من معسكر العدو أو يدخل. دوزي: تكملة المعاجم، ج ١١، ص ١١٨. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٤٤٦.

ويعسك يزكاً / ٣٣٤/ على قُبَابٍ^(١)، وأمر مفرج بن هلال^(٢) أن يأخذ معه مئتي فارس ويمسك يزكاً على السُّخْنَةَ^(٣)، وقال لهم: اجعلوا بالكم من ناحية تدمر، ثم سير أخاه محمداً مع خمسمائة فارس إلى قائم العنقاء^(٤)، فقال له قراسنقر: ما الحاجة إلى أن ترسل هؤلاء إلى قائم العنقاء وهو في الشرق؟ ومن يجيء إلينا من الشرق؟ فقال: نعم، من الشرق ومن الغرب فلا تهملهما وأنا أخبرك بالملك الناصر وبجيئته وبمكره، وفَرَّقَ العريان في أقطار الأرض، ثم استدعى مهني حاجبه وهو عُبيد بن جلال، وقال له: سر إلى هؤلاء الأمراء الذين نزلوا على الرحبة، وأعطاه كتاباً، وأمره أن لا [يقرأه]^(٥) حتى [يجتمعوا]^(٦) كلهم، فأخذ عُبيد الكتاب وسار حتى وصل إلى الرحبة، واجتمع بنائها الأركشي، وكانت العسكر نازلين عليها، وهم أكثر من أربعة آلاف فارس، والرحبة ما تحمل أكثر من مئتي نفس، وهم في قلق شديد من جهة المأكول، فنزل الأركشي ومعه عُبيد حاجب مهني، وجاء إلى خيمة لاجين، واجتمعت الأمراء جميعهم، فقال: يا أمراء، مهني يُسَلِّم عليكم ويقول لكم: كلما تأخرنا إلى الورا وأنتم تتبعوننا، وأنا، والله العظيم، ما تأخرت عنكم فزعاً وخوفاً منكم، وأنا لو جاءني / ٣٣٥/ كل من على وجه الأرض وتبعني أهلكته في هذا البر، ولكنني ما أريد أذى مسلم، ولو أي أردت قتلكم [قتلتكم]^(٧) من زمان، ولكن أنا أعلم أنكم مجبورون على خروجكم، وقد طولت معكم إلى هاهنا، فصار العذر واضحاً عند كل أحد.

ثم إنه أخرج كتاب مهني وناول له لقرا لاجين، ففتحه وقرأه على الأمراء، فإذا فيه يقول: من أخيك مهني، أراك يا أمراء قد زاد طمعكم فينا، وكثر جهلكم بنا، وقد تعدى طوركم، وزاد علينا أمركم،

(١) قُبَاب: بئر ومنزل في طريق دمشق من الرحبة في طرف جبل البشري، بينه وبين السخنة مفازة لا ماء فيها. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٣، ص ١٠٦٢. ابن العديم، عمر بن أحمد ت: ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م: بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج ١، ص ٤٣٦.

(٢) بعد الرجوع إلى كتاب السلوك للمقريزي والنجوم والمنهل لابن تغري بردي والوائي؛ أعيان العصر للصفدي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات عنه.

(٣) السُّخْنَةُ: بليدة في بركة الشام، بين أرك وعُرض، وفيها عين ماء حارة سُميت بها، وتقع على طريق الذهاب من الرحبة إلى دمشق قبل أرك. ابن بطوطة: الرحلة، ج ٤، ص ١٧٦.

(٤) قائم العنقاء: يقع على الجانب الغربي، في طريق الرقة من بغداد، وهو بناء عال كان مرقباً للفرس على الروم، وهو الحد بين الدولتين، ويدعى بدير القائم الأقصى. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ٥٧٠. الحميري: الروض المعطار، ص ٢٥٠. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٥٢٦.

(٥) في الأصل: يقرأ.

(٦) في الأصل: يجتمع.

(٧) في الأصل مكتوبة بين الأسطر.

ولو أردت من [أول]^(١) يوم فرقت جمعكم، وشتت شملكم، ولكن ما أردت أن يُقال عني: أنه أفسد البلدان وقطع الطرقات وخَوَّف الناس في جميع الجهات، فلمَّا تأخرت عنكم ظننتم أني عاجز، وفي قلبي خوف، وأنا، والله العظيم، ما فعلت هذا إلا إخماداً للشر وإصلاحاً للأمر، ولو أردت الفساد كبستُ عليكم في حمص، لكن كان يحصل الأذى للأجناد الصعاليك والفقراء، وإنَّا قد حلفنا برب السموات والأرض، إن أمسى منكم أحد على الرحبة، لأذقنه طعم السيوف والرماح، وقد أعذر من أنذر، وأنصف من حذر، والسلام.

وهم في الحديث، فإذا بالكشافة التي كانوا على قُبَاقب قد جاؤوا وهم عرايا مشلَّحين، فسألهم الأركشي عن حالهم، فقالوا: نحن وقوف عند طلوع الشمس، [وإذا]^(٢) / ٣٣٦ / أقبل علينا سليمان بن مهنى ومعه فرسان كثير من العرب ملبسين، فقبضوا علينا، وجابونا إليه، فأخذ خيلنا وقماشنا، ثم قال: رُوِّحُوا غداً نرد عليكم خيلكم وقماشكم إذا جئنا إلى الرحبة، فبينما هم في ذلك، فإذا برَّاج^(٣) الرحبة قد جاء ومعه بطاقة، فقال الأركشي: من أين هذه البطاقة؟ قال: من قائم العنقاء، وكان هناك كشافة من جهتهم، ففتح الأركشي البطاقة فقرأها على الأمراء، فإذا فيها: يذكر أن محمد بن عيسى وصل ومعه ألف فارس، وأنه قد مسك جميع الطرقات، وإنَّا قد هربنا منه إلى زور الفرات^(٤)، فقالت الأمراء: لا يكون في نية مهنى الغدر بنا، ويمسك علينا الدروب والطرقات؟ فقال بيبرس العلائي: والله، لو أراد مهنى أذيتكم ما خلى أحداً منكم يصل إلى هذا المكان، فتشاوروا فيما بينهم، وقالوا: نرجع بحرمتنا، وهؤلاء قد وصلوا إلى الفرات وما بقي علينا لوم، وهم في حكم بلاد التتار، وقد خرجوا من بلاد السلطان. واتفق الأركشي معهم على ذلك، ثم قاموا ورحلوا، ولم يبت منهم أحداً في تلك الليلة على الرحبة.

ذكر ما جرى لقراسنقر والأفرم ومن معهما ودخولهم في بلاد التتار / ٣٣٧ /

ثم إن قراسنقر والأفرم ومن معهما قالوا لمهنى: ما بقي بعد هذا الأمر شيء، وها نحن قد وصلنا إلى بلاد التتار، ولم يبق لنا إلا العبور، وقد صبرنا إلى هذا الوقت، وقلنا عسى الملك الناصر يرجع وينظر

(١) في الأصل: لول.

(٢) في الأصل: وإذا.

(٣) برَّاج: حارس برج القلعة، والمقصود القائم على برج الحمام الزاجل. دوزي: تكملة المعاجم، ج ١، ص ٢٧٣.

(٤) زور الفرات: الزور: هو الميل والإعوجاج، وهي قرية على شاطئ الفرات من أعمال هيت، والمقصود هنا: غابات =

في أحوالنا وأحوال المسلمين، فما فعل شيئاً، فأخبر الأمر رضىنا منه بالقلاع الخراب في أطراف البلاد بعد مُلك الشام وحلب، فما رضى بذلك، وكلما رَقَّ قلبنا قَسِيَ قلبه، وما بقي إلا العمل بضد قصده، فقال لهم مهني: طولوا أرواحكم، فأنا لأجلكم تشَتُّ عن بلادتي وتركْتُ أخبازي وطاوعتكم، ودخلتُ معكم في أي شيء أردتم، فندخل في هذه البراري، فنصبح في أرض ونمسي في أرض، وأمراء العرب يخربون البلاد ويُحَرِّمون أحداً يدب على وجه الأرض حتى يرجع الناصر ويسألنا ويدخل علينا، فقال قراستقر: والله، يا أبا سليمان ما بقي الملك الناصر يخلينا نعبّر البلاد إلا إن كان بالرغم منه، وهذا الرجل مُعَانِدٌ مَكِرٌ لا يرجع إلى أحد، فاتفقوا على أن يرسلوا قاصداً إلى خربندا يطلب لهم منه الأمان حتى يعبروا إلى بلاده، فقال لهم البيسري: والله، ما تجدون قاصداً أَخَيَّرَ مني، أنا أروح إليه، فقالوا له: إذا رُحْتَ أنت ينبغي أن لا يعلم بك أحد إلا الله تعالى، فقال: أنا أروح بالليل، فإذا أصبحتم فقولوا: هرب البيسري / ٣٣٨/ وأنا أروح إلى خربندا وأخذ منه الأمان وأرسله إليكم، فقال قراستقر: أنا أكتب كتاباً إلى حاجب ماردن يُسَيِّرُ معك مماليكاً من جهته.

ثم تجهز وسار وعدَّ الفرات بالليل، وسار يطلب ماردن، ولما أصبحوا أشاعوا بأن البيسري قد هرب الليلة، فركبت الخيل وركب أيضاً مهني وقصَّوا آثاره إلى مخاضة^(١) الفرات، ثم رجعوا، ولم يروا شيئاً. وأما البيسري فإنه سار ليلاً ونهاراً إلى أن وصل إلى عَرَبَانَ^(٢)، [ومن]^(٣) عَرَبَانَ وصل إلى ماردن، وكان سوتاي^(٤) مقدم الأطراف نازلاً على [البشيرية]^(٥) من قرب ماردن، فلما دخل البيسري إلى ماردن، طلع إلى حاجب ماردن، فلما رآه أكرمه وأجلسه، وسأله عن حاله، فأخرج كتاب قراستقر وقرأه، وقال: السمع والطاعة، أمعك كتاب إلى خربندا؟ فقال: نعم، فأمر بأن يذهبوا معه إلى سوتاي،

=الفرات وزراعاته. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ٦٧٥.

(١) مخاضة: مكان ضحل الماء يخوضه الناس مشاةً أو رُكباناً. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٧٠٧.

(٢) عربان: بليدة بالخابور، تقدم ذكرها والتعريف بها ص ١٢٠.

(٣) في الأصل: وبن.

(٤) في الأصل: سوتان، وهو: سوتاي التتري، كان أمير آخور عند أبغا ملك التتار، ومعظماً عند جميع ملوكهم، كان حاكماً على ديار بكر وأعمالها من أوائل دولة أوجلياتو محمد خربندا إلى أواخر دولة أبو سعيد، توفي في (بلد) من قرى الموصل سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م. الصفدي: الوافي، ج ١٦، ص ٢٤. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٢٧. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٦، ص ١٠١.

(٥) في الأصل: البشيرية، والبشيرية: قلعة بشير، وهي من قلاع البشونية الأكراد، من نواحي الزوزان. الحموي: البلدان، مج ١، ص ٤٢٩.

فسأله سوتاي، فحكى له البيسري الحكاية وصورة ما جرى، وكان خربندا على أوجان^(١)، فساروا به إليه، فلما حضر قَبْلَ [الأرض]^(٢)، وكان معه مملوك حاجب ماردين ومملوك سوتاي، وناول مملوك حاجب ماردين كتاب أستاذه إلى خربندا، فإذا فيه يقول:

إن في يوم كذا، في شهر كذا وصل إليَّ أمير من أمراء الشام يسمى البيسري، / ٣٣٩ / وذكر بأن قراسنقر والأفرم وجماعة من الأمراء وصلوا إلى جانب عانة، وقد سَيَّرُوهُ ومعه كتاب فيه شرح حالهم. وكذا قدم مملوك سوتاي كتاب أستاذه فقرأه، ثم التفت إلى البيسري، وقال له: إيش الحكاية؟ فأخرج الكتاب من وسطه وناول له خربندا، فأمر خربندا لسعد الدين^(٣) بقراءته، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، المماليك: قراسنقر وآقوش الأفرم وأبيك الزردكاش وبلبان الدمشقي، يُقْبِلُونَ الأرض وينهون أن المماليك جنى عليهم أستاذهم من غير جريمة عملوها، وقد انشمروا^(٤) من بين يديه إلى أطراف البلاد، فإن كان الملك الأعظم يتصدق على المماليك بأمان شريف، بأن يحضروا إلى تحت ظله الشريف، ويعيشوا تحت ركابه أسوة من شملتهم صدقاته، وإن كان لا، فالبلاد واسعة وأرض الله عز وجل متسعة، فإذا حصل التصدق على المماليك بالأمان يرجع به حاجبنا، ويكون معه الأمير سيف الدين بزلار^(٥).

فلما سمع خربندا بذلك أرسل وراء بزلار وكان في كنج^(٦)، فلما حضر خلع عليه وعلى البيسري خلعة سنية وأعطاه فرساً من الخاص، وقال لهما: اذهبا إلى الأمراء، ولهم الأمان وما يريدون، فلما وصلا

(١) أوجان: مدينة متسعة الجوانب بظاهر تبريز، ذات مروج ممتدة وماء جم، اتخذها أواخر ملوك التتر مشقاً لهم، بما قصرأ معد لنزول السلطان وقصوراً أخرى لكبار الأمراء. العمري: مسالك، ج ٣، ص ١٩٩. لسترانج: بلدان الخلافة، ص ١٩٨.

(٢) إضافة للتوضيح.

(٣) سعد الدين: الأمير الكبير سعد الدين محمد بن علي الساجي العجمي، كان من جملة وزراء خربندا، وكان ظالماً إلا أنه عمّر جامعاً في بغداد أنفق عليه ألف ألف درهم، فرافعه إلى خربندا فقتله، وذبح ابنه قبله، وذلك سنة ٧١١هـ / ١٣١١م. الصفدي: الوافي، ج ٤، ص ١٤٨؛ أعيان، ج ٤، ص ٦٠٤. الذهبي: العبر، ج ٤، ص ٣٠. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ٣٥٨.

(٤) انشمروا: تخلوا عن، ترك، والمراد في النص: الانصراف. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٦، ص ٣٥٢.

(٥) بعد الرجوع إلى كتاب السلوك للمقريزي والنجوم والمنهل لابن تغري بردي والوافي للصفدي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات عنه.

(٦) كنج: (كنجة)، مدينة عظيمة هي قصبة بلاد أران، بين أصبهان وخوزستان، أهل الأدب يسمونها: جنزة، وإليها تُنسب الثياب الكنجية. ابن عبد الحق: مرصّد، مج ٢، ص ١١٨٠. الحميري: الروض المعطار، ص ٤٩٦. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٤٨٢.

إليهم فرحوا بذلك، وسَيَّرُوا / ٣٤٠ / لخريندا هدايا وتحفاً، وكان معهما كتاب من خريندا مضمونه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من أخيه خريندا محمد، الذي يعلم به الوالد شمس الدين قراسنقر والأمراء، أعزهم الله تعالى، أنه وصلني كتابكم وعلمت مضمونه، وحدثني الأمير بدر الدين البيسري ما كان معه من المشافهة، وعلمت مقصودكم، فتجهزوا واحضروا طيبين القلوب منشرحين الصدور منبسطين الآمال، وكل من خلَّى في بلده شيئاً من الغنم أعطيته عوضه فرساً، ومن خلَّى درهماً أعطيته ديناراً، وبلغني أنكم كنتم خائفين من مدة أربعة شهور، وعَوَّقكم عن الحضور كلام المبغضين، لأنهم قالوا لكم: إذا رحتم إلى خريندا ربما لا يأمن إليكم، وربما يهلككم، لأن الأمير قفجق، نائب الشام عَيَّرَ^(١) أيام قازان، ثم رجع وترك الملك، وليس فيه شيء، لأن قفجق قد أتى إلينا مستجيراً مما قد حلَّ به من الأمور، وما رأينا منه إساءةً، ووعدنا له أن يُكشِف ضُرَّهُ ويُعيدَه إلى دمشق كما كان نائباً، فلما ملكنا دمشق ولَّيناه نائباً كما كان، وأنه كان ناصحاً لنا ودبر جيشنا، والدليل على ذلك أنه لما كان دليل عسكرنا انتصرنا وكسرنا عسكر الشام، وفي المرة التي توجه عسكرنا بدونه انكسرت عسكرنا، / ٣٤١ / ولو كان حياً وكان عندنا، كان هو المدير لأمرنا والمتولي لمصالح بلادنا، فاصفوا نياتكم، وتوجهوا إلينا، ولا تحملوا همَّ نسائكم وأولادكم، فإن شاء الله تعالى، أجمع شملكم كما تريدون.

وكان قراسنقر والأفرم ومن معهما، من حين سافر البيسري، عزلوا بيوتهم عن بيوت مهني، فلما جاء البيسري بهذا الخبر، اتفقوا على الرواح، وما أصبح الصباح إلا وهم قد ركبوا ملبسين وشالوا خيامهم، وبلغ ذلك مهني، فركب وركب معه العربان، فقال لهم: إيش هذا؟ فقالوا: جزاك الله عنا كل خير، لقد عملت معنا ما لم يعملهُ أحد، واجتهدت غاية الاجتهاد، وضيعت أموالاً بسببنا، غير أن رأينا الأمر يطول، وهذا السلطان ما يحصل لنا منه خير، ومتى ما ظفر بنا ما يشرب علينا ماء، ثم [بكوا]^(٢) بالضحيج والعجيج^(٣).

(١) إثر خلاف نائب الشام (قفجق) مع السلطان المملوكي لاجين، هرب قفجق إلى بلاد التتار، فأقطعه ملكهم قازان مدينة همدان، وكان قفجق على مقدمة جيش التتار في واقعة وادي الخازندار سنة ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م والتي تلاها دخول التتار إلى الشام، فعينه ملك التتار قازان نائباً له على دمشق، لكنه بعدها تصالح مع السلطنة المملوكية، وكان له الفضل الأكبر في انتصار الجيش المملوكي على التتار في معركة شقحب سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٦١-٧١.

(٢) في الأصل: بكون، والتصويب يتفق مع المعنى.

(٣) العجيج: رفع الصوت والصياح بالدعاء والاستغاثة. ابن منظور: لسان، ج ٢، ص ٣١٨.

وبكى سليمان ومهني والده، ثم دخل عليهم مهني أن لا يروحوا إلى ديار الغربية، فما رآهم إلا وقد صَمَمُوا على الرواح، ثم ساروا وودعوا مهني وولده وهم سيكون، وقراسنقر على أولهم، ولسان حاله ينشد يقول:

إذا رَشَقْتُ قَلْبِي سَهَامُ المصائبِ
 / ٣٤٢ / وزادت بي الأشواقُ أَلْقَنِي الصَّنَى
 تَرَحَّلْتُ عَنْ أَرْضِ الشَّامِ وَخَصْبِهَا
 وَسِرْتُ بِأَبْطَالِ كِرَامٍ وَسَادَةِ
 عَسَفْتُ^(١) بِهِمْ بَرًّا وَقَفَرًا مَوْعَرًا
 إِذَا مَا رَخَى اللَّيْلُ الْبَهِيمُ سَتُورَهُ
 وَتَنْفُرُ غَزْلَانُ الْفَلَا مِنْ هَدِيرِنَا
 وَنَحْنُ عَلَى جَرْدٍ قَدَاحِ ضَوَامِرٍ^(٢)
 نَسِيرُ إِلَى قَيْلٍ^(٣) هُمَامٍ غَضَنْفِرٍ
 مَلِيكٌ مِنَ التَّرِكِ الصَّنَادِيدِ أَصْلُهُ
 فَإِنْ تُجَرَّتَنَّهُ لِلنَّوَالِ فَحَاتِمُ / ٣٤٣ /
 قَصْدِنَاكَ يَا شَمْسَ الْمُلُوكِ مُحَمَّدٌ
 تَكُونُ لَنَا حِصْنًا حَصِينًا وَمُرْتَجَى

وفاضتْ دموعي من جفوني السَّحَابِ
 وَلَا لِي طَرِيقٌ عَلَى سَبِيلِ الْحَبَايِبِ
 عَلَى الرَّغْمِ مَيِّ بَعْدَ شَيْبِ الدَّوَائِبِ
 يُجَيِّسُوا النَّدَاءَ يَوْمَ اَزْدِحَامِ الْمَوَاكِبِ
 عَلَى جَوَالٍ يُجَيِّحُ الْغِيَاهِبِ^(٤)
 تُعَارِضُنِي الْأَشْوَاقُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
 وَيَجْفُلُ مِنَّا غَوْلُهَا وَهُوَ رَاعِبٌ
 طَوَالَ الْهُوَادِي^(٥) لِينَاتِ الْمَرَائِبِ
 مِنْ أَوْلَادِ خَاقَانَ جَزِيلِ الْمَوَاهِبِ
 لَهُ الْفَخْرُ بَيْنَ النَّاسِ سَهْلُ الْمَطَالِبِ
 وَمَا مِثْلُهُ فِي شَرْقِهَا وَالْمَغَارِبِ
 تَلَقَّبَ خَرِينْدَا^(٦) الْعَظِيمِ الْمَنَاقِبِ
 فَأَنْتَ الَّذِي تُدْعَى لِكَشْفِ النَّوَائِبِ^(٧)

ثم قال قراسنقر لسليمان: يا علم الدين، لقد أُولَيْتَنَا بِالْجَمِيلِ مَا نَعْجَزُ عَنْ مَكَافَاتِهِ، فَلِلَّهِ دَرَكٌ

(١) عسف: العسفُ: السَّيْرُ بَعْدَ هِدَايَةٍ وَالْأَخْذُ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ. ابن منظور: لسان، ج ٩، ص ٢٤٥.

(٢) جوال يجيح الغياهب: جوال: أي تَنَقُّلٌ، يجيح: من جائحة وهي الهلاك، الغياهب: الظلمات. والمراد في النص السفر الذي يؤدي إلى الهلاك. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٤، ص ٤٤٠. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٢، ص ١٦٤٨. ابن منظور لسان، ج ٢، ص ٤٣١.

(٣) جرد قداح ضوامر: جرد: ملساء عارية، قداح: القدح: العود إذا بَلَغَ فَشُدَّ بَعْنُهُ الْعُصْنُ وَقُطِعَ عَلَى مِقْدَارِ النَّبْلِ (قدح الفرس: ضمّر). ضوامر: هزيلة الجسم. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٣٦٠. الزبيدي: تاج، ج ٧، ص ٣٨.

(٤) طوال الهوادي: طويلة الأعناق، قَالَ طُفَيْلٌ يَصِفُ الْحَيْلَ: طَوَالَ الْهُوَادِي، وَالْمُثُونُ صَلِيبَةٌ، ... مَغَاوِيرُ فِيهَا لِلْأَمِيرِ مُعَقَّبٌ. ابن منظور: لسان، ج ١، ص ٦١٥.

(٥) القَيْلُ: النَّائِمُ فِي مَنَازِلِهِ. الزبيدي: تاج، ج ٣٠، ص ٣٠٥. والمراد في النص القائم على سدة حكمه ويقصد خريندا.

(٦) خريندا: أي عبدالله. تقدمت ترجمته ص ٩٩.

(٧) البحر الطويل.

من ملك ما أكرمه، ومن همام ما أجَّله، فلا أحمده الله نارك، ولا [كلّ] ^(١) بتَّارك ^(٢)، فارجع راشداً، فقال: وذمة العرب ما أرجع حتى تصلوا إلى مأمنكم، فسار معهم إلى سنجار ^(٣)، ثم ودَّعهم وعاد.

وكان يوم دخولهم سنجار يوماً مشهوداً، لأنه وقع النداء في سنجار: أي من لا يخرج ومعه شمعة راحت روحه، فلم يبق فيها أحدٌ من الرجال والنساء والكبار والصغار إلا وقد خرج، ونثروا عليهم الدراهم والدنانير، ثم إنهم نزلوا في جوسق ^(٤) بخارج سنجار، كان الأمير بدر الدين لؤلؤ ^(٥) بناه، ولما رجع سليمان أعلم والده مهني بأنه شيعهم إلى سنجار.

ثم كتب مهني إلى الملك الناصر يُعلمه بأنهم عبروا إلى التتار، وأني نصحتك فما قبلت، وما كان كلامي إلا إصلاح / ٣٤٤ / بلادك وصلاح ممالكك، وما بقيت ترى مثل هؤلاء الأمراء، والرأي رأيك. وأرسل كتابه مع ابن أخيه إلى مصر من الرحبة.

ونائب الرحبة الأركشي أرسل إلى نائب دمشق [يُعلمه] ^(٦) برواح الأمراء، ولما تحقق السلطان ذلك طلب مملوكه سودي ^(٧) وولاه نيابة حلب، وقال له: اركب من ساعتك هذه ورج إلى حلب، فركب

(١) في الأصل: أكل. وكلّ تعني: ملّ وتعب، سيف خليل: لا يقطع. ابن منظور: لسان، ج ٩، ص ٥٢٢.

(٢) البتار: اسم من أسماء السيف. الباحث.

(٣) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بالقرب من الموصل ونصيبين في لحف جبل عال، وتبعد عن الموصل ثلاثة أيام، وهي طيبة جداً كثيرة المياه والبساتين والعمارات الحسنة. الكرخي: المسالك، ص ٧٣. الإدريسي: نزهة المشتاق، مج ٢، ص ٦٦٠. القزويني: آثار البلاد، ص ٣٩٣. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ٧٤٣. الحموي: البلدان، مج ٣، ص ٢٦٢.

(٤) الجوسق: لفظ فارسي معرب معناه: القصر، أو بناء صغير يشاد في بستان أو على سطح بناء للمتعة، وقد أطلق العرب اسم الجوسق على البرج العالية التي كانوا يرصدون من خلالها حركة الأفلاك. الفراهيدي، الخليل بن أحمد ت: ١٧٠هـ/ ٧٨٦م: العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار المحلل، بغداد، ١٩٨٥م، ج ٥، ص ٢٤٣. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ١٣١.

(٥) بدر الدين لؤلؤ: لؤلؤ بن عبدالله الأتابكي، الملقب بالملك الرحيم، صاحب الموصل، مولى نور الدين أرسلان بن السلطان عز الدين مسعود، توفي بالموصل سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م. الصفدي: الوافي، ج ٢٤، ص ٣٠٨. الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ٢٤٥.

(٦) في الأصل: يعلمهم.

(٧) سودي: الأمير سيف الدين سودي بن عبدالله الناصري، كان من أعيان الأمراء عند الناصر، وصل نائباً إلى حلب في شهر ربيع الأول سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م، وقد عمل على إيصال الماء من نهر الساجور إلى حلب، توفي بحلب سنة ٧١٤هـ/ ١٣١٤م. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٦. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٤. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٤٨٧-٤٨٨، والوافي، ج ١٦، ص ٢٦، ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٢٨. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٦، ص ١٨٢.

من ساعته وخرج، ثم بعد خروجه طلب السلطان، تمر الساقبي،^(١) وقال له: خذ معك ألف فارس واخرج بهم إلى الشام، واعبر إلى حمص، وأمسك بيبرس العلاني، فإن بيبرس هذا كان في العسكر مع أرغون، وكان قد أرسل إلى السلطان وطلب الحضور حتى يحكي له ماجرى، ويكون له يد عند السلطان.

فلما حضر عند السلطان قَبِل الأرض، ثم أخرج كيساً فيه ألف دينار ووضعه بين يدي السلطان، فقال له: إيش هذا؟ فقال: ألف دينار جاءني عند من قراسنقر، فقال له: جاء لك وحدك؟ قال: لا، بل سَيَّر لكل أمير في الشام [ألف دينار]^(٢)، وسَيَّر لنائب الشام جملة مستكثرة، وأكثر العسكر متفقون معه، أنا، ونعمة السلطان، أقدر على أن أجيبه وهو ذليل حقير، فإن رسم مولانا السلطان يُجَرَّد معي ألف فارس من ممالكه، فإن لم أجيبه اشتقني على ٣٤٥/ باب القرافة، فقال السلطان: قل لي، من هم من الأمراء الذين أخذوا الذهب من قراسنقر؟ قال: المملوك، ونائب الشام، وبيبرس المجنون، [والبرواني]^(٣)، والتاجي، وطوغان، وكجكن، وغرلو، هؤلاء الأمراء أخذوا الذهب، ثم إن السلطان خلع عليه وقال: ارجع سريعاً وأنا أُجَرِّد لك ألف فارس من الممالك يلحقونك.

ثم أرسل السلطان بريدياً إلى نائب الشام، يقول له: ساعة وقوفك على هذا الكتاب، اركب البريد واحضر عندنا، فإننا نريد أن تكون في المشورة في أمر، فخرج البريدي من مصر قبل خروج بيبرس العلاني، ثم افكر السلطان في أمر بيبرس، فتارة يصمم على مسكه وتارة على تركه، وكان قبل خروجه من مصر، ثم أرسله كما ذكرنا، ولما وصل إلى الغور^(٤) لقي نائب الشام وهو جارٍ رائج إلى مصر على البريد، فقال له: إيش عملت في مصر؟ وهل جبت كلامي عند السلطان؟ فحلف أنه ما جاء بذكره، ولا علم بمجيئه إلى أن التقاه.

(١) تمر الساقبي: الأمير سيف الدين تمر الساقبي المنصوري، كان من مماليك قلاوون، ناب في حمص سنة ١٢٩٦هـ/١٢٩٦م، ولما توجه قراسنقر إلى بلاد التتار تولى تمر نيابة طرابلس، ثم صرف عنها سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م واعتقل بالاسكندرية عشرين سنة، ثم أفرج الناصر عنه واسقر بإمرة طبلخاناه بدمشق، توفي سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ١٠٧. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٦٣.

(٢) مكررة في الأصل.

(٣) في الأصل: المرواني، والتصحيح مما سبق ص ١١٥.

(٤) الغور: هو الأرض المنخفضة، وهو غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق، بعضه من الأردن وبعضه من فلسطين، فيه يجري نهر الأردن، وفيه بلاد وقرى كثيرة أشهرها: بيسان وأريحا، وعلى طرفه بحيرة طبرية. الكرخي: المسالك، ص ٥٦. الإدريسي: نزهة المشتاق، مج ١، ص ٣٥٤-٣٥٥. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ١٠٠٤. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٢١٦.

ثم سار بيبرس حتى وصل إلى دمشق، ومعه كتاب السلطان إلى القرماني بأن يجرد معه ألف فارس وينفق لكل فارس خمسمائة درهم، ففعل القرماني ذلك، ثم سار إلى حمص وأخبر أرغون ما جرى في مصر وطول الطريق، ولما استقر /٣٤٦/ فإذا بتمر الساقبي قد وصل إلى أرغون. وقد ذكرنا أن السلطان كان قد أمر بمسك بيبرس هذا، فمسكه، ومعه كتاب إلى أرغون بأن يرحل من حمص وينزل على دمشق ويرسل ابن الأفرم ومماليكه، وكذا بيت الزردكاش ومماليكه وأولاده، وكذا مماليك قراسنقر، وأمره أن لا يخلي أحداً من أتباع الأمراء الذين هربوا من الشام، ففعل أرغون جميع ذلك.

وأما جمال الدين نائب الشام، فإنه وصل إلى مصر فلما حضر بين يدي السلطان قال له: آقوش؟ قال: لبيك يا مولانا السلطان، قال: تكون أنت نائب الشام ويهرب من عندك ثلاثة أمراء من وسط دمشق ما تركب خلفهم ولا ترسل أحداً، وعندك أربعة آلاف فارس، ويُرسل إليك قراسنقر ذهباً وتأخذه، أما كان يكفيك مُلك الشام؟ فقَبِل الأرض، وقال: أَيْد الله مولانا السلطان، لا تسمع في كلام الأعداء والأضداد، واصبر عَلَيَّ، فقال: قل، فقال: يا خوند^(١)، إن جاء أحد من غير الأضداد يقول: إني كاتب قراسنقر أو أخذت ذهباً فأبرأك الله من دمي، وأما الأمراء الذين خرجوا من دمشق، فقد كان ذلك، وكان يوم الموكب،^(٢) وكانوا في الخدمة إلى الظهر، وكلهم راحوا إلى بيوتهم، ثم أنهم خرجوا وراحوا فما أعلموني برواحهم /٣٤٧/ إلا في المساء، [فأرسلت]^(٣) خلفهم والي البر، فما رجع والي البر إلا وهم عند قراسنقر، فصاح السلطان، وقال: ارفعه إلى الحب، فشالوه من بين يديه.

وأما أرغون فإنه بعد أن جَهَّز أولاد الأمراء ومماليكهم وبيوتهم، جاءه مرسوم بطلبه هو والمجردين الذين كانوا معه، ثم ساروا من دمشق إلى مصر، وكان جاء إلى دمشق طقطاي^(٤) الجمدار بكتاب السلطان، فقرأه على الأمراء، وفيه: اقبضوا على: بيبرس المجنون، وطوغان، والبرواني، والتاجي، فقبضوا

(١) خَوْنَد: لفظ فارسي يعني: سيد، وخوندَة أي أميرة. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٤، ص ٢٤٤. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ١٧٠.

(٢) يوم الموكب: يوم مخصص للعرض العسكري، يحضره السلطان وأعيان الدولة بزيهم الرسمي، ويتم العرض أمام العامة. دهمان: معجم الألفاظ، ص ١٣٧.

(٣) في الأصل: فأرسل.

(٤) طقطاي: الأمير عز الدين طقطاي الناصري، الجمدار، من أمراء دمشق، أقام نائباً في الكرك مدة ثم عزل، توفي سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٦١٣. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٩٠.

عليهم، وشالوهم إلى قلعة دمشق، ثم إن طقطاي ركب بجماعة وسار بهم، ومعهم يبيرس العلائي أيضاً، إلى الكرك، فسلمهم إلى نائب الكرك.

وقد ذكرنا أن مهني كان قد كتب كتاباً إلى []^(١) السلطان يُعلم فيه برواح الأمراء إلى بلاد التتار، فلما قرأ السلطان كتابه قال لابنه: وأين مهني اليوم نازل؟ قال: خليته بين الرحبة والرقبة، فقال: أنا ما أخرج عن كلام مهني فهو عندي مثل الملك المنصور، وما أخرجت عنه إمرة العرب إلا أن ثابت بن يزيد^(٢) كتب إليّ يقول: إن مهني قد أرسل أولاده إلى خريندا، وهو الذي ما يخلي قراسنقر [من]^(٣) الجهيء، وهو الذي عصّاه عليك وعصّى الأمراء، وربما حلف له الأمراء، ولا زلت في شك من هذا، حتى راحت الأمراء ولم يرح هو، ولا ٣٤٨/ تغير من مكانه، فعلمت أن كل شيء قالوه في حقه كذب، وما كان قصد مهني إلا الإصلاح، ثم إنه أمر أن يُكتب كتاب لمهني بأنه ملك العرب، وأنه مُستمر على خبزه، وزاده قرية من الخاص تعمل كل سنة ألف غرارة^(٤)، وأخرج كتاب ثابت بن يزيد وأعطاه لابن مهني، وقال له: هذا كتاب ثابت حتى يعلم مهني صحة ما قلت، فقبّل ابن مهني الأرض، وقال: صدق مولانا السلطان.

ثم إن السلطان استدعى [أحمد]^(٥) الكلابي، وسَيَّرَه بالكتاب مع أحمد بن مهني، وقال له: قل لمهني []^(٦) مشافهة: يا أبي، دعني من هذا الحديث، فأنت على كل حال بركتي ووالدي، وإن كان هؤلاء المذبرين راحوا يُعوّض الله بخير منهم، فلا تحمل على قلبك همّاً، وأريد أن تمشي على عادتك، ولا تقطع عني كتبك، والسلام.

ثم إنهما خرجا وسارا إلى أن وصلا إلى مهني، وناولاه الكتاب وبلغاه الأخبار، ففرح فرحاً شديداً، وخلع على أحمد الكلابي، وأعطاه ألف دينار وعشرة أروس خيول وخمسين جملًا، وأرسل معه حصانه الذي يسمونه المعضد الذي ليس له نظير في الديار.

(١) في الأصل: مهني، وشطبها الناسخ.

(٢) ثابت بن يزيد: أحد أمراء العرب في الشام. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٧.

(٣) في الأصل: عن.

(٤) الغرارة: وعاء من الخيش يوضع فيه القمح ونحوه، وقد استعمل في العصر المملوكي كمكيال، ويعادل ثمانين مدًا، والمد عند أهل الشام من مكاييل الحبوب والزيتون، زنته ١٨ كغ من الحنطة. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٣٣٠. مجمع اللغة: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٦٤٨.

(٥) في الأصل: بأحمد.

(٦) في الأصل: ابن وقد شطبها الناسخ.

ثم إن السلطان طلب مملوكه سيف الدين دنكر^(١)، فقال له: يا دنكر، قال له: لبيك يا مولانا السلطان، قال له: رُح إلى دمشق / ٣٤٩ / فإني ولّيتك نائباً فيها، وتوصّ بأهلها وأظهر العدل بين الرعية. وكانت تولية دنكر في الشام في السنة الآتية، ونذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر اجتماع الأفرم وقراسنقر مع خربندا

ولما وصل الأفرم وقراسنقر ومن معهما إلى خربندا، أكرمهم وأحسن إليهم، وأعطى الأمير جمال الدين آقوش الأفرم همدان، فتوجه إليها، ولم يزل بها حتى مات، وأقام قراسنقر عند التتار إلى أن مات في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وفي سيرة الناصر: أن قراسنقر ومن معه من الأمراء لما وصلوا إلى ماردين تلقاهم صاحب ماردين، وأنزلهم في موضع يليق بهم، وخدمهم وأكرمهم، وضرب لهم الخيام، ومدّ لهم سِمْطاً هائلاً، وفي تلك الليلة اجتمع الأفرم وقراسنقر [وتشاورا]^(٢) [في ماذا]^(٣) يصنعان إذا حضرا قدام خربندا، فقال قراسنقر: أنا أتكلم مع خربندا وأخلّيه يكون أطوع الناس لكم، غير أنني أخاف من صاحب ماردين يعمل علينا عنده وربما يهلكنا، فقال الأفرم: كيف يكون العمل وقد وقعنا في وسط بلادهم؟ فقال قراسنقر: معي حُوق^(٤) فيه سُم، وقد صحبتته معي لوقت / ٣٥٠ / الحاجة، وكنت قد عولت أن أي وقت يظفر بي الملك الناصر من قبل وصولي إليه أشربه وأقتل روحي ولا أُخلّيه يتمكن مني، وهذا هو معي، وأنا أسقيه لصاحب ماردين، فقال له الأفرم: نخاف أن [يعلموا]^(٥) بنا فيهلكونا، فقال قراسنقر: سوف ترى مني ما يُسر قلبك، ثم تفرقوا وذهب كل أمير إلى خيمته.

وفي صبيحة ذلك اليوم عمل صاحب ماردين مجلساً هائلاً، وطلب الأمراء إليه، فأخذ قراسنقر

(١) دنكر: الأمير سيف الدين تنكر بن عبدالله الأشرفي الناصري، العادل المهيب، قدم إلى مصر صغيراً، كان من ممالك الأشرف ثم لاجين ثم الناصر، كان مقرباً جداً من الملك الناصر محمد ومن أصحاب مشورته، بنى مسجداً وحماماً ومكتبة في دمشق، اعتقله الناصر سنة ١٣٣٩هـ/١٣٣٩م، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م. الصفدي: الوافي، ج ١٠، ص ٢٦٠، وأعيان، ج ٢، ص ١١٦-١٣٦، وتحفة، ج ٢، ص ٢٢٩-٢٤٤. الكشي: الوفيات، ج ١، ص ٢٥١. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٦٤-٧٢. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٤، ص ١٥٦.

(٢) في الأصل: وتشاوروا.

(٣) في الأصل: فيما بينهم ذا، وشطب الناسخ على كلمة بينهم.

(٤) الحُوق أو الحُقة: وعاء صغير ذو غطاء يصنع من عاج أو زجاج أو خشب. الزبيدي: تاج، ج ٢٥، ص ١٧٢. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٥٣٣.

(٥) في الأصل: يعملوا.

الحقّ معه، ونظر إلى الأفرم، وقال: يا أمير جمال الدين، انقضى شغلنا، ونلت من صاحب ماردین کل ما أريد إن شاء الله تعالى، وسار وجميع الأمراء معه، فتلقاهم صاحب ماردین بأحسن ملتقى، وأجلس قراسنقر في مرتبته، وجلس هو أسفل منه، وكذا أجلس الأفرم إلى جانبه، وأجلس بقية الأمراء، ثم قال: يا أمراء، والله، لكم زمان في نصبٍ ومشقةٍ وضيق صدر^(١)، وما انشرح لكم خاطر مما جرى لكم، واليوم مضى جميع ذلك، ووصلتم إلى الفرح والسرور، وقد عولت على أني أعمل لكم مجلساً فيه طيب وفرح ليذهب عنكم الهم والغم، فقال له قراسنقر: الرأي رأيكم، فأنت أهل لذلك.

فأمر صاحب ماردین لأمير مجلسه أن ينصب مجلس البسط^(٢)، /٣٥١/ ففي الحال رتب أشياء أدهشت الأمراء، وفيها من جميع الأواني من الذهب والفضة المرصعة بالفصوص، وأحضر الفتيات ومعهن العيدان وسائر آلات اللهو والمغنى، ثم دارت الكاسات، فشرب صاحب ماردین كأساً، ثم ملأه وناول له قراسنقر، فأخذه من يده، ثم تذكر أهله وأولاده ووطنه فبكى حتى أنه أبكى الحاضرين، ثم قام وخرج ليقتضي له شغلاً، ثم أخرج الحقّ الذي فيه السم، وأخذ برأس إبرة قدر القمحة، ثم [عاد]^(٣)، فقام له كل من في المجلس، وجلس على مرتبته، وأخذ ذلك الكأس الذي أعطاه إياه صاحب ماردین فشربه وأعطاه للساقى، فقال له: امأله وهاته، فملأه وأعطاه، فأخذه قراسنقر ونظر فيه، [فقال للساقى]^(٤): احترز، ألا تنظر إلى هذه الشعرة؟ فمد يده وحط فيه ذلك الذي أخذه على رأس الإبرة، فأوهم الحاضرين أنه شال منه شعرة، ثم قبّل القدح وناول له لصاحب ماردین، فأخذه صاحب ماردین وشرب بعضه، ورد البعض، فقال له قراسنقر: أنا شربت جميع الكأس الذي ناولتني إياه، فقال: والله، يا أمير [شربت]^(٥) كثيراً وقد غلب الخمر عليّ، وطفح السكر فيّ، وهذا ولدي يقوم /٣٥٢/ مقامي، ولم يدر ما في الغيب، فشرب ولده بقية ما في الكأس، ثم دارت عليهم السقاة بالكبار والصغار ساعة من النهار، فحكم فيهم العقار حتى لا يعرف أحد منهم باب الدار، ثم طلب الأمراء دستوراً، فأعطاهم دستوراً، وساروا إلى منازلهم، فقال قراسنقر: والله، لننا المقصود، فقالوا: بماذا؟ قال: بقتل صاحب ماردین وولده، ففزع الأفرم، فقال: والله، ما فعلت خيراً.

(١) أي صار لكم مدة في تعب ومشقة وخوف. الباحث.

(٢) المقصود به مجلس الراحة والاستمتاع باللهو والغناء. الباحث.

(٣) في الأصل: عبر.

(٤) في الأصل: فقال له الساقى، والتصحيح يتفق مع سياق الكلام.

(٥) في الأصل: استعملت.

ولما أصبحوا قال قراسنقر: ما جئنا للإقامة وتطويلنا ضرر لنا، ولا راحة لنا إلا بالحضور قُدام خريندا، فقالوا: الرأي رأيك، فقال: ارحلوا، فقاموا ورحلوا، وسمع صاحب ماردین جلبتهم، فركب إليهم وهو مُجَبَّل من الخمر، فلما قرب منهم ساروا إليه وشكروا له، وقالوا: لا زلت متفضلاً، لا أعدم الله إحسانك، فالله تعالى يجازيك بأفضل الجزاء، فقال: يا أمراء إيش هذه العجلة في رواحكم؟ استريحوا عندي أياماً حتى أجهز تقدمة لخريندا وأسير معكم، فقال قراسنقر: أنت تعلم عذرنا في سرعة المسير من وجوه شتى، ثم سار صاحب ماردین معهم مقدار نصف النهار، ثم ودعهم ورجع.

وسار الأمراء يومهم ذلك واليوم الثاني والثالث، فوصلوا إلى ميفارقين^(١)، فخرج لهم نائبها بالإقامات والعلوفات، /٣٥٣/ فأقاموا هناك يومين، ثم عزموا على الرحيل، وإذا قاصد من أمراء ماردین قد وصل على البريد، وهو رائج إلى خريندا ليُعلمه بأن صاحب ماردین وولده قد ماتا في ليلة واحدة، فتعجبت الناس من ذلك، وقالوا: أول أمس كان يشرب معنا وما به شيء من المرض، والله، هذا هو موت الفجاءة، ولم يعلم بالأمر غير قراسنقر والأفرم. ثم ساروا، وأي منزل ينزلون به يجدون فيه علوفة وإقامات، [وكل ما]^(٢) يحتاجون إليه، إلى أن بقي بينهم وبين تبريز^(٣) ثلاثة أيام، فبلغ خبرهم لخريندا، وكان نازلاً على أوجان، فأمر لجوبان^(٤) نائبه أن يأخذ معه عساكر المغل فيلاقيهم، فركب جوبان وسار حتى أتى تبريز، وأمر بزينة [تبريز]^(٥) غاية الزينة، ونادى فيها أن لا يبقى كبير ولا صغير إلا ويخرج إلى

(١) ميفارقين: بلد معروف من أرض أرمينية، بين حدود الجزيرة وحدود أرمينية، وهي من أشهر مدن ديار بكر، تقع شرق دجلة على مرحلتين، مسورة بسور ذو ثمانية أبواب بُني منذ أيام الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الكبير، لها بساتين تسقى من الآبار، وهي كثيرة الناس وليست بالكبيرة، فتحها عياض بن غنم على مثل صلح الرها. القزويني: آثار البلاد، ص ٥٦٥. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٣، ص ١٣٤١. الحميري: الروض المعطار، ص ٥٦٧. خسرو: سفرنامه، ص ٤١-٤٤. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ٢٣٥-٢٣٧. مجهول ت: ٣٧٢هـ/٩٨٢م: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، حققه وترجمه عن الفارسية: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١٦٦.

(٢) في الأصل: وكلما.

(٣) تبريز: مدينة من أشهر مدن أذربيجان، ذات أسوار محكمة، تجري فيها عدة أنهار وتحيط بها بساتين، كانت مقراً لخان المغول هولوكو. القزويني: آثار البلاد، ص ٣٣٩-٣٤٠. خسرو: سفرنامه، ص ٣٨. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ١٣-١٤.

(٤) هو: النوين (أمير تومان-أمير عشرة آلاف) الكبير والمعظم، نائب الإيلخان المغولي خريندا وابنه أبو سعيد، ذو مهابة عظيمة بين المغول، كان له دور كبير في عقد الصلح والعلاقات الطيبة بين الإيلخان أبو سعيد والملك الناصر محمد، توفي مقتولاً في هرة سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م إثر خلاف ولده دمشق مع أبو سعيد، ودفن في البقيع بالمدينة المنورة. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ١٦٩. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٩٢. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٥، ص ٣٣-٣٤.

(٥) في الأصل: توريز. والتصحيح يتفق مع المعنى.

ظاهر تبريز ومعهم شموعات ومشاعل، وهم في [هيئة^(١)] حسنة وثياب فاخرة، وخرجت المغاني بأنواع الملاهي.

ولما أشرف قراسنقر على تبريز، قال للأمراء الذين معه: يا أمراء، ما أخوفني أن يكون الملك الناصر قد جهز فداوية^(٢) يجدون فرصة في هذا الجمع العظيم، وربما يقفز واحد منهم على واحد منا فيقتله، فقالوا: كيف يكون الرأي؟ فقال قراسنقر: الرأي عندي أن يلبس كلكم الزرديات^(٣) من تحت /٣٥٤/ الثياب، وتحترزون غاية الاحتراز، ولا تحملوا هذا الأمر، فالملك الناصر ما يغفل عنكم، فقال الأفرم: يا شمس الدين، لقد بالغت، من هو الذي يسبقنا إلى تبريز؟ فقال له قراسنقر: سوف أذكرك، أنا أخير بالملك الناصر، وما عنده من الحيل [والمخادعة]^(٤)، وهو لا يؤمن منه، فلبس الجميع الزرديات.

وقد وصل جوبان بمن معه من أمراء المغل، فتلقاه قراسنقر، وأراد أن يترجل فمنعه من ذلك وتصافحوا على ظهور الخيل، وكذلك جميع الأمراء، وساروا طالبين تبريز، وبقي جوبان يحدثهم ويعددهم من خريندا بكل خير، ولما أشرفوا على تبريز خرج جميع أهلها على الصفة التي ذكرناها، وشقوا المدينة، وخرج بهم جوبان إلى بستان خريندا في ظاهر تبريز، وكان بستاناً هائلاً، وكانوا يسمونه الشام لحسنه ونضارته وكثرة خيراته، ولم يبق لأهل تبريز [حديث]^(٥) إلا في قراسنقر ومن معه من الأمراء، فقوم يلعنونهم حيث أنهم دخلوا بلاد الأعداء وتركوا^(٦) بلاد الإسلام، وقوم يقولون هم معذورون. وفي ساعة نزولهم

(١) إضافة لاستكمال المعنى.

(٢) فداوية: جمع فداوي (فدائي)، وهو الرجل الجريء المقدم، وهم: طائفة من الإسماعيلية الشيعية المنتسبين إلى إسماعيل ابن جعفر الصادق، ويعتقدون أن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل وليس إلى ابنه موسى، ويدعون أنفسهم بأصحاب الدعوة الهادية، سُموا بالفداوية لأنهم يفادون بالمال على من يقتلونه، وقد علت كلمتهم وقويت شوكتهم في الزمن المتقدم فاستولوا على عدد من القلاع في بلاد فارس وبلاد الشام، وقد دمر هولاء قلاعهم في إيران، كما استطاع هولاء الحد من نفوذهم في بلاد الشام، وبعد كسر شوكتهم ظلوا يوالون صاحب مصر كائناً من كان ويعتقدون بأنه ظهر لهم فيبدلون أرواحهم في طاعته، فصار لصاحب مصر بمشايعتهم مزية يخافه بها عدوه، لأنه يرسل من يقتله، ولا يبالي إن قُتل بعد ذلك، ومن بعثه إلى عدوه فجبن عن قتله، قتله أهله إن عاد إليهم، وإن هرب تبعوه، وكان لهم كبير يسمونه مقدم الفداوية، وبعدها سُموا أنفسهم بالمجاهدين وكبيرهم أتابك المجاهدين. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ١٥٤-١٥٨. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٨، ص ٢٩.

(٣) الزرديات: جمع زردية، وهي: درع من الزرد مصنوع من حلقات من الحديد متشابكة مع بعضها، تُلبس تحت الثياب الظاهرة وقاية من السلاح. دهمان: معجم الألفاظ، ص ٨٦. مجمع اللغة: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٢٨٠.

(٤) في الأصل: المتخاوعة، والتصحيح يتفق مع سياق الكلام.

(٥) إضافة لاستكمال المعنى.

(٦) في الأصل: كوا، مكتوبة في الهامش.

أرسل جوبان إلى خربندا يُعلمه [بوصولهم]^(١) ويشاوره فيما يفعل، فرد الجواب بأن يقيم بهم /٣٥٥/ يوماً في توريز إلى أن أجيء، فتأخروا، وأقاموا عشرة أيام، كل يوم يركب جوبان والأمراء وهم ملبسون تحت قماشهم من خوفهم من الفداوية.

ذكر قضية الفداوي مع الأفرم

قال الراوي: لما كان في يوم من الأيام وهم قد فضوا الموكب ورجعوا يريدون منازلهم، وفي [الرجوع]^(٢) اختلطت الأمراء بالأجناد والعوام على العادة، وإذا فداوي قد وثب على الأفرم من مؤخرة الفرس، وصرخ فيه بصوت هائل، ثم ضربه بسكين في صدره، فردت السكين إليه ولم تعمل شيئاً لأنه كانت عليه زردية ضيقة العيون لا يعمل [فيها]^(٣) شيء، فصرخ الأفرم على مماليكه، فجاءه مملوك وضرب الفداوي بالدبوس^(٤) فأرماه، فنظر الفداوي إلى ما حل به، فصاح: الله أكبر، الله أكبر، يا ثارات الملك الناصر، ووثب على المملوك وضربه بالسكين في جنبه الأيمن ووصلت السكين إلى أمعائه، فانقلب المملوك إلى الأرض، وتسابقت المماليك إلى الفداوي، فجعل الفداوي يحمل عليهم يميناً وشمالاً، ويقول: يا علوق^(٥)، أين تروحون مني؟ فقتل منهم اثني عشر مملوكاً، فتكاثروا عليه، وجاء إليه واحد من خلفه، فضربه بدبوس على دماغه، فنثر مخه من أذنه.

وأما قراسنقر والزردكاش وبلبان الدمشقي، /٣٥٦/ لما رأوا الفداوي قفز على الأفرم هربوا وخرجوا من بين الناس، فقال لهم: يا أمراء كنت أخاف من هذا، وقلت لكم ما سمعتم مني، والله، إن لم تجعلوا بالكم وإلا رحتم أشأم الرواح.

وحملوا الأفرم إلى وطاقه، وكان قد انخرج من ضربة ثانية، وطلب له جوبان الجرائحية^(٦) فداووه

(١) في الأصل: بنزولهم بوصولهم، وقد شطب الناسخ على كلمة: بنزولهم.

(٢) في الأصل: الرجوعوا.

(٣) في الأصل: فيه.

(٤) الدبوس: سلاح استعمله العرب منذ العصر الجاهلي، وهي: هراوة مدملكة الرأس يبلغ طولها حوالي قدمين وفي طرفها كتلة من الحديد يبلغ قطرها نحو بوصتين، وينتفع بها في قتال لابس البيضة. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ١٥١. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ١٧٦. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٤، ص ٢٨٩.

(٥) علوق: جمع علق، وهو: الخسيس، الديء، التافه. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٧، ص ٢٨٣.

(٦) الجرائحية: واحد جرائحي، وهو لقب الطبيب الجراح المتداول في العصر الإسلامي. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٠٠. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ١٢٢.

وشدوه، ثم طلب جوبان شحنة^(١) تبريز ونائبها، وقال لهما: اعلمنا بأن هذا الفداوي لم يكن وحده، بل له رفاق، ولا أعرفهم إلا منكما.

وأرسل قاصداً إلى خريندا وأعلمه بالذي جرى، فقال خريندا: والله العظيم، ما أمنت من غائلة هؤلاء الأمراء إلا هذا الوقت، فإني كنت مشككاً فيهم، وكنت أظن أن مجيئهم مكر وخداع، وكنت مُعولاً على قتلهم، ثم إنه ركب من ساعته وسار يطلب تبريز، وركب جوبان ومعه الأمراء، وركب الأفرم وهو مجروح ومن معه من الأمراء وساروا حتى لاقوا خريندا، فلما قربوا منه ترجّلوا وقبّلوا الأرض، وترجّل خريندا أيضاً، وتعانقوا، ثم ركبوا وساروا، وأخذ قراسنقر عن يمينه والأفرم عن شماله، وجعل يسأل عن الأفرم ويحمل همه ويطيب قلبه، وساروا يطلبون الشام، يعني البستان الذي ذكرناه، ونزل في خيمة هائلة قد ٣٥٧/ نصبت له، ونصبوا قدام الدهليز^(٢) صيوانا^(٣) يُظِل خمسمائة إنسان، ثم جلس وأجلس الأمراء كل واحد في منزلته.

ثم إن خريندا قال: يا شمس الدين، حدثني بالذي جرى عليك مع السلطان الناصر، قال: فحدثه بالقصة من أولها إلى آخرها، فقال خريندا: يا أمراء، الآن تحققت أمركم وصِدقكم، فطيّبوا خواطركم واشرحوا صدوركم، فقد وصلتكم إلى مقصودكم، فإن تركتم في الشام مالاً أعوض لكم بأكثر منه، أو إقطاعات فأعطيكم أحسن منها، أو حُكماً فقد حكمتكم في جميع بلادتي، وبلادي لكم مُباحة، فأَي شيء أردتم منها خَوَّلَكم فيه، فعند ذلك قامت الأمراء على أقدامهم ودعوا له بالدوام والبقاء، فأمرهم بالجلوس، ثم خلع عليهم وأنعم عليهم، وأطلق لهم شيئاً كثيراً، وطلب أميراً يُقال له: درقلي، وقال له: واطب خدمتهم ليلاً ونهاراً، وأي شيء طلبوه أحضر لهم سريعاً.

فبينما هم في ذلك، فإذا بغلبة عظيمة على الباب، فقال خريندا: ما هذا؟ فخرج جوبان وسأل عن ذلك، فقالوا: يا مولانا في اليوم الذي قفز الفداوي على الأفرم طلبنا شحنة تبريز والنائب بها، وقلنا

(١) شحنة: رابطة من الفرسان. ابن منظور: لسان، ج ١٣، ص ٢٣٤.

(٢) الدهليز: لفظ فارسي معرب، معناه: القسم الأمامي من الخيام أو الخيمة الأولى التي تكون خيمة للسلطان يجلس فيها ويستقبل الوفود خاصة خلال الحملات العسكرية. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٤، ص ٤٢١. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ١٨٦.

(٣) الصيوان: عبارة عن خيمة كبيرة من القماش الثخين، تُنصب لاجتماع الناس في احتفال أو مأتم. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٢، ص ١٣٤٢. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٢٩٨.

لهم: هذا الفداوي ما جاء وحده، لا بد أن يكون له رفيق، وما [نعرف]^(١) رفاقه / ٣٥٨ / إلا منكم، وقد أحضروا كل غريب أنكروا عليه، وأمر خربندا لجوبان أن يجبسهم ويعذبهم بأنواع العذاب حتى يظهر الغريم، وإذا بالأفرم قد تقدم وقبّل الأرض، فقال خربندا: ما بال الأمير جمال الدين؟ فقال: أطال الله عمر الخان^(٢)، إن عملت هكذا يحصل للناس ضرر ويجفل المترددون، فقال خربندا: إنما عملت هذا لأجلك، فقال الأفرم: أسأل من صدقات الخان أن يعرضوا عليّ هؤلاء الذين مسكوكهم لأن المملوك عمل بنياية الشام ويعرف الفداوية والقصاص جميعهم، فإن كان في هؤلاء أحد منهم قبضنا عليه، وإلا أطلقناهم صدقة عن الخان، فقال له: اخرج وافعل مثل ما تريد، فخرج الأفرم وعرضوا عليه الممسوكين فوجاً فوجاً، وهو يطلقهم ويقول: ما في هؤلاء أحد من أرباب الشبهة، فأطلق الجميع، فلما سأله خربندا، قال: هؤلاء كلهم تجار ومترددون، وقد أطلقناهم صدقة عن الخان، فقال خربندا: إنما فعلت ذلك لأجلك، ثم خلع عليه وعلى سائر الأمراء وأعطاهم دستوراً، فساروا إلى الوطاق.

وأما قضية هذا الفداوي فهي عجيبة، وذلك أن هؤلاء الأمراء لما قفزوا، وبلغ السلطان ذلك، / ٣٥٩ / كان سيّر إلى نائب مضيا^(٣)، وأمره أن يرسل اثنين من الفداوية مشهورين بالشطارة والنهضة إلى نائب الرحبة، وهو يرسلهما مع قصاد ثقات إلى تبريز، ويعدهما أنهما إذا قضيا الشغل كما يريداه السلطان فلهما ما أرادا، وكان نائب الرحبة بدر الدين الأزكشي، وكان رجلاً جيداً مشكور السيرة، فلما وصل الاثنان منهم إليه، سأل من مماليكه الذين يعتمد عليهم في أسرارهم عن رجل ثقة معروف خبير بالطرقات يسفره مع هذين الإثنين من الفداوية، فقال واحد منهم وهو المهمندار^(٤): هاهنا قاصدٌ من أهل الحديثة يقال له: علي بن المعلم، وهو من المترددين إلى دمشق، وهو رجل معروف، فقال بدر

(١) في الأصل: أعرف.

(٢) الخان: لقب تركي يطلق على شيوخ الأمراء في قبائل الترك منذ القرن الأول أو الثاني الهجري، ومعناه الرئيس، وأطلق هذا اللقب على الملوك المسلمين الذين حكموا بلاد تركستان وإيران، وفي العهد العثماني أضافه السلاطين إلى أسمائهم كلقب من ألقاب الاحترام، فقيّل: مراد خان. الباشا، حسن: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٢٧٤. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ١٥٧.

(٣) مضيا: حصن حصين للإسماعيلية بالساحل الشامي، قرب طرابلس، وبعضهم يقول: مصيا. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٣، ص ١٢٨٠. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ١٤٤.

(٤) المهمندار: كلمة فارسية الأصل، مؤلفة من كلمتين: مهمن وتعني الضيف، ودار وتعني صاحب، ووظيفته استقبال الرسل والوافدين وينزلهم دار الضيافة، ويشبه مدير المراسم في عصرنا الحالي. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٣١. دهمان: معجم الألفاظ، ص ١٤٧.

الدين: اطلبوه.

فلما حضر بين يديه ذكر له هذه القضية، فإن قضاها يكون له اليد البيضاء عند السلطان، ويحصل له خير كثير، فقال: السمع والطاعة، نبذل مجهودنا في طاعة السلطان ولو راحت أرواحنا، ثم قال: ما جل المقصود؟ قال: قتل قراسنقر والأفرم، فلما سمع ذلك تبسم وقال: والله العظيم، هذا كان في خاطري بأن أروح إلى دمشق وأشاور نائبها في ذلك وأخذ فداوية وأذهب بهم إليهما وأقتلهما، فلما سمع الأركشي بذلك فرح وخلع عليه، وأحضر هذين الإثنين من الفداوية وسلمهما إليه، وأمرهما / ٣٦٠ / أن يمثلا ما قاله، وسلّم إليه سكاكين مختومة ومئتي دينار.

فخرجوا وساروا في زي تجار ومعهم صابون، مع كل واحد حماران يطلبون الموصل^(١)، فلما وصلوا، [نزلوا]^(٢) في خان^(٣) وسألوا عن قفل^(٤) رائجين إلى تبريز، فوجدوا جماعة من سلماس^(٥) رائجين إلى تبريز، فخرجوا معهم.

وكان علاء الدين هذا من أحسن الناس وجهاً وذا كرم وخدمة، فسأله: من أين أنت؟ قال: أنا من الحديثة ومعني بعض صابون، ولا أعلم سعره في تبريز لأني ما عبرت تبريز قط، ثم كان كلما نزلوا منزلاً يسبق عليّ هذا ويشترى أحسن الأشياء وأطيب المأكولات، ويأتي التجار ويُطعمهم، وكذا المكارية^(٦)، ويخدمهم ويتقرب إلى قلوبهم، ويُساعدهم في الشد والحلّ طول الطريق، فأحبه جميع هؤلاء حتى لا يقدر

(١) الموصل: هي مدينة قديمة وكبيرة لها سوران على طرف نهر الدجلة الغربي، ويقابلها من الطرف الآخر مدينة نينوى، وهي باب العراق ومفتاح خراسان، منها تُقصد أذربيجان، وتصل هذه المدينة الجزيرة الفراتية بالعراق، فتحها عتبة بن فرقد السلمي سنة ٢٠هـ/٦٤٢م بتوجيه من الخليفة عمر بن الخطاب ت. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٦٥٩. البكري: معجم، ج ٤، ص ١٢٧٨. القزويني: آثار البلاد، ص ٤٦١. التطيلي، بنيامين ت: ٥٦٩هـ/١١٧٣م: رحلة بنيامين التطيلي، الجمع الثقافي، ط ١، أبو ظبي، ٢٠٠٢م، ص ٢٨٧. الحميري: الروض المعطار، ص ٥٦٣. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ٢٢٣.

(٢) في الأصل: فنزلوا.

(٣) الخان: هو الفندق بلغة أهل الشام، ينزله الناس المسافرين في الطُرق أو في المدن. ابن منظور: لسان، ج ١٠، ص ٣١٣. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ١٥٧.

(٤) قفل: رجوع من السفر، القفل: من القافلة (معروفة). الزبيدي: تاج، ج ٣٠، ص ٢٦٤.

(٥) سلماس: مدينة مشهورة بأذربيجان، بين تبريز وأرمية، بينها وبين تبريز ثلاثة أيام. القزويني: آثار البلاد، ص ٣٩١. الحموي: البلدان، مج ٣، ص ٢٣٨.

(٦) المكارية: جمع مكري: وهو لفظ شائع في العصر الإسلامي واستمر حتى نهاية العهد العثماني، ويقصد به: الشخص الذي يكري (يؤجر) دواب الجر والحمل. الزبيدي: تاج، ج ٣٩، ص ٣٩٣. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٤٠٥.

أحد منهم أن يفارقه، وقالوا: يا علاء الدين، أمسك يدك فقد استحيينا منك، وإش معك؟ الكل ستة أحمال صابون، فإش مقدار ما يكسب مع هذه النفقة الواسعة، فقال: أنا ما طلعت إلا بسبب الفُرجة، وهذه الأحمال بسبب النفقة، وهذه صدقة لله تعالى، وقد مَنَّ الله عَلَيَّ بصحبتيكم، والله، لو ذهبت روعي في خدمتكم لكان قليلاً. ولما وصلوا إلى سَلَمَاس تنازعوا عليه، فكل واحد منهم يقول [أنا آخذه]^(١) إلى وأُضيفه، /٣٦١/ فقوي عليهم شخص يقال له: مبارك، فأنزله عنده وأضافه ثلاثة أيام، ومع هذا، كل يوم يعمل له التجار ضيافات، ففي اليوم الرابع رحلوا إلى تبريز، فنزلوا في خان خارج تبريز، والتجار الذين معه أخذوه ودخلوا به إلى تبريز، وأعرضوا^(٢) صابونه، فباعوه قبل بضائعهم، والمكاريه أخذوا هذين الإثنين من الفداوية ودخلوا بهما الحَمَّارة^(٣)، وشربوا طول ذلك النهار، فاستمروا على ذلك أياماً.

وأما عَلِيٌّ فما له شغل إلا تتبع آثار قراسنقر إلى ذلك اليوم الذي جرى فيه ما جرى من الفداوي الذي جرح الأفرم وقتل جماعة من الناس ثم قُتل، ففي هذا اليوم قال عَلِيٌّ لذلك الفداوي: هؤلاء غُرماء السلطان الملك الناصر، فأبصر إش تعمل؟ وأعطاه سكيناً من السكاكين المختومة التي عنده، وفعل هو كما ذكرناه، ورفيقه الآخر ما قدر على عمل شيء بل هرب واختلط بالناس.^(٤)

وكان عَلِيٌّ هو والمكارية واقفين هناك مع الناس، فلما مَسَكُوا الناس، كما ذكرنا، مسكوا عَلِيّاً والفداوي الآخر مع الناس، فخاف عَلِيٌّ من الأفرم أن يعرفه، فاصفر وجهه وظهر عليه الخوف، فقال له أولئك التجار: ما بك يا عَلِيٌّ؟ فقال: نحن غُرباء ما لنا من يُعَرِّفُنَا، فيتعلقون بنا وينكرون علينا /٣٦٢/ فيقتلوننا، فقالت التجار: طيب قلبك، فنحن ما نُحَلِّي أحدٌ يحضر بك إلى الملك، ولو أنا خسرنَا لأجلك جميع أموالنا، ثم بذلوا مالاً كثيراً للظَلَمَةِ الذين مسكوهم، وقالوا: هذا، يعني عَلِيّاً، ورفيقه، يعني الفداوي الآخر، ناس غُرباء وبهما حُمَّى وباردة، فلما تركوهما ودَّوا الناس إلى الأفرم، واستعرضهم وأطلقهم، كما ذكرنا، رجعت التجار إلى الخان وتجهزوا وسافروا.

فخرج عَلِيٌّ والفداوي معهم إلى أن وصلوا إلى الموصل، ناموا فيها يومين، ثم سافروا إلى أن جاءوا

(١) في الأصل: أناخذه.

(٢) أي عرضوا. الباحث.

(٣) الحَمَّارة: موضع بيع الخمر أو شربه (حانة). عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٦٩٦.

(٤) في نهاية هذا النص كتب الناسخ جملة (فلما مسكوا الناس كما ذكرنا) ثم شطب عليها، وهو تصحيف كما يتبين من النص التالي.

إلى الرحبة، ودخل [علي] ^(١) والفداوي على الأزكشي وأخبره علي بما جرى، وأن أحد الفداويين قُتل، وأن هذا ما وقع، فكتب الأزكشي إلى نائب الشام وأعلمه بذلك، وكتب نائب الشام إلى السلطان. ثم إن نائب الشام خلع على علي وأعطاه خمسمائة دينار، وحبس الفداوي الآخر في الشام.

ذكر بقية الحوادث في هذه السنة

منها أن الأمير منصور بن جهماز ^(٢)، صاحب المدينة النبوية، أيقع ^(٣) مع قتادة بن إدريس، صاحب الينبع ^(٤)، وطارده ولم يتمكن منه، ورجع عنه. ومنها رسم السلطان الملك الناصر بنقض الإيوان الأشرفي الذي بقلعة الجبل وتجديده على هيئة اقترحها، وتوجه إلى الصعيد ^(٥) متصيداً، / ٣٦٣ / فنقض الإيوان المذكور وجدد على هيئة حسنة، ولما عاد من تصيده جلس فيه جلوساً عاماً للعدل ورفع المظالم والإحسان إلى العالم ^(٦)، وقيل في ذلك:

شَرَفَتْ إِيوَاناً جَلَسَتْ بِصَدْرِهِ	فَشَرَحَتْ بِالْإِحْسَانِ صُدُوراً
قَدْ كَانَ يَنْتَقِلُ الْفِرَاقُ ^(٧) رَفْعَةً	إِذْ حَارَ مِنْكَ النَّاصِرُ الْمَنْصُوراً
مَلِكُ الزَّمَانِ وَمِنْ رَعِيَّتِهِ مَلِكُهُ	مِنْ عَدْلِهِ لَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ^(٨)

^(١) إضافة للتوضيح.

^(٢) منصور بن جهماز: الأمير منصور بن جهماز بن شيحة الحسيني، أمير المدينة النبوية الشريفة، توفي قتيلاً على يد ابن أخيه سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م. الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٤٥١. ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ١٢٦. ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ١٥٩.

^(٣) أيقع: ليست فصحي، ولكن المقصود: أوقع: أوقع القوم بأعدائهم: بالغوا في قتالهم. والمراد في النص أنه كانت بينهما وقعة (أي معركة). عبد الحميد عمر: معجم، ج ٣، ص ٢٤٨١.

^(٤) الينبع: أو ينبع، وهي: حصن وقرية غناء في الطريق من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، على يمين رضوى (جبل من تامة) على بعد سبع مراحل من المدينة بجهة البحر، فيها عيون غزيرة، وكانت إقطاع لعلي بن أبي طالب ع. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٣، ص ١٤٨٥. البكري: معجم، ج ٤، ص ١٤٠٢. الحميري: الروض المعطار، ص ٦٢١. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ٤٤٩.

^(٥) الصعيد: هو أعالي بلاد مصر (الوجه القبلي)، وهو بلاد واسعة في جنوب الفسطاط يكتنفها جبالان والنيل يجري بينهما، وفيها مدن عظام منها: أسوان، قوص، قفط، إخميم، بهسنا. المقرئ: الخطط، مج ١، ص ٣٤٩. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ٨٤١. القزويني: آثار البلاد، ص ٢١٣. الحميري: الروض المعطار، ص ٣٦١. الحموي: البلدان، مج ٣، ص ٤٠٨.

^(٦) المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٢.

^(٧) الفراق: جمع فرق، وهو: نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريباً، ولذا يُهتدى به، ويسمى النجم القطبي، ويضرب به المثل في العلو والرفعة. مجمع اللغة: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٦٨٦.

^(٨) النقر: حفرة مستديرة في ظهر نواة البلح، وجاء في القرآن الكريم: (وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) سورة النساء، آية ١٢٤. ويُضرب مثلاً في الشيء الضعيف. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٣، ص ٢٢٦٧.

لا زالَ منصوَرَ اللّواءِ مؤيِّداً أبَدَ الزّمانِ وضدَهُ مقهوّراً^(١)

وقيل أيضاً:

يا ملكاً أطلعَ منْ وجهه إيوانهُ لما بدا بدرا
أنسيتنا بالعدلِ كسرى ولنْ نرضى لنا جبراً به كسراً^(٢)

ومنها أنه وصلت الأخبار بأن خريندا قتل: صاحب ديوانه، واسمه سعد الدين الساوجي،^(٣) ويحيى بن جلال الدين،^(٤) وشيخ الشيعة الذي كان خريندا يتتلمذ له^(٥) واسمه شرف الدين التلاوي^(٦)، وسبب قتله إياهم: أما صاحب الديوان فلمّا بلغه عنه من احتجاز الأموال لنفسه دون الملك، وأما يحيى بن جلال الدين فلمنافسة /٣٦٤/ حصلت بينه وبين صاحب ماردن، وكان خريندا تزوج بابنة صاحب ماردن، فأوهمه يحيى [أنها]^(٧) ليست بابنته، وإنما هي جارية من جواريه، فاستوضح ذلك، فتبين له كذبه في سعايته فقتله، وأما شيخ الشيعة فلأنه كان قد أخذ باتباع مذهبهم، فلما انكشف له أن مذهب الشيعة ضلال، وجد عليه وقتله.

ومنها أنه خطب للملك الناصر بالمغرب، وذلك أن الشيخ [أبا يحيى زكريا]^(٨) الذي يقال له: اللحياني، من أكابر المغاربة، كان ورد إلى الأبواب السلطانية فأكرمه السلطان، وقصد الحج، فجهزه كما يختار، فلما رجع من حجه سأل توصيله إلى بلاده، وهي طرابلس المغرب^(٩) وما معها، والتزم أنه إن فتح

(١) البحر الكامل: كمل الجمال من البحور الكامل متفاعلن متفاعلن متفاعلن.

(٢) البحر الكامل.

(٣) الساوجي: تقدمت ترجمته ص ١٤١.

(٤) هو: يحيى بن إبراهيم، الملك الناصر صاحب سنجار. الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٥٤٦. ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ١٧٧.

(٥) أي أن خريندا كان يتعلم على يديه. الباحث.

(٦) "تاج الدين الآوي، كبير الأشراف، الشيعة قتله خريندا سنة ٧١١هـ / ١٣١١م. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٦٠٤. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٣٨.

(٧) في الأصل: أنه.

(٨) في الأصل: أبا زكريا يحيى، وهو: زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص اللحياني الهنتاني، من ملوك الدولة الحفصية في إفريقية، توفي بالإسكندرية سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٢٤٣. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٥، ص ٣٦٣. الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٤٥.

(٩) طرابلس المغرب: مدينة قديمة من مدن إفريقية، على شاطئ بحر الروم (المتوسط)، لها سور صخري بناه واليها العباسي هرثمة بن أعين، ولها بساتين جلييلة ورباطات كثيرة، منها إلى جبال نفوسة ثلاثة أيام، فتحها عمرو بن العاص في سنة ٢٣هـ / ٦٤٥م. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ٨٨٢. القزويني: آثار البلاد، ص ٤٠٨. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٢٥.

الله عليه تلك البلاد أقام نفسه فيها مقام غلام ونائب للسلطان، فجهزه وجرّد معه جنداً لتوصله، فتسامعت به العربان وأهل تلك البلدان، وأنه واصل بجيش من باب السلطان، [فعظم]^(١) في نفوسهم وتمكنت مهايته في قلوبهم، وعقدوا له البيعة بالسلطنة فيما بينهم، ووثبوا على صاحب بجاية^(٢) وتونس^(٣)، واسمه أبو البقاء خالد،^(٤) وقبضوا عليه، واستقام له الأمر، وتظاهر بشعائر السلطنة، ودخل تونس والسناجق المنصورة السلطانية قد نُشرت عليه، فسارع إليه الخاص والعام، وكان ممن طاعه ابن أبي دبوس^(٥)، واستوثقت /٣٦٥/ له مملكة إفريقية وبجاية وقسنطينة الهواة^(٦) وبلاد [الزاب]^(٧)، وخطب باسم الملك الناصر في هذه الممالك كلها على المنابر، وذلك في شهر رجب الفرد^(٨) من هذه السنة.^(٩)

- (١) في الأصل: عظم، والإضافة لاستكمال سياق الحديث.
- (٢) بجاية: مدينة حصينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، هي قاعدة المغرب الأوسط، بناها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد على لحف جبل شاهق مطل على البحر يسمى: مسيون سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م، لها عينان من الماء ونهر يبعد عنها ميلين تحفه البساتين ويصب في البحر. العمري: مسالك، ج ٤، ص ١٤٦-١٤٧. الإدريسي: نزهة المشتاق، مج ١، ص ٢٥٩. الحميري: الروض المعطار، ص ٨٠. الحموي: البلدان، مج ١، ص ٣٣٩.
- (٣) تونس: مدينة كبيرة محدثة على ساحل بحر الروم، عُمرت من أنقاض مدينة قديمة هي قرطاجنة، على سفح جبل يعرف بجبل أم عمرو، وهي قسبة بلاد إفريقية، بينها وبين سفاقص ثلاثة أيام وبينها وبين المهديّة والقيروان مئة ميل، بها آبار ومصانع يجتمع بها ماء المطر. البكري: المسالك، ج ٢، ص ٦٩٣-٦٩٨. الإدريسي: نزهة المشتاق، مج ١، ص ٢٨٥. العمري: مسالك، ج ٤، ص ١٤٥. ابن خرداذبة، عبيد الله بن أحمد ت: ٢٨٠هـ/٨٩٣م: المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ١٨٨٩م، ص ٨٧. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٦٠-٦١.
- (٤) أبو البقاء خالد: خالد بن يحيى بن إبراهيم بن عبد الواحد، أبو البقاء، أمير من أمراء آل حفص أصحاب إفريقية الشمالية. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٧. الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٣٠٠.
- (٥) ابن أبي دبوس: عثمان بن سعيد، أبو دبوس، من أحفاد الواثق (إدريس بن عبد الله، آخر حكام دولة الموحدين في مراكش الذي قتل على يد بني مرين سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، توفي عثمان سنة ٧٣١هـ/١٣٣١م. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٧٩.
- (٦) قسنطينة الهواة: مدينة قديمة مشهورة بإفريقيا، وهي مدينة حصينة جداً في جبال الأوراس بين تيجس وميلة، تتوضع على قمة جبل من حجر صلد، يحيط بها خندق عظيم من ثلاثة جوانب ويجري فيه نهر عظيم، لها بابان: باب ميلة في الغرب وباب القنطرة من الشرق، منها إلى بجاية ستة أيام. كاتب مراكشي ت: في القرن ٦هـ/١٢م: الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م، ص ١٦٥.
- (٧) في الأصل: الزاب، وبلاد الزاب: بلاد واسعة على أطراف الصحراء المغربية، في سمت بلاد الجريد، وهي مدن كثيرة وأنظار واسعة وعمائر متصلة، فيها المياه السائحة والأنهار والعيون الكثيرة، ومن مدنها: المسيلة، نقاوس، طبنة، بسكرة، تهودة، وبين بلاد الزاب والقيروان عشرة مراحل. كاتب مراكشي: الاستبصار، ص ١٧١. الحميري: الروض المعطار، ص ٢٨١.
- (٨) رجب الفرد: سُمّي بذلك لانفراده عن بقية الأشهر الحرم، ويقال فيه أيضاً: رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان.
- (٩) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٠٤.
- (٩) المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٧١. ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٤٧٥-٤٧٦.

ومنها أن السلطان رسم بعمارة جامع على شاطئ النيل^(١) بمصر، فصرفت مصارفه من خالص ماله، ورتبه برأيه، فجاء غاية في حسن الأوضاع، وكملت عمارته في سنة اثني عشرة وسبعمائة، وولى خطابته بدر الدين بن جماعة، ورتب به جماعة من الصوفية^(٢) وجعل شيخهم قوام الدين الشيرازي^(٣)، وهو الجامع المعروف بالجامع الجديد^(٤)، وقال فيه بعض أهل العصر من قصيدة منها:

وجعلت شكرانَ التمكن جامعاً قد وفرت من أجله لك أسهُمُ
جارت فيه النيلَ نيلاً فاغتندي يجري ليدرك ما يجودُ وينعمُ
عَوَّضتُهُ بالتبنِ تبراً فاغتندي قوتُ القلوبِ به ونعمُ المغنمِ^(٥)

ومنها أن خرنبدا جدد جسراً لبغداد، وبنى جامعاً أنفق عليه ألف ألف درهم^(٦).

وقال ابن كثير: ومن الحوادث في هذه السنة: أن في يوم الإثنين العشرين من جمادى الأولى، جلس الناصر بدار العدل لكشف المظالم، ومعه القضاة الأربعة، واستمر كذلك إلى وقتنا، وكان قبل ذلك يتولاه الأمراء^(٧).

وفيها بلغ النيل إلى: [الماء القسّم ذراعان وثلاثة أصابع، مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً]^(٨)

(١) النيل: نيل مصر، من سادات الأنهار وأشراف البحار، وهو من عجائب العالم، ينبع من وراء خط الاستواء بسبع درجات ونصف الدرجة ويجري شمالاً ليصب في بحر الروم (المتوسط)، ومسيره شهر في بلاد الإسلام وشهران في النوبة وأربعة أشهر في الخراب، ليس في الدنيا نهر يسمى بحراً وبمأ غير النيل، قال تعالى: ﴿فَإِذَا خِفَّتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ القصص، آية ٧. وليس في الدنيا نهر يفيض على الأرض فيزرع عليه ويغني عن المطر غير نيل مصر. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٠-٢٣. القزويني: آثار البلاد، ص ٢٦٤-٢٦٦. خسرو: سفرنامه، ص ٨٠-٨٣. الحميري: الروض المعطار، ص ٥٨٥-٥٨٨. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٣، ص ١٤١٣-١٤١٥. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ٣٣٩-٣٣٤.

(٢) الصوفية: مذهب روحي كان معروفاً كنزعة إنسانية عند بعض الشعوب ذات الحضارات القديمة، يهدف إلى تطهير النفس من المآثم والذنوب، عرفه العرب في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وليس له نص في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، ويعبر عن الزهد والنسك في الدين والتعبد لله تعالى والبعد عن ملذات الدنيا، ومع تطور النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع العربي الإسلامي، تبلورت لدى الزهاد سمات خاصة، فاصبحوا على شكل جماعات تلتزم الصلاح ومجاهدة النفس. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ١٠٦-١٠٧. العبد، محمد و عبد الحليم، طارق: دراسات في الفرق الصوفية، دار الأرقم، الكويت، ١٩٩٧م، ص ٢٢.

(٣) بعد الرجوع إلى كتاب السلوك للمقريزي والنجوم والمنهل لابن تغري بردي والوافي للصفدي وغيرها، لم يتم الحصول على أية ترجمة له.

(٤) المقريزي: السلوك، ج ٢، ص ٤٦٩، ٤٧٩؛ والخطط، مج ٤، ص ١٠٢.

(٥) البحر الكامل.

(٦) وهو بما يساوي ١ مليون درهم. الباحث.

(٧) لم يرد هذا النص في البداية والنهاية، في حوادث سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م.

(٨) ذراع: مقياس يُقارب في طوله الذراع، يتراوح بين ٥٥ و ٨٠ سم حسب البلد أو الشيء المقيس وقد كانت هي =

وإحدى وعشرين إصبعاً^(١) / ٣٦٦/. وفيها حج بالناس سيف الدين بكتمر السلحدار
الأبو بكري^(٢) بالركب المصري، وحج بالركب الشامي سيف الدين الطنبغا الجمدار^(٣).

=الوحدة المعيارية لقياس الأقمشة وهي تعادل ياردة أو ٣٦ بوصة "سقطت القذيفة على بعد عشرين ذراعاً من
الهدف". عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٨٠٨.

^(١) في الأصل: بياض، حوالي سطر. والإضافة من: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٣.

^(٢) بكتمر السلحدار: الأمير سيف الدين بكتمر الأبو بكري المنصوري، من أكابر الأمراء بدولة الناصر، كان أمير
أربعين ثم ترقى إلى أمير سلاح، عينه الناصر نائباً بصفند، فرفض، فسجنه ست سنين، توفي سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م.

الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٧٠١-٧٠٢. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ١٦.

^(٣) " علاء الدين طنبغا أخو بهادر آص " في: البداية والنهاية، ج ١٤، ٧١. وفي ذيل مرآة الزمان، مج ٢، ص ١٤٤٧.

وفي تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٨٨.

ذِكْر مَنْ تُوفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ

- الشيخ الرئيس بدر الدين محمد ابن رئيس الأطباء أبي اسحق إبراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري،^(١) من سلالة سعد بن مُعَاذ^(٢)، رضي الله عنه، السويدي، من [سويداء حوران]^(٣)، سمع الحديث، ويرع في الطب، مات في ربيع الأول^(٤) ببستانه، بقرب الشبلية^(٥)، عن سبعين سنة.
- الشيخ الصالح الزاهد أبو البركات شعبان بن أبي بكر بن عمر الأربلي،^(٦) شيخ مقصورة الحلبيين بجامع دمشق، توفي في التاسع والعشرين من رجب، ودفن بمقابر الصوفية، عند ضريح الشيخ محمد الجرديكي،^(٧) وله سبع وثمانون سنة. روى عن: الرشيد العطار،^(٨) والحافظ عبد الغني،^(٩)

(١) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٢١٣. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ١٩. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٢. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٧. النعمي: الدارس، مج ١، ص ٤١٢.

(٢) سعد بن معاذ: الصحابي سعد بن معاذ بن النعمان بن أمراء القيس، الأوسي الأنصاري، من أبطال أهل المدينة، أسلم على يد مصعب بن عمير، كانت له سيادة على الأوس وحمل لواءهم يوم بدر، وثبت في أحد، أصابه سهم بكاحله في غزوة الخندق وتوفي إثرها سنة ٦٢٦هـ/م. ابن الأثير، علي بن محمد ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٣م: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٤م، ج ٢، ص ٢٦١-٢٦٤. الصفدي: الوافي، ج ١٥، ص ٩٥. الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٨٨.

(٣) في الأصل: سويداء حران: بلدة مشهورة في ديار مضر قرب حران، بينها وبين بلاد الروم، فيها خيرات كثيرة وأهلها نصارى أرمن في الغالب. وليست هي المقصودة في النص لأن كل مصادر ترجمته تثبت أنه من سويداء حوران، وسويداء حوران: قرية من نواحي دمشق على الطريق إلى المدينة المنورة، تبعد عن دمشق ستة فراسخ، وهي حصينة على رأس جبل وتحيط بها مزارع الكروم والزيتون، مأوها من عين تتجمع في بركة. وهي اليوم محافظة السويداء في القطر العربي السوري. الحميري: الروض المعطار، ص ٣٣٠. الحموي: البلدان، مج ٣، ص ٢٨٦. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، مج ٣، ص ٦٨٦.

(٤) "ثامن عشر ربيع الآخر" عند الصفدي: أعيان. البرزالي: المقتفي.

(٥) الشبلية: هي المدرسة الشبلية البرانية الحسامية بدمشق، بسفح جبل قاسيون، بالقرب من جسر الثورة، بناها الطواشي شبل الدولة الحسامي سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م. النعمي: الدارس، مج ١، ص ٤٠٧. كرد علي: خطط الشام، ج ٦، ص ٩١.

(٦) ترجم له: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٢. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٣٣. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٥١٩، والوافي، ج ١٦، ص ٨٩. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٤٢. النعمي: الدارس، مج ١، ص ٣٧٢.

(٧) الجرديكي: محمد بن عبد الله الجرديكي، الحلبي، توفي سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ٤٨٥.

(٨) الرشيد العطار: يحيى بن علي بن عبد الله بن علي بن مفرج، أبو الحسين، رشيد الدين القرشي الأموي النابلسي ثم المصري، المعروف بالرشيد العطار، محدث، من الحفاظ، توفي سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٤م. السيوطي: طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٥٠٥. سُشار إليه بـ السيوطي: طبقات. الزركلي: الأعلام، ج ٨، ص ١٥٩.

(٩) الحافظ عبد الغني: والمقصود به: الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد، الإمام شرف الدين أبو محمد بن جمال الدين المقدسي الحنبلي توفي سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٥، ص ٨٨.

والضياء،^(١) والشارعي،^(٢) والنجيب عبد اللطيف،^(٣) وابن عبد الدائم،^(٤) وآخرين. خرج من إربل^(٥) صبيّاً ونشأً بحلب، ثم رحل إلى القاهرة فأقام بها مدة.

● الشيخ الكاتب الصدر المحدث المنشئ الشيخ شرف الدين محمد بن شريف بن يوسف الزرعي، المعروف بابن الوحيد.^(٦) كان حسن الخط، موصوفاً بحسنه، فاضلاً مقدماً شجاعاً، يعرف عدة ألسن، خدم بديوان الإنشاء بالقاهرة، وكتب للبرواناه^(٧) بالروم، وآخر الأمر كتب للشجاعى^(٨) وحظي عنده، ثم تعطل /٣٦٧/ بعد ذلك، وتنزل صوفياً بخانقاه سعيد السعداء^(٩)، وكان يحل

(١) الضياء: هو الامام الحافظ، محدث الشام، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي الحنبلي المتوفى سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م. الذهبي: طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٨م، ج ٤، ص ١٣٣. سُبُحَانُ إِلَهِي: الذهبي: طبقات. السيوطي: طبقات، ص ٤٩٧.

(٢) الشارعي: سليمان بن أحمد بن علي أبو الربيع السعدي الشارعي المصري يعرف بابن المغربل مقرئ ثقة، توفي سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م. الذهبي: طبقات، ج ٤، ص ١٤٤.

(٣) النجيب عبد اللطيف: نجيب الدين عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور بن هبة الله الحراني، مسند الديار المصرية، توفي سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٧، ص ٣٥٦. الصفدي: الوافي، ج ١٩، ص ٧٨.

(٤) ابن عبد الدائم: أحمد بن عبد الدائم بن نعمه بن أحمد بن نعمه بن محمد، المعمر العالم مسند الوقت، زين الدين أبو العباس المقدسي الفندقي الناسخ الحنبلي، توفي سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م. الصفدي: الوافي، ج ٧، ص ٢٢. الكتبي: الوفيات، ج ١، ص ٨١.

(٥) إربل: مدينة كبيرة من أعمال الموصل بينهما مسيرة يومين، تقع بين الزابين، لها قلعة حصينة على تل عال من التراب شبيهة بقلعة حلب إلا أنها أكبر وأوسع، تقع اليوم في شمال العراق. القزويني: آثار البلاد، ص ٢٩٠. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ٥١. الحموي: البلدان، مج ١، ص ١٣٧-١٣٩.

(٦) ترجم له: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٣. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٣٧. الكتبي: الوفيات، ج ٣، ص ٣٩٠. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٤٦٦-٤٧١، والوافي، ج ٣، ص ١٢٥-١٢٧. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ١٩٦-١٩٩. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٠. ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٤٣، ودرة، ج ١، ورقة: ١٩٢.

(٧) البرواناه: لفظ فارسي معناه: الحاجب، وهو: سليمان بن علي بن محمد بن حسن، الصاحب معين الدين، كان نائباً لأبغا على بلاد الروم (آسيا الصغرى)، قتله أبغا سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٦، ص ٤٣-٤٤. الصفدي: الوافي، ج ١٥، ص ٢٤٩. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٣٢١.

(٨) الشجاعى: الأمير الكبير علم الدين سنجر الشجاعى المنصورى، وزير الديار المصرية ومشدّد دواوينها، ونائب السلطنة بدمشق. قتل سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م. الصفدي: الوافي، ج ١٥، ص ٢٨٩. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٦، ص ٨٠.

(٩) خانقاه سعيد السعداء: كانت داراً لسعيد السعداء قنبر (أحد خدام القصر للخليفة المستنصر الفاطمي)، وعندما استبد صلاح الدين الأيوبي بالأمر في الدولة الفاطمية أوقفها على الصوفية سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م. وأطلق على شيخها لقب شيخ الشيوخ، كان سكانها من الصوفية المعروفين بالصلاح. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٢٦٠.

المترجم، فلما كان في سنة إحدى وسبعمائة^(١) قدم رسل التتار من عند قازان^(٢) ومعهم كتاب قازان، فلم يكن في الموقعين من يحله، فطلب من الخانقاه فحله وكتب جوابه، فرتبوه بديوان الإنشاء، فخدم به إلى أن مات بالقاهرة بالمارستان المنصوري^(٣)، يوم الثلاثاء السادس والعشرين^(٤) من شعبان منها، ومولده في شهور سنة سبع وأربعين وستمائة^(٥) بدمشق، وله نظم جيد، ومنه:

يقولون لي مَنْ أرغدَ الناسَ عيشةً
فقلتُ لبيبٌ عارفٌ قهرَ الهوى
وله:

جهدُ المغفلِ في الزمانِ مُضَيِّعٌ
كالثورِ في الدولابِ وهو لا
يدري الطريقَ فلا يزالُ مكائنةً^(٦)

وله في تفضيل الحشيش على الخمر:
وخضرَاءُ لا الحمراءُ تفعلُ فعلها
[تؤججُ]^(٧) ناراً في الحشا وهي حنة
لها وثباتٌ في الحشا وثباتٌ / ٣٦٨/
وتبدي مريرَ العيش^(٨) وهي نبات^(٩)

(١) يوافق أولها الاثنين ١٩ أيلول (سبتمبر) ١٣٠١ م. باشا: التوقيقات الإلهامية، مج ١، ص ٧٣٤.
(٢) قازان: أو غازان واسمه محمود بن أرغون بن أبغا بن هولكو بن تولاي بن جنكيزخان، الإيلخان الجليل معز الدين، صاحب العراقين (عراق العرب وعراق العجم) وخراسان وأذربيجان والروم، تولى الملك سنة ٦٩٣ هـ/١٢٩٣ م، وأسلم في السنة التالية، توفي سنة ٧٠٣ هـ/١٣٠٣ م ببلاد قزوین. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٨-١٧. الكتبي: الوفيات، ج ٤، ص ٩٧. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٢٤٨.

(٣) المارستان المنصوري: بناه السلطان المنصور قلاوون الألفي الصالحي، بين القصرين، وكان داراً لست الملك أخت الحاكم الفاطمي، فعبر معالمها وزاد في بناءها، وذلك سنة ٦٨٣ هـ/١٢٨٤ م. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٩. المقرئ: الخطط، مج ٤، ص ٢٢٦ وما بعدها.

(٤) "سادس عشر" عند البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٣٧. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٣. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٧.

(٥) يوافق أولها الخميس ٢٨ نيسان (أبريل) ١٢٤٩ م. باشا: التوقيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٨٠.

(٦) عن سبل. عند ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٤٣.

(٧) البحر الطويل.

(٨) أستاذ. عند الصفدي: الوافي، ج ٣، ص ١٢٥، وأعيان، ج ٤، ص ٤٧٠. الكتبي: الوفيات، ج ٣، ص ٣٩٠.

(٩) البحر الكامل.

(١٠) في الأصل: تأجج. والتصحيح من: أعيان، ج ٤، ص ٤٧٠.

(١١) حنة. عند الصفدي: الوافي، ج ٣، ص ١٢٥، وأعيان، ج ٤، ص ٤٧٠.

(١٢) الطعم. عند الصفدي: الوافي، ج ٣، ص ١٢٥، وأعيان، ج ٤، ص ٤٧٠.

(١٣) البحر الطويل.

وكان ناصر الدين شافع^(١) قد وقف على شيء من أدبه فأثنى عليه وشكره، وكان ناصر الدين قد أضر^(٢)، فلما بلغ ابن الوحيد ذلك، قال:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي.^(٣) فلما بلغ شافعاً قوله كتب إليه:

نعمَ نظرتُ ولكن لم أجد أدباً
عَيَّرَني بعمي أصبحت تذكره^(٤)
يا مَنْ غدا واحداً في قلةِ الأدبِ
والعيبُ في الرأسِ دونَ العيبِ في

● الشيخ ناصر الدين يحيا بن إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز العثماني،^(٦) خادم المصحف العثماني بدمشق، نحواً من ثلاثين سنة، مات بدمشق، وصلي عليه يوم الجمعة رابع رمضان، ودُفن بمقابر الصوفية، وبلغ خمساً وستين سنة.

● الشيخ الصالح الجليل القدوة أبو عبدالله محمد بن الشيخ القدوة إبراهيم بن عبدالله الأرموي،^(٧) مات بمكانه بسفح جبل قاسيون، في [ليلة]^(٨) الحادي والعشرين من رمضان^(٩)، وصلي [عليه]^(١٠) بالجامع المظفري^(١١)، ودفن عند والده، وكانت [جنازته]^(١٢) ٣٦٩/ مشهودة، وكان رجلاً حسناً، ذا فضيلة وخير وتودد، وكانت شفاعته مقبولة، وكلمته نافذة، ويكاتب السلطان والنواب، فلم ترد ورقته إلا

^(١) ناصر الدين شافع: شافع بن علي الكناني العسقلاني المصري، عمل بديوان الإنشاء بمصر، توفي سنة ٥٧٣٠هـ/ ١١٣٣م. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٨٤، والمنهل، ج ٦، ص ١٩٦. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٥٠١-٥٠٢. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٣٤-٣٣٥.

^(٢) في الأصل: أخر. والتصحيح من: الوافي، ج ٣، ص ١٢٥.

^(٣) فكدت أنشد لولا نور باطنه أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي. عند الصفدي: الوافي، ج ٣، ص ١٢٦.

^(٤) جازيت مدحي وتقريضي بمعية. عند الصفدي: الوافي، ج ٣، ص ١٢٦.

^(٥) البحر البسيط.

^(٦) ترجم له: البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٣٩. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٢.

^(٧) ترجم له: البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٤٠. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٢. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٢١٥-٢١٦. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ١٢.

^(٨) في الأصل: الليلة. والتصحيح يتفق مع المعنى.

^(٩) عاشر رمضان. عند الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٢١٦. العشرين من رمضان. عند البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٤٠.

^(١٠) إضافة للتوضيح، من: أعيان، ج ٤، ص ٢١٥.

^(١١) الجامع المظفري: هو جامع الحنابلة بسفح جبل قاسيون بدمشق، أنشأه الملك المظفر كوكبوري صاحب إربل سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م، وهو جامع جليل. كرد علي: خطط الشام، ج ٦، ص ٦٢.

^(١٢) في الأصل: صاربه، والتصحيح يتفق مع المعنى.

مقضية الشغل، ومولده سنة خمس وأربعين وستمائة^(١)، وله نظم حسن، فمنه:

ومجراك مجرى الروح كيف تغيبُ
وكلُّ شؤنُ العاشقين عجبُ
لأنك لي دون الأنام حبيبُ
وإن بُعدت مِنَّا الديار قريبُ
بقايا من الأحداث كنَّ تحيبُ
وكلُّ فتى يهوى الجمال طروبُ
ويخشعُ من ذكراك ثم قلبوبُ
فأشكو إليكم عِلِّي فاطيبُ
إذا كان لي في الحب منك نصيبُ
أنيسٌ سواء في الدجى ونسيبُ
ويغلبُهُ فرطُ الجوى^(٢) فيؤوبُ
لهنَّ بجناتِ القلوبِ ديبُ^(٣)

إذا كنتَ في قلبي وسمعي وناظري
فوا عجبِي شوقي إلى غيرِ غائبِ
أتبه على الأكوانِ عجباً وعزّةً
وإنك من قلبي على كلِّ حالةٍ
ولو أن دأب منك يدعوا وأعظمي
ويطربني ذكراك مرَّ بمسمعي
فترتاحُ أرواحُ هناك صبابهً
ويعرضني فرطُ اشتياقي إليكم / ٣٧٠/
وما ساءني من صدّ عني أو جفا
أنوحُ كما نأح الحمائم وليس لي
يهابُ اقتحامُ الحبِّ قلبي فيثني
تجولُ به أيدي الغرام كأنها

وقال:

فحيانا من كلِّ معنى كريم
من تربى بين الندى والنسيم^(٤)

ماسَ عجباً منه القضيْبُ علينا
لا عجبَ أن ماسَ عجباً وتيهاً

وكان قد خانه بصره قبل موته بقليل، فقال:

أن حيي دنا وأن الرحيل
جعلوا النور تابعاً للدليل^(٥)

خانني ناظري وهذا دليلُ
هكذا الركبُ إن أرادَ رحيلاً

وقال:

وتفاخرُ الأطيّار في الألحانِ
ماءُ الحياءِ في وجنة الخجلانِ
سكرُ الشمولِ شمائلِ النشوانِ

لله أيامُ الربيعِ وطيبُها
والوردُ يشرقُ في الغصونِ كأنّه / ٣٧١/
والغصنُ يشينه النسيمُ كما ثنى

(١) يوافق أولها الثلاثاء ٢٠ أيار (مايو) ١٢٤٧ م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٧٨.

(٢) الجوى: شدة الوجد من عشق أو حزن، والجوى أيضاً هو الهوى الباطن. ابن منظور: لسان، ج ١٤، ص ١٥٨.

(٣) البحر الطويل.

(٤) البحر الخفيف: يا خفيفاً خفت به الحركات فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن.

(٥) البحر الخفيف.

والماء يمشي في الرياض كما مشّت

سِنَّهُ الرقاد بمقلة الوسنان^(١)

وقال:

حديقة إذا نبّهتها الصّبا
وشى بطيب العُرفِ نَمَامُها

لم يبقَ منها مقلّة غافية
لما أتته الأعين الصافية

وقال:

ياطيب ما جاء النسيم فعرفكم
حمّلتُه مني السلام عليكم

وحديثه عنكم حديث مُرسل^(٢)
فأطاعني لكنّه يتعلّل^(٣)

● صاحب الكبير الوزير فخر الدين عمر بن الشيخ مجد الدين عبد العزيز بن الحسن بن الحسين الخليلي التميمي الداري،^(٤) مات بمصر، ودُفن بالقرافة الصغرى^(٥)، وكان موته يوم عيد الفطر، ومولده سنة أربعين وستمائة^(٦)، تولى الوزارة في أول دولة السعيد^(٧) بن الملك الظاهر، ٣٧٢/ ثم تولى وزارة الملك العادل كتبغا^(٨)، وكذلك تولى في أول دولة الملك المنصور لاجين^(٩)، ثم تولى في أول دولة الملك الناصر، ثم عُزل ومات معزولاً، وقد سمع الحديث، وكان خيراً، عاقلاً، كافياً، عنده كرم زائد،

(١) البحر الكامل.

(٢) حديث مُرسل: حديث متواصل لا ينقطع. ابن منظور: لسان، ج ١١، ص ٢٨٤.

(٣) البحر الكامل.

(٤) ترجم له: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٣. البرزالي: المفتي، ج ٢/٢، ص ٤٤. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٢٠٠. الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ٦٣٥، والوافي، ج ٢٢، ص ٣١٦. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٢٦١. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٠.

(٥) القرافة الصغرى: هي إحدى مقابر أهل القاهرة، تقع بسفح جبل المقطم، أما القرافة الكبرى فهي بجوار المساكن شرق القاهرة. المقرئ: الخطط، مج ٤، ص ٣٢٧.

(٦) يوافق أولها الاثنين ١٣ تموز (يوليو) ١٢٤٢ م. باشا: التوقيعات الإلهامية، مج ١، ص ٦٧٣. وعند البرزالي مولده سنة تسع وثلاثين وست مئة.

(٧) هو: محمد بن بيرس، السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالي، بركة خان. توفي بالقاهرة سنة ٦٧٨ هـ/١٢٧٩. الصفدي: الوافي، ج ٢، ص ١٩٧. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ٣٦٦.

(٨) كتبغا: الملك العادل، زين الدين كتبغا المنصوري المغربي، تولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٤ هـ/١٢٩٤ م، وخلع بعد سنتين، توفي بدمشق سنة ٧٠٢ هـ/١٣٠٢ م، ودفن بسفح قاسيون. الصفدي: الوافي، ج ٢٤، ص ٢٤٠، وأعيان، ج ٤، ص ١٤٤. الكتبي: الوفيات، ج ٣، ص ٣١٨. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٣٠٦.

(٩) لاجين: الملك المنصور حسام الدين لاجين، تولى السلطنة سنة ٦٩٦ هـ/١٢٩٦ م، وقتل سنة ٦٩٨ هـ/١٢٩٨ م. الصفدي: الوافي، ج ٢٤، ص ٢٩٠-٢٩٤، وأعيان، ج ٤، ص ١٦٥.

وفيه بر وصدة وتودد لأصحابه.

- القاضي العلامة الحافظ سعد الدين مسعود بن أحمد بن مسعود بن [زيد]^(١) الحارثي الحنبلي،^(٢) مات بالمدرسة الصالحية^(٣) بالقاهرة، ودُفن بالقرافة، وكان من أعيان العلماء والمحدثين. نشأ في العلم، واشتغل في الحديث، وقرأ الكثير بنفسه، ورحل إلى دمشق وإلى الإسكندرية، وحج غير مرة، وسمع المشايخ، وخرَّج^(٤) لنفسه ولجماعة من شيوخه. تولَّى مشيخة الحديث بالجامع الحاكمي^(٥)، وتدرّس الفقه بجامع ابن طولون^(٦)، ثم ولي قضاء الديار المصرية مدة سنتين ونصفاً. وكان موته في الرابع والعشرين^(٧) من ذي الحجة، رحمه الله، وتولى بعده تقي الدين بن بنت القاضي شمس الدين الحنبلي^(٨)، وكان جده المذكور قاضياً من قبل. قال ابن كثير رحمه الله: وكانت له [يد]^(٩) طولى في الأسانيد والمتون، وشرح قطعة من سنن أبي داود رحمه الله.

(١) في الأصل: يزيد، والتصحيح من مصادر الترجمة.

(٢) ترجم له: البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٥٢. الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٤١٦. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٥. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٦. ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ١٠٨. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢١. الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ٢١٦. ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٤٠.

(٣) المدرسة الصالحية: بالقاهرة، بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل الأيوبي سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م، في موضع بين القصرين، ورتب فيها دروساً للفقهاء المنتمين إلى المذاهب الأربعة. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٢٦٣. النعمي: الدارس، مج ١، ص ٢٣٩. المقرئ: الخطط، مج ٤، ص ٢١٧-٢١٨. مبارك، علي باشا: الخطط التوفيقية لمصر القاهرة، المطبعة الأميرية، ط ١، بولاق، ١٨٨٧م، ج ٦، ص ٩.

(٤) علم التخرّيج: دراسة المبادئ المنهجية في تأويل النصوص وخاصة الدينية منها، وهو حُسن التأويل وبراعة استخراج الوجوه لإظهار صحة المسألة، والتخرّيج: هو إبراز المحدث الحديث وإظهاره بسنده إلى الرسول ﷺ وروايته للناس. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٦٢٧.

(٥) الجامع الحاكمي: أسسه أمير المؤمنين العزيز بالله بن المعز لدين الله بالقاهرة في موضع بالقرب من باب الفتوح وباب النصر سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م، ثم أكمل بناءه ولده الحاكم بأمر الله، واكمل بناءه سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤١١. المقرئ: الخطط، مج ٤، ص ٥٩-٦١. مبارك: الخطط، ج ٤، ص ٧٩.

(٦) جامع ابن طولون: بناه أحمد بن طولون على جبل يشكر بالقرب من القاهرة سنة ٢٦٤هـ/٨٧٧م، واكمل بناءه بعد سنتين، وأنفق عليه مئة وعشرون ألف دينار. المقرئ: الخطط، مج ٤، ص ٣٨-٤٠. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٢٦٤. مبارك: الخطط، ج ٤، ص ٤٥.

(٧) رابع عشر. عند الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٤١٧.

(٨) شمس الدين الحنبلي: أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحراني الحنبلي، توفي سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م. الكتي: الوفيات، ج ٣، ص ٤٢٨. الصفدي: الوافي، ج ٤، ص ٥٦.

(٩) إضافة من مصادر ترجمته، للتوضيح.

- القاضي مجد الدين أبو الفرج عيسى بن عمر بن عبد المحسن بن الخشاب،^(١) وكيل بيت المال، كان فقيهاً فاضلاً، عالماً ورعاً، شافعيّاً، مات ٣٧٣/ في ثامن ربيع الأول، ودفن بترتبه بالقرافة.
- الحكيم الفاضل شرف الدين عبدالله بن شهاب الدين أحمد بن أبي الحوافر،^(٢) توفي ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شوال، وُدفن بالقرافة الصغرى، وكان ديناً فاضلاً، حسن الأخلاق.
- القاضي تاج الدين عبد الرحمن،^(٣) المعروف بالتاج الطويل، ناظر الدواوين بالديار المصرية، مات في الثاني والعشرين من ذي القعدة، وُدفن بالقرافة، وهو الذي راك^(٤) الإقطاعات في الأيام المنصورية الحُسامية، كان من أخبر الناس بصناعة الحساب وتنفيذ الأشغال، وعنده مروءة وعصية وبر ومعروف، وكان من مسألة القبط^(٥)، وانتهى إليه علم الكتابة الديوانية في زمانه.
- الشيخ الصالح محمد الغريان،^(٦) مات بظاهر القاهرة في رجب،^(٧) وكان يلبس سراويل، وعلى رأسه طاقية بلا عمامة، وباقي جسده مكشوف، ومع أحد أصحابه حصيرة صغيرة يبسطها تحته حيث قعد، ويصلي عليها، وكان لأهل الديار المصرية فيه اعتقاد عظيم، سافر إلى دمشق سنة شقحب،^(٨)

^(١) ترجم له: النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٣. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٥. الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ٧١٤-٧١٥. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٦. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٢٤٢-٢٤٤. ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٤٠، ودرة، ج ١، ورقة: ١٩١.

^(٢) ترجم له: النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٤. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٤٥. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٧. ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ١٤.

^(٣) ترجم له: النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٤. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٤٩. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ١٠٣-١٠٤.

^(٤) راك: مصدرها: رَوَّك، وهي: لفظة قبطية (روش) ومعناها قياس الأرض بالجل، والروك: مصطلح عرف في القرون الوسطى معناه عملية المسح وقياس الأراضي ودراسة خصبها وإمكاناتها الزراعية أو المعدنية، وذلك من أجل تمكين الدولة من فرض الضرائب المناسبة والعادلة، وكانت القاعدة أن تراك الأراضي كل ثلاثين سنة مع الإشارة إلى أن هذه المدة تزيد أو تنقص حسب حاجة الدولة. والروك الحسامي، أمر بعمله السلطان المنصور حسام الدين لاجين سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م. اليوسفي، موسى بن محمد ت: ٧٥٩هـ/١٣٥٨م: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تح: أحمد حطيط، عالم الكتب، ط ١، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣٣١، حاشية رقم ١. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٥٠٠. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٨، ص ٩٠.

^(٥) مسألة القبط: هم أهل الذمة الذين دخلوا الإسلام، فدعوا بالمسألة. مصادر ترجمته.

^(٦) ترجم له: البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٣٣. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٥. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٦. وقد كتب الناسخ اسمه بخط أكبر متميز.

^(٧) "في ثامن عشر رجب" عند المقرئ. "في الثامن والعشرين من رجب" عند البرزالي.

^(٨) سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، التي شهدت واقعة شقحب بين التتار والمماليك. وشقحب: قرية من قرى مرج الصفر جنوب دمشق، تبعد عن دمشق ٣٧ كم جنوباً على طريق دمشق-الجولان، إلى الجنوب الغربي من بلدة الكسوة. الحربي: معجم المعالم، ص ٢٨٨-٢٨٩. كرد علي: خطط الشام، ج ٢، ص ١٣٨. المعجم الجغرافي للقطر العربي =

وعاد إلى مصر، وكانت له زاوية^(١) بالروضة خارج القاهرة.

- الصدر أمين الدين عبد الحق بن أبي علي بن عمر، المعروف بابن [الفارغ]^(٢) الحموي،^(٣) مات بالقاهرة،^(٤) ودفن بالقرافة، ومولده سنة إحدى وخمسين [وستمائة]^(٥)، كان فاضلاً عاقلاً، حسن النظم والترسل، فمن شعره: / ٣٧٤ /

دوادار الأمرير لــــه دواة
تري قلم الأمر يغوص فيها
كتلّ الياسمين بغير صوف
كغوص حلاوة في حلق صوفي^(٦)
وله:

إلام على جهل الصبا أنت عاكف
وكم توبة في كل يوم وعودة
أما لك يا نفسي من الله رادع
ألم تعلمي أن لا خلود وأنت
وفي كلما يأتي عليك رقيب
أما تستحي من مثل ذا وتتوب
ولا لك في فعل الجميل نصيب
لمسترفع^(٧) منك الحساب حسيب^(٨)

- الشيخ فخر الدين اسماعيل بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن الحسن بن عساكر الدمشقي،^(٩) مات بدمشق،^(١٠) ودفن بمقابر الباب الصغير^(١١)، ومولده في سنة سبع وعشرين

= السوري، مج ٤، ص ٣٧.

^(١) الزاوية: مكان يتخذ للإعتكاف والعبادة والمطالعة، وهو على شكل خلوة أو رواق في المسجد إذا كان مشتملاً على مصلّى مستور، ولكل زاوية شيخ منقطعاً لها فتعرف به. ومن أشهر روادها: الجماعات الصوفية. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٢١٦-٢١٧.

^(٢) هكذا بالأصل، وعند الصفدي، ووردت: البارغ، عند البرزالي وابن حجر.

^(٣) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ١٩. ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ١٠٥. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٨.

^(٤) "في الرابع والعشرين من المحرم" عند الصفدي والبرزالي.

^(٥) مكتوبة بهامش الأصل، وأشار الناسخ إلى موضعها بالمتن. ويوافق أولها الأحد ١٥ آذار (مارس) ١٢٥٣ م. باشا: التوقيعات الإلهامية، مج ١، ص ٦٨٤.

^(٦) البحر الوافر.

^(٧) استرفع: طلب أن تُرفع إليه الأمور. مسترفع: من قام بعملية الرفع. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٥، ص ١٧٥.

^(٨) البحر الطويل.

^(٩) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٥٢٧. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٠. ابن حجر: الدرر، ج ١،

ص ٤٥٥. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢١.

^(١٠) "يوم الاثنين العاشر من صفر" عند الصفدي والبرزالي.

^(١١) الباب الصغير: أحد أبواب دمشق الثمانية، التي احتطها اليونان الهيلينيون، يلي باب الجابية، وهو الباب القبلي للبلد، جده الملك المعظم عيسى الأيوبي سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٥ م، وسمي بالصغير لأنه أصغر أبوابها، من جانبه =

وستمائة^(١). روى عن جماعة من المشايخ، وكانت نفسه قوية، وعنده شر، وليّ مشاركة الجامع ومشاركة المساجد، رحمه [الله]^(٢).

● القاضي القضاة عز الدين أبو البركات عبد العزيز بن الصدر الكبير الرئيس محي الدين محمد بن القاضي نجم الدين أحمد بن هبة الله / ٣٧٥ / بن أبي جرادة الحلبي الحنفي، المعروف بابن العديم^(٣). كان قاضي حماة^(٤) مدة أربعين سنة، ومولده سنة ثلاث وثلاثين وستمائة^(٥) بحلب، مات بحماة في ثاني ربيع الآخر.

● الشيخ العارف الزاهد القدوة شمس الدين محمد بن أحمد بن [أبي] نصر الدُّبَاهِي،^(٦) مات بدمشق ودفن بسفح قاسيون^(٨) وكان شيخاً صالحاً، وله كلام حسن في التصوف، ومولده سنة ست وثلاثين وستمائة^(٩) وفارق والده، وجاور بمكة مدة، ولم يزل على قدم الخير والصلاح، وكان والده من أكابر التجار أصحاب الأموال.

● الشيخ الإمام الزاهد العارف عماد الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ القدوة إبراهيم بن عبد الرحمن

= الغري زقاق الصمادية ومن جانبه الشرقي طريق يقود إلى حارة الزط، ومن أسمائه الباب القبلي وباب الحديد. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٤٠٧. ابن بدران: منادمة الأطلال، ص ٤٠. الشهابي: معجم، ج ١، ص ٢٦. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٤٠٧.

^(١) يوافق أولها الأحد ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٢٢٩ م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٦٠. "مولده في صفر سنة تسع وعشرين وست مئة" عند الصفدي وابن حجر.

^(٢) إضافة لاستكمال النص.

^(٣) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ١٠٥. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٦. ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ١٨٠. ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٤١، ودرة، ج ١، ورقة: ١٩١.

^(٤) حماة: هي بلدة (حمث) الواردة في التوراة، وهي مدينة كبيرة حصينة في وهدة حمراء فسيحة عليها نشزان عاليان مطلان عليها يسميان: قرون حماة، ويحيط بها سور محكم من الحجارة في طرفه قلعة عظيمة، نهرها العاصي وعليه عدة نواير تستقي المياه منه، فتحها أبو عبيدة بن الجراح صلحاً سنة ١٧هـ/ ٦٣٨ م. التطيلي: الرحلة، ص ٢٨٧. العمري: مسالك، ج ٣، ص ٥٣٣. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ٤٢٣. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٣٠٠. الحميري: الروض المعطار، ص ١٩٩.

^(٥) يوافق أولها الجمعة ٢٧ أيلول (سبتمبر) ١٢٣٥ م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٦٠.

^(٦) إضافة من مصادر الترجمة.

^(٧) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٢٣٩، والوافي، ج ٢، ص ١٠١-١٠٢. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٨. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ١١٠.

^(٨) "في شهر ربيع الأول" عند ابن حجر. "يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر" عند البرزالي.

^(٩) يوافق أولها الجمعة ٢٦ آب (أغسطس) ١٢٣٨ م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٦٩.

الواسطي، المعروف بابن شيخ الحزاميين،^(١) مات بالمارستان الصغير^(٢) بدمشق، ودُفن بقاسيون قبالة زاوية السيوفي^(٣)، وكان رجلاً فاضلاً صالحاً ورعاً، منقطعاً إلى الله تعالى، ومولده في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وستمائة،^(٤) وكانت وفاته في السادس والعشرين من ربيع الآخر، اختصر سيرة النبي عليه السلام، وله مصنفات عدة^(٥)، وشعر، فمنه قوله:

كيف السلو ومالي عنك عوض
وكل شيء سوى حبي لكم عرض
تفنى الليالي وناري غير خامدة / ٣٧٦/
وؤدكم حشو قلبي ليس ينقرض^(٦)

● الفقيه الخطيب جلال الدين محمد بن الشيخ سعد الدين محمد بن محمود الحنفي البخاري،^(٧) مات بدمشق في العشرين^(٨) من جمادى الآخرة، ودُفن بمقابر الصوفية، كان شاباً حسناً ظريفاً، حسن الأخلاق، وكان خطيب المدرسة الزنجيلية^(٩) ظاهر دمشق، وكان حسن الصوت والصورة، ولي تدريس

(١) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ١، ص ١٥٣، والوافي، ج ٦، ص ١٤٠. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٩. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ١٠٣. الكتيبي: الوفيات، ج ١، ص ٥٦. ابن تغري بردي: المنهل، ج ١، ص ٢١٠.
(٢) المارستان الصغير: كان مكانه في قبلة مطهرة الجامع الأموي بدمشق تحت المذنة الغربية، وهو أقدم من المارستان النوري، ويقال أنه من عمارة معاوية بن أبي سفيان أو ابنه يزيد، ومن تسمياته: الدقاقي، العتيق، القدم، بيمارستان نور الدين، بيمارستان دار الشفاء. كرد علي: خطط الشام، ج ٦، ص ١٥٨. الشهابي: معجم، ج ١، ص ٥٢.
(٣) زاوية السيوفي: أنشأها الشيخ نجم الدين بن عيسى بن شاه أرمن الرومي، المتوفي سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م، بسفح قاسيون على نهر يزيد، بالقرب من دار الحديث الناصرية. الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ٧٢٢. كرد علي: خطط الشام، ج ٦، ص ١٣٧. الشهابي: معجم، ج ١، ص ٣٣٦.
(٤) يوافق أولها الاثنين ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٢٥٨م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٨٩.
(٥) "صنف في السلوك والمحبة، وشرح منازل السائرين، واختصر السيرة لابن اسحق، ودلائل النبوة" ابن تغري بردي: المنهل، ج ١، ص ٢١١.
(٦) البحر البسيط.

(٧) ترجم له: البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٢٩.
(٨) "يوم الأربعاء الحادي والعشرين" عند البرزالي.
(٩) المدرسة الزنجيلية بدمشق: وهي المدرسة الزنجارية، تقع خارج باب توما وباب السلامة، ولعل مكانها شرق السقيفة، ومكانها اليوم حدائق، تُنسب إلى نائب اليمن فخر الدين عثمان الزنجيلي الذي كان قد غادر اليمن سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م وتوجه إلى الشام، وذلك عندما قدمها طغتكين بن أيوب نائباً لأخيه صلاح الدين، وتم إنشاء هذه المدرسة سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م. النعيمي: الدارس، مج ١، ص ٤٠٤-٤٠٧. كرد علي: خطط الشام، ج ٦، ص ٩٠. الشهابي: معجم، ج ٢، ص ١٨٥.

الفروخشاهية^(١) وانتزعت منه لما مرض وطالت مرضته، ومولده في^(٢) سنة تسع وسبعين وستمائة^(٣) بقونية^(٤) من بلاد الروم.

● الشيخ محمد الدين يحيا بن خضير بن سليمان بن بدر بن كامل السلمي البصري،^(٥) كان شاعراً مفوهاً له قدرة على النظم، وله معرفة بالنحو واللغة وأيام الناس، وكان يعمل الحياكة في بيته، ومن شعره في مליح أرمذ:

لما بدا وعلى عينيه من رمدٍ شعريه
ما لها شبة سوي الغسقي
حسبته البدر فوق الغصن يستره
غيماً وقد كحلت الشمس بالشفقي^(٦)

● الشيخ الإمام العالم جلال الدين الكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم الأنصاري الخزرجي،^(٧) الأفريقي الأصل، أحد كتاب الإنشاء، مات بداره بالقاهرة، ودُفن بالقرافة، في الحادي عشر من شعبان^(٨)، ومولده^(٩) ٣٧٧/ سنة ثلاثين وستمائة^(١٠)، روى عن المقيّر^(١١)، وابن

^(١) المدرسة الفروخشاهية بدمشق: تقع بالشرق الشمالي من المدينة بالقرب من التربة الأجدية، تُنسب هذه المدرسة إلى فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب، صاحب بعلبك ونائب دمشق لعمه صلاح الدين، والمتوفي سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٣٨١. النعمي: الدارس، مج ١، ص ١٢٦ وما بعدها. ^(٢) "رابع ذي القعدة" عند البرزالي.

^(٣) يوافق أولها الأربعاء ١٤ أيار (مايو) ١٢٨٠م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٧١٢. ^(٤) قونية: من أعظم مدن الإسلام ببلاد الروم (آسيا الصغرى)، وهي على الطريق بين عمورية وأنطاكية، تبعد مسافة يوم عن اللاذقية. الإدريسي: نزهة المشتاق، مج ٢، ص ٨١٢ وما بعدها. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٤١٥. الحميري: الروض المعطار، ص ٤٨٤.

^(٥) بعد الرجوع إلى كتاب السلوك للمقريزي والنجوم والمنهل لابن تغري بردي والوافي للصفدي وغيرها، لم يتم الحصول على أية ترجمة له. ^(٦) البحر البسيط.

^(٧) ترجم له: النويري، نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٣. البرزالي: المقتضي، ج ٢/٢، ص ٣٦. الصفدي: الوافي، ج ٥، ص ٣٧. الكتبي: الوفيات، ج ٤، ص ٣٩. المقريزي: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٧. ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ١٥. وور اسمه فيها: جمال الدين أبو الفضل محمد بن الشيخ جلال الدين أبي العز المكرم.

^(٨) "ثالث عشر المحرم" عند المقريزي: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٧. ^(٩) مولده: مكررة في بداية الصفحة ٣٧٨.

^(١٠) يوافق أولها السبت ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٢٣٢م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٦٣. ^(١١) المقصود ابن المقيّر: علي بن الحسين بن علي بن منصور المسند الصالح المعمر أبو الحسن بن أبي عيد الله بن المقيّر الحنبلي، توفي سنة ٦٤٣هـ/ ١٢٣٥م. الصفدي: الوافي، ج ٢١، ص ٢٤.

النخيلي،^(١) وابن الصابوني،^(٢) وتفرد بأشياء من مسموعاته، وانتفع به الطلبة، وكان فاضلاً، وله معرفة بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة والإنشاء، وله نظم، فمن قوله، على ما قيل:

بِاللهِ إِنْ جُزْتَ بِوَادِي الْأَرْكِ^(٣) وَقَبَّلْتُ أَغْصَانَهُ^(٤) الْخَضِرَ فَالْكَ
فَابْعَثْ^(٥) إِلَى الْمَمْلُوكِ^(٦) مِنْ بَعْضِهَا^(٧) فَإِنِّي وَاللهِ مَا لِي سِوَاكَ^(٨)

● الشيخ الصالح الزاهد القدوة شرف الدين عبد الكريم ابن الشيخ نجم الدين أبي الفرج بن الحكيم الحموي الشافعي،^(٩) مات بحمالة^(١٠)، ودفن بترتبه بعقبة [تقيرين]^(١١)، كان شيخاً حسناً، دَرَسَ بالمدرسة الحَمِيرِيَّة^(١٢)، ولم يزل مدرساً إلى حين وفاته، وباشر حَسْبَ حِمَاة مَدَّة، وكان يعرف بالاحتساب في حياة والده، وكانت له رواية حسنة، ويقصده الفقراء والوزراء، ويجدون عنده الراحة والتفضل والأوقات الطيبة والسماعات^(١٣).

● الشيخ الإمام العالم الخطيب شمس الدين محمد بن يوسف بن عبدالله الجزري الشافعي،^(١٤) خطيب

^(١) بعد الرجوع إلى كتاب الوافي وأعيان العصر للصفدي وطبقات الحفاظ للسيوطي وطبقات الحفاظ للذهبي، وغيرها لم يتم الحصول على أية معلومات عنه.

^(٢) ابن الصابوني: جمال الدين أبو حامد محمد ابن الشيخ علم الدين علي بن محمود بن أحمد بن الصابوني الحمودي، شيخ الدار النورية، توفي سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م ودفن بسفح قاسيون. الذهبي: طبقات، ج ٤، ص ١٧٠.

^(٣) الأرك: نوع من الشجر تستخدم عيدانه سواكاً. الباحث.

^(٤) عيدانه. عند الصفدي: الوافي، ج ٥، ص ٣٨.

^(٥) ابعث. عند الصفدي: الوافي، ج ٥، ص ٣٨.

^(٦) عبدك. عند ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ١٦.

^(٧) بعضه. عند الصفدي: الوافي، ج ٥، ص ٣٨.

^(٨) البحر السريع: بحرٌ سريعٌ ماله ساحلٌ مستغلن مستغلن فاعلن.

^(٩) ترجم له: ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ٢٠١. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٤٤.

^(١٠) "يوم الخميس ثامن شوال" عند البرزالي.

^(١١) في الأصل: تقيرين. والتصحيح من: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٨٢. وبالعودة إلى كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، وكتاب مراصد الاطلاع لابن عبد الحق، والروض المعطار للحميري وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات عن هذا المكان.

^(١٢) بعد العودة إلى كتاب الدارس للنعمي، وخطط الشام لكرد علي وغيرهما، لم يتم الحصول على أية معلومات عن هذه المدرسة.

^(١٣) السماعات: مجموع الملاحظات التي كتبت بإملاء من الأساتذة والشيخ في كتب الحديث النبوي الشريف. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٦، ص ١٤٨.

^(١٤) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٣١٨. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٥٣. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٧. ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ٥٤. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢١.

جامع ابن طولون، مات بالمدرسة المعزية^(١) بمصر، ودُفن من الغد في أوائل ذي الحجة^(٢) بالقرافة، ومولده سنة سبع وثلاثين وستمائة^(٣) بالجزيرة،^(٤) وعُرض عليه قضاء دمشق فلم يقبل، ومات وهو خطيب جامع ابن طولون ومدرس المعزية، ٣٧٨/ وله نظم، فمنه قوله:

رأوا حمرةً في عينيه فتعجبوا لرجسه
إذا هو أَعْدَى خصره سُقْمُ جَفْنِهِ
إذا عَادَ في لُـوْنٍ وردِه
فلا غَرَوَ أنْ أَعْدَتْهُ حمرةُ خَدِّهِ

وله:

وحقك ما خلّى اشتياقي ولا أبقى
ولي كلما هبّت صبا منك صَبْوةٌ^(٥)
سأودعها إن راجعت من تأوّهي
وأمطر في أنثائها دارة الحمى
سوى عبرة تنهل أو نفس يرقى
تُعلم من لم يدرك كيف الهوى العشقا
ومن زفرائي بعدك الرعد والبرقا
مدامع تغنيها لذي الجحد أن تُسقى^(٦)

● الأديب الفاضل سراج الدين عمر بن مسعود الحلبي، المعروف بالمخّار،^(٧) كان أولاً صانعاً يحمر في الكتان، ثم اشتغل بالأدب وفاق فيه، واتصل بخدمة الملك المنصور^(٨) صاحب حماة، فقرر له جامكية^(٩) ورتب له راتباً، واستمر على ذلك إلى حين [توفي]^(١٠) بدمشق في هذه السنة، وله نظم

(١) المدرسة المعزية بالقاهرة: تقع على شاطئ نيل الفسطاط، بناها السلطان المعز أيك سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، ضمن رجة دار الملك التي تعرف بالرجبة الحناء. المقرئ: الخطط، مج ٣، ص ٣٢٣. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٣٨٥.

(٢) "توفي سادس ذي القعدة" الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٣١٩.

(٣) يوافق أولها الثلاثاء ١٥ آب (أغسطس) ١٢٣٩م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٧٠.

(٤) "ومولده في شهر رمضان سنة سبع وعشرين وست مئة بالإسكندرية" البرزالي.

(٥) صبوة: ميل إلى العشق والهوى. ابن منظور: لسان، ج ١٤، ص ٤٥١.

(٦) البحر الطويل.

(٧) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ٦٦٢. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٢٢٦. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢١. الكتي: الوفيات، ج ٣، ص ١٤٦. والمخّار: أي الذي يعمل بالصدف، والمقصود تبييض أقمشة الكتان. ابن منظور: لسان، ج ٩، ص ١٨٨.

(٨) الملك المنصور: محمد بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن شاذي بن أيوب، الملك المنصور، المتوفى سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م. الصفدي: الوافي، ج ٥، ص ٩.

(٩) الجامكية: لفظ فارسي مشتق من جامة بمعنى اللباس، أي نفقات أو تعويض اللباس الحكومي، وقد تردد بمعنى الأجر أو الراتب أو المنحة. دهمان: معجم الألفاظ، ص ٥١.

(١٠) إضافة للتوضيح.

رائق لطيف، وموشحات مليحة^(١) فائقة، فاق فيها على المغاربة، وكذلك في الأزجال، /٣٧٩/ فمن نظمه قصيدته الفائقة التي أولها:

ولا تأوّه لولا شَقَّه السَّقَمُ
أذا بها الشوقُ حتى سأل وهو دمٌ
فَتَسْتَهْلُ غَواديه^(٢) فينسجُم^(٣)
وقلبه بلهيبِ الشوقِ يضطرمُ
حتى لقد عادَ بالسُلوانِ يُتهمُ
كالبرقِ ييكى^(٤) الغواوي وهو ينقسم
فما نداماه إلا الحزن والندم
ولا قرارٌ ولا طيفٌ ولا حُلُمٌ
لكان^(٥) يعتاذه مما به لَمُمٌ /٣٨٠/
يا ويجهُم جَهلوا فوقَ الذي علموا
به ألا [سَاءَ]^(٦) ما قالوا وما زَعَمُوا
باقٍ على العهدِ^(٧) والأيامُ تنصرمُ
خانَ الودادُ وهذا الشيبُ والهرمُ
مُصغٍ إذا نطقوا راضٍ بما حكموا
أسعى على الرأسِ إن يسعدَ القدم^(٨)

ما بثَّ شكواه لولا مَسَّه الألمُ
ولا توهم أن الدمعَ مُهَجُّه
صَبُّ له مدمع صَبُّ يُكْفِكُفه
فطرفه بمياهِ الدمعِ في غرقِ
أراد إخفاء ما يلقاه من كمدٍ
يُيدي التجلدَ والأجفانَ تفضحه
سَقَّتْه أيدي النوى كأساً مُدغدغة^(٩)
يُمسي ويصبح لا صبرٌ ولا جلدُ
ولم^(١٠) يؤمل إلماً بجيرته
قالوا^(١١) الوشاة: تَسَلَّى عَنْ أَحْبَبِهِ^(١٢)
توهموا فيه ما ساءت ظنونهم
أنى يُميل إلى السلوانِ مكتئبٌ
قضى بحبهم عصرُ الشباب وما
أنا المقيم على ما يرتضون به
متى دعاني هواهم جئتُ مُعتذراً

(١) مليح: طيب، أتى بكلام مليح "يجتمع الناس في السهرة حوله لأنه يملح في حديثه". عبد الحميد عمر: معجم، ج ٣، ص ٢١١٧.

(٢) غواوي: مفردتها: غادية، وهي سحابة تنشأ فتمطر غدوة، أي في وقت مبكر من النهار. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٢، ص ١٥٩٩.

(٣) وتنسجم. عند الكتي: الوفيات، ج ٣، ص ١٤٨.

(٤) تيكى. عند الكتي: الوفيات، ج ٣، ص ١٤٨.

(٥) ييتسم. عند الكتي: الوفيات، ج ٣، ص ١٤٨.

(٦) مدغدة. عند الكتي: الوفيات، ج ٣، ص ١٤٨. مدغدة: مثيرة للعواطف. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٧٥٠.

(٧) لولا. عند الكتي: الوفيات، ج ٣، ص ١٤٩.

(٨) لكاد. عند الكتي: الوفيات، ج ٣، ص ١٤٩.

(٩) قال. عند الكتي: الوفيات، ج ٣، ص ١٤٩.

(١٠) محبتهم. عند الكتي: الوفيات، ج ٣، ص ١٤٩.

(١١) في الأصل: اساء.

(١٢) الود. عند الكتي: الوفيات، ج ٣، ص ١٤٩.

(١٣) لم يسعد: لم يستطع. الباحث.

كَمْ قَلْتُ وَالْقَلْبُ مِنِّي خَائِفٌ وَجَلُّ
يَا قَلْبُ لَا تَيْأَسَنَّ الْقَرَبَ رَبِّ غَدٍ
وَيَصْبُحُ الْخَوْفُ أَمْنًا وَالصَّدُودُ رَضًى
وَيَسْعَفُونَكَ بِالْحَسَنِ فَعِنْدَهُمْ / ٣٨١ /
يُعْزَى الْجَمَالُ إِلَيْهِمْ وَالْجَمِيلُ كَمَا

وكتب إلى صاحب له:

عهدناكَ تحفظُ منا العهدُودا
وقد كنتَ خِلاً ودوداً لنا

وقال:

لَمَّا تَأَلَّقَ بَارِقٌ مِنْ نَعْرِهِ
فَكَأَنَّ عَقْدَ الدَّرِ^(٤) حُلَّ قَلَائِدُ الـ

وقال:

رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ مُعْتَنِقِي
ثُمَّ انْثَنَى مَعْرُضاً فَوَا عَجِي

ومن موشحاته قوله:

مَا نَاخَتِ الْوَرَقُ فِي الْغُصُونِ، إِلَّا
هَلْ مَا مَضَى لِي مَعَ^(٧) الْحَبَائِبِ
تَقْتَرَعَنَّ عَنْ جَوْهَرٍ ثَمِينٍ، جَلًّا
وَأَهْيَفَ^(٨) نَاعِمُ الشَّمَائِلِ

بَيْنَ الرَّجَاءِ وَبَيْنَ الْخَوْفِ يَنْقَسِمُ
تَسْخُو بِقَرَبِهِمُ الدُّنْيَا وَنَلْتَمُّ
وَالْبَعْدُ قُرْبًا وَتَدْنُو دَارَهُمْ وَهُمْ
مَكَارِمٌ وَلَهُمْ حَسَنُ الْوَفَاءِ شَيْمٌ
إِلَى الْمَظْفَرِ^(١) يُعْزَى الْجُودُ وَالْكَرَمُ^(٢)

فَعَلَمَكَ الدَّهْرُ هَذَا الصَّدُودَا
فَصَيَّرَكَ الدَّهْرُ خَالًا وَدُودَا^(٣)

جَادَتْ جُفُونِي بِالسَّحَابِ الْمَطْرِ
عَقِيَانِ^(٥) مِنْهُ عَلَى صَحَابِ الْجَوْهَرِي^(٦)

يَالَيْتَ مَا فِي الْمَنَامِ لَوْ كَانَا
يَهْجُرُنِي نَائِمًا وَيَقْظَانَا

هَاجَتْ عَلَى، تَغْرِيدُهَا لَوْعَةُ الْحَزِينِ
أَيُّبٌ بَعْدَ الصَّدُودِ
أَنْ يُجَنِّلِي، يُجْمَى بِقَضِيْبٍ مِنَ الْجَفُونِ
مَائِلٌ، فِي بُرْدِهِ

(١) المقصود الملك المنصور صاحب حماة، تقدمت ترجمته ص ١٧٥.

(٢) البحر البسيط.

(٣) البحر المتقارب: عن المتقارب قال الخليل فعولن فعولن فعولن فعولن.

(٤) عقد الدمع. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢١.

(٥) قلائد العقيان في محاسن الأعيان: كتاب للفتح بن عيسى بن خاقان القيسي، المتوفى سنة ٥٣٥هـ / ١١٤٠م.

حاجي: كشف الظنون، ج ٢، ص ١٣٥٤.

(٦) من البحر الكامل.

(٧) مع. عند ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٢.

(٨) أحببته. عند ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٢.

في مُهَج العاشقين منه عامل^(١)
يسطو بسيفٍ من المقاتل^(٢)
أسطى من الأسد في العرين، فعلاً
علقتُهُ كاملُ المعاني
مُبَلَّلُ البالِ قد^(٣) جفاني
كم بُتُّ من حيث لا يراني
وبات من صُدغِه يرني، نملاً
قاسوه بالبدْرِ وهو أحلى
وراشَ هُذَبَ الجفونِ نبلاً
وقال لي وهو قد تجلَّى
ينتصفُ البدْرُ في^(٤) جيني أصلاً
بتنا وقد نالَ ما تمنى
نفضَ من فرحه لدنا
لا تستمع في الهوى المصونِ عدلاً

وقال في الملك المنصور صاحب حماة:

جسمي ذوى بالكمَد، والسهَرِ
ذي شنبٍ كالبرد، كالدرِّ،
بي غصن بان نضر
يترتُّع فيه النظرُ،
الخدُّ منه خفرُ،
ثمَّ التوى كالزَّردِ معبرقي
في مُذهبٍ مُورَّدٍ مُدترِّ
ظبيٍّ له مرتشفُ،
غصنٌ نقا يعطفُ،
بدرٌ علاه سدْفُ^(٥)

عاملٌ، من قَدَّه / ٣٨٢/
قاتلٌ، في غمٍّ—
وقَتلاً، لعاشقيه من المُنونِ
عائى، قلبي به
فـفـاني، في حبـه
رآني، لثربـه
يسعى إلى، رضابه العاطرِ المصونِ
شكلاً، من القمرِ
أبلى، بها البشـرِ
جلاً، بـارء الصـورِ
فقلتُ: لا، قال: ولا السحرُ من
منـا، طيفُ الوسـنِ
دَنـا، صوتاً حسنِ
وانهضُ إليّ، راح تقى سورة الشجوني

والوصب^(٥)، من جانِ
كالخبـبِ، جـمانِ
يسـبيك منه الهيفُ
فرهـرُه يقتطفُ
والجسمُ منه ترفُ / ٣٨٣/
معقـري ربحـاني
مُكـتب سوسـانِ
كالسلسـبيل البـاردِ
من لين قَدَّ مائدِ
من ليل شـعرٍ واردِ

(١) في أنفس العاشقين عامل. عند ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٢.

(٢) يرنو بطرف إلى المقاتل. عند ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٢.

(٣) مذ. عند ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٢.

(٤) من. عند ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٢.

(٥) الوصب: الوجد والمرض. ابن منظور: لسان، ج ١، ص ٧٩٧.

(٦) سدْف: السَّدْفُ، بِالْتَّحْرِيكِ: ظُلْمَةُ اللَّيْلِ. ابن منظور: لسان، ج ٩، ص ١٤٦.

مُقَرَّطٌ مَشْنَفٌ^(١)
 بَيْنَ اللّوَى وَثَهْمِدٍ كَجَوْذِرٍ^(٢)
 فِي كَثَبٍ ذِي جِيدٍ، ذِي حَوْرٍ
 أَمَّا وَحَلَى جِيدُهُ
 وَالضَّبَّامُ مِنْ بَرُودِهِ،
 وَالْوَرْدُ فِي^(٤) خَدِيدِهِ،
 لَا كُنْتُ فِي^(٥) صَدِيدِهِ،
 نَارُ الْجَوَى لَا تَحْمِدِي،
 وَانْسَكِي، وَاطْرِدِي، وَانْهَمِرِي
 مَوْلَايَ جَفَنِي سَاهِرٌ،
 فَلَا خِيَالَ زَائِرٌ،
 إِنِّي عَلَيْكَ صَابِرٌ،
 إِنَّ سَخَّ دَمْعِي الْهَامِرُ
 وَجَالَ^(٧) الْهَوَى فِي خَلْدِي
 مَوْئِبَتِي ائْتِدِي لَا تَفْتِرِي،
 إِنْ صَالَ بِالْهَجْرِ^(٩) وَصَدَ
 عَنْهُ وَإِنْ طَالَ الْأَمْدُ
 وَكَيْفَ يَخْشَى مَنْ قَصَدَ
 الْمَلِكُ^(١١) الْمَنْصُورُ قَدْ

يَحْتَسَالُ فِي الْقَلَائِدِ
 فِي رَبِّ^(٣)، غَزْلَانِ
 ذِي هَدَبٍ وَسَنَانِ
 وَرَنَّةِ الْخَلَاخِلِ
 قَدْ قَضَيْتُ مَائِلِ
 إِذْ نَمَّ فِي الْغَلَائِلِ
 مَسْتَمْعًا لِعَاذِلِ^(٦)
 وَاسْتَعْرِي، وَكَذِبِي، سَلَوَانِي
 كَالسَّحْبِ، أَجْفَانِي
 مَوْرُقُ كَمَا تَرَى
 يَطْرُقُنِي وَلَا كَرَى
 فَمَا جَزَاءُ مَنْ صَبِرَا
 فَلَا تَلْمُهُ إِنْ جَرَى
 وَمُضْمَرِي، أَضَرَّ بِي، كَتْمَانِي / ٣٨٤/
 وَجَنَّبِي^(٨) عَنْ عَانِ
 رَحْتُ بَصِيرِي مُحْتَدِ^(١٠)
 إِلَى ذَرَى مُحَمَّدٍ
 مَلِكٍ كَرِيمٍ مُحْتَدِ
 سَمَا سَمِي السَّوْدَدِ^(١٢)

(١) القِرط: مَا يُعْلَقُ فِي شَحْمَةِ الْأُذُنِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ نَحْوِهَا. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٣، ص ١٨٠٠. شنف: جمعها أشناف، وتخصّص بما يُعْلَقُ فِي أَعْلَى الْأُذُنِ. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٢، ص ١٢٣٩.
 (٢) الثَّهْمِد: السَّمِينَةُ مِنَ النِّسَاءِ. الزبيدي: تاج، ج ٧، ص ٤٧١. الجَوْذَر: البَقْرَةُ الْوَحْشِيَّةُ. ابن منظور: لسان، ج ٤، ص ١٢٤.

(٣) الرِّب: تَطْلُقُ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْبَقَرِ دُونَ الْعِشْرَةِ. الزبيدي: تاج، ج ٢، ص ٤٨٠.

(٤) من. عند الصَّفدي: أَعْيَان، ج ٣، ص ٦٦٨.

(٥) من. عند الصَّفدي: أَعْيَان، ج ٣، ص ٦٦٨.

(٦) متصلاً بعاذل. عند الصَّفدي: أَعْيَان، ج ٣، ص ٦٦٨.

(٧) جال. عند الصَّفدي: أَعْيَان، ج ٣، ص ٦٦٨.

(٨) مؤنبي ائتد لا تفتتر وجنب. عند الصَّفدي: أَعْيَان، ج ٣، ص ٦٦٨.

(٩) إِنْ زَادَ فِي الْهَجْرِ. عند الصَّفدي: أَعْيَان، ج ٣، ص ٦٦٨.

(١٠) مرتدي. عند الصَّفدي: أَعْيَان، ج ٣، ص ٦٦٨.

(١١) فالملك. عند الصَّفدي: أَعْيَان، ج ٣، ص ٦٦٩.

(١٢) سَمَا سَمَاءُ الْفَرْقَدِ. عند الصَّفدي: أَعْيَان، ج ٣، ص ٦٦٩.

اسـتوى بـأجـرد
 ذى شـطـبٍ مهنـدٍ
 ملكٌ علـت هـماتـه
 وبـخلـت راحـاتـه
 وعـودت رايـاتـه
 بـدرٌ بـدت هـالاتـه
 تحـت لـواءٍ منعقدٍ بالظفر
 كالشهب في الأسعد، والأقمر
 يا ملكاً دون الـورى
 ومالكاً إذا سـرى
 بعـض عطاك هل تُرى
 فاستجلها من غمـرا
 لا تُختوى كالشهد، كالسكر
 كالسحب كالعسجد، كالجوهر

/ ٣٨٥ / وله:

ظهرت دلائل حُسنه في حده
 طلب انتظار أطرافه في قلتي

وله:

تختال مثل قضيب
 تركيبة أوقفتني

ومضمر مقتضب يـماني
 وسمـهـري مـضـري^(١)
 من فوق هام المشـري
 سـح السحاب المطـر
 بمحكمات السـور
 مثل الصبح المـفر
 في موكب، فرسان
 في عذب تيجان
 تخطبه الممالك
 تحرسه^(٢) الملائك
 جادت به البرامك
 تغر سناها ضاحك
 كالضرب معاني
 من حلبي كـاني

ورد جنى تحت آس أخضري
 وبغير كسر جفونه لم ينصر^(٣)

يميس بين الحـدائق
 جفونها في مضائق

● الأمير بدر الدين بكتوت،^(٤) الذي كان متولي ثغر الإسكندرية، توفي معزولاً في ثاني عشر^(٥) رجب

(١) مضطرب. عند الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ٦٦٩.

(٢) تحجبه. عند الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ٦٦٩.

(٣) البحر الكامل.

(٤) ترجم له: النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٥. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٣٣. ابن تغري بردي: النجوم،

ج ٩، ص ٢١٧. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٢٥. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٥.

(٥) "ثامن عشرين رجب" النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٥. "ثامن عشر رجب" ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩،

ص ٢١٧.

بالقاهرة، بعد أن نُكِب وصودر.

- الأمير شمس الدين سنقر جاه الظاهري،^(١) توفي فيها^(٢) بدمشق.
- الأمير شجاع الدين يونس النقيب بعسكر الشام،^(٣) توفي في^(٤) هذه السنة.
- الأمير ناصر الدين محمد بن عماد الدين حسن بن النشائي،^(٥) كان أحد الأمراء الطبلخانات^(٦)، وهو حاكم البندق^(٧)، ولي ذلك بعد سيف الدين [بلغاق]^(٨)، مات بدمشق في العشر الأخير من رمضان.

- الأمير أسندمر،^(٩) والأمير بتخاص،^(١٠) توفيا في ذي القعدة، في السجن بقلعة الكرك.
- الملك المنصور غازي بن المظفر قرا أرسلان الأرتقي، مات في هذه السنة، والأصح أنه مات في السنة الآتية، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

(١) ترجم له: النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٥. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٥٠. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٢٢. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٧٦. ابن حبيب: درة، ج ١، ورقة: ١٩٠.

(٢) "يوم الاثنين ثامن ذي الحجة" النويري. "يوم الاثنين ثاني ذي الحجة" البرزالي.

(٣) ترجم له: النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٥. وفيه: شجاع الدين يوسف. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٢٢.

(٤) "يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الأول" البرزالي.

(٥) ترجم له: ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ١٦٥. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٣.

(٦) أمير الطبلخاناه: هو الأمير الذي يرقى إلى درجة يستحق بها أن تضرب الموسيقى على بابه، ويكون أمير أربعين، ويتدرج في الزيادة إلى ثمانين، ويعد في الدرجة الثانية بين الأمراء. دهمان: معجم الألفاظ، ص ١٠٦.

(٧) حاكم البندق: هو كبير البندقدارين الذين يحملون السلال والأكياس المعبأة بالبندق (كرات صغيرة الحجم من الحجر أو المعدن) ويسرون خلف السلطان. والرمي بالبندق من الرياضات التي عرفها العرب منذ بداية العصر الإسلامي، بحيث كانوا يقذفونه بآلات خاصة تسمى: القسي، كطريقة قذف النبال، وتطورت هذه الرياضة في العصرين الأيوبي والمملوكي فأصبح لها تشكيلات خاصة من العسكر. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٣١.

الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٨٧.

(٨) في الأصل: بلقاق. وهو: بلغاق بن كنجك بن بارتمش الخوارزمي، كان حكم البندق بالشام، وتولى نظر القدس والخليل، توفي سنة ٧٠٩ هـ/١٣٠٩ م. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٢.

(٩) تقدمت ترجمته ص ٨٢.

(١٠) تقدمت ترجمته ص ٩٢.

فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الثانية عشرة بعد السبعمئة*

٣٨٦/ استهلّت هذه السنة والخليفة والسلطان هُما هُما، ونائب مصر الأمير ركن الدين بيبرس صاحب التاريخ، والوزير أمين الملك [عبدالله بن غنام]^(١)، ونائب الشام الأمير جمال الدين آقوش، ونائب الكرك [سيف الدين بيبغا الأشرقي]^(٢)، ونائب حلب الأمير سودي، ونائب طرابلس الأمير سيف الدين تمر الساقى^(٣)، ونائب حمص بيبرس العلائي، ونائب صفد الأمير بهادر آص.

ذكر مَنْ وَلِيَ وظيفة وَمَنْ قُطِعَ

وفيها تولى الأمير سيف الدين دنكر نيابة الشام، فطلبه السلطان وقال: اذهب إلى دمشق نائباً وتوص بأهلها، فخرج وسار إلى دمشق، ولما علم أمراء دمشق بقدومه ركبوا إلى ملّقه، ولم يبق في دمشق كبير ولا صغير حتى خرج للتفرج، وكان يوماً عظيماً أشعلت فيه الشموع ودُقت الطبول وغنّت المغاني، وفرحت الناس فرحاً عظيماً، ونثروا عليه الدراهم والدنانير، وبسطوا تحت حوافر [فرسه]^(٤) شقق الحرير حتى نزل في دار السعادة^(٥).^(٦)

وقرأ كتاب السلطان والتقليد على الناس، وطُيّب قلوبهم، ونادى في البلد بكشف المظالم وإظهار العدل، وفرحت به الدماشقة، وطلب والي المدينة وكان [جمال الدين الرحى]^(٧)، وقال: أقسم

* يوافق أولها الثلاثاء ٩ أيار (مايو) ١٣١٢ م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٧٤٥.

(١) إضافة مما تقدم ص ٨٧.

(٢) إضافة مما تقدم ص ٩٠.

(٣) وصلها نائباً أواسط شهر ربيع الآخر سنة ٧١٢هـ/١٣١٢ م. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨١.

(٤) في الأصل: سه. والتصويب يتفق مع المعنى. حيث (فر) مشتركة بين نهاية كلمة حوافر وبداية كلمة فرسه.

(٥) دار السعادة: اسم يطلق على دار الحكم و دار الإمارة، أو مركز الحاكم الذي يباشر فيه شؤون الولاية، ومكانها في دمشق عند باب النصر الذي يطلق عليه: باب السعادة نسبة إليها. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، حاشية ص ٣٠٣. النعمي: الدارس، مج ١، ص ٢٨٣.

(٦) وصلها يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الآخر. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٠. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٤. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨١. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٦٨.

(٧) في الأصل: جمال الدين والي الرحى. وهو: الأمير جمال الدين آقوش الرحى المنصوري، أصله من إربل حيث سُبي وبيع فأقام بالرحبة، ثم انتقل إلى البيت المنصوري، ثم والياً لدمشق عدة سنين، ثم شد الدواوين فيها، توفي سنة ٧١٩هـ/١٣١٩ م. الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٥٧٦. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٤٧٦.

بالله العظيم، أن أي من ظهر على [ماليكي] ^(١) / ٣٨٧ / وحاشيتي أن أحداً منهم شرب خمرًا ولم تُعلمني بذلك وسَطُّتُكَ ^(٢) في سوق الخيل.

واتفق أنهم أحضروا بين يديه جندياً يُقال له عثمان بن صبرة، وقد كان [شارباً] ^(٣) فخرج فضربه أربعمئة دبوس، فقال له بعض الأمراء: لقد جاوزت الحد، قال: هذا حدي، فمن أراد أن يشرب فقد عرف الحد، ثم إنه طلب الحُجَّاب والتُّقَبَاء ^(٤)، وقال لهم: قولوا للأمراء إن السلطان قد رسم أن من شرب خمرًا ضربه هذا الضرب الذي رأيتموه، فإن كان أميراً أُعْلِم بحاله إلى السلطان، وهم يعرفون من هو، فليحفظوا أرواحهم.

وقال ابن كثير: فوض السلطان نيابة دمشق للأمير دنكز بن عبدالله الناصري، فتوجه إليها ودخلها يوم الخميس العشرين من ربيع الآخر، وذلك عوضاً عن الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك، وكان السلطان أرسل إليه وطلبه، فركب البريدي من ساعته إلى مصر، وتكلم في نيابة الغيبة الأمير قزلاجين، ولما وصل جمال الدين المذكور إلى مصر قبض عليه. ^(٥)

وقال النويري: بلغ السلطان عن جماعة من الأمراء أنهم كانوا متفقين مع قراسنقر والأفرم، فاستدعى آقوش الأشرفي نائب دمشق وأكرمه، ولما قصد العود إلى دمشق بلغه عنه ما كرهه فقبض عليه / ٣٨٨ / وعلى جماعة من الأمراء، وهم: شمس الدين سنقر [الكمالي] ^(٦) الحاجب، وعلاء الدين مغلطاي

^(١) في الأصل: المماليكي. والتصحيح يتفق مع السياق.

^(٢) التوسيط: شكل من أشكال الإعدام في العصر المملوكي، وطريقته بأن يُعرى الشخص المحكوم عليه من الثياب، ثم يُشد إلى خشبة مطروحة على الأرض ويضرب بالسيف تحت سترته بقوة ضربة تقسم جسمه نصفين، فتتفكك أعضاؤه على الأرض. دهمان: معجم الألفاظ، ص ٤٨. الرفاعي، هالة نواف: السجون في العصر المملوكي، رسالة ماجستير أعدت بإشراف: محمد خريسات، الجامعة الأردنية-كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٨م، ص ١٩٠-١٩٨. سيشار إليه بـ الرفاعي: السجون.

^(٣) في الأصل: ضارب. والتصويب يتفق مع السياق.

^(٤) النقباء: جمع نقيب، وهو العريف على القوم، المقدم عليهم، ويتعرف أخبارهم ويفتش عن أحوالهم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ المائدة، آية ١٢. وفي العصر المملوكي حمل هذا اللقب أمراء الخمسات، وكذلك الشخص الذي يحكم بين المماليك فيما يشجر بينهم من الخصومات. ابن منظور: لسان، ج ١، ص ٧٦٩. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٤٢٥.

^(٥) ورد هذا النص عند ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٤. لكن مع وجود اختلاف في الصياغة.

^(٦) في الأصل: الكمال. والتصحيح من: النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٩.

المسعودي،^(١) وشمس الدين الدكر الأشرفي،^(٢) وحسام الدين لاجين الجاشنكير،^(٣) وشمس الدين باينجار،^(٤) ولاجين العمري،^(٥) وركن الدين بيبرس صاحب التاريخ ونائب السلطان.^(٦)

قال بيبرس في تاريخه: وقُبِضَ عَلَيَّ أيضاً عند طلوعنا من الموكب يوم الإثنين الثاني^(٧) من ربيع الآخر، فُحِبِسْتُ بالقلعة نحواً من شهرين، ثم نُقِلْتُ إلى الكرك. وفي ربيع الآخر أيضاً مُسِكَ بِبِيرْسِ العلائي نائب حمص، وبيبرس المجنون، [وطوغان]^(٨)، وجماعة آخرون من الأمراء، وسُيِّرُوا إِلَى الكرك فاعتقلوا بها.^(٩)

قلت: قد ذكرنا على مسك بعضهم في السنة الماضية بطريق الاستطراد، ولا يظن أنه مكرر.

وذكر بعض المؤرخين:^(١٠) أن الأمير سودي تولى نيابة حلب في هذه السنة، وأنه لما وصل إلى حلب رآها جافلة والناس في هرج عظيم، وقد هرب أكثر الفلاحين من القرى، فنادى في الناس بالأمان، فسكن روع الناس، وخرج بنفسه من حلب، ودار في حلب، ورآه الفلاحون وهو راكب بالعساكر،

^(١) توفي يوم السبت سبع ذي القعدة سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م، وذلك بعد خروجه من السجن بقليل. المقريزي: السلوك، ج ٣، ص ١٦٢.

^(٢) الدكن. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٩. مات بمحبسه في القلعة سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م. عند المقريزي: السلوك، ج ٣، ص ١١.

^(٣) هو: لاجين الزيرباج. تقدمت ترجمته ص ١٠٦.

^(٤) كذلك ورد اسمه عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٩. ولم يتم الحصول على ترجمته من المصادر المتوفرة.

^(٥) لم يذكر المقريزي في أحداث هذه السنة سوى شخصية لاجين الجاشنكير، ويؤكد في: السلوك، ج ٣، ص ١١٠، على أنه: حسام الدين لاجين العمري الملقب زيرباج الجاشنكير، بينما يذكر النويري في: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٩ وابن أبيك في: كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٤٣ على وجود شخصية ثانية هي: لاجين العمري. ولم يتم التعرف على شخصية لاجين العمري من كتب التراجم المتوفرة.

^(٦) ورد هذا النص عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٩. مع وجود اختلاف في بعض الألفاظ.

^(٧) يوم الإثنين ثالث شهر ربيع الآخر. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٩.

^(٨) في الأصل: النون مكتوبة في الهامش.

^(٩) ورد هذا النص عند ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٤. ولم يتم الحصول على هذه المعلومات من كتاب "زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة" لبيبرس الدوادار والذي نقل المؤلف عنه الكثير من النصوص. حيث يُعتقد أن الجزء الذي يتضمن أحداث السنوات ٧١٠-٧٢٤هـ/١٣١٠-١٣٢٤م مفقود.

^(١٠) النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٧. ابن أبيك: كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٤٣.

فاطمأنت خواطرهم، ثم سار بعسكر حلب، ونزل في مرج دابق^(١)، وأظهر العدل بين الناس، وكتب إلى سائر القلاع وأعلمهم بقدمه.

ذكر تولية أرغون الدوادار نيابة / ٣٨٩ / السلطنة بالديار المصرية

قال ابن كثير: وفي يوم الإثنين مستهل جمادى الأولى فُوضت النيابة بمصر للأمير سيف الدين أرغون الدوادار مملوك السلطان، وفُوضت نيابة صفد لسيف الدين بلبان طُرُنًا أمير جاندار^(٢)، عوضاً عن الأمير بهادر آص، ورجع بهادر إلى دمشق [أميراً]^(٣) على عادته^(٤). وفي عاشر^(٥) ربيع الأول باشر الحكم للحنابلة بمصر القاضي تقي الدين أحمد بن [العز]^(٦) عمر بن عبدالله بن عوض [المقدسي]^(٧)،^(٨) وهو ابن بنت الشيخ شمس الدين بن العماد أول قضاة الحنابلة^(٩).

ذكر نزول التتار الرحبة وقصدهم أخذ بلاد الشام

وكان السبب [في]^(١٠) ذلك سعي الأمراء الذين هربوا من السلطان والتجأوا بخربنداء والتتار، وهم الأفرم، وقراسنقر، والزرذكاش، وبلبان الدمشقي، وغيرهم كما ذكرنا فيما مضى مفصلاً.

(١) دابق: قرية قرب حلب من أعمال أعزاز، بينها وبين حلب أربعة فراسخ، عندها مرج مُعشَب نزه كان ينزل به بنو مروان في الصوائف إلى ثغر مصيصة، به قبر الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ٥٠٣. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٤١٦.

(٢) بلبان: الأمير سيف الدين بلبان طرنا، كان أمير جاندار بالديار المصرية، عُزل عن نيابة صفد سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م فتوجه إلى دمشق فاعتقله نائبها تنكز حتى سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م، ثم استقر أمير طبلخاناه بدمشق، توفي سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٤م. الصفدي: الوافي، ج ١٠، ص ١٧٨ وأعيان، ج ٢، ص ٤٤-٤٥. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣١. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٣، ص ٤٢.

(٣) في الأصل: امرا. والتصحيح لاكتمال المعنى.

(٤) لم يرد هذا النص في أحداث هذه السنة عند ابن كثير في البداية والنهاية.

(٥) وفي الحادي عشر. في: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٤.

(٦) في الأصل: العز. والتصحيح من: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٤.

(٧) في الأصل: القدسي. والتصحيح من مصادر الترجمة. وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٤.

(٨) استمر في قضاء الحنابلة حتى سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م حيث عُزل وتوفي بعد ذلك بقليل. الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٣٠٨ والوافي، ج ٧، ص ١٧٤. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٢٦٦.

(٩) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٤.

(١٠) إضافة لاستكمال سياق النص.

ولما استقر هؤلاء الأمراء هناك، قالت أمراء المغل يوماً من الأيام لخريندا: والله، لقد رَفَعْتَ منزلة هؤلاء الذين لو كان فيهم خير لما خامروا على أستاذهم الذي اشترى بعضهم واستخدم بعضهم ورياهم وخولهم في النعم والحكم، وصَرَفَهُمْ في بلاده وبين رعاياه، فهذا كان جزاؤه منهم حيث لم يرعوا حقه ولا حفظوا حرمة، فإذا لم يكن هؤلاء خير / ٣٩٠ / للذي فعل معهم هذا الفعل، فما يكون لك، وإش نرجى منهم الخير؟ فقال لهم خريندا: أخطأتم في هذا المقال، وحملكم الحسد والحقد، وهؤلاء قد استجاروا بنا والتجأوا إلينا، وليس من المروءة نخيبهم، فيا أمراء لقد حضرت حكاية عجيبة اسمعوها، وهي أن موسى بن عمران عليه السلام كان يوماً من الأيام جالساً وإذا بباز قد طرد حمامة يريد قبضها، فاستجارت بموسى عليه السلام ودخلت تحت ذيله، فأتى الباز وجلس بجذء موسى عليه السلام، وقال له: يا نبي الله سَلِّمْ إليَّ صيدي، وإلا أشكوك غداً إلى الله تعالى عز وجل، فتحير موسى عليه السلام، وقال: إن الله تعالى قد قال: من أجار خائفاً كان جزاؤه الجنة، ومن أشبع جائعاً كان جزاؤه الجنة، وقد جاءني جائع وخائف، ورضى الواحد منهما هلاك الآخر، فكيف أصنع؟ ثم قال للباز: هل لك أن تتبعني إلى منزلي لأذبح لك شاة من الغنم تأكل لحمها وتشرب دمها؟ فقال له: أنا ما أكل إلا من صيدي ولا ألتفت إلى غيره، ثم قال موسى للحمامة: هل لك أن تذهبي إلى الباز ليأكلك وأضمن لك على الله عز وجل الجنة؟ فقالت الحمامة: يا موسى، كيف تكون حليماً عند غضب غيرك، لأي شيء هربت من فرعون حين أراد قتلك؟ لم لا وقفت له حتى كان قتلك، وكنت / ٣٩١ / من أهل الجنة؟ فكيف يهون عليك ما يعز عليّ؟ وكذا أنتم، فعلى كل حال هؤلاء غرباء وقد التجأوا إليّ ولا بد لي [من أن] ^(١) أتبعهم إلى كل ما يرضيهم، ولما سمع المغل كلام خريندا ورأوه منبسطةً معهم من غير عادة ويدافع عنهم، تركوا التعرض بالكلام، ولم يعد أحد منهم يذكرهم إلا بخير.

ثم إن يوماً من الأيام جمع خريندا الأمراء للمشورة في العبور إلى الشام، فتكلم كل واحد من أمراء المغل بنوع من الحديث، فقال خريندا لقراسنقر والأفرم: ما لكم [لا] ^(٢) تتحدثون؟ فقال قراسنقر: أيد الله الخان، هؤلاء الأمراء أقدم منا، ونحن أناس غرباء فما يمكننا الكلام، فقال خريندا: نحن ما نعب

(١) في الأصل: مما. والتصحيح يتفق مع السياق.

(٢) إضافة تتفق مع سياق الحديث.

[إلى] ^(١) الشام إلا لأجلكم ولأجل أهلكم وأولادكم، فقام قراسنقر وقبّل الأرض، وكذا قام معه بقية أصحابه من الأمراء، ودعوا له، فانقضى ذلك النهار.

ثم بعد ذلك طلب قراسنقر الحضور بين يدي خريندا في الخلوة، فأمر بإحضاره، فدخل عليه وقبل الأرض بين يديه، فأمره بالجلوس فجلس، ثم قال له: ما يقول الأمير؟ فقال قراسنقر: أطل الله عمر الخان، أنتم ترسمون لنا بالحديث في مجالس الأمراء، وكل حديث نتحدث به فيها يُنقل إلى الملك الناصر أولاً فأولاً، وقتاً فوقتاً، فقال خريندا: ومن ينقل / ٣٩٢ / الكلام من مجلسي؟ فقال: يا [مولانا] ^(٢)، أخبار الملوك تنقل من القُصّاد والذين يُظهرون النصيحة، ألا تنظر إلى هؤلاء الفداوية كيف سبقونا إلى تبريز، فإن كان لمولانا نية في العبور إلى الشام يكون بمشورتنا بحيث لا يقف عليها أحد، ونتجهز ونروح ونُدّهم، ولا يدري أحد بذلك، فقال له: كيف العمل؟ فقال: غداً إذا حضرت مع الأمراء اطلبني إليك واخلع عليّ وعلى من معي من الأمراء، وقل لنا: يا أمراء أنتم خليتم أهلكم وأولادكم وبلادكم، وأنا إن شاء الله تعالى ما أحيب سعيكم، ولكن ما في هذه السنة عبور إلى الشام، فإن شاء الله في السنة الآتية، ثم قل: أنا أوليكم بلاد خراسان ^(٣) فاستقلوا بها، فتروح الأخبار إلى الملك الناصر فيمهل في أمرنا ويغفل، ثم لا يسمع إلا ونحن في بلاده، فقال خريندا: والله هذا رأي سديد.

ثم إنه طلب جميع الأمراء، ومد لهم سماًطاً هائلاً، فأكلوا، ولما فرغوا خلع على قراسنقر وأصحابه، ثم قال لهم: يا أمراء خذوا لكم بلاداً في خراسان واستقلوا بها، فقبّلوا الأرض ودعوا له، فتحدث الناس بأن خريندا أعطى للأمراء الشام بلاداً من أعمال خراسان، واشتاع الخبر بذلك، ثم إن قراسنقر وجوبان نائب خريندا يدخلان عليه في الخلوة ويتحدثون في أمر الشام. / ٣٩٣ /

(١) إضافة تتفق مع سياق الحديث.

(٢) في الأصل: مونا. والتصحيح لاكتمال المعنى.

(٣) خراسان: بلاد مشهورة، تسمى في القديم بلاد أشيرية، شرقها سجستان وبلاد الهند، وغربها مفازة الغزية (قَهستان) ونواحي جرجان، وشمالها بلاد ماوراء النهر وشيء من بلاد الترك، وجنوبها مفازة فارس وقومس، وقصبة خراسان: مرو وهراة وبلخ، وتشتمل على الكثير من الكور العظام والأعمال الجسام. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٣٥٠-٣٥٣. ابن حوقل، محمد بن حوقل ت: بعد ٣٦٧هـ/ بعد ٩٧٧م: صورة الأرض، دار صادر، ط ليدن، بيروت، ١٩٣٨م، ج ٢، ص ٤٢٦ وما بعدها. الكرخي: المسالك، ص ٢٥٣ وما بعدها. القزويني: آثار البلاد، ص ٣٦١-٣٦٢. البكري: المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م، مج ١، ص ٤٤١.

وأرسل خربندا إلى جميع بلاده بأن تُحمل إليه الخيل والبغال، ويُجمع الشعير والأغنام، ثم أنهم اتفقوا على أنهم يعبرون إلى الشام في ثلاث فِرَق، كل فرقة خمسون ألفاً: فرقة من ناحية الروم، وفرقة من ناحية الرحبة، وفرقة من ناحية البيرة، ثم سَيرَ خربندا إلى [قازان]^(١) جُق الذي هو في الروم من جهته، فقال له: قرر أمر الروم حتى نجهزكم إلى الشام.

قال الراوي: ولما وصل القاصد إلى قازان جق وبَلَغَه ما أمر به خربندا، طلب أرنجي^(٢) وتشاور معه في هذا الأمر، وقال له: متى خلّيتك في الروم وخرجت بالعسكر إلى ناحية الشام خرجت عليك التركمان وأخذوا منك البلاد، وذلك لأنه قد بلغني أن مقدم [التركمان]^(٣) ألدوم بن إيلا مين^(٤) يكتب ابن قرمان^(٥)، وقد عولت أن أمسكه قبل رواحي لتستقر البلاد، فاتفقوا على أنهم يبعثون خلفه، فإذا حضر قبضوا عليه.

وكان جميع أمراء قازان جق يحبون ابن إيلا مين، فأرسلوا إليه وأعلموه في الباطن بأن قازان جق يريد أن يمسكك، فعند ذلك جمع أمرائه وأمرهم بالرحيل فرحلوا، وهم مقدار خمسين ألف بيت يطلبون ابن قرمان. فلما سمع قازان جق برحيله ركب خلفه بعشرين ألف فارس ولم يلحقهم، وقد عبروا الدريندات^(٦).

(١) في الأصل: قزان. والتصحيح ممايلي.

(٢) بعد الرجوع إلى كتاب السلوك للمقريزي والنجوم والمنهل لابن تغري بردي والوائي؛ أعيان العصر للصفدي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات عنه.

(٣) في الأصل: التركما. والتصحيح مما سبق. ومقدم التركمان: يكون بالبلاد الشامية والحلبية متحدّثاً على طوائف التركمان الذين يقدّم عليهم. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٤٠.

(٤) بعد الرجوع إلى كتاب السلوك للمقريزي والنجوم والمنهل لابن تغري بردي والوائي؛ أعيان العصر للصفدي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات عنه.

(٥) ابن قرمان: علي بك بن قرمان زعيم التركمان في بلاد لارندة وأرمناك وسيواس وقونية. ابن بطوطة: الرحلة، ج ٢، ص ١٧٦.

(٦) الدريندات: جمع دريند، وهو: لفظ فارسي من معانيه المضائق. والدريند: قرية على فم الطريق الجبلي بين نهر كوكو وأبلستين، وتطلق الدريندات على المضائق والطرقات والمعابر الضيقة الواقعة شمال البيرة والنهر الأزرق. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٣٢٢. لسترانج: بلدان الخلافة، ص ١٦٥-١٦٦. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٧٧، حاشية رقم ٤.

وأما خربندا فإنه جهز جميع أشغاله وجمع العساكر /٣٩٤/ من جميع الجهات، ولم يخل في بلاده أحداً حتى طلبه، فجهز جيشاً عظيماً، فقال له جوبان: إن هذا الجيش ما تحمله الأرض ينزل فيها، فقال له خربندا: قد عولت إني أفرق الجيش ثلاث فرق، وما نجتمع إلا في سنجار أو في الموصل، فقال: هذا هو الرأي.

وكانت غدة جيشه في ذلك الوقت مئة وخمسين ألفاً، فأخذ منه قطعة وسَلَّمها إلى جوبان، وقال له: خذ قراسنقر ورج على أخلاط^(١) وبدليس^(٢) إلى البشيرية، وأنزل أنا على شهروز^(٣) وأخرج إلى الموصل، ويكون اجتماعنا على الرحبة، ثم أرسل خربندا قاصداً إلى الروم، فأخذ قازان جق عسكر الروم ونزل إلى الدريند إلى ناحية حلب، ولاقاهم التركمان مع ابن قرمان [فوقعت]^(٤) بينهم حرب [شديدة]^(٥)، فأخبر الأمر انكسر قازان جق وتشتت شمله، وقُتل قازان جق، فجاء الخبر بذلك إلى خربندا وأنهم معولون على أخذ بلاد الروم، ولما سمع خربندا ذلك ضرب يده على يد، وقال: الله أكبر، كلما نعزم على العبور إلى بلاد الشام يعرض أمر يعوقنا عن ذلك، وهذا من سعد الملك الناصر.

ثم إنه طلب جوبان وقراسنقر والأفرم والزرديكاش وبلبان الدمشقي والبيسري وأمراء المغل، وأحضروا القاصد الذي أتى بخبر قازان جق فقال خربندا: اسمعوا /٣٩٥/ وانظروا ما قد نزل بقازان جق وأصحابه، فكيف العمل؟ ونحن قد جهزنا الجيش إلى الشام، وهؤلاء التركمان قد خرجت على عسكر الروم واستطالوا عليهم.

(١) أخلاط: أو خللاط، بلدة عامرة مشهورة كثيرة الخيرات، وهي قسبة أرمينيا الوسطى، تقع على الحدود بين بلاد المسلمين وبلاد الأرمن، ذات سور حصين، أهلها مسلمون ونصارى، فتحها عياض بن غنم صلحاً سنة ١٩هـ/٦٤١م. خسرو: سفرنامه، ص ٣٩. القزويني: آثار البلاد، ص ٥٢٤. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ٤٧٦. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٣٨٠-٣٨١. الحميري: الروض المعطار، ص ٢٢٠.

(٢) بدليس: بلدة من نواحي أرمينية بينها وبين خللاط سبعة فراسخ، ذات بساتين. الحموي: البلدان، مج ١، ص ٣٥٨. العزيمي: المسالك، ص ١٤٠.

(٣) شهروز: أو شهروزور، كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمدان، بها قرى ومدن، قصبته بلدة دزدان، يوجد بقرها جبل يعرف بشعران وآخر يعرف بالزلم، وأهلها بعامتهم أكراد. القزويني: آثار البلاد، ص ٣٩٧. الحموي: البلدان، مج ٣، ص ٣٧٥. الحميري: الروض المعطار، ص ٣٥٠.

(٤) في الأصل: فوق.

(٥) في الأصل: شديد.

فقال له بعض الأمراء: خلي التركمان وغيرهم وسيروا إلى الشام، فإذا فتحت الشام ذلت البلاد للخان. فقال جوبان: والله، هذا رأي فاسد، من لم ينظر في عواقب الأمور يقع في المخذور، وربما يكون الملك الناصر قد اتفق مع التركمان وتواعد معهم على أنهم يأتون من وراءنا إذا قابلنا عسكر الناصر، ونبقى بين العسكرين. وتقدم قراسنقر أيضاً وقال: إن الأكراد في جبل هكار^(١) كلهم مع الملك الناصر، فنخاف أيضاً منهم أن ينزلوا من الجبال على بيوتنا فينهبوها وتتخبط البلاد، وما نعلم هل يكون النصر لنا أم علينا؟ فقال خريندا: ولا يمكن تعطيل حركتنا من بعد أن سُمع في البلاد أنا قد تجهزنا، فيطمع كل أحد فينا. فتقدم في ذلك الوقت الأمير الزردكاش وقبّل الأرض، فسأله خريندا عن مقصوده، فقال: أطل الله عمر الخان، المملوك أخبر الناس بالتركمان وقد جاورهم المملوك عشر سنين، فإن رسم الخان أن يعطيني ثلاثين ألفاً من العسكر آخذهم وأسير بهم إلى الروم، وأخرب بلاد التركمان، وأقتل رجالهم وأنهب أموالهم، ولو أن عسكرهم مائتا ألف فارس، فإذا كسرتهم آخذ / ٣٩٦ / الجيش وأنزل إلى حلب. فلما سمع خريندا بذلك فرح فرحاً شديداً، وفي الحال جهز معه ثلاثين ألف فارس وسيّره إلى الروم، ثم ركب خريندا وسار يطلب شهروز، وقام جوبان ومعه قراسنقر والجيش الذي عينه خريندا معه، وساروا يطلبون ديار بكر^(٢).

وأما الأفرم فإنه لعب عليه جرحه الذي كان الفداوي جرحه على ما ذكرنا، فأمره خريندا أن يقيم في تبريز، فقبّل الأرض وقال: قتلي أهون عليّ من المقام، فأشتهي أن لا تقطعني من العسكر؟ فقال خريندا: ما قلت لك هذا إلا شفقة عليك، ثم أمر بأن يحملوه معهم في محفة^(٣)، فحملوه كما أمر.

(١) هكار: بلدة وناحية وقرى عند جبال فوق الموصل في بلد جزيرة ابن عمر، يسكنها الأكراد الذين يقال لهم: الهكارية. ابن المستوفي، المبارك بن أحمد ت: ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م: تاريخ إربل، تح: سامي الصقار، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م، ج ٢، ص ١٦٨.

(٢) ديار بكر: بلاد واسعة كبيرة تُنسب إلى بكر بن وائل، وهي بين دجلة والفرات، قصبتها آمد، ومن مدنها: ميفارقين ونصيبين وحصن كيفا وتل فاقان. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٣٧. القزويني: آثار البلاد، ص ٣٦٨. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ٥٤٧. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٤٩٤.

(٣) المحفة: مركب كالهودج إلا أنه لا يقبب، على شكل سرير له ذراعان من كل ناحية ليسهل حمله، يستلقي عليه المريض العاجز عن المشي. ابن منظور: لسان، ج ٩، ص ٤٩. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٥٢٦. دهان: معجم الألفاظ، ص ١٣٦.

ولما وصل خربندا إلى شهرور سمعت بذلك أكابر الدولة من الأكراد مثل: أمير علي وشمس الدين، والشهروزي، والغرز، وكان هؤلاء أكبر ممالك الأكراد، فقال لهم الغرز: اعلموا أن خربندا جاء يريد العبور إلى بلادنا، ولا غنى لنا عن النزول إليه، لأنكم ما تقدرون على العصيان عليه، وكان خربندا يهادن الأكراد، ويهاديهم كل وقت.

قال الراوي: فلما سمع الأكراد كلام الغرز، قالوا له: صدقت، لكن أمرنا كله للشيخ شرف الدين ابن الشيخ عدي، فبينما هم في الحديث إذ وصل /٣٩٧/ رسول خربندا إلى الغرز يطلبه، فجهز الغرز شيئاً كثيراً من التقادم لخربندا، وأرسل ابنه أمير علي إلى الشيخ يشاوره في أمر المسير إلى خربندا، فرد عليه الشيخ يقول: إياك والرواح إليه، فإن سمعتم مني تحصنوا في جبالكم، فوالله، أي وقت ظفر بكم ما يخلي أحداً منكم، فلما وصل ابن الغرز إلى أبيه بهذا الحديث من الشيخ، قالت الأكراد: صدق الشيخ فيما قال، فقال الغرز: لا تفعلوا، فإنكم متى عصيتم يخرب البلاد والقرى التي في لحف الجبال كلها.

ثم إن الغرز لعب بعقول بعض الرجال من الأكراد، وأخذ معه الحسام الشهروزي، ونزل إلى خربندا، وقدم ما معه من التقادم^(١) لخربندا، فقال خربندا: وأين الشيخ؟ فقبل الغرز الأرض وقال: أطال الله عمر الخان، إن الشيخ أي وقت نزل من الجبل يقع السيف بين الأكراد، فيقتل بعضهم بعضاً لأنهم ما لهم عقول، ولولا الشيخ بينهم لكان بينهم كل وقت حرب وفساد، فسكت خربندا على مضض منه، لكن يريد أن يلاطفهم رجاء أن ينزل الشيخ ويقبض على الجميع.

فنظر الغرز وإذا بالأفرم والزردهكاش مع خربندا في منزلة عالية بالقرب منه، فسأل عنهما الغرز، فقال له خربندا: هؤلاء تجبّر عليهم الملك الناصر، ونحن سائرون إلى إعانتهم لأجل /٣٩٨/ حمية الإسلام، ويجب على كل مسلم مساعدتهم لأنهم قد فارقوا أولادهم وبلادهم وقد ذلوا بعد العز، ثم قال له: يا غرز الدين، أريد منك أن تركب معي في عشرة آلاف نفس من الأكراد، وعندني كل ما تريد من الدنيا، ويكون لك يد بيضاء عندي. فقَبَّلَ غرز الأرض، وقال: أيها الملك طب نفسك وقر عيناً فلو طلبت مني عشرين ألفاً لكنت قادراً عليها، لكن أريد من الخان أمراً تفعله، فقال: وما هو؟ فقال: إن

(١) التقادم: جمع تقدم ويقصد بها الهدايا التي جرت العادة بتقديمها في مناسبات، وكانت تختلف تبعاً لمكانة المهدي إليه، وتبعاً للمناسبة التي تقدم فيها. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٣، ص ٤٢، حاشية رقم ٤.

الشيخ رجل جليل القدر، وجميع الأكراد يسمعون منه، وما يخلي لنا رأياً [في أمر]^(١) نفعله، ونحن في تعب معه في هذا الجبل إلى غاية ما يكون. وكان الغرز صاحب مكر وخديعة، فتحيل بهذا الكلام، ولما سمع خريندا بذلك فرح، وبقي في النار من جهة الشيخ، ثم قال له: فماذا يكون العمل؟ فقال: تخلصنا منه، فقال خريندا: وكيف الوصول إليه؟ فو الله، لو وقع في يدي ما خليته يشم الهواء، فقال الغرز: أنا أحييه بلا تعب ولا نصب، قال: وكيف تعمل؟ فقال: تجهز معي في هذه الساعة رسوياً من عندك ومعه خلعة للشيخ وبعض هدية، فإذا وصلنا إليه نحدثه بما رأيت منك من المحبة والمودة، والنية الحسنة، وأطمعه منك بكل ما يريد، فإذا نزل إليك لا تخليه يعيش ساعة واحدة، /٣٩٩/ وأي وقت قتلته بقيت الأكراد قدامك مثل الغنم.

ولما سمع بذلك خريندا، ظن أنه صحيح، ففي الحال أمر أن يجهز للشيخ وأصحابه عشر خلع مذهبة، وكتب له توقيع بالموصل، وخلع على الغرز خلعة سنية، فقال له: إن جئت لي بالشيخ أعطيتك جبل هكار والموصل وأعمالها، فقال الغرز: لا تعرف هذا إلا مني، لكن بشرط أنه إذا وقع لك تقتله ولا تستبقيه.

وكان خريندا كلما سمع بهذا وتحريض الغرز على قتل الشيخ كان يفرح بالوقوع بينهم، ويقول في خاطره: إذا قبضت على الشيخ والغرز أجوز إلى الجبل، وأهلك كل من فيه من الأكراد، ثم جهز مع الغرز رسوياً من المغل أميراً، وقال له: سر إلى الشيخ.

وكان عنده أمراء الأكراد فأراد أن [يخليهم]^(٢) عنده، فقال الغرز: أي وقت بقي عندك أحد منهم ينكر الشيخ علينا []^(٣) في الأمر الذي نريده، فالمصلحة أن تطلب الأمراء وتخلع عليهم، وتأمر لكل واحد منهم أن يأتيك بألف فارس من عشيرته وقومه، قال خريندا: فإن كانوا يعصون علينا إذا راحوا وطلعوا إلى الجبل؟ فقال له الغرز: ضمانهم عليّ بالطاعة، فطلب خريندا الحسام الشهرودي وجميع أمراء الأكراد، فخلع عليهم وطلب من كل واحد منهم بأن يأتيه بألف فارس، /٤٠٠/ ونفقتهم عليّ.

(١) مكتوبة بهامش الأصل، وأشار الناسخ إلى موضعها بالمتن.

(٢) في الأصل: يخليهم.

(٣) في الأصل: إذا راحوا وطلعوا على الجبل. وقد شطب الناسخ عليها.

فركب الغرز وهو لا يصدق بالسلامة من خربندا، وركب معه الرسول بمائة فارس وساروا يطلبون الجبل، فلما جاوزوا دريند الجبل قال الحسام الشهروزي للغرز: إيش هذا التدبير الذي دبرت؟ فقال: والله، لولا هذا التدبير لكنا شربنا كأس الحمام^(١)، فمكري وخداعي هو الذي خلصكم من شباك البلايا، وقد سلمتم ووصلتم إلى الجبل فمن هاهنا افتصلوا بأرواحكم، فقالوا: نروح كلنا إلى الشيخ ونأخذ رأيه، لأنه قال لنا: لا تنزلوا، وما قبلنا منه فنزلنا، فساروا حتى نزلوا على الشيخ.

وكان الشيخ في قرية تسمى: لاكش، فلاقاهم الشيخ وأنزل الرسول ومن معه في مكان أخلاه لهم، فاجتمع بالגרز والأمرء، فسألهم عما لقوا من خربندا، فحدثه الغرز وقال: لولا عملت عليه حيلة ما سلم منا أحد، ثم أحضر الخلع والحوائص والخيل، وذكر له ما قال خربندا عنه، وقال له: أي وقت نزلت إليه ما يخلي من الأكراد لا كبيراً ولا صغيراً، وأخبره بأنه نازل إلى الشام، وقد طلب مني عشرة آلاف فارس، فتبسم الشيخ وقال: سيّرهم يا غرز حتى يغزون في المسلمين ويكون الثواب لك.

ثم إن الأكراد حلفوا للشيخ أنهم ممثلون أمره، وسامعون /٤٠١/ قوله وأنهم ما يموتون إلا بين يديه، فقال لهم: يا جماعة، اعلموا أن خربندا نازل إلى الشام، وقد أطمعه الأفرم وقراسنقر في بلاد الشام، وعلى كل حال، التتار أطمع الناس، وأنا، أقسم بالله العظيم، لو ملكوا الشام ما خلوا الأفرم ولا قراسنقر ولا غيرهما، واعلموا يا أمرء إذا لم ننصر إخواننا في الإسلام نروح مع الكفرة اللئام، فإذا [ما]^(٢) نصرناهم فأين نروح من الله عز وجل؟ ثم إنهم اتفقوا بأن يمسكوا الرسول ومن معه، فقال الشيخ: ما هو مصلحة، بل نرده عنا.

فلما أصبح الشيخ طلب الرسول، وعنده أمرء الأكراد وبين يديه أكثر من ألفي كردي بأيدهم السيوف، فلما حضر الرسول، لم يقم له الشيخ، ولا قال له أقعد، بل قال للترجمان: قل له فيما أتيت؟ قال الرسول: جئت من عند ملك الأرض خربندا بأن تنزل إليه أنت وأصحابك ولك منه ما يسر قلبك، فقال له الشيخ: أنا رجل كبير وشيخ مقيم في هذه الجبال، ولولا أرد الأكراد عنكم وعن البلاد ما خلوكم تقرون، وأي وقت نزلت من الجبل أكل بعضهم بعضاً، فإذا نزلوا من الجبال أخرجوا البلاد وأفسدوا في

(١) حمام: قضاء الموت وقدره "وافاه الحمام". عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٥٦٦.

(٢) إضافة لاكتمال سياق المعنى.

العباد، فارجع وأعلم خريندا أنني ما أقدر على النزول إليه، فقال له الرسول: لا تفعل هذا فيكون سبب هلاك الأكراد / ٤٠٢ / ويركب إليك خريندا ببعض التوامين^(١) فلا تقدر حينئذٍ على دفعهم.

فلما سمع الشيخ بذلك قال له: احسأ يا كلب، ومن خريندا من الكلاب؟ [ويلكم]^(٢) أخرجوه عني، فأخرجوه من عنده، فلما خرج طلب الغرز، فخرج إليه وحوله جماعة من الأكراد، وقال له: ما لك سكتٌ والشيخ قد أخرج بي هذا الإحراق العظيم؟ فقال له الغرز: أحمد الله الذي أخرجك من عنده سالماً، ونحن قبل دخولك عنده شفّعنا فيك، وإلا كان يأمر بضرب عنقك، رح إلى خريندا وقل له يقطع طمعه من الأكراد وجبالها، ويلك، نحن نذهب ونغزو المسلمين؟! فإش هذا الفعل الفاسد؟ فرجع الرسول وهو لا يصدق بالنجاة.

وأما الأكراد فإنهم جفلوا إلى رؤوس الجبال وحصنوا الدريندات وسدوا الطرقات، ووصل الرسول إلى خريندا وأعلمه بأن كل ما فعله الغرز كان مكرراً وخديعة، حتى خلّص نفسه والأكراد، وأن الشيخ لم يجب إلى الطاعة، وأن الغرز وأصحابه كلهم متفقون على ما يريدّه الشيخ.

فندم خريندا غاية الندم كيف راح الغرز من يده سالماً وهو قوام الجبل، ثم سار خريندا حتى نزل على كشاف، وهي قلعة خراب على شط نهر الموصل، وسير القُصّاد إلى نواب بلاده كلهم / ٤٠٣ / يطلبهم، وأرسل آخر إلى جوبان يطلبه، وجمع الناس على كشاف.

وحضر جوبان بمن معه مثل: قراسنقر والزردكاش، وبلبان الدمشقي والبيسري، وعمل خريندا مجلساً عظيماً، وجمع الأمراء للمشورة، وأجلس قراسنقر فوق جميع الأمراء وخلع عليه خلعة سنّية مكلّلة بالدر والياقوت وحياسة مجوهرّة، ثم قال له: طيب قلبك واشرح صدرك فأنت عندي بمكانة عظيمة، فبكى قراسنقر بكاء شديداً، وبكى معه أصحابه، فقال له خريندا: مم بكاؤك؟ فقال: تذكرت أولادي وتغربت عن أوطاني وأهلي والتجأت إلى جنابك الرفيع وحجابك المنيع، وفي أملي بمواعيدك الحسنة أن

(١) التوامين: مفردهما: تومان، وهو أمير الفرقة من الجند التي يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل، وذلك في اصطلاح التتار. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٢١. دهمان: معجم الألفاظ، ص ٤٨-٤٩.

(٢) في الأصل: والكم.

أرجع إلى أهلي وأولادي، وهؤلاء الأكراد قد عصوا عليك فخطر بخاطري أنك رجعت عما نويت في السفر إلى الشام.

قال الراوي: فلما سمع بذلك خربندا، حصل عنده بعض الانحراف، فقال: أنا أباي^(١) من الأكراد حتى أرجع عن عزمي؟ وما مكثت إلى هذه الأيام إلا لأجمع أمر المغل جميعهم وأشاورهم في ماذا نفعل.

ثم طلب جوبان ودمندار وحسن قطلو وقطلوقيا ورمضان الغزي وسويح الخراساني وهندو وبلاي وغيرهم، ممن يطول ذكركم، من أمراء التوامين، وطلب الأفرم وغيره أيضاً، وتشاوروا، فقال جوبان: إن سمعتم مني، هذه السنة ٤٠٤/ ما هي سنة نزول الشام، لأن أكثر خيلنا بمرض الطابق^(٢)، والبلاد جذبة، وليس فيها شيء يؤكل، ونخاف يجري علينا مثل نوبة مرج الصفر^(٣)، ونبقى أحداثثة بين الناس.

وتكلم كل واحد بلون، فقال خربندا: كل هذا، ما أسمع، ثم التفت إلى قراسنقر وكان إلى جانبه وقال له: قل يا أبي فكلامك مسموع، فقال قراسنقر: الرأي عندي أن نرحل وننزل على الرحبة ونحاصرها، فإذا سمع الملك الناصر لا بد أن يجرد عساكرًا من مصر، لأنه رجل حاد لا يصبر، وخيلهم اليوم في الربيع، ولا يصلون إلينا إلا وقد انقطع أكثرهم، وأما الضعفاء فلا يقدر أن يتبعوهم أصلاً، ومع هذا فقد قاسوا رملاً، ولا يجيئون إلا وهم هلكى، وعسكرنا مستريح، فننال منهم ما نريد، وإن لم يجيء إلينا أحد فقد أخذنا الرحبة، لأنها لا تحتل الحصار، وخط نائبها عندي أرسله إليّ بأنه يسلمها إلينا إذا نزلنا عليها، ثم إذا أخذناها رحلنا إلى حلب وشتّينا في بلادها، فهي عامرة كثيرة الخير والغلات، فيقوى عسكرنا وتسمن خيلنا، وإن لم يخرج الملك الناصر فقد علمنا عجزه فنرحل إلى دمشق ونصيّف

(١) بالى بالأمر: اكترت له، واهتم به، ويغلب استعماله في سياق النفي. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٢٤٥.

(٢) الطابق: الطبق: الصحن، وهو جوف الحافر أي الصحينة القرنية السفلى من حافر الخيل (ألكالا). دوزي: تكملة المعاجم، ج ٧، ص ٢٠.

(٣) المقصود وقعة شقحب سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، وقد سمّاها ابن كثير في: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢٩: مرج الصفر.

فيها، ونفرق العساكر في: البقاع^(١) وبلاد بعلبك ومرج حمص ومرج برعوث^(٢)، ونستغل بلاد الشام،
/٤٠٥/ فنقوي عسكرنا، وعند دخول الشتاء نروح إلى مصر، وإن أكثر الأمراء بمصر يكاتبونني.

فلما سمع خريندا بذلك تبسم، وقال: هذا هو الصواب، واتفقوا على هذه المشورة، ثم أخذوا في
إصلاح أمورهم وتجهيز احتياجاتهم، ورحل خريندا من قلعة كشاف في نصف شعبان المبارك من هذه
السنة، وقيل في التي بعدها، وسار يطلب الرحبة.

ثم تقدم قراسنقر وقال: أيد الله الخان، إن رسمت ترسل قصاداً إلى مصر تأتي لنا بالأخبار، فقال:
إفعل ما تريد، فجهز خمسة من العرب من [أصحاب]^(٣) سليمان بن مهنى، ومعهم نفرًا من أهل رأس
العين، وأعطى لهم جملة من الذهب، ووعد لهم بالخير الكثير إذا فتحوا البلاد، وكتب معهم كُتُباً إلى ناس،
وقال لهم: إياكم والطرق الجادة فرما يدرون بكم فلا يحصل خير، فقال له واحد منهم، يقال له صمي
بن سالم: عليّ أن أسلك بهم في طرق لا يُرى فيها إنس ولا جن، فقال قراسنقر: هذا هو المقصود،
فخرجوا [ودخلوا]^(٤) البراري.

وأما خريندا فإنه سار بمن معه حتى وصل سنجار، ووقعت هجة^(٥) في تلك البلاد، وكان هناك
جماعة ينصحون المسلمين كتبوا إلى نائب الرحبة، بدر الدين الأزكشي - وكان رجلاً كردياً - بأن خريندا
واصل، فجهز هو أيضاً قاصداً من عنده إلى نائب الشام بأن /٤٠٦/ خريندا قد توجه إلى الرحبة، ثم
نادى في الرحبة بمجيء التتار [والاجتهاد]^(٦) في الاحتراز عنهم، وحصّن الرحبة، وادّخر في القلعة شيئاً
كثيراً، وأمر أهل القرى أن لا يخلوا عندهم شيء من الحبوب فيحولوها إلى مواضع لا تُدرى، وأن يحرقوا

(١) البقاع: موضع يقال له: بقاع كلب، قريب من دمشق، وهو أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق، فيها قرى
كثيرة ومياه غزيرة، وبالبقاع قبر نبي الله إلياس عليه السلام. ابن عبد الحق: مرصّد، مج ١، ص ٢١١. الحموي:
البلدان، مج ١، ص ٤٧٠.

(٢) بالعودة إلى كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، وكتاب مرصّد الاطلاع لابن عبد الحق، والروض المعطار
للحميري، لم يتم الحصول على أية معلومات عن هذا المكان.

(٣) مكتوبة بهامش الأصل، وأشار الناسخ إلى موضعها بالمتن.

(٤) مكتوبة بهامش الأصل، وأشار الناسخ إلى موضعها بالمتن.

(٥) هجّة: ارتحال، مهاجرة. دوزي: تكملة المعاجم، ج ١١، ص ٤.

(٦) في الأصل: مكتوبة بين الأسطر بخط مائل نحو الأعلى.

الأتبان، ففعلوا ذلك بحيث أن أحداً لو كان يسير حول الرحبة مسيرة يوم لا يجد شيئاً من الحبوب وغيرها، وكل ما تتجدد الأخبار عند نائب الرحبة يرسل إلى نائب الشام ويُعلمه بذلك.

ولما أرسل نائب الشام الخبر إلى السلطان، كان الأمراء والأمرء قد ربطوا خيولهم على الربيع، فقال السلطان: يا ليتنا ما ربطنا الخيل على الربيع، فطلب الأمراء وقال لهم: هذا كتاب نائب الشام يذكر أن عدو الله قاصد إلينا وأنتم تعلمون أي كنت معولاً على السفر حتى أدخل إلى بلاده، وها هو قد عاجلني وحيولنا على الربيع، فإن أخرجناها فلا ننتفع بها، وإن تركنا السفر أخذوا الرحبة، ثم يتوجهون إلى حلب أو غيرها.

فسكت الأمراء، وقال لهم: أنا جمعتمكم للمشورة لا للسكوت، ثم تكلم مملوكه أرغون الدوادر، الذي هو نائب الديار المصرية، وهو أكبر ممالكه، فقال: أيد الله مولانا السلطان، إن العدو حركته ثقيلة بينما يجيء إلى الرحبة ويطبق عليها ويحاصرها وتمانعه /٤٠٧/ أهلها مدة يمضي شهران، ومن اليوم إلى شهرين تأخذ الخيول حقها من الربيع، ثم يخرج مولانا السلطان بعسكر جرار فتكون الدائرة عليهم إن شاء الله تعالى، غير أن مولانا السلطان ينبغي له أن يجرد عسكر الشام إلى حلب وحمص، فالبعض يذهب إلى حلب والبعض يقيمون على حمص، فقال السلطان: تجريد العسكر على هذا الوجه ليس بوجه لأنهما تضعف.

فقام علاء الدين أيدغدي شقير^(١) وقال: أيد الله مولانا السلطان، إذا لم يجرد مولانا السلطان عسكر الشام كلها، يجرد بهادر آص وبلبان البدرى والإبراهيمي بثلاثة آلاف نفس من عسكر دمشق يروحون إلى حلب، ويكونون عند الأمير سودي نائب حلب، لتقع الأخبار بأن العسكر وصلت إلى حلب، فقال: هذه مصلحة، وأرسل البريدي في الحال ومعه مرسوم بتجريد هؤلاء الأمراء، ثم بقي السلطان ينتظر الجواب، وإذا بمملوك نائب حلب قد وصل، فأخرج مطالعة سودي نائب حلب يذكر فيها: أنه قد ورد إلينا الأخبار بوصول العدو إلى الرحبة فبعثنا الكشافه فكشفوا، ثم عادوا وأخبروا أن

(١) أيدغدي: الأمير علاء الدين أيدغدي شقير المنكوتري، كان من ممالك لاجين، وبالشام كان مقرباً من الأفرم، واتصل بالسلطان الناصر وحظي عنده، لكن السلطان قبض عليه وقتله لاثامه بمؤامرة على الناصر سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م. الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٦٥٠. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٥٠٧. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٥٠٢.

العدو تفرق اجتماعه، وأن خربندا نزل إلى بغداد، فطلب السلطان الأمراء وقرأ عليهم المطالعة، ففرحوا وقالوا: لو كان مولانا السلطان استعجل /٤٠٨/ وخرج بالعساكر المنصورة كانت قد ضعفت وخربت البلاد.

ولما خرج مملوك نائب حلب من عند السلطان، فإذا بمملوك نائب الشام أيضاً قد وصل، و[يقال له]^(١) عبدالله الخراط، وذكر هو أيضاً أن العدو تفرق وأن خربندا نزل إلى بغداد، فخلع عليه السلطان وأعادته إلى دمشق، فطلب نائب الشام دنكرز عبدالله المذكور، وقال له: يا عبدالله، هذا الخبر الذي بلغته إلى السلطان لا يكن قد سمعته ممن لا يؤبه به من أطراف الناس ثم يظهر الأمر بخلاف ذلك فيقع علينا الإنكار، فقال: أعز الله مولانا []^(٢) ملك الأمراء، ما أخبرني أحد بذلك، بل أنا الذي شاهدته بعيني.

وأما عدو الله خربندا فإنه لما نزل على سنجار جاءته ملوك تلك البلاد، فأمرهم أن يأخذوا معهم [المناجيق]^(٣) إلى صوب الرحبة، ثم أمر لهندو وبلاي ومحمد شاه أن يركبوا بعساكر العراق وينزلون على الرحبة، فركبوا وساروا إلى أن وصلوا إلى موضع يقال له: أبو الديات، وكان عليه كشافة من الرحبة، ومعهم حمام فأطلقوه، ورأهم هؤلاء فركبوا وراءهم فلم يلحقوا بهم، ووصلت الكشافة إلى الرحبة وأعلموا الأركشي بأنهم شاهدوا العدو، وهم قد نزلوا على أبي الديات قاصدين الرحبة، ومعهم /٤٠٩/ المناجيق على العجل، فسير الأركشي إلى دمشق وحلب وغيرهما بالخبر، فجفلت البلاد إلى حلب وإلى دمشق.

ولما بلغ الخبر إلى نائب الشام تعجب وقال: اطلبوا لي عبدالله، فلما حضر قال له: هذا كتاب الأركشي يذكر أن كشافتهم قد فارقوا العدو على أبي الديات، وهذا ضد ما ذكرت أنت، وقال عبدالله: أي يوم نزل عدو الله على الرحبة اشنقني، وربما يكون الكشافة قد شاهدوا منهم جماعة قد ضربوا حلقة صيد، فجفلت الناس من ذلك، فقال النائب: يمكن ذلك حتى ننظر.

(١) في الأصل: ومعه فقال له. والتصحيح يتفق مع سياق الكلام.

(٢) في الأصل: السلطان. وقد شطب الناسخ عليها.

(٣) في الأصل: المجانيق. والتصحيح مما يتقدم. والمناجيق: لفظ أعجمي مُعَرَّب مفردة منجنيق، وهو آلة من آلات الحصار المستخدمة خلال العصور الوسطى، تقذف بها الحجارة وكرات النار لضرب الأسوار والقلاع. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ١٥٢-١٥٣. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٤١٠.

ثم في اليوم الثاني وصل قاصدٌ أيضاً من الأركشي، وهو يقول: العجل قبل حلول الأجل، فإن عساكر عدو الله قد وصلت ونحن كلما نرسل كتاباً لا يأتي إلينا خبر شافي، وما بقي بعد هذا الخبر خير، ولا يحل لكم أن تخلونا قدام العدو وتجعلونا هدفاً للمصائب.

فلما وقف نائب الشام على هذا، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، راحت والله الرحبة، ثم اشتد وغضب وقال: اطلبوا لي عبدالله، فلما حضر، قال له: يا عدو الله، إيش حملك على أنك قلت إن العدو تفرقوا؟ وهاهم قد وصلوا إلى الرحبة، فقال: قيدوني واحبسوني في القلعة إن طلع خبري كاذباً.

ثم أركب نائب الشام دواذره إلى مصر، وأركب أستاذاره إلى الرحبة، وقال /٤١٠/ له: اذهب واكشف العدو بعينك، [فسار]^(١) إلى أن وصل الرحبة، ورأى العدو قد قطعوا الفرات ونزلوا بقرية على جنب الفرات يقال لها: عُشارا، فرجع إلى الشام وأخبر النائب بذلك، وقال: ليس بتحقيق أكثر من ذلك.

وكان السلطان قد بعث أميراً يقال له: عاقول إلى حلب ليكشف الأخبار، فوصل إلى دمشق يوم وصول أستاذار نائب الشام من الرحبة، ومعه كتاب نائب حلب بأن العدو ماله خبر عندنا، وأرسلت كشافة إلى بلاد ماردين والخابور فلم يروا أحداً من العدو، وقال أستاذار نائب الشام: أنا رأيت بعيني هذه خيامهم وهي مضروبة على جنب الفرات، وهم في إصلاح جسور يعدون عليها.

وراح الآتيان إلى مصر، فأخبر كل منهما بما عنده من الخبر، فتعجب السلطان من ذلك، وأنكر على النواب، وأرسل إليهم يستعجزهم، ويقول لهم: إذا كان العدو على الفرات، وأنتم قد عجزتم عن مجرد الخبر، فإش يُرجى منكم؟ والذنب مني أني قد فرطت حيث وليت على البلاد من ليس بكفؤ.

وأما خربندا فإنه طلب قراسنقر، وقال له: قد قلدتك أمر العساكر ولك التصرف حيث شئت، فافعل فيه إصلاحنا، فقال قراسنقر: أيد الله الخان، أبشرك بشارة، فأني يوم نزلنا /٤١١/ على الرحبة يسلمها إلينا نائبها، ونواب البلاد كلهم نوابي، وأي يوم قطعنا الفرات جاءتنا أمراء الشام جميعهم.

(١) في الأصل: فسار.

وهو في ذلك الحديث مع خريندا، فإذا حاجبه قد دخل وقال: إن سليمان بن مهنى على الباب، ومعه جماعة من العرب من عند مهنى، وهم يقولون: إن البلاد خالية من العساكر، فإش الذي يعوق الخان عن أخذ البلاد؟ وأن جميع أمراء دمشق ونواب البلاد قد تجهزوا ينتظرون قدوم الخان. فتقدم جوبان إلى خريندا وقال له في السر: لا تسمع كلام قراسنقر ولا كلام مهنى، فإن لهما أغراضاً يريدان أن ينالا إلى أغراضهما بهلاكنا، ولو كان كلامهما صحيحاً بأي شيء يقربا من البلاد، وسيظهر لك صدق كلامي إذا نزلت إلى الشام، فقال له خريندا: كلامك لا يفيد، فإن قراسنقر أخبر منك بهذا الأمر، فتوَلَّ أنت أمر الجند والمعاملة، وهو يتولى تدبير الأحوال، ثم أمر بالرحيل فرحلوا كالجراد المنتشر، وساروا يطلبون الرحبة وقراسنقر في أوائل العسكر.

وكان خريندا قد رسم^(١) على قراسنقر أمير تومان يقال له: إشن قطلو، ومعه عشرة آلاف نفس، من غير أن يعلم به قراسنقر، وكان /٤١٢/ قال له: اركب معه جملةً، وانزل جملةً، وعينك عليه ليلاً ونهاراً، وإياك أن تغيب عنه وإلا تروح روحك، وكان معه ليلاً ونهاراً في الرحيل والنزول.

ولما توسط قراسنقر []^(٢) الطريق تذكر أهله وأولاده، وما كان عليه من المملكة والراحة فاضت عيناه بالدموع، ثم أنشأ يقول:

رحلتُ وأحبابُ الفؤادِ لهم بعدي	عليّ حنين لا يقرُّ ولا يهدى
يهيمُ إذا ما لاحَ من سفحِ حاجرٍ ^(٣)	نسيمُ صبا هاجتْ به الريحُ من بعدِ
يحنوا إلينا في الأصايلِ والضحي	إذا ما حدى حادي وحركهُ الوجدِ
وإنْ صاحَ من نحوِ الأثيلاتِ ^(٤) صائحٌ	فتهتُ بسكري لا أعيدُ ولا أبدُ
رعى الله أياماً تقضتْ بقربكم	وحبي لويلاتٍ على الأجرع ^(٥) السردِ
يقربُ معاسيلٍ ^(٦) من التركِ خردا ^(٧)	إذا ما اثنشوا تحتَ الغلائلِ بالقدي

(١) رسم على فلان: خصص له من يراقبه. دوزي: تكلمة المعاجم، ج ٥، ص ١٣٦.

(٢) في الأصل: أهله. ويبدو أنها زيادة من قبل الناسخ دون قصد.

(٣) الحاجر: ما يمسك الماء من شفة الوادي ويحيط به. ابن منظور: لسان، ج ٤، ص ١٦٩.

(٤) الأثيلات: أثيل: وادي بالقرب من المدينة المنورة. الزبيدي: تاج، ج ٢٧، ص ٤٣١.

(٥) الأجرع: المكان الواسع الذي فيه خزونة وخشونة. الزبيدي: تاج، ج ٢٠، ص ٤٣٠.

(٦) معاسيل: مَعْسُول الكلام: حُلُو المنطق مليح اللَّفْظ طَيِّب النَّعْمَة. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٢، ص ١٥٠٠.

(٧) خردا: الخريدة من النساء: هي العذراء الطويلة السكوت، الخافضة الصوت، المستترة. الزبيدي: تاج، ج ٨، ص ٥٥.

أَتَوْهُ فَلَا أُدْرِي مِنَ الْغِيِّ إِن أَنَا / ٤١٣ /
أَيَا مَعْشَرَ السَّادَاتِ جَدُوا وَجُودُوا
فَلَا يَدْرُكُ الْعِلْيَاءُ عَزَمَ مَقْصَرُ
وَلَا كُلُّ مَنْ رَامَ الْعَالَا نَاهَا وَلَا
مِنَ الْمَعْشَرِ الْحُضَارِ أَمْ غَائِبِ الرِّشْدِ
وَتَوَرَّوْا إِلَى الْخَيْلِ الْمَسُومَةِ^(١) الْجَرْدِ
وَلَا يَبْلُغُ الْقَصْوَى بِغَيْرِ التَّجَرْدِ
كُلُّ سَاعٍ يَدْرُكُ السَّوْلَ وَالْقَصْدِ^(٢)

قال الراوي: واندفعت العساكر، والأفرم قدام خربندا لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً، فقال له خربندا: يا جمال الدين، لأي معنى قراسنقر في اجتهاد عظيم ليلاً ونهاراً من أمر العساكر وتجهيزها، وأنت ساكت لا تتكلم؟ فباس الأفرم الأرض وقال: أيد الله مولانا الخان، أعلم بأن قراسنقر مكره معروف بين الناس، وقد عرفه كل من جريه، والخان أيضاً لا بد أن يعرفه، وله كلام من غير اعتبار سواء أن يصيب أو يخطئ، ومثلك [أيها]^(٣) الملك لا ينبغي أن يتكلم بين يديه إلا بشيء يكون، وشيء فيه مصلحة ظاهرة، ولا بد أن ينكشف لك كلام قراسنقر عن قريب، وأنا، أقسم بالله العظيم، ونبيه الكريم، أن كل شيء يقوله قراسنقر قدام الخان ما فيه شيء صحيح، والله العظيم، / ٤١٤ / لو وافقنا من أمراء الشام أميراً أو أميران لما جئنا إلى هاهنا، ولو كان نائب الرحبة سَلَّم الرحبة إلينا لما جئنا إليك، وكيف يقول بين يدي مثلك أن أمراء الشام معي، ونائب الرحبة معي إذا وصلنا إليه يسلمها لنا، هذا شيء أنا ما أقدر أن أقوله قدام مثلك.

قال الراوي: وكان جوبان حاضراً، فلما سمع هذا الكلام ضحك، وقال: هذا هو الكلام الصحيح، فقال خربندا: قراسنقر مجتهد، فإن أصاب كان المراد، وإن أخطأ فيكون قد بذل المجهود، ثم ساروا يطلبون الرحبة، والأخبار عند الأزكشي ساعة فساعة، وصمم على التجلد وحفظ القلعة، وأرسل إليه نائب الشام سيف الدين غرلو ومعه مئة فارس ليكشف الأخبار كما ينبغي، فخرجوا متوجهين إلى الرحبة، وغرلو ينشد هذه الأبيات:

يا خليلي قد جفاني رقادي وهجرث الأوطان والأولاد

(١) الْخَيْلُ الْمَسُومَةُ: هِيَ الَّتِي عَلَيْهَا السَّيْمَا وَالسُّومَةُ وَهِيَ الْعَلَامَةُ. ابن منظور: لسان، ج ١٢، ص ٣١٢.

(٢) البحر الطويل.

(٣) إضافة لاستكمال سياق الجملة.

وصبحتُ لدناً^(١) طويلَ كعوبٍ^(٢) وحساماً قدْ كانَ من عهدِ عادٍ
أخضَرَ قاطعَ صقيلٍ متينٍ أبترُ ماضٍ طويلٍ النجادِ
وركبتُ من العتاقِ حصاناً / ٤١٥ / أدهمَ عالٍ شديدِ السوادِ
وصحبي من الكرامِ جماعةٌ أسودُ كلِّ منهم قويُّ الفؤادِ
من رجالةٍ قدْ بايعوا الله وناداهم فلبوا المنادي^(٣)

ذكر وصول خربندا إلى الرحبة

وصل خربندا مشرفاً على الرحبة في الثاني والعشرين من شعبان^(٤) من هذه السنة، عند طلوع الشمس.

وقال ابن كثير: كان وصولهم إليها في أوائل رمضان.^(٥) وكان قراسنقر قدام خربندا، فقال له: إشن هذا؟ فقال: هذه الرحبة، فرآها قد حصنها وحصنوا قلعتها، فقال لقراسنقر: أأست [قلت]^(٦): أنهم يسلموننا القلعة عند وصولنا إلى الرحبة؟ فقال قراسنقر: أيد الله الخان، هي في يدك، وجميع قلاع الشام.

فنزل عدو الله في الدهليز^(٧)، والكل يدعون على قراسنقر، وباتوا تلك الليلة، ولما أصبحوا ركبت الأمراء إلى خدمة خربندا، ولما تكلموا، قال خربندا لقراسنقر: يا شمس الدين، اركب وازحف على الرحبة، فإن سلموها إلينا من غير حرب كان الخيار لهم وثُبان دماءهم، وأخلع على أكابريهم، وأُعطي الأركشي

(١) لدن: لين، سهل، حسن الأخلاق والمعاملة. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٣، ص ٢٠٠٤.

(٢) الكعب: العظم الناتئ عند ملتقى الساق والقدم، ويُقال رجل عالي الكعب أي ذو شرف وظفر. مجمع اللغة: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧٩٠.

(٣) بحر الرجز: في أبحر الأرجاز بحرٌ يسهل مستفعِلن مستفعِلن مستفعِلن.

(٤) كذلك عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٢. أول رمضان، عند ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٥. والمقرئزي: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٢. وابن الوردي: تاريخه، ج ٢، ص ٢٥٣.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٥.

(٦) إضافة لاكتمال سياق الكلام.

(٧) الدهليز: مسلك طويل ضيق وممر بين حائطين. ودهلز، في المعسكر: القسم الأمامي من الخيام، أو الخيمة الأولى، وهي خيمة السلطان التي يجلس فيها للاستقبال. وفي الحملات العسكرية التي تتطلب السرعة الشديدة يكتفي بنصب هذه الخيمة وحيدة دون أن يقام إلى جانبها ما يتصل بها من خيام من مختلف الأنواع التي تصبح عادة مقر السلطان. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٤، ص ٤٢١.

تقدمة الأكراد في بلادي، وأعطيه إربل /٤١٦/ وجبالها، وأطلق له في كل سنة تمضي خمسين ألف دينار تُحمل إليه من الموصل.

فخرج قراسنقر، ومعه الأفرم والزردكاش [ومماليكهم]^(١) وهم ملبسون، وأمر خريندا بأن يركب معهم قطلو ودقمان ودمندار^(٢) بثلاثين ألف فارس، وأمرهم أن يكونوا في طوع قراسنقر، فإن سمعوا منه وسلمها الأركشي، وإلا فازحفوا عليه، فساروا إلى أن وصلوا إلى قرب القلعة، ونادى مملوك من مماليك قراسنقر: خلّوا الأمير بدر الدين يكلم، فهذا الأمير قريب منه يسمع كلامه، فقال الأمير بدر: ها أنا أسمع كلامكم فقولوا، فتقدم قراسنقر وسلم عليه، وقال: يا بدر الدين، أنت تعلم بحالنا وأنت أخبر بكل أحد، وتعلم ما جرى علينا، وما هربنا إلا من ضرر عظيم، وكنا نخاف من التتار لقلّة مباشرتنا معهم، فلما خالطناهم وجدناهم أكثر الناس مروءة، وأقربهم إلى الحق، منعكفين على [هذا]^(٣) الدين معتقدين فيه بيقين، ولا سيما هذا الملك الذي عطاياها كموج البحار، وكلتا يديه كسيل الأمطار، وقد أغنانا بعد الفقر وجبرنا بعد الكسر، وجهاز معنا جيوشه، وأنفق أمواله وذخائره، وقد وعدك بتقدمة الأكراد وإطلاق كل سنة بخمسين ألف دينار، ويعمل خيراً مع الذين معك في القلعة، وإن لم تسمع ولم تُسلم القلعة زحف عليك فأخذها /٤١٧/ في فرد ساعة، وما يحصل لكل واحد منهم حجر يحمله إلى موغان^(٤).

فلما سمع بدر الدين هذا الكلام غضب وقامت أخلاقه، وقال: أفا لك يا خسيس، يا أمكر من إبليس، يا خارجاً عن الملة [المحمدية]^(٥)، ويا مطروداً عن باب الملك، فهذا لا يليق إلا لمثلك، ارجعوا من حيث جئتم، والله، إن دون أخذ القلعة حروب يهرب منها الصناديد من الرجال، فبينما هو في الحديث إذا بواحدٍ من مماليك الأفرم قد رماه بسهم، فوقع السهم في كتف الأركشي، وكان عليه قرقل فولاذ،

(١) مكررة في الأصل.

(٢) بعد الرجوع إلى كتاب السلوك للمقريزي والنجوم والمنهل لابن تغري بردي والوافي؛ أعيان العصر للصفدي وغيرها، لم يتم الحصول على أية ترجمة لهؤلاء الأشخاص.

(٣) في الأصل: هذه.

(٤) موغان: أو موقان، ولاية بأذربيجان فيها قرى ومروج كثيرة، تقع على يمين الطريق الواصل بين إربل وتبريز، اتخذها التتار مشقاً لهم. القزويني: آثار البلاد، ص ٥٦٤. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ٢٢٥.

(٥) في الأصل: المحدية.

فرجع السهم إلى بطل^(١)، ووقع في الخندق، فضجت أهل القلعة بصوت واحد: الله أكبر، [ووقعت]^(٢) الحرب إلى قريب الظهر، وقتل من المغل جماعة.

وكان خريندا نازلاً في موضع يُقال له: مشهد الزكية، غربي الرحبة، وأمر لهندو وبلاي ومحمد خواجا وصاحب ماردين وأمراء بلاده [أن ينصبوا]^(٣) سبعة مجانيق على القلعة، ثم قام هو ودار بنفسه حول الرحبة، وأراهم مكان المجانيق، وأمر بأن تُنقب النقب، وأمر بقطع الأشجار التي على الرحبة، ثم أمر أن يُعمل يزك على كواثل^(٤)، فعين لها سليمان بن مهني ومعه عشرة آلاف فارس، ويزك علي خان قباقب، ويزك على المنتصف، واجتهد في أمر الحصار، وتفرقت المغل، واشتغلوا بتخريب بيوت الرحبة وأخذ أخشابها وأشجار البساتين ليجعلوها [ستائراً]^(٥) / ٤١٨ / على النقوبات والمنجنيقات.

وقد ذكرنا أن غرلو خرج من دمشق بمائة فارس لكشف الرحبة، وأنه لم يزل سائراً حتى وصل إلى تدمر، فخرج أهل تدمر لملاقاته وأعلموه بأن خريندا نازل على الرحبة، وأن سليمان بن مهني معه عشرة آلاف فارس من المغل قد تقدم على الرحبة، فنفذ غرلو كتاباً إلى الأركشي بأنه وصل إلى تدمر، وأنه خرج لكشف الأخبار، وأنه ينتظر الجواب، فكتب إليه الأركشي، يقول: خذوا لأنفسكم الحذر، وعندهم خبرك من يوم خرجت من دمشق، وسليمان بن مهني أخذ معه عشرة آلاف فارس ولا ندري إلى أين قاصد.

وكان خريندا لما نزل على الرحبة جهز خمسين ألف فارس مع أمير يقال له: البجيل، مقدم قراوول^(٦) الأطراف، وأمره بأن يقطع مخاضة بالس، فيسمع عسكر حلب ويقع في قلوبهم الخوف، وأمره أن يغير على تلك البلاد وتصل إغارته إلى الباب وبزاعا، فاحذروا كل الحذر.

(١) بطل: عطل، عدم النفع. ابن منظور: لسان، ج ١١، ص ٥٧.

(٢) في الأصل: وقع.

(٣) في الأصل: إن لم تنصبوا. والتصحيح يتفق مع سياق الأحداث.

(٤) كواثل: موضع على الطريق من القطيفة إلى الرحبة، بين قباقب والرحبة، وتدعى: عطل. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٤٢٧. العمري: التعريف، ص ٢٥٠.

(٥) في الأصل: ستايوا. والتصحيح يتفق مع المعنى.

(٦) قراوول: كلمة تركية قديمة جمعها: قراولة، شاع تداولها في العصر الإسلامي بمعنى: الجندي المراقب في البرج، أو الحراس ليلاً، وكذلك يقال: قراوول، التي تعني: جماعة من الضابطية تقيم في أماكن معينة من الطرق للحراسة =

وأما الأمير سودي، نائب حلب، فإنه قد كان أرسل كشافة من العرب إلى صوب الرحبة، فوصلوا وأخبروا بأن العدو على الرحبة، وكان قد وصل إليه عسكر من دمشق، وهم الذين عينهم السلطان، وهم: بهادر آص، وبلبان البدري، والإبراهيمي، فقال لهم سودي: إيش يكون عملنا؟ فسكتت /٤١٩/ الأمراء، فقال لهم بهادر آص: نخاف أن تأتي طائفة من الرحبة وطائفة من مخاضة بالس، ولا نأمن أن يأخذوا الباب وبزاعا، وتركمان الجبُول، وتأتي طائفة من ناحية الروم وسييس، فقالت الأمراء: كيف الراي؟ فقال: [بجرد]^(١) ثلاثمائة فارس من عسكر دمشق وحلب، بخيل جياذ، مع الأمير سيف الدين قطلوبك الوشاقى والأمير سيف الدين بن العيتابي^(٢)، ونسيرهم إلى مخاضة بالس، ونضم إليهم معتي فارس من العرب يكونون طول النهار على المخاضة، وفي الليل يبعدون عنها، ويقوم عليها عشر فرسان من العرب طول الليل إلى حين يتحقق أمرهم، وتتحقق أخبار السلطان وما هو عليه، فرأى كلهم رأيه هذا مصلحة، فتقدم سودي وفعل ذلك.

فخرج هؤلاء الذين عينهم بهادر آص، وساروا يريدون مخاضة بالس، فقال ابن العيتابي لقطلوبك: يا أمير، ما جَرَدنا الأمراء إلا وظنهم فينا أن ما في عسكر الشام أفرس منا، ونريد أن لا نخيب ظنهم فينا، فقال له قطلوبك: ما الحيلة؟ فقال: نلحف كلنا بأننا لو لقينا خربندا بجمعه ما رجعنا عنه، فقال: نعم، فحلفوا على ذلك، وساروا ليلاً ونهاراً حتى وصلوا إلى المخاضة في الفجر الأول، فإذا خيل خارجة من الماء، وعلى جانب الماء فرسان تقدير ألفي فارس، والخيل /٤٢٠/ متصلة، فلما رآهم قطلوبك وابن العيتابي، قالوا: هذه الخيل وقد قطعت الماء، إلا أن هذه أوائلهم، والرأي أن نحمل عليهم ونرميهم إلى الماء، ولو كان خربندا خلفهم، أو نصبر إلى أن يلوح الضوء، فإن رأيناهم في كثرة تأخرنا عنهم شيئاً فشيئاً، وإن كانوا مقدار ما حزرنا أو أكثر من ذلك إلى عشرة آلاف نتقدم، فلا نمكن أحداً من الجواز إلى هذا الجانب، ثم قووا قلوبهم وحملوا، ولم يصبروا إلى انتشار الضوء، وصاحوا صيحة واحدة بقولهم: الله أكبر، فيالها من ساعة ما كان أعظمها، ومصيبة على العدو وما كان أظلمها، وذلك أنهم كانوا آمنين في المخاضة، ظناً منهم أنها خالية عن الناس، ووقع كثير من التتار في الماء، وهلك منهم خلق

= والمحافظة على الأمن. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٨، ص ٢١١. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٣٥٠.

(١) في الأصل: تجرد.

(٢) بعد الرجوع إلى كتاب السلوك للمقريزي والنجوم والمنهل لابن تغري بردي والوافي؛ أعيان العصر للصفاي وغيرها، لم يتم الحصول على أية ترجمة لهذان الأميران.

كثير، وكان معهم جماعة من ممالك قراسنقر، فيهم مملوكه الذي يُقال له الخطاي^(١)، وهو كبيرهم، وأضافهم قراسنقر حين وجه هذه الطائفة من التتار مع أمير [ابجيل]^(٢) كما ذكرناه الآن.

وكان أمير [ابجيل]^(٣) هذا متأخراً عن الذين عدوا الفرات إلى هذا الجانب، فلما جرى على هؤلاء ما جرى من الهزيمة وغرق أكثرهم في الماء، وأصبح الصباح، تقدم قطلوبك وقال لأصحابه: كونوا مكانكم حتى أعبر أنا في الماء من المخاضة، فإن رأيتموني وقد خرجت من ذلك / ٤٢١ / الجانب، فاعبروا خلفي، فقالوا له: افعل ما تريد ونحن في طوعك، فركب حصاناً أخضر عالياً، فدخل المخاضة، فلما رآه التتار من ذلك الجانب تعجبوا منه، وقالوا: هذا جَيّ فعل شيئاً ما فعله أحد، وهو على ذلك فإذا بابجيل مقدم التتار وقد وصل إلى المنكسرين الذين تقدموا إلى المخاضة، فرأى قطلوبك في الماء يريد العبور إلى ذلك الجانب، فسأل [عنه]^(٤) الخطاي مملوك قراسنقر: أتعرف هذا؟ فقال: نعم هذا يقال له: قطلوبك الوشاق، فقال: حدثه، فنادى الخطاي له، وقال: يا أمير قطلوبك، تأنّ على نفسك ولا تعجل فتقع في المهلكة، فيا قليل العقل، أنت تعرف تقاتل من؟ وأيضا أفلا تعلم ما جرى على المسلمين؟ وعلى الأمراء من السلطان؟ ولولا خروجنا نحن من البلاد لما بقي أحد منكم إلى الآن، فعودوا وارجعوا عما أنتم فيه، فإن هذا الخان هو صاحب الأقاليم ومالك البلدان، وقد حلف لقراسنقر والأفرم ولغيرهما من الأمراء أنه ما يرجع حتى يفتح البلاد الشامية والمصرية، ويسلمها إليكم، ويعمكم بالإنعام والإحسان، فإن قبلتم كان خيراً لكم، وإن خالفتم راحت أرواحكم، وسُبيت حريمكم وأولادكم، وتُهبت أموالكم.

فلما سمع قطلوبك ذلك، قال له: يا كلب، أنت أيضاً تتحدث بهذا الحديث، ويليك ما رأيتم من الخير حتى تدعو الناس إلى ما أنتم فيه / ٤٢٢ / من الضلال والفساد، ثم إنه مدّ يده إلى قوسه وأطلق نشابة نحوه، فانشمر كل من كان يريد العبور من المخاضة إلى أماكنهم من ذلك الجانب، ثم أنهم رموا بالسهم على قطلوبك، فلما رأى أصحابه ذلك أرموا خيولهم كلها في الماء، فلما رأى التتار ذلك ولوا إلى الإدبار وركنوا إلى الفرار، وهلك من المسلمين في ذلك اليوم جماعة، فهذا الذي جرى هؤلاء.

(١) مغطاي الخطاي. كما سبق.

(٢) في الأصل: الخيل. والتصحيح مما سبق.

(٣) في الأصل: الخيل. والتصحيح مما سبق.

(٤) في الأصل: عن. والتصحيح يتفق مع سياق الكلام.

وأما ما كان من خربندا، فإنه قال لقراسنقر: ازحفوا على البلد فقد طال علينا الأمر، فلما أصبح الصباح تقدمت علوج^(١) المغل، وركب خربندا وبين يديه قراسنقر والأفرم والزرديكاش، وتفرقت أمراء المغل إلى المواضع التي عينها لهم خربندا، واجتهد المسلمون أيضاً وحرضهم الأركشي، [وقامت]^(٢) بينهم في ذلك النهار حرب [شديدة]^(٣) إلى آخر النهار، وبات أهل الحصن في أمر عظيم من الحصار.

ولما أظلم الليل وخمدت النيران، طلب خربندا الأمراء وقال لهم: إيش هذا القتال الذي قد طال بكم؟ ولو نصحتكم كنتم أخذتم القلعة في يوم واحد، فقالوا: يا خوند، قد شاهدت بعينك ما جرى في هذا النهار، فقال لهم: غداً يكون الانفصال، فلا تطولوا، ورتب منازل الأمراء والمقاتلين من الليل.

ولما أصبح الصباح تقدمت المغل، وقدامهم قراسنقر والأفرم / ٤٢٣ / والزرديكاش، وداروا بالقلعة من كل مكان، ونظر إليهم الأركشي، فقال لمن معه: يا معاشر المسلمين قاتلوا عن حريمكم وأولادكم، ألا ترون إلى هؤلاء وما هم عليه من الهمة؟ فقاتلوا بهمة صادقة، ثم هجمت المغل وأرموا الشباب بلا عدد ولا حساب حتى أن أحداً من أهل القلعة لا يقدر أن يخرج يده من وراء الستائر، وأرموا عليهم من سبعة مناجيق، وبقي قراسنقر يدور بنفسه على المناجيق ويحرضهم، وقد أخرجوا من أبراج القلعة أربعة أبراج وهدوها إلى الأرض، وقد رجعوا عن الزحف، وأيقنوا بأنهم غداً يأخذون القلعة بلا خلاف.

وأما رجال الرحبة، فقد باتوا تلك الليلة على الأبراج الخراب، وهم في قلق عظيم.

وأما خربندا فإنه في تلك الليلة طلب قراسنقر والأفرم وجويان نائبه، [وقال]^(٤): ما تقولون في هجومنا القلعة غداً؟ فنهض جويان، وقال: أيد الله الخان، فإنه يعلم أن هؤلاء مسلمون ونحن أيضاً مسلمون، وسمعت اليوم صراخ النساء والصبيان، وما أظن أن الله تعالى يتخلى عنهم، والرأي أنك ترسل

(١) علوج: مفرداها علج، وهو الرجل الضخم من كفار العجم، وبعض العرب يُطلق العليج على الكافر مطلقاً، وقيل الرجل الشهواني المستهتر، وقيل الرجل الفجّار الكافر المستهتر. ابن منظور: لسان، ج ٢، ص ٣٢٦. دهمان: معجم الألفاظ، ص ١١٤.

(٢) في الأصل: وقام.

(٣) في الأصل: شديد.

(٤) في الأصل: وقالوا.

إليهم غداً وتذرههم، وتحلف لهم أنهم إذا سلموا القلعة إليك لا تؤذي أحداً منهم، وإن لم يسلموا فافعل ما [بدا لك] ^(١)، /٤٢٤/ فقال: هذا هو الرأي.

وأما بدر الدين الأزكشي فإنه طلب مقدمي القلعة وأكابرها، فقال لهم: اعلموا بأن أبراجاً من القلعة أحرقت، [وانهدمت] ^(٢) قطعة من السور، وما بقي إلا هجومهم علينا، فما رأيكم؟ فقالوا: نحن بايعنا الله على الموت، فقال: صدقتم، ولكن إيقاع الشخص نفسه في التهلكة حرام، وعندنا نساء وأطفال، فلا يحل أن نكون سبباً لهتكهم وسيبهم، والرأي عندي أن نرسل إليهم القاضي والمحتسب ومشايخ البلد، فإن حلف لهم خربندا والأمراء جميعهم أنهم لا يشوشوا علينا، وأن نكون آمنين على أنفسنا و[أموالنا] ^(٣) وحرمتنا وأولادنا، سلّمنا إليهم وخرجنا، فلم يرض المقدمون على ذلك.

وباتوا تلك الليلة، فلما أصبحوا جاءوا إلى الأزكشي، وقالوا: إن الرسول قد جاء من خربندا، فأمر بمد الاسقالة ^(٤) على الباب، فدخل الرسول، وقعد مع الأزكشي في داخل باب القلعة، ثم قال الرسول: إن الملك خربندا لما رأى ما حل بكم، وسمع بكاء النساء والصبيان، رق لكم، وحمل همكم، فإن أردتم أن تسلموا من هذه المصيبة سلّموا هذه القلعة، وهو يحلف لكم بالله العظيم أنه لا يؤذي أحداً منكم، وإلا فإنه نوى أن يزحف عليكم زحفةً واحدةً فلا يُبقي أحداً منكم.

وكان قاضي البلد ومشايخه حاضرين هناك، /٤٢٥/ فقالوا: المصلحة أن تسلموا هذه القلعة إن حلفوا لكم أنهم لا يؤذون ولا يشوشون على أولادكم وحرمتكم، فقال الأزكشي للقاضي ومشايخ البلد: انزلوا أنتم فاذهبوا إليه فيحلف لكم، ونحن نسلم القلعة إليه، ويمكننا من الرواح إلى الشام.

فنهض القاضي والمشايخ، فنزلوا وذهبوا إلى خربندا، فلما حضروا بين يديه قريهم وأدناهم وأمرهم بالجلوس، فقالوا: أيها الملك، إن أمنتنا جلسنا، فقال: قد أمنتكم، فقام القاضي ودعا له، وطلب الأمان

^(١) في الأصل: بذلك. والتصحيح يتفق مع سياق المعنى.

^(٢) في الأصل: وانهدمت.

^(٣) في الأصل: جزء من الكلمة (لنا) مكتوب في أقصى الهامش.

^(٤) اسقالة: هي كلمة (اسكلة) الأسبانية التي تعني: السلم أو السلم المتحرك، جمعها: اسقالات أو أساقيل، وهي عبارة عن ألواح خشبية أو معدنية تُعلق بطريقة تُمكن الشخص من العبور إلى الأماكن المرتفعة. دوزي: تكملة المعاجم، ج ١، ص ١٣٥.

لأهل القلعة، فتبسم خربندا، وقال: قلنا لكم من أول يوم احقنوا الدماء ما سمعتم، فقال القاضي: الماضي ما يذكر، فالمسؤول من صدقات الملك أن يأمر بكتابة كتاب الأمان إلى أهل القلعة والبلد جميعهم على أنهم ينزلون بالحرث والأولاد، وأن يأمر الملك بإيصال من يريد الرواح إلى الشام إلى مأمنه، فأمر بذلك، فكتبوا، فأخذه القاضي وعاد إلى القلعة، ووقفوا عليه، ورضوا بالتسليم. وعاد القاضي إلى خربندا، وأخبره بذلك، فخلع عليه وعلى من معه، ثم أمر لأمير يُقال له: آسن قتلوا، وقال له: خذ معك ألفاً من المغل وتسلم القلعة، وأنزل أهلها.

فسار القاضي قدامهم حتى وصلوا إلى القلعة، ففتح الباب ودخل القاضي، ورأوا وراءه رجال المغل، فقامت /٤٢٦/ الأكراد وقالوا: إيش بقي بعد أن جاءت المغل ودخلوا القلعة؟ سلمو إليهم نساءكم وأولادكم وأنتم بالحياة تنظرون إليهم، وهؤلاء ما لهم يمين، فَلَمَنْ صَدَّقُوا فِي يَمِينِهِمْ حَتَّى [يَصْدُقُوا] ^(١) لكم؟ ثم جردوا السيوف وتقدم شخص منهم يقال له: خضر البرددار، فضرب واحداً من المغل على رأسه، فنزل السيوف إلى نصف رأسه.

فعند ذلك قامت الحرب [الشديدة] ^(٢) بينهم، وقُتل من الفريقين خلق، فولت المغل الأدبار، فقالوا: هذه حيلة عملوها معنا، وما صدَّق آسن قتلوا بالنجاة حتى عادوا إلى خربندا، فازداد خربندا غضباً، وأمر للمغل بالزحف من كل جانب، فزحفوا، واشتد المصاف بأهل القلعة، وعملت السيوف والسهم والحجارة، فَقُتِلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَمِنَ النِّسَاءِ أَيْضاً عِنْدَ النُّقُوبِ، حَتَّى أَيقِنَ التَّارَ أَنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوا وَمَلَكُوا.

وكان خربندا قد نزل في خيمته، والأمراء في خدمته، فإذا أستاذار قراسنقر جاء وحدث في أذن قراسنقر، فقام قراسنقر وتقدم إلى خربندا، وقال: أيد الله الخان، الجواسيس [الذين] ^(٣) قد سَيَّرْنَاهُمْ إِلَى مصر قد حضروا، فأمر بإحضارهم، فحضرُوا، وكان فيهم شخص يقال له: زُرَيْق، فقال له خربندا: ماذا رأيت بعينك؟ فقال: رأيت بأن عسكر مصر /٤٢٧/ قد خرجوا وهم في عَدَدٍ وَعُدَدٍ، وسمعنا أن الملك

(١) إضافة تتفق مع السياق.

(٢) في الأصل: الشديد.

(٣) في الأصل: الذي.

الناصر أرسل مملوكه [كستاي]^(١)، والأمير قجليس^(٢)، والأمير جنكلي بن البابا بخلق كثير بالخييل والهجن على البرية، ومعهم عربان يدلون على الطرق يأتون من عانة والحديثة، والمملك الناصر بمن معه ماشون على الطرق [الجادة]^(٣).

فلما سمع خربندا ذلك قال للأمرء: ما تقولون؟ وهم في ذلك، وإذا برسول من [الأردو]^(٤) وقد حضر، فلما رأى خربندا أرمى روحه إلى الأرض، ونعى رجاله وبلاده، وقال له: يا خوند، أنت مشغل ببلاد غيرك، وقد ملكوا بلادك وأخذوها من يدك، فقال: ويلك، ما هذا؟ بيّن لي، فقال: قد خرج من بلاد الترك مقدم ومعه مئة ألف فارس يسمى: [ذلدی]^(٥)، ومقدم آخر معه مئة ألف فارس يسمى: قنغوري، قال: فلما سمعنا بهم ركبنا إليهم بعسكر خراسان وجمعوها، [فعملوا]^(٦) علينا كميناً وانكسروا قدامنا وجازوا إلى الكمين فخرجوا علينا فقتلوا منا بلا عدد، وقُتل يولاي مقدم العساكر، وقُتل ولدك بسطام^(٧)، وانهمزت العساكر، وأخذوا خراسان، وكلما تقدموا أخذوا البلاد.

فلما سمع بذلك خربندا تغيرت حواسه، وسمعت بذلك عساكره، فعلا فيهم البكاء والصراخ، لأنه ما فيهم أحد إلا وله في خراسان أخ أو ابن أو قرابة، فقال خربندا: فليس /٤٢٨/ هذا موضع البكاء، فاتفقوا على أنهم يرحلوا إلى بلادهم ليحموها عن أعدائهم.

(١) كستاي: الأمير سيف الدين الناصري كُستاي، كان أمير سلاح ثم تولى نيابة طرابلس سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م، وبقي فيها إلى أن توفي سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ١٥٨، والوافي، ج ٢٤، ص ٢٥٥. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٣١٢-٣١٣.

(٢) قجليس: الأمير سيف الدين قجليس الناصري السلاحدار، كان من المقربين من الناصر ومن خواصه، توفي سنة ٧٣١هـ/١٣٣١م ودفن بالقرافة. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٧٧-٨٧. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٢٨٤.

(٣) في الأصل: المادة.

(٤) في الأصل: الابد. والتصحيح مما يتقدم. والأردو: لفظ مغولي معناه المعسكر، وقد استعمل في المراجع العربية والفارسية للدلالة على معسكر رئيس المغول، والأردو إقليم بلاد فارس قصبته: تيمارستان. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، حاشية رقم ٤ ص ٩٨، وج ٣٣، حاشية رقم ٥ ص ٢٥٣. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٢٣-٢٤.

(٥) في الأصل: دلداي.

(٦) في الأصل: فيملوا.

(٧) بعد الرجوع إلى كتاب السلوك للمقريزي والنجوم والمنهل لابن تغري بردي والوافي؛ أعيان العصر للصفدي وغيرها، لم يتم الحصول على أية ترجمة له.

ذكر رحيل خربندا من الرحبة

لما سمع خربندا من رسول الأردو ما ذكرنا، ركب من تلك الساعة وأخذ معه قراسنقر والأفرم في عشرة آلاف فارس وعبروا الفرات، وقال لجوبان: الحقني ببقية العساكر، واحرقوا المجانيق التي نصبناها على الرحبة والزردخانه^(١) أيضاً، ولا يبت منكم أحد ليلة غد في أرض الشام.

ولما سار خربندا وقع الصوت في العساكر، ووقعت الهجة، وأرسل جوبان إلى الأمراء الذين في النقوب يأمرهم بأن يخرجوا، وكذا أرسل وراء اليزك، ووقعت الضجة بينهم في ظلام الليل، وسمع أهل القلعة بذلك، وقالوا: ما هذه الضجة؟ فقال الأركشي: إن صدق حزري فقد جاءهم الخبر بأن السلطان [الناصر قد جاء]^(٢)، فلذلك رحلوا، وإلا ما هذا وقت الرحيل وقد أشرفوا على أخذ القلعة.

وما أصبح الصباح وقد بقي هناك أحد من التتار سوى جوبان ومعه عشرة آلاف فارس، فأمر للزراقين^(٣) بأن يضرمو النيران في المناجيق وفي الزردخانه، وأمر بإحراق سائر الأتقال التي ما قدرها على حملها، ثم ساروا خلف خربندا.

وقال ابن كثير: وفي أوائل رمضان نازلت التتار الرحبة، وحاصروها عشرين يوماً، وقتلهم نائبها بدر الدين موسى الأركشي خمسة أيام قتالاً شديداً، /٤٢٩/ فأشار رشيد الدين له بأن ينزلوا إلى خدمة السلطان خربندا، ويهدوا له هدية ويطلبوا منه العفو، فنزل القاضي نجم الدين إسحق^(٤) وجماعة وأهدوا له خمسة أروس خيل وعشرة أباليج^(٥) سكر، فقبل ذلك ورجع، وكانت بلاد

(١) الزردخانه: هي المكان المخصص لحفظ السلاح والعتاد الحربي، كما تُطلق على السلاح نفسه، وتعني أيضاً ضرب من الخيتم. المقرئ: رسائل المقرئ، دار الحديث، ط ١، القاهرة، ١٩٩٨ م، ص ٢٣٣. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٥، ص ٣٠٣. دهمان: معجم الألفاظ، ص ٨٦.

(٢) إضافة لاستكمال المعنى.

(٣) الزراقون: يقال لهم: النفاطون، وهم الذين يحملون بأيديهم قوارير فيها مواد مشتعلة، تُشعل وتُلقي على الأعداء. دهمان: معجم الألفاظ، ص ٨٥.

(٤) بعد الرجوع إلى كتاب السلوك للمقرئ والنجوم والمنهل لابن تغري بردي والوافي؛ أعيان العصر للصفدي وغيرها، لم يتم الحصول على أية ترجمة له.

(٥) أباليج: مفردا أبلوج، وتعني: قالب سكر، رأس سكر، قرص سكر. دوزي: تكملة المعاجم، ج ١، ص ٤١٨.

حلب، وحماة، وحمص، قد أدخلوا منها، وخرب أكثرها، ثم تراجعوا لما تحققوا رجوع التتار عن الرحبة.^(١) وأما أهل الرحبة فإنهم لما رأوا ذلك سجدوا شكراً لله تعالى، وقالوا بعدما أشرفوا على الأخذ: رحلوا عنا بغير مدافع، وأرسل الأركشي إلى الشام من يُعلم النائب بذلك.

ذكر خروج السلطان من مصر وتوجهه إلى الشام لمحاربة خربندا

قال ابن كثير في تاريخه: لما كان العشر الأول من رجب تواترت الأخبار بحركة التتار، فندب للكشف الأمير سيف الدين آقول السلحدار^(٢)، وتوجه السلطان إلى نحو الجيزة^(٣) يتصيد وحيّماً بالأهرام، ورسم لأرغون النائب بأن ينزل الأجناد البطالة^(٤) في مدة الغيبة ليكونوا معينين إن دعت الضرورة إليهم، ففعل ذلك.^(٥)

وعاد الركاب الشريف من الجيزة إلى القلعة في شعبان،^(٦) وأعطى لمن استخدم من الجند البطالين مشالات مبلّغ من معاملة ساحل الغلة^(٧)، وأحضرت الخيول من الربيع وأبرزهم الدهليز إلى مسجد

(١) ورد هذا النص عند ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٥. مع وجود اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) آقول الحاجب: الأمير سيف الدين آقول السلحدار، توفي سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م. المقرئ: السلوك، ج ٣، ص ٢٥٠.

(٣) الجيزة: بليدة على ضفة النيل الغربية، تجاه مدينة فسطاط مصر، ذات قرى ومزارع، بها الإهرامات التي هي من عجائب الدنيا، وهي ثلاثة إهرامات مبنية من الصخور العظام وذات الإتقان الهندسي الفريد. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ٣٦٧. المقرئ: الخطط، مج ١، ص ٣٨٠-٣٨٣. ابن الوردي، عمر بن مظفر ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٧م: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور زناطي، مكتبة الثقافة الإسلامية، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٩١. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٢٠٠. الحميري: الروض المعطار، ص ١٨٣.

(٤) البطالة: مفردا: بطل، وهو اصطلاح من العصرين الأيوبي والمملوكي، يقصد به الأمراء والأجناد الذين بطل عملهم في الدولة لأسباب ودوافع مختلفة كغضب السلطان أو كبر السن. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٨٠، دهمان: معجم الألفاظ، ص ٣٥.

(٥) لم يرد هذا النص في البداية والنهاية لابن كثير.

(٦) في العاشر من شعبان. عند المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٢.

(٧) ساحل الغلة: منطقة ساحلية على النيل ببلاق مصر. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٣٨٦.

التبر^(١) في أوائل رمضان، وأنفق في العساكر وتأهب للعرض والتبريز^(٢)، فكان /٤٣٠/ يعرض في كل يوم أميرين من مقدمي الألوف، ويخرجان بمنّ معهما من الأمراء والمقدمين والحلقة ويرحلون أولاً فأولاً، من التاريخ المذكور إلى الثاني والعشرين^(٣) من الشهر، فلم يبق في الديار المصرية أحد من الجيوش الإسلامية.

وعيّد السلطان عيد الفطر بالقلعة، وفي ثانيه ركب منها ورحل في ثالثه، ورتب [سيف الدين أيتمش]^(٤) نائباً بالقلعة، وسيف الدين المحسني^(٥) مشد الدواوين، وقد ذكرنا أن الأمير غرلو كان نازلاً على تدمر لكشف الأخبار، فلما طال به الأمر رجع إلى دمشق وأعلم النائب دنكر بأن العدو محاصر الرحبة ليلاً ونهاراً، وقد جدوا على الحصار غاية الجِد، وإن لم يُدركوا وإلا أخذت، فأرسل النائب البريدي إلى السلطان بذلك، وضاحت صدور أهل دمشق، وصاروا بالليل والنهار يدعون الله تعالى بأن يزيل هذه الغمة عنهم، وكان في جامع دمشق صريخ بالدعاء ليلاً ونهاراً، وجفل أهل الشام ورحل أكثرهم إلى الحصون وإلى الديار المصرية، وجيش الشام كانوا في تجهيز العدد ليلاً ونهاراً، وإنعال^(٦) الخيول، وهم ينتظرون قدوم السلطان، وهم في ذلك فإذا [بريدي]^(٧) وصل من ديار مصر بأن السلطان قد عبر منازل الرمل^(٨)، ويجعل منزلتين منزلة واحدة، وأرسل إلى نائب /٤٣١/ دمشق يقول له: أنفق في الجيش ليكونوا

(١) مسجد التبر: هذا المسجد يقع خارج القاهرة قريباً من المطرية في المنزل الأولى على طريق الشام، كان يُعرف بمسجد البئر، والجميزة، وتسميه العامة مسجد التبن، وهو منسوب إلى تبر الإخشيدي. المقرئ: الخطط، مج ٤، ص ٢٧٩-٢٨٠.

(٢) التبريز: بَرَزَ الفَرَسُ على الحَيْلِ تَبْرِيْزاً: سَبَقَهَا. وَقِيلَ: كُلُّ سَابِقٍ مُبَرِّزٌ. والمقصود في النص سباق الخيل والمبارزة. الزبيدي: تاج، ج ١٥، ص ٢٢.

(٣) من أول رمضان إلى ثامن عشره. عند المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٢. ثاني شوال. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٢.

(٤) في الأصل: سيف أيتمش: وهو الأمير سيف الدين أيتمش الحمدي، كان أحد امراء الطبلخانة بدمشق، توفي سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م. الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٦٤٧. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٥٠٦. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٢.

(٥) سيف الدين المحسني: الأمير سيف الدين بلبان المحسني، كان من جملة البريدية بمصر، توفي سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٥٠.

(٦) إنعال: التنعيل: إلباس حوافر الخيل بطبق من حديد تقيه الحجارة، وكذلك إلباس حوافر الإبل بقطع من الجلد كي لا يحفى. ابن منظور: لسان، ج ١١، ص ٦٦٧.

(٧) في الأصل: بردي.

(٨) منازل الرمل: تطلق على المنطقة الصحراوية ذات الكثبان الرملية الممتدة بين القاهرة وغزة. ابن بطوطة: الرحلة، ج ٤، ص ١٨٤.

مجهزين للركوب، فأنا عن قريب عندكم، فلما قرأ النائب الكتاب ضربت البشائر،^(١) ودُقت الكوسات، ونادت النقباء في العساكر بالعرض والنفقة، وشرع النائب في النفقات.

وهم على ذلك، فإذا قاصد من نائب الرحبة قد حضر، وأخبر أن العدو قد رحل، ولم يصل إلى الرحبة بحال، ولا نال منها غرضاً، فلما سمع النائب بذلك تهلل وجهه فرحاً، وقال: ما كان سبب رحيلهم؟ فقالوا: لا علم لنا، إلا أنهم جدوا علينا وأشرفوا على الأخذ، فإذا بهم وقد وقع بينهم أصوات في الليل، فلما أصبح الصباح ما رأينا منهم أحداً، وأحرقوا المناجيق والزردخانه، وعدوا الفرات، وقطعوا الجسر، وسارت الكشافة وراءهم، ولم يروا لهم أثراً.

فتعجب دنكز من ذلك، وفي الحال كتب دنكز مطالعةً إلى السلطان، وأرسل خزنداره^(٢) مع مملوك الأزكشي، فلاقوا السلطان وهو على غزاة،^(٣) فأعلموه بذلك، فقال السلطان: لا غنى عن السير وراءهم ولو قطعوا جيحون^(٤)، ثم أنه أمر بالرحيل، فرحلوا، وجدوا السير يطلبون دمشق.

ذكر وصول السلطان إلى دمشق

ولما قرب السلطان من دمشق، ركب سيف الدين دنكز وسائر الخلق إلى ملاقاته السلطان، فلاقوه، ودعوا له، وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً،^(٥) /٤٣٢/ ونزل بالقصر، ونزلت العساكر في ظاهر دمشق، ثم طلب السلطان الأمراء، وقال لهم: تجهزوا فإن الرحيل بعد ثلاثة أيام إلى بلاد العدو، ثم قال

(١) في ثامن شوال. عند ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٥. في آخر رمضان. عند ابن الوردي: تاريخه، ج ٢، ص ٢٢١.

(٢) الخزندار: لفظ مركب من: (خازن) العربية و(دار) الفارسية التي تعني ممسك، فيكون معناها: ممسك الخزانة (صاحب بيت المال)، الذي يشرف على أمور الدولة المالية ويراقب ما يدخل إلى الخزانة وما يخرج منها. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٣٥. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ١٥٦. دهمان: معجم الألفاظ، ص ٦٨.

(٣) على منزلة السعيدية وهي على مسافة يومين من القاهرة. عند التويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٢.

(٤) جيحون: وادي ونهر خراسان العظيم، يخرج من حدود بدخشان ثم تنضم إليه أنهار كثيرة من حدود الجبل فيصير نهراً عظيماً، ويتصل بناحية السند والهند وكابل، ويمر ببلاد عديدة حتى يصب في بحيرة خوارزم. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٨٤. البكري: المسالك، ج ١، ص ٢٣١-٢٣٢. القزويني: آثار البلاد، ص ٥٢٥-٥٢٦. ابن الوردي: خريدة العجائب، ص ٢٤٨. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ١٩٦-١٩٧.

(٥) الثالث والعشرين من شوال. عند ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٦. وعند ابن الوردي: تاريخه، ج ٢، ص ٢٥٣. يوم الثلاثاء سادس عشر شوال. عند التويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٢. التاسع عشر من شوال. عند المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٢.

لهم: ما قلتم؟ فقالوا: خَلَّد الله ملك السلطان، وإش نحن حتى نتحدث، والمرسوم مرسوم السلطان، فالسلطان يسير ونحن بين يديه، برجال لا يخافون الموت، بل يرونه مقيماً ويرون الحياة مغزماً، فخرجوا على هذا وشرعوا في التجهز.

وفي تلك الليلة، طلب الأمراء كلهم، وقال: اعلموا أن فيكم مشايخ وقد شاهدوا الحروب وقاسوا النوائب فليشيروا علينا، فالرأي شرك، فقام الأمير سيف الدين كجكن، وجوبان، وبلبان البديري، وأقجبا الظاهري،^(١) وبلبان التتري،^(٢) هؤلاء من أمراء دمشق، ومن المصريين: الأمير جنكلي بن البابا، وطغاي،^(٣) وكستاي، وبكتمر الحاجب، وحسين بن جندر، وأيدغدي شقير، وباسوا الأرض، ودعوا للسلطان، وقالوا: ما فينا إلا من يُشير بشيء غير أنه يمتنع من هيبة السلطان، فإن رسم لنا نتحدث وإلا فنحن سكوت، فقال: أنا ما جمعتكم إلا للمشورة، فكل منكم يقول ما عنده، فقالوا: أيد الله مولانا السلطان، إن عدو الله ما رحل عن الرحبة إلا عن أمر عظيم ناله في ذلك الوقت، مع شدة البرد وقلة المأكول وضعف عسكره وبلوغ قدوم السلطان /٤٣٣/ بالعساكر المنصورة إليه، ولا يخفى علم مولانا السلطان أن الشتاء مقبلة على الخيل، فإذا توجه مولانا السلطان إلى بلاد العدو يُقاسي الجيش شدة، ويحصل لأهل البلاد أيضاً فساد، ومولانا السلطان في قلبه رحمة، لا نريد أن يتأذى أحد من المسلمين، والرأي رأي مولانا السلطان، ورأيه عَلَيَّ، فقال لهم السلطان: لقد صدقتم، ولكن تتحدث الناس بأن العدو في أيام الملك الناصر حاصر ثغر من ثغور المسلمين شهراً والناصر لم يكشف عنهم، وهذا عجز عظيم للملك؟! وقالوا: إش يريد مولانا السلطان في تاريخه أعجب من هذا؟! يأتي مثل خربندا بعسكر لا يُعد ولا يُحصى، ويُعدِّي من الفرات، ويقيم على أقل الثغور شهراً ولم يقدر على أخذ حجر منه، ثم يهرب

(١) أقجبا الظاهري: الأمير فخر الدين أقجبا الظاهري، من أمراء وأعيان دمشق، حج بالركب الشامي سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، توفي بدمشق سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م ودفن بسفح قاسيون. الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٥٥١. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٤٦٧.

(٢) بلبان التتري: الأمير سيف الدين بلبان التتري، من كبار الأمراء المنصورية، حج بالركب الشامي سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م، توفي سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٤٧-٤٨.

(٣) طغاي: الأمير سيف الدين طغاي بن عبدالله الحسامي الناصري الكبير، كان أجمل ممالك الناصر ومن المقربين منه، لكن السلطان تغير عليه وأبعده إلى صفد نائباً سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م، حيث بقي فيها شهرين ثم انتقل إلى الإسكندرية حيث توفي بنفس السنة. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٥٩٥-٥٩٧. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٨٤. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٦، ص ٤٠٨-٤٠٩.

وَيُعَدُّ الفرات، وهذا ليس بقليل، والناس ما يقولون إلا أنه من حركة السلطان لما سمعها، فاستحسن السلطان كلامهم، ولكنه قال: لا بد من الحركة، ولو إلى سفرة زيارة بيت [الله]^(١) الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه السلام، فقالوا: الرأي رأي مولانا السلطان.

ذِكْر سَفَر السُّلْطَانِ إِلَى الْحَجِّ

قال بيبرس في تاريخه: وفي الثامن من شوال وردت إلى السلطان مطالعات بأنه لما كانت ليلة السادس والعشرين من رمضان رحلت التتار من الرحبة، فثنى السلطان عزمه إلى الحجاز، /٤٣٤/ وفرق العساكر المنصورة في قاقون^(٢) وعسقلان^(٣)، و[استصحب]^(٤) من شاء من الأعيان، ودخل دمشق في اليوم التاسع من شوال، وتوجه منها إلى الكرك في ثاني ذي القعدة، فوصلها في ثامن، وسار منها إلى الحجاز، وأقامت العساكر التي بدمشق صحبة سيف الدين أرغون نائب الكرك.^(٥)

وقال ابن كثير: وخرج السلطان إلى الحجاز في أربعين أميراً من خواصه.^(٦)

وقال النويري: توجه بهم يوم السبت ثاني ذي القعدة إلى الكرك، ثم منها إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم منها إلى مكة شرفها الله، وتصدق بصدقات وقضى مناسكه، ورجع إلى المدينة فزار، وتوجه إلى الكرك، ثم إلى دمشق، فدخلها يوم الثلاثاء الحادي عشر من محرم سنة ثلاث عشرة

(١) إضافة لاكتمال السياق.

(٢) قاقون: حصن بفلسطين قرب الرملة. ابن عبد الحق: مرصده، مج ٣، ص ١٠٥٩. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٢٩٩.

(٣) عسقلان: مدينة بالشام من أعمال فلسطين، على ساحل البحر بين غزة وجبرين، ويقال لها: عروس الشام، فتحها معاوية بن أبي سفيان في أيام خلافة عمر بن الخطاب ت. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٥٧. التتيلي: الرحلة، ص ٢٦٢. القزويني: آثار البلاد، ص ٢٢٢. ابن عبد الحق: مرصده، مج ٢، ص ٩٤٠. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ١٢٢.

(٤) في الأصل: مكتوبة بخط مائل نحو الأعلى.

(٥) لقد تمت الإشارة مسبقاً إلى أن هذه المعلومات تقع ضمن الجزء المفقود من كتاب "زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة" لبيب الدوادار.

(٦) ورد ذلك عند ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٦.

وذكر في كتاب سيرة الناصر: ولما عزم السلطان على الحج، كان الركب قد خرج من دمشق من مدة عشرة أيام، وعيّن السلطان الأمراء الذين يأخذهم معه، واشتغلوا بتجهيز الشعر والبقسماط والروايا والقرب، وبعد ثلاثة أيام رحل، وكان رحيله في الخامس من ذي القعدة، وسار في خدمته خمسين أميراً من أمراء مصر والشام، وخمسة أمراء من أمراء العربان، وألفا رجل من المماليك والعسكر / ٤٣٥ / على الهجن والخيول، وكانت تلك السنة سنة خير ورخص، وكثرة مياه في المنازل، ولما قرب السلطان من المدينة لاقاه صاحبها منصور ومعه أولاده، وخلع عليه السلطان خلعةً سنينةً، وسار بين يديه حتى نزل السلطان بظاهر المدينة، ثم اغتسل من وعث^(٣) الطريق، ثم سار إلى النبي عليه السلام وزاره، وفرق على المجاورين الدنانير والدراهم، وأقام بالمدينة يومين، وقال لمنصور صاحب المدينة: أحضر ولدك كُبَيْشاً^(٤) لأنه بلغني عنه أمور منكرة، وكان قد بلغ السلطان بأنه دخل إلى الحرم النبوي راكباً، فقام إليه المجاورون وأنكروا عليه، وقالوا: هذا لا يحل لحرمة النبي صلى الله عليه وسلم، فشتّم المجاورين، فقام منصور وبأس الأرض وطلب العفو عنه، فقال السلطان: لا بد من إحضاره وإلا آخذك معي إلى الديار المصرية، ثم إنه رسم عليه، فخرج مع السلطان تحت الترسيم^(٥).

وكان قد بلغ خبر السلطان إلى: حُمَيْضَة ورُمَيْثَة ابني أبي نُمَيّْ صاحبِي مكة،^(٦) شرفها الله تعالى، وقال حُمَيْضَة: أنا لا أقابل السلطان، وأي وقت حضرنا عنده قبض علينا لذنوب سلفت منا في حقه

(١) يوافق أولها السبت ٢٨ نيسان (ابريل) سنة ١٣١٣ م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٧٤٦.

(٢) ورد ذلك عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٢.

(٣) الوعث: الوعث من الرمل: ما غابت فيه الأرجل والحفاف. وقيل: الوعث من الرمل: ما ليس بكثيرٍ جداً. الزبيدي: تاج، ج ٥، ص ٣٨٤.

(٤) هو: كُبَيْش بن منصور بن جهمز الحسني، أمير من الأشراف، ولي إمارة المدينة المنورة سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥ م واستمر إلى أن قتل سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨ م. الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ٢١٩.

(٥) الترسيم: اصطلاح من العصر المملوكي معناه: الحجر أو التوقيف، ويقابل في عصرنا: الإقامة الجبرية أو المراقبة، وكثيراً ما كان يرسم على الفقهاء والقضاة في مدرسة من المدارس، ويُقال: رسم على فلان أي: وضعه تحت المراقبة بعد عزله بأمر من السلطة المختصة. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ١٠٣. دهمان: معجم الألفاظ، ص ٤٤. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٥، ص ١٤٠.

(٦) حُمَيْضَة ورُمَيْثَة: ابنا أبي نُمَيْ محمد بن الحسن بن علي بن قُتادة الحسني أمير مكة، وليا إمرة مكة مشتركين، ثم اختلفا فاقْتتلا، واستقل رُمَيْثَة بمكة سنة ٧١٥هـ/١٣١٥ م، لكن السلطان الناصر محمد قبض عليه سنة =

وحق الناس، فاتفقا على أن ينهزما ويتعلقا بجبال بني شعبة^(١) إلى حين رواح السلطان، وهما في ذلك، وإذا بنجّاب قد وصل إليهما من عند منصور صاحب /٤٣٦/ المدينة، يعلمهما بقدوم أخيهما أبي الغيث^(٢) مع السلطان، وفي نية السلطان أن يقبض عليهما ويخلي أبا الغيث في مكة، فلا يقف أحد منكما قدامه وإلا [تروح]^(٣) روحه، فسألا النجّاب: كم يكون مع السلطان من العسكر؟ قال: الجملة تجيء مقدار أربعة آلاف غير العرب، وأمراء العرب من مصر والشام، وأما عرب الحجاز فإنهم معه في ذلٍ عظيم، وقد رسم على منصور، وطلب منه ابنه كُبَيْشاً وقد هرب، فلما سمع حُمَيْضَةُ ذلك قال: والله، هذا هو الموت بعينه، ثم إنه ركب في ساعته.

وكان قد جاء كَارَم^(٤) كثير من اليمن وتجار فنهب الجميع، وطلب أكابر مكة فصادروهم وأخذ أموالهم، وهرب منه خلق كثير، وطلب المجاورين وأخذ كل ما كان معهم من القوت والمال، وأي من مانع قتله، وأرسل من يكشف له الخبر ساعةً فساعةً، ثم خرج من مكة وسار إلى جبال بني شعبة، وكانت جبلاً حصينةً عاليةً، ما لأحد عليها سبيل.

ولما وصل السلطان إلى خُلَيْص^(٥) أرسل صاحب خليص إلى مكة يقول لحميضة أن يحضر ولا يتأخر، هو ومن معه، فإن حضر فله الأمان، ولا يؤاخذ بالذي جرى منه وله العطاء والإنعام، وإلا

= ٧١٨هـ/١٣١٨م وسجنه حتى سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م وهي السنة التي قُتل فيها أخيه حميضة غيلة، فاستمر الصراع بين رميثة وعطيفة إلى أن استطاع رميثة الانفراد بالأمر سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م، واستمر بذلك حتى سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م حيث تنازل عن الإمارة لأولاده، وتوفي سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٣٠٣-٣٠٥، ٣٧٤-٣٧٣. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ١٩٨، ٢٤١-٢٤٢. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٥، ص ٣٥٦. الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٢٨٥، ج ٣، ص ٣٣-٣٤.

(١) جبال بني شعبة: منطقة بجبال بني عسير تسكنها قبيلة بني شعبة من كنانة. كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، ط ٧، بيروت، ١٩٩٤م، مج ٤، ص ٢٩١. سُبُشَار إليه بكحالة: معجم قبائل.

(٢) أبي الغيث: أبو الغيث بن محمد بن حسن بن علي بن قتادة الحسني، أمير مكة، أخو حميضة ورميثة وعطيفة، قتل في معارك الاقتتال على الإمرة مع إخوته سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٢٥٦.

(٣) في الأصل: يروح.

(٤) الكارم: أو (الكارمية) وهم فئة من التجار كانت ييدهم تجارة البهار والفلفل والقرنفل والعقاقير والبحور والأصباغ ونحوها، وما يجلب من الهند والشرق الأقصى عن طريق البحر، وكان أغلب هؤلاء التجار من بلاد الكانم الإسلامية التي تقع بين بحر الغزال وبحيرة تشاد في السودان الغربي. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، حاشية رقم ٤ ص ٢٨٩. دهمان: معجم الألفاظ، ص ١٢٨.

(٥) خُلَيْص: بليدة ذات حصن بين مكة والمدينة، أقرب إلى مكة، بها نخل وبركة ماء كبيرة يردها الحاج. ابن عبد الحق: مرصّد، مج ١، ص ٤٧٩. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٣٨٧.

فالسُلطان يُضَيِّقُ عليه ويحصله وهو صاغر ذليل، ويسلخ جلده ويحشيه تبناً، فسار صاحب خُلوص حتى وصل مكة، ٤٣٧/ وإذا بحميضة قد خرج من مكة، ونهب أموال الناس، وسد الآبار التي في مِني^(١)، وأفسد البلد، وجفل الناس، وعاد ولاقى السلطان على بطن مر^(٢)، فأخبره بما فعل حميضة في مكة.

ورحل السلطان ودخل مكة، وخرج التجار المأخوذون وصرخوا: يا مولانا السلطان أجزنا من هذا الباغي الطاغى الفاجر، فاشتد غضب السلطان عليه، فطلب السلطان أبا الغيث وسأله [عن]^(٣) الجبال التي تحصن بها حميضة، فقال: يا خوند، جبال منيعة لا يقدر على السلوك فيها إلا أهلها، غير أن أهلها إذا رأوا طول الحصار عليهم أخذوه وأخرجوه من عندهم، فقال السلطان: هذا الوقت أدركنا مناسك الحج وليس لنا فراغ، ولكن أطلبوا لي رجلاً من خيار أهل مكة، فأتوا برجل صالح يُقال له: حمَّاد، فأعطاه السلطان أماناً وأرسله إلى حميضة في تلك الجبال.

ذِكْرُ قِصَّةِ رُمَيْثَةَ مَعَ الْحُجَّاجِ

قال الراوي: كنت في تلك السنة مع الحجاج، ونحن وقوف بعرفة^(٤)، وكان قد قل الماء للناس لأن حميضة أفسد آبار مكة ومِني، فراحت الناس يردون الماء من وادي نخلة^(٥)، وإذا بالصياح وقد علا، فسأل السلطان: ما الخير؟ ف قيل له: إن حميضة قد خرج على الحجاج الذين وردوا الماء في وادي نخلة،

(١) مِني: بلدة على بعد فرسخ من مكة المكرمة، وهي على جبلين مطلين عليها، فيها وادي يرمي الحجاج فيه الجمار، بها مسجد الخيف ومسجد الكبش ومسجد الكوثر. القزويني: آثار البلاد، ص ١٢٣-١٢٤. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ١٩٨. شراب، محمد حسن: المعالم الأثرية في السنة والسيرة، دار القلم، ط ١، دمشق-بيروت، ١٩٩٠م، ص ٢٧٩.

(٢) بطن مر: قرية عظيمة من نواحي مكة المكرمة، تبعد عنها ستة عشر ميلاً، عندها يجتمع وادي النخلتين فيصير وادياً واحداً، كثيرة الماء والزرع. الحميري: الروض المعطار، ص ٩٣. الحموي: البلدان، مج ١، ص ٤٤٩.

(٣) في الأصل: عنه عن.

(٤) عرفة: أو عرفات، هي المشعر الأقصى من مشاعر الحج على الطريق بين مكة والطائف شرق مكة، وهي فضاء واسع تحف به الجبال، فمن الشرق جبل ملح و من الشمال الشرقي جبل سعد، ومن الجنوب سلسلة جبلية سوداء أبرزها أم الرضوم، أما في الغرب والشمال الغربي فيمر وادي عرنة. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ٩٣٠. الحميري: الروض المعطار، ص ٤٠٩. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ١٠٤. شراب: المعالم الأثرية، ص ١٨٩.

(٥) وادي نخلة: موضع على بعد ليلة من مكة، على الطريق بين مكة والطائف. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٣، ص ١٣٦٤. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ٢٧٦. الحميري: الروض المعطار، ص ٥٧٦. شراب: المعالم الأثرية، ص ٢٨٧.

فقتل منهم جماعة وأخذ منهم مقدار خمسمائة /٤٣٨/ جمل، فركب السلطان بعسكره، وركبت الأمراء معه، وسار حتى طلع إلى ظهر الجبل، فترجل الأمير علاء الدين أيدغدي شقير، فقال: يا خوند أنا أروح وراءه، فأخذ معه مئة فارس وسار على مقدمتهم، وإلى جانبه أبو الغيث بعيان تلك الأرض، فساقوا ودخلوا إلى وادي نخلة في ساعة، وإذا بالمأخوذين ينادون بالويل والثبور، فصاح أيدغدي شقير وقال: إلى أين راح الذي أخذكم؟ فقالوا: ياخوند، ما راح إلى الآن، لأنه كان معنا جماعة من الروم والتركمان والعجم، فهربوا بجمالهم، وعبروا في شعب من شعاب الجبل، فإن لم تلحقهم [أخذهم]^(١) في هذه الساعة، فلما سمع بذلك أيدغدي ساق حتى أشرف عليهم، وإذا بالعرب قد ترجلت وتستروا بحدائج^(٢) الجمال، خوفاً من النشاب، وحدبوا^(٣) سيوفهم، وأصحاب الجمال قد أيقنوا بالأخذ، فأشرف عليهم أيدغدي.

ولما رآهم العرب ركبوا خيولهم، وكانوا مقدار خمسمائة فارس، وألف راجل، ومقدمهم رميثة أخو حميضة، وكان يزعم أنه يلاقي عسكر مصر بالذين معه، وكان أكثر من معه عبيداً قد تربوا عندهم، فلما رأوا الترك، تصارخوا وقالوا: دونكم وإياهم، فما هم بشيء وقد ساقهم الله إليكم، وهم يظنونكم عرب بلادهم، فحملوا عليهم، وفي أوائلهم رميثة /٤٣٩/ وعليه قرقل أصفر وبركستوان^(٤) أحمر وتحتة حصان أخضر، وكان أفرس أهل زمانه، فحمل هو، وهو يقول: يا طناجرة الترك، حل بكم الدمار، أهلكتم العباد وأفسدتم البلاد، فالיום نترككم حديثاً للناس.

فعند ذلك هجمت عليهم الترك، وعلى مقدمتهم أيدغدي شقير، وهو على حصان أشقر، وعليه زردية، ولم يقصد رميثة إلا أيدغدي، فحمل عليه، فلما حمل عليه أطلق أيدغدي نشابة في يده فتلقاها بترس^(٥) مكى في يده سبع طبقات من جلود الجمال، فأخرقت النشابة الترس ووصلت إلى رميثة فجرحتة، فوقع الرمح من يده، وعانق ظهر جواده، وطلب النجاة لنفسه، ثم رشت الترك السهام، فأعموا

(١) في الأصل: أخذوه. والتصحيح يتفق مع سياق الحديث.

(٢) حدائج: واحدها جدج وجداجة، وهي مركب من مراكب النساء كالهودج أو المحفة. ابن منظور: لسان، ج ٢، ص ٢٣٠.

(٣) حدب: حدب الشيء: جعله محدباً مقوّساً، عكسه قعّره. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٤٥٢.

(٤) بركستوان: غطاء الحصان المزركش. دهمان: معجم الألفاظ، ص ٣٣.

(٥) الترس: جمعه تروس، من السلاح المتوقى بها. ابن منظور: لسان، ج ٦، ص ٣٢.

بها الخيل وركابها، فولت العبيد وأدركتها الترك بالسهام، فعظمت فيهم المصيبة، وتفرق جمعهم وتبعتهم الترك، فأدرك الليل، ولولا ذلك لأخذوا كلهم، ثم رجع إيدغددي شقيراً مع أصحابه، وقد قتلوا منهم جماعة وأسروا خلقاً كثيراً، وإذا بالحجاج وقد جمعوا الجمال الشاردة.

وكان مع رميثة عرب، وهم ركاب هجن، فلما رأوا رميثة هارباً نزلوا من الهجن، وتعلقوا بالجبال، فأخذت الترك منهم سبعين هجيناً، وردوا كل ما كانوا أخذوه من الحجاج، وساروا يطلبون جبل عرفات، وما وصلوا إلى الجبل إلا في نصف الليل. / ٤٤٠ /

ثم اجتمعوا بالسلطان، وحدثه أيدغددي بجميع ما جرى، فسر السلطان بذلك.

ولما نزل السلطان على منى جاء إليه أستاذار حميضة ومعه ثلاثون فرساً جياداً من خيل الحجاز، ومائة هجين، وشيء كثير من القماش والثياب والعبيد، فقدمها إلى السلطان، وقال: أقل ممالك حميضة ورميثة يقبلان الأرض، ويسألان المراحم الشريفة، وأن لا يسمع مولانا السلطان فيهما كلام الحساد والأعداء الذين ينقلون الكذب لأجل أغراضهم ليتقربوا إلى المقام الشريف بالكلام المزور، فقال السلطان: الظاهر عنوان الباطن، ولو لم يكن الذي قيل عنهم صحيحاً لما هربوا مني، فقال: يا مولانا السلطان، ومن هو الذي ما يهرب من بين يدي الأسد؟ وما هربوا إلا خوفاً من السطوات الشريفة، ونسأل العفو من هذه الجرية.

وكان أيضاً قدم بتقادم إلى الأعيان الذين مع السلطان من الأمراء والخاصكية، فالكل ساعده على ما طلبه، وكان السلطان قد عين [أميراً]^(١) من أمراء مصر ومعه خمسمائة مملوك بأن يقيموا في مكة ومعهم أبو الغيث.

ثم قال له السلطان: أنا ما لي غرض في أخذ مكة ولا في أخذ المال، وأنا ما أطلب إلا أمن الحجاج والتجار والمتريدين إلى مكة، فقال أستاذاره: يا خوند، من عدم / ٤٤١ / له عقال^(٢) أعطيناه بغيراً، ومن راح له درهم أعطيناه ديناراً، والله على ما أقول وكيل، فعند ذلك تحدثت الأمراء أيضاً، ف رضي

(١) في الأصل: أمراء، والتصحيح يتفق مع السياق.

(٢) عقال: حبل يُربط فيه البعير ونحوه. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٢، ص ١٥٣١.

السلطان، وخلع على أستاذاره، وجهاز معه خلعاً لحميضة ورميثة، وسيوفاً وحوائص، وتقليد مكة ونواحيها ما داموا على الاستقامة.

ثم رحل السلطان طالباً الديار الشامية.

ذكر بقية الحوادث في هذه السنة

منها أن السلطان احتاط على دار شمس الدين قراسنقر المنصوري بالقاهرة، ووجد فيها على ما قيل: اثنان وثلاثون ألف دينار عيناً، ومائة ألف وخمسون ألف درهم، وسروج مذهبة، وغير ذلك، فحُملت إلى بيت المال.

ومنها أن في يوم الأربعاء مستهل ذي القعدة قدم الإمام تقي الدين بن تيمية^(١) إلى دمشق، وكانت غيبته عنها سبع سنين كوامل، ومعه أخوه وجماعة من أصحابه، وخرج كثير من الناس لتلقيه، وسُروا بقدمه وعافيته، وكان قد خرج مع السلطان من مصر بنية الغزاة، فلما تحقق عدم الغزاة فارق الجيش من غزة وزار البيت المقدس، وجاء على عجلون^(٢) وبلاد السواد^(٣) وزرع^(٤) حتى قدم يوم قدم^(٥).

ومنها أن خريندا لما رحل من الرحبة إلى بلاده بعساكره نزل على الموصل فجاءته نواب بلاده بالأموال والتقادم، فلم يستقر بل رحل طالباً تبريز، ولما استقر في تبريز / ٤٤٢ / سَيَّرَ رُسَلاً إلى بلاده، فطلب النواب والملوك الذين بها مع عساكرهم، فأتى الجميع إلى تبريز، واجتمع عليها خلق كثير، فبينما هم كذلك، إذا قد وصل رسول من عند ذلدي.

(١) ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني، الشيخ الإمام العالم، ولد بخران سنة ٦٦١هـ / ١٢٦٢م ثم تحول به والده إلى دمشق سنة ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م، درس الفقه وعمل بالإفتاء وكان عالم علماء عصره، توفي سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ١٤٥، والوافي، ج ٧، ص ١١. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ١٦٨. ابن تغري بردي: المنهل، ج ١، ص ٣٥٨. الزركلي: الأعلام، ج ١، ص ١٤٤.

(٢) عجلون: قلعة وحصن صغير منيع، على جبل عوف (قوم من بني عوف من جرم قضاة)، ومدينة هذه القلعة هي الباعونة على شوط فرس من القلعة. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٣، حاشية رقم ٢ ص ٢٦٨.

(٣) وهي سويداء حوران، تقدم تعريفها ص ١٦٢.

(٤) زرع: عمل بالزراعة. الباحث.

(٥) ورد ذلك عند ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٦.

قال الراوي: فأحضره خربندا، بعد أن حضر جميع الأمراء وقراسنقر والأفرم، وقال للرسول: قل لم جئت؟ فقال: يقول لك ذلدي إن ملك الترك قد سيره ومعه ثمانون ألف فارس، وهو يطلبك أن تروح إليه وإلا فهو يجيء إليك، قال: وأنت تعلم أننا إنما خلّينا لك هذه البلاد حتى تُسَيّر إلينا في كل عام الحمل، وقد انقطع الحمل من مدة ثلاث سنين، وقد علمت أننا لو أردنا أن نُصِفَّ من بلادنا إليكم عساکراً فارساً بعد فارس لقدرنا، ولكننا نقنع بالحمل، فلا يكون جوابك إلا إرسال حمل ثلاث سنين التي مضت، أو الحرب بيننا. فلما سمع خربندا بذلك، قال للرسول: اذهب الآن واسترح حتى يجيئك الجواب، فخرج من عنده.

ثم قال خربندا: ماذا يكون الجواب؟ فكل واحد منهم تكلم بشيء، ولم يكن جوابان حاضراً، فلما كان بعد ثلاثة أيام حضر جوابان، فقال له خربندا: نحن ننتظرك في الجواب، قال له جوابان: جوابه حاضر، فطلب الرسول وضريه بالدبوس إلى أن كاد أن يموت، فقال: أنا رسول وليس من عادة الملوك ضرب الرسول، /٤٤٣/ فقال جوابان: أنا ما ضربتك حتى تعلموا أن ما عندنا جواب غير الرمح والسيف، فقال الرسول: أنا ما جئت إليك، وإنما جئت لصاحب الكرسي. قال: فقال له خربندا: اسمع من كلامه ما قال لك.

فرجع الرسول إلى ذلدي وأخبره بما جرى عليه مع خربندا، فامتأ عليه غضباً، ثم أرسل إلى ملك الترك بأنه قد كسر عساكر خراسان، وقتل مقدميها، وأرسل إلى خربندا يطلب منه حمل البلاد، وأنه ضرب رسوله وردّه بما يكره، ونحن منتظرون الجواب، فرد إليه الجواب: بأنك حال وصول الرسول إليك تركب إليه بعسكرك، فإن رأيتم فيكم قلة فأعلمني أُسَيّر لكم عسكراً يسد الأرض، ولولا خوئي من العساكر لسَيّرت لك جيشاً يكون أوله عندكم وآخره في بلاد الترك.

فرجع الرسول إلى ذلدي، وكان نازلاً على خراسان، فلما سمع الرسالة قام وركب، وكان قد وصل إليه خبر دمندار بأنه قد وصل إلى الماء الأسود، وهو نازل على بكر وبكير^(١)، فلما ركب ذلدي، سَيّر دمندار يُعلم خربندا بركوبه.

(١) بكر وبكير: قلعتان على النهر الأسود. حسب مايلي.

قال: فجمع خربندا الأمراء وقال لهم: اعلموا أن ذلدى ركب، ونخاف على دمندار من مكيدة يعملها عليه ويهلك من معه من العساكر، وكان دمندار من أمراء خربندا، وكان قد جهزه إلى مازندران^(١) بعشرة آلاف فارس.

ولما جمع خربندا أمرائه، قال لهم: ماذا / ٤٤٤ / تريدون في أمر ذلدى؟ فقال جوبان: ما ينفع إلا أن نجرد العساكر ونسير إليه، وهذه أيام الشتاء، فإن كان هو طلبنا، قاتلناه، وإن تأخر، سيّرنا نواباً إلى خراسان، ونحن نُشتي في هذه السنة في مُوغان. فقال: فاستصوب الأمراء كلهم هذا الرأي، وسار خربندا يطلب خراسان، فإذا برسول من عند دمندار أعلمه بأن ذلدى نازل على الماء الأسود، واليزك منا ومنهم على [المشارع]^(٢)، وإن لم تلحقهم بالعساكر وإلا عبروا إلينا.

قال الراوي: فساق خربندا وهو مسرع من غير تمهل حتى وصل إلى الماء الأسود، فإذا بعسكر ذلدى وهم يريدون قطع الماء إلى الناحية الأخرى، ولهم يزك مقابل دمندار، وكان ذلدى قد سير رسولاً إلى بلاد كيلان^(٣) لما نزل على الماء الأسود، يقول لهم: قد علمنا ما جرى عليكم مع التتار أولاً، وكيف جاؤوا عليكم وقصدوا هلاككم، ونصركم الله تعالى عليهم، والآن نحن قد وصلنا إليهم، ونحن مسلمون وأنتم مسلمون، ونريد منكم أن تمكنونا من العبور في رأس الماء، لأن الماء الأسود من بلد كيلان ينزل من جبالها فيجتمع ويصير بحراً لا يقدر أحد أن يعبر فيه، ولا له مشرع، وإذا أراد أهل كيلان أن لا يمكنوا أحداً من العبور في رأس الماء يمنعونه، لأنه مكان وعر كثير الأشجار صعب المسلك.

فلما وصل رسول / ٤٤٥ / ذلدى إلى صاحب كيلان: جوان شير^(٤)، وسمع كلامه، أجابه:

(١) مازندران: اسم لولاية طبرستان، وهي بين الري وقومس وبحر الخزر. القزويني: آثار البلاد، ص ٤٠٣. العمري:

مسالك، ج ٥، ص ١٦٤. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٣، ص ١٢١٩. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ٤١.

(٢) في الأصل: كُتب حرف العين في الهامش. والمشارع: هي المواضع التي يُنحدر إلى الماء منها. ابن منظور: لسان، ج ٨، ص ١٧٥.

(٣) كيلان: اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان، وهي قرى كلها في مروج، بين جبال، وعلى ساحل بحر طبرستان.

ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ٣٦٨. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٢٠١.

(٤) بعد الرجوع إلى كتاب السلوك للمقريزي والنجوم والمنهل لابن تغري بردي والوائي؛ أعيان العصر للصفدي وغيرها، لم يتم الحصول على أية ترجمة له.

السمع والطاعة، وقال له: لكم منا كل ما تريدون فإن [جئتم]^(١) إلينا نزلنا معكم، وإن أردتم أن لا نمكن أحداً من العبور في رأس الماء من التتار فعلنا ذلك، فقال له: نعم، وفي الحال جهز جوان شير أربعة آلاف راجل إلى دريند الماء، فساروا إليه، وسَيَّرَ مع الرسول حاجبه، ومعه هدايا وتحف.

ولما وصل حاجب جوان شير إلى ذلدى، فرح به، وقال له: إن جوان شير يُقَبِّلُ الأيادي الكريمة ويهنئ مولانا بالنصر على الأعداء، ويقول لك: لا يهولك مكر التتار، فإنهم ما ملكوا البلاد إلا بالمكر والحيل، وإنهم لا يقاومونكم في الحرب أبداً، وإذا جد بينكم الحرب أرسلوا إلينا وعرفونا حتى ننزل إليكم ونشهد موقفكم.

وأما خربندا، فإنه لما وصل إلى الماء الأسود، كما ذكرنا، ونظر إلى ذلدى وأصحابه، جمع أصحابه وقال لهم: ماذا ترون لي مع هؤلاء؟ وهؤلاء عسكر عظيم مقدار عسكرنا مرات، فإن عبروا إلينا ما نعرف [كيف]^(٢) يكون الأمر بيننا وبينهم، وكان ذلك الوقت أول زمان الشتاء.

قال الراوي: فأقام خربندا هناك شهرين مقابل ذلدى، ولا يقدر أحدهما على الآخر لأجل عدم التمكن من العبور في الماء، فلما جمد الماء حتى صار يحمل مشي الخيل عليه، أرسل ذلدى إلى خربندا يقول له: /٤٤٦/ نحن نعبّر إليكم، أو نتأخر حتى تعبروا إلينا؟ فقال خربندا: نحن نتأخر واعبروا أنتم إلينا، فرجع رسول ذلدى إليه وأعلمه بذلك.

وكان ذلدى هذا معروف بالمكر والدهاء والحيل في أمور الحرب، فأحضر أميراً من أصحابه يقال له تكال بغا، يعلم أنه كفاء لما نُدب إليه، وقال له: خذ معك مئة ألف، واعبر من دريند كيلان من رأس الماء، ويكون اجتماعنا في يوم واحد، فقال له: سمعاً وطاعة، وقال لهم: لا ترحلوا إلا في الليل بحيث لا يعلم أحد إلى أين أنتم رائجون، فأَي من وجدتموه في الطريق فاقبضوا عليه، فرحل تكال بغا في تلك الليلة مع أصحابه وساروا.

(١) في الأصل: اجيتم. والتصحيح يتفق مع سياق الكلام.

(٢) إضافة لاكتمال المعنى.

وأما خربندا فإنه جمع الأمراء للمشاورة، وقال لهم: اعلّموا أننا اتفقنا مع العدو بأنه يعبر إلينا، وقد تعين الحرب، فأشيروا، فالرأي مشترك، فقال جوبان: الرأي عندي أن ليلة الميعاد نؤخر منا عشرين ألفاً يكمنون بين هذه الروابي والشعاب ليلة المصاف، فإذا [اشتدت] ^(١) الحرب، وعظم الخطب، ننهزم بين أيديهم إلى وسط الكمين، فنخرج عليهم فنكسرهم، فقال له خربندا: لقد أصبت في هذا الرأي، ولكن نخاف أن يولي العسكر فلا نقدر على جمعه، فقال جوبان: هاهنا رأي آخر، وهو أننا نخلي كشافة عليهم، فإذا شرعوا في العبور على [الماء] ^(٢) نترصدهم كشافتنا، فإذا عبر نصف ٤٤٧/ عسكرهم يعلموننا بهم، فنعاجلهم فنأخذهم إن شاء الله تعالى، فقال خربندا: نخاف من عاقبة البغي، فقال قراستقر: من شفق على عدوه بلي به، فأخر الأمر اتفقوا على هذا الرأي.

ولما كان ثاني يوم رحل خربندا وتأخر إلى الوراء، وركب ذلدى وقال لقومه: إن خربندا يريد أن يخادعنا فيترصد عبورنا في الماء، حتى إذا عدا نصفنا [يعاجلنا] ^(٣)، فالرأي عندي أن تعبروا كردوساً ^(٤) كردوساً ملبسين، متأهبين للحرب، ولا يعبر ناس بعد ناس، لأن الماء قد جمد فيحمل الخيل والجمال، وها أنا أول من يعبر، وكان هو أول من عبر ومعه عشرة آلاف ملبس، وكشافة خربندا وقوف، وكان قد صح عندهم أن مع ذلدى مئتا ألف فارس، فقالوا: إذا رأينا وقد عبر مقدار مئة ألف فارس، أعلمنا خربندا بذلك، وشرعت عسكر ذلدى تعبر أولاً فأولاً، وما انتصف النهار إلا وقد عبر أكثر من مئة ألف ^(٥) فارس، وذهبت كشافة خربندا فأعلموه بذلك، وكان خربندا وعسكره على ظهور خيولهم واقفين غارقين في السلاح، فساق خربندا حاطماً ^(٦) على ذلدى، فلما رأى ذلدى ذلك صاح في رجاله وأبطاله.

(١) في الأصل: اشتد.

(٢) إضافة لاكتمال سياق الكلام.

(٣) في الأصل: يعاجلنا.

(٤) كردوس: مفرد كراديس، وهي: جحفل أو فوج أو فيلق أو كتيبة من الجيش. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٩، ص ٥٩.

(٥) إضافة مما سبق.

(٦) حاطم: حطّم يحطّم، حطّماً، فهو حاطم، حطّم الشيء: كسّره، هشّمه، حطّم اللّصوص الباب: اقتحموه. والمراد في النص الاقتحام. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٥١٨.

ولما رأى قراستقر ذلك، قال للأفرم وهو إلى جانبه: كم هربنا من الموت وما قدرنا، وهذا آخر أيماننا من الدنيا، فياليتني ما خرجت من [البلاد]^(١) الإسلامية المحمدية، ثم قال /٤٤٨/ للأفرم: اجمع بالك ولا تفارقني، وقد [قامت]^(٢) الحرب، ولما رأهم ذلدى وهم في لبسهم، ولم يغيروا ذلك، قال لأصحابه: إن صدق حزري فهؤلاء الأمراء الذين هربوا من السلطان الملك الناصر، وجاءوا عند خريندا فاحذروهم، فإنهم رجال في الحرب.

وفي ذلك الوقت حملت الخيل على الخيل، وقد ذكرنا أن خريندا جعل كميناً، وكان رأس الكمين هو جوبان ومعه عشرون ألف فارس، وحمل خريندا بباقي عسكره، فبينما هم في شدة الحرب إذ ولى خريندا مع التتار يطلبون موضع الكمين، فلما رأى ذلك ذلدى تبعهم، فخرج جوبان بمن معه، فلما رأى عسكر ذلدى خروج الكمين من خلفهم وأن العساكر المنهزمة ردت، قال ذلدى: والله، سبقونا إلى ما دبرناه، فولت عساكره وأخذوا الطريق الذي خرجوا منها، وجاء خريندا من قدامهم بمن معه من العسكر، فالتجأوا إلى جبل هناك ومانعوا عن أنفسهم، وكان قريب المساء، فدارت عساكر خريندا بهم من كل جانب وأيقن ذلدى وأصحابه بالهلاك، فقال له أمراؤه: والله، أسأت حيث [فرقت]^(٣) عسكرك فرقتين، وما نعلم ما الذي جرى لتكال بغا، واليوم ميعاده معنا، فقال ذلدى: الذي قدره الله كان، وما بقي هذا الكلام يخلصكم ولا يخلص إلا ضرب الحسام /٤٤٩/ وتجريع الموت، فقاتلوا عن أنفسكم قتال من أيس من الحياة وأيقن بالوفاة، ولو كان القوم يبارزوننا فارس بعد فارس لخرجت إليهم، وبذلت نفسي دونكم وفي غد ترون ما أصنع، وبات تلك الليلة يشجعهم ويطمعهم بزخرف الأقاويل، هذا وخريندا في الفرح والسرور وأنه في يقين من انتصاره عليهم، وقد عول أن يأخذهم وقت الصباح.

ولما أصبح الصباح قامت الحرب، وأمر خريندا لعساكره بأن تترجل، فترجلوا على الأرض، ولما نظر ذلدى وأصحابه إلى ذلك عزموا على أن يسلموا لهم أرواحهم ويطلبوا الأمان، فبينما هم على ذلك فإذا بغبار قد ثار حتى ملأ الأقطار من ناحية بلاد التتار، ولم يسمعوا من تحت الغبار إلا دق الطبول وصياح الفرسان، فصرخ ذلدى في أصحابه وقال لهم: هذا توكال وقد أقبل إليكم فخذوا لأرواحكم

(١) في الأصل: بلاد.

(٢) في الأصل: قام.

(٣) مكتوبة بhamش الأصل، وأشار الناسخ إلى موضعها بالمتن.

وشجعوا أنفسهم، فالشجاعة هي صبر ساعة، فلما سمعوا ذلك قووا قلوبهم وركبوا خيولهم، واتخذوا من رأس الجبل.

وأما خربندا، فإنه لما نظر إلى عسكر وقد أقبلت، قال لأصحابه: إيش هذا الغبار؟ فقال له جوبان: هذا غبار كمين ذلدى، فوالله، لقد رابني قلة عسكرهم، وإذا بالغبار قد ارتفع عن تكال بغا ومعه مئة ألف فارس، فصرخ في فرسانه فحملوا، ونزل ذلدى من الجبل وحمل من / ٤٥٠ / ناحية أخرى.

ولقد قاتل في ذلك اليوم قراسنقر والأفرم وجوبان [قتالاً]^(١) ما [رأى]^(٢) الراؤون بمثله، فكثر بين الفريقين القتل والجرح، وامتألت المعركة من القتلى، فعند ذلك ذلت طائفة التتار وطلبوا النجاة لأنفسهم، وذلدى تبعهم بمن معه ثلاثة أيام.

هذا والأفرم وقراسنقر والزرديكاش ومماليكهم حول خربندا، فقال خربندا: والله، إن كان عسكر الشام مثل هؤلاء فما على وجه الأرض أفرس^(٣) منهم.

وأما خربندا، فإنه تأخر إلى وراءه قليلاً قليلاً، وسار حتى وصل إلى تبريز [وتفقد]^(٤) عسكره، فوجد قد عدم منهم نحو خمسين ألفاً، فاغتم غماً شديداً، وقال له جوبان: لا تضيق صدرك، فالدنيا هكذا، فيوم لنا ويوم علينا، ولكن عن قريب يبقى عسكرك أحسن مما كان وأكثر إن سمعت مني، فقال له: وما أصنع؟ فقال: اخرج الأموال القديمة التي من عهد الآباء والأجداد، وأنفق في العسكر، واستخدم الرجال، فقال له: نعم الرأي.

(١) إضافة لاكتمال السياق.

(٢) في الأصل: رأيت.

(٣) أفرس: يُقال هو أفرس بالأمور أي أبصر وأعرف، والفارس هو الماهر في ركوب الخيل. مجمع اللغة: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٦٨١.

(٤) في الأصل: وافتقد.

ففي الحال أرسل البريدية، ونادى في البلاد بالنفقة في الجند، وأرسل إلى بحيرة المجمع^(١) وجاب منها الأموال على ظهور الجمال، واجتمع عليه الجند من جميع البلاد ونفق عليهم، فما مضى عليه ستة أشهر حتى بقي عسكره مئتي ألف مقاتل.

وأما ذلدى فإنه عول على الرحيل خلفهم، ونزل على بكر وبكير، وهما ٤٥١/ قلعان على النهر الأسود، فنزل إليه صاحب القلعتين وقدم له تقادم واستعرض حوائجه، فقال له: يا ملك، أنا وبلادي وأولادي كلهم ممالك الملك الكبير، ففرح ذلدى بذلك وشكره على فعله، ثم رحل طالباً لبلاده.

وأما خربندا فإنه أقام أياماً في هم وحزن بسبب إنكساره ورواح رجاله وأمواله، فدخلت عليه المغل وطيخوا قلبه، وقالوا: أيها الملك، بلادك متسعة، ورجالك كثيرة، وأموالك غزيرة، فلا تحمل الهم، فقال: ما همي إلا صاحب مصر يسمع بهذه الكسرة فيطمع فيّ، ويشمت بي، فقال له قراسنقر والأمراء: صاحب مصر يرضى بالمساكنة، فعند ذلك فرح بعض الفرخ، وخلع على قراسنقر، وأعطى الأفرم همدان وجهزه بأحسن جهاز، وشكر صنيعهم.

قال الراوي: فباسوا كلهم الأرض، ورحل كل أمير إلى محل ولايته.

ومن الحوادث في هذه السنة:

أن عمارة الجامع الجديد للناصر بمصر بشاطئ النيل انتهت في هذه السنة،^(٢) وكان الناصر قد شرع فيها في أوائل سنة عشر وسبعمئة^(٣) كما ذكرنا.^(٤)

ومنها أن الوزير أمين الملك تكلم بعد سفر السلطان في الأموال، وطلب أرباب الولايات، وأمر بالاستخراج والعقوبة، ومن صُودر: القاضي محي الدين بن فضل الله،^(٥) أخذ منه جملة من المال،

(١) بالعودة إلى كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، وكتاب مراصد الاطلاع لابن عبد الحق، والروض المعطار للحميري، لم يتم الحصول على أية معلومات عن هذا المكان.

(٢) في صفر من هذه السنة. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٥.

(٣) يوافق أولها السبت ١٢ حزيران (يونيو) ١٣١٠ م. باشا: التوقيعات الإلهامية، مج ١، ص ٧٤٣.

(٤) في بعض شهور سنة احدى عشر وسبع مئة. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٩٥-١٩٦.

(٥) محي الدين: يحيى بن فضل الله بن المجلي بن دعجان، القاضي محي الدين أبو المعالي القرشي العدوي العمري، =

وفيها بلغ النيل [الماء القديم ثلاث أذرع وأصابع، مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً واثنان وعشرين إصباعاً]^(١)

وفيها حج بالناس بالركب المصري الأمير مظفر [الدين]^(٢) قيدان الرومي،^(٣) وبالركب الشامي حسام الدين لاجين الصغير^(٤) الذي كان والي البر.

ذِكْر مَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنْ الْأَعْيَانِ:

● قاضي القضاة شمس الدين أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن حازم الأذرع الحنفي،^(٥) كان بارعاً فاضلاً، دَرَسَ وأَفَتَى، وكان من أعيان مذهبه، يعرف الفقه والأصول والنحو، ودرّس مدة بالشبلية التي على جسر ثورا^(٦) بدمشق، وتولى القضاء بدمشق سنة كاملة، ثم عُزل وسافر منها إلى الديار المصرية فدخلها متمرضاً، ونزل بخانقاه سعيد السعداء فأقام بها خمسة أيام، ومات في سلخ رجب^(٧)، وكان

= كاتب السر بدمشق وبمصر، توفي سنة ١٣٣٧هـ/١٣٣٧م. الصفدي: أعيان، ج ٥، ٥٧١-٥٧٦. ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ١٩٢-١٩٤.

(١) في الأصل: بياض حوالي سطر. والإضافة من: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٤.

(٢) إضافة من: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٢.

(٣) كذلك عند المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٢. ولم يتم التوصل إلى التعريف بالشخصية بالرجوع إلى المصادر المختصة المتوافرة.

(٤) لاجين الصغير: الأمير حسام الدين لاجين المنصوري، المعروف بالصغير، كان أحد أمراء الطبلخانة بدمشق، ولي البر بدمشق سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م، كما ولي نيابة غزة ثم البيرة، وتوفي سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ١٧٩. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٣١٦. المقرئ: السلوك، ج ٣، ص ١٢٤.

(٥) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٢٢١-٢٢٢. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٧٧. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ١. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٣. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٨. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٤. ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٥٢، ودرّة، ج ١، ورقة: ١٩٤.

(٦) جسر ثورا: يعني جسر نهر ثورا أحد أفرعة نهر بردى الشهير بدمشق، وكان شرق دمشق على طريق دوما بالقرب من المدرسة الشبلية البرانية. ابن العماد: شذرات الذهب، مج ٨، ص ٢٢٢، حاشية رقم ٢. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٨٦. الشهابي: معجم، ج ١، ص ١٤١.

(٧) توفي يوم الأربعاء ثاني عشرين رجب. عند ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٨. مات في خامس شهر رجب. عند ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ١، و الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٢٢١-٢٢٢، والبرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٧٧.

مولده بأذرعَات^(١) سنة أربعين وستمائة^(٢)، وكان متواضعاً ساكناً، كريم الأخلاق، رحمه الله.

● القاضي تاج الدين عبد الرحيم بن تقي الدين عبد الوهاب بن الفضل بن يحيى بن السنهوري^(٣)، كان ناظر النظار بالديار المصرية، أقام في نظر الدواوين نحواً من ثلاثين سنة^(٤) وعُرضت عليه الوزارة مراراً، فلم يقبل، قيل إنه لم يكن أحد يعرف أموال الديار المصرية مثله، مات في سابع عشر^(٥) ربيع الآخر بمصر معزولاً، وعمره نحو مئة سنة وتسع سنين، وكان كثير الصيام والذكر ٤٥٣/ والتلاوة.

● القاضي شهاب الدين غازي بن شهاب الدين أحمد بن الواسطي^(٦)، ناظر حلب، وولي نظر الدواوين بمصر مدة، ونظر الصحبة^(٧)، ونظر دمشق، وغير ذلك، وكتب بديوان الإنشاء مدة، توفي في الثامن عشر من ربيع الآخر^(٨) منها.

● القاضي تاج الدين أحمد بن القاضي عماد الدين محمد بن شمس الدين محمد بن هبة الله ابن الشيرازي الدمشقي^(٩)، مات ببستانه بالمزة^(١٠)، ودُفن بسفح قاسيون بتربة والده، وكان من أعيان

(١) أذرعَات: بلد في أطراف الشام، يجاور أرض البلقاء وعمّان، وهي اليوم مدينة (درعا) في الجمهورية العربية السورية. البكري: معجم، ج ١، ص ١٣١. ابن عبد الحق: مرصّد، مج ١، ص ٤٧. الحميري: الروض المعطار، ص ١٩. الحموي: البلدان، مج ١، ص ١٣٠-١٣١. شراب: المعالم الأثيرة، ص ٢٥. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، مج ٣، ص ٣٢٨.

(٢) يوافق أولها الإثنين ١٣ تموز (يوليو) ١٢٤٢م. باشا: التوقيعات الإلهامية، مج ١، ص ٦٧٣. "أربع وأربعين وستمائة" عند البرزالي.

(٣) ترجم له: المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٤. البرزالي: المقتفي، ج ٢/ق ٢، ص ٦٧. ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ١٥٢، وعنده السمنودي. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٣.

(٤) ستين سنة. عند المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٤. ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ١٥٢.

(٥) يوم الثلاثاء سابع شهر ربيع الآخر. عند ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ١٥٢. ثامن عشر. عند البرزالي.

(٦) ترجم له: النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٣. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٤. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٢١-٢٢. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٢٥١.

(٧) نظر الصحبة: وموضوعها أن صاحبها يتحدث مع الوزير في كل ما يتحدّث ويشاركه في الكتابة في كل ما يكتب فيه ويوقع في كل ما يكتب فيه الوزير. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١١، ص ٣٢٤.

(٨) توفي في ثامن عشر ربيع الآخر. عند الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٢١-٢٢.

(٩) ترجم له: النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٣. البرزالي: المقتفي، ج ٢/ق ٢، ص ٧٥.

(١٠) المزة: قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق، بينها وبين دمشق نصف فرسخ من جهة الغرب، من جميع جهاتها أشجار ومياه وخضر، وهي من أعظم قرى دمشق ومن أنزه أرض الله وأحسنها، وبها جامع كبير عجيب وسقاية معينة. وتعرف بمزة كلب نسبة إلى قبيلة كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة، وكانت إقطاعاً لهم، ويقال أن فيها قبر دحية الكلبي صاحب رسول الله ﷺ. وهي اليوم من الضواحي الراقية في دمشق. ابن بطوطة: الرحلة، ج ١، ص ٣٣٠. القزويني: آثار البلاد، ص ٢٦٣. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ١٢٢.

الدماشقة، ولي وكالة بيت المال والحسبة ونظر الدواوين، وتنقل في المناصب، ولما مات لم يكن في يده منصب، ومولده سنة ست وخمسين وستمائة^(١) ومات في رابع رجب^(٢)، وهو والد القاضي عماد الدين^(٣).

● القاضي نور الدين أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الرحيم بن عز الدين عبد الله بن رواحة الحموي الأنصاري^(٤) وكان رأس الدرج^(٥) بطرابلس، مات بحمة معزولاً في السادس عشر^(٦) من شعبان، وكان ديناً فاضلاً، وله شعر فمنه ما ذكره الشيخ علم الدين البرزالي^(٧)، قال: أنشدني نور الدين بن رواحة لنفسه قوله:

ألا يا رسول الله دعوة مخلصٍ	يُرَجِّيك في بُعدِ المزارِ وقربه
وسائلة سارت لأكرم مُرسِلٍ / ٤٥٤	مَتى يدعُهُ للجودِ داع يُلبه
وقد كان من أنصارِ جندك جندُه	فكن أنت من أنصارِه عندَ ربه
وسله له جدوى بإغناء فقره	وكتبِ أَعاديهِ وغفرانِ ذنبه ^(٨)

(١) يوافق أولها الإثنين ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٢٥٨ م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٨٩.

(٢) رابع عشر رجب. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٣.

(٣) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن هبة الله، القاضي عماد الدين، توفي سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م. الصفدي:

أعيان، ج ٤، ص ٢٥٦. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ٩٩.

(٤) ترجم له: الصفدي: الوافي، ج ٧، ص ٣٧ وفيه: أحمد بن عبد الرحمن. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٤.

البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٨٠.

(٥) رأس الدرج: أو كاتب الدرج، وهي وظيفة من وظائف أرباب الأقلام في دولة المماليك، يعني صاحبها بكتابة

المكاتبات والولايات وغيرها (صاحب ديوان الإنشاء). القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٣٧.

(٦) "في السادس والعشرين من شعبان" عند البرزالي.

(٧) البرزالي: علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي، الشيخ الإمام المؤرخ، أصله من إشبيلية وولد بدمشق، توفي

بالبحر سنة ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م. الكتي: الوفيات، ج ٣، ص ١٦٩. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٤٩-٥٤. ابن حجر:

الدرر، ج ٤، ص ٢٧٧-٢٧٩. الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ١٨٢.

(٨) البحر الطويل.

- شرف الدين محمد بن موسى بن محمد بن خليل المقدسي،^(١) الكاتب المنشئ، مات في خامس عشر شعبان^(٢) بالقاهرة، وكان فاضلاً، حسن النظم والنثر، إلا أنه كان كثير الهجاء، وكان معروفاً بكاتب أمير سلاح، وعنده حكمة وفلسفة، ومن شعره:

اليوم يوم سرور لا سرور به
ما أنصف الناس^(٤) من أبدى القطوب^(٥) بها^(٦)
فَزَوَّجَ ابن سحاب^(٣) بانبئة العنب
وثغرها باسم عن لؤلؤ الحب^(٧)

وله:

صَرَّفَ بصرف الحميا ما حَمَى طرباً
دنياك معشوقة والراح ريقتهما
فلان فيه^(٨) لسم الهم درياقا^(٩)
فارشف مراشفها إن كنت عشاقا^(١٠)

وله:

نقص الفتى يُبديه فضله قرينه
فالبدر صار لبعده عن شمسه
فاهجر كبيرك إن أردت كمالا / ٤٥٥
بدارا وكان مع الدنو هالالا^(١١)

(١) ترجم له: المقريزي: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٤. البرزالي: المقتفي، ج ٢/ق ٢، ص ٨١. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٤. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٣. الصفدي: الوافي، ج ٥، ص ٦٣-٦٤، وأعيان، ج ٥، ص ٢٨٤-٢٨٥. الكتي: الوفيات، ج ٤، ص ٤٢-٤٣. ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ٢٣-٢٤.

(٢) الإثنين الخامس والعشرين من شعبان. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٤.

(٣) ابن سماء. عند الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٢٨٥.

(٤) الكأس. عند الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٢٨٥، والوافي، ج ٥، ص ٦٤. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٣.

(٥) القطوب: القابض ما بين عينيه أي العابس. ابن منظور: لسان، ج ١، ص ٦٨١.

(٦) لها. عند الصفدي: الوافي، ج ٥، ص ٦٤. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٣.

(٧) البحر البسيط.

(٨) فيها. عند الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٢٨٥.

(٩) درياق: ويُقالُ ترياق: ما يُستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين. ابن منظور: لسان، ج ١٠، ص ٣٢. وفي

الأصل: دزياقا، والتصحيح من: أعيان، ج ٥، ص ٢٨٥.

(١٠) البحر البسيط.

(١١) البحر الكامل.

وقال الشيخ بدر الدين بن المحدث: ^(١) رأى شرف الدين المذكور عندي صبيّاً حسناً يكتب، فأخذ لوحه وكتب فيه، وكان اسمه سالماً:

وأهيفَ تهفو نحوَ بانهَ قَدِّه
عجبتُ له إذ دامَ توريدُ خَدِّه
وأعجبُ من ذا أن حيّةَ شَعْرِه
وله:

عانقتهُ ولثمتهُ وجنتهُ التي
فبكى وبَلَّ الدمعُ خديهِ كما
ختمتُ بعنبرِ خالِهِ الفَيّاح
ضحكُ الحبابِ على احمرارِ الراح ^(٢)

وله القصيدة البديعة التي أولها:

ما ملتُ عنكَ لجفوةٍ ومالٍ
كلا ^(٣) ولا خطرَ السلوِ يبالي

- الشيخ عمر بن الشيخ أبي عبد الله بن النعمان، ^(٤) توفي بمصر في أواخر ٤٥٦ / شهر رمضان ^(٥).
- العدل الفاضل شهاب الدين أحمد بن سليمان بن مروان بن علي بن سحاب البعلبكي، ^(٦) مات بداره بدمشق ^(٧) ودفن بسفح قاسيون، وكان تاجراً بالخواصين ^(٨)، ثم ترك ذلك وشهد عند

^(١) ابن المحدث: الشيخ الإمام بدر الدين الحسن بن علي بن عدنان بن شجاع الحراني، المعروف بابن المحدث، توفي سنة ٧٣٤هـ / ١٣٣٤م. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٢١٠-٢١١. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ١٢٩-١٣٠.

^(٢) إضافة من: الوافي، ج ٥، ص ٦٥، وأعيان، ج ٥، ص ٢٨٧.

^(٣) البحر الطويل.

^(٤) البحر الكامل.

^(٥) يوماً. عند الصفدي: الوافي، ج ٥، ص ٦٦، وأعيان، ج ٥، ص ٢٨٨.

^(٦) ترجم له: المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٤.

^(٧) الخامس والعشرين من رمضان. عند المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٤.

^(٨) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٢٢٢. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ١٦١. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٦٤.

^(٩) في سادس ربيع الآخر. عند الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٢٢٢. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٨١.

^(١٠) الخواصين: مفردا خواص، أطلقت هذه الكلمة منذ العصر الإسلامي على الصانع الذي يزين الأشياء بصفائح الذهب، وكذلك على من يعمل بالخواص (سعف النخيل) فيصنع قفصاً أو حصيرة. دهمان: معجم الألفاظ، ص ٧٠. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ١٦٩.

[الحكام] ^(١) واستقر في شهادة القيمة ^(٢)، وكان له اشتغال بالعربية والأدب، ونظم الشعر، فمن نظمه

قوله:

وراقب الله في ذا المنظر السبهج
كم مغرم بك يا روح الحياة شج
تثني سجايك دعوى البارد الحجج
متيم بك عدل العاذل السمج ^(٣)
وما بطرفك من سحر ومن دعج ^(٤)
أرخ قليلاً سرايا طرفك الغنج
ومن سلب من الأشواق في الجحج / ٤٥٧/
ولا يبيت على وعد ولا فرج
قال الهوى بلسان الحال: لا تلج ^(٥)

صن ذا الجمال الذي استولى على المهج
فما القلوب جماد عند رؤيته
عد الجميل وخف يوم المعاد ولا
ولا يصدك عن إسعاف ذي كمد
بما بقدرك من لين ومن هيف
لا تتعب الطرف في نهب الورى عبثاً
فكم أسير غرام في قيود هوى
يساير النجم لا ترقى مدامعه
وإن جرى العذل في مجرى مدامعه

وقال:

ومنتهى أربي إن صدوا وإن وصلوا
جاروا علي بوصل أم هم بخلوا
أمسى وليس له في غيركم أمل
ولا يُقاس به في عزه رجل
منها حديثي الذي نيطت به القبل
والوصل متصل والهجر منفصل
وفي الحشا لهُبُ الأشواق يشعل
وضاق منه علي السهل والجبل
عيشي وترجع لي أيامي الأول
قد كان يحسدنا قول ولا عمل
بغير وجه ويعلو وجهه الخجل

هم الأبهة إن جاروا وإن عدلوا
ما لي اعتراض عليهم في تصرفهم
أحببنا كيف حللتهم قطيعة من
لا يحمل الضيم إلا في محبتكم
ولي رسائل في ظن القبول خذوا
إذا تذكرت إياي بقريركم
وخدد الدمع خدي من تدفقه
والآن قد حيل ما بيني وبينكم / ٤٥٨/
تري أرى صافياً ما قد تكدر من
ويصبح الشمل ملتماً وليس لمن
والحب ييدي اعتذاراً من جنائته

(١) في الأصل: الجرام، والتصحيح من مصادر ترجمته.

(٢) شهادة القيمة: من الوظائف الدينية، أصحابها ذوي خبرة ودراية في تقدير قيمة الأشياء وبخاصة أسعار العقارات والعمائر والآحارات، ويتولون التوقيع إلى جانب القاضي كشهود على عقود البيع والشراء. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١١، ص ٩٤-٩٧. النويري: نهاية الأرب، ج ٩، ص ٩٨.

(٣) السمج: الذي لا ملاحه له (القبیح). الزبيدي: تاج، ج ٦، ص ٤٤.

(٤) دعج: الدعج: شدة سواد سواد العين، وشدة بياض بياضها. ابن منظور: لسان، ج ٢، ص ٢٧١.

(٥) البحر البسيط.

وكلُّ ساع سعى فينا يقول لنا:

لا ناقة لي في هذا ولا جمل^(١)

وله:

إلى سحر عينيكَ العيونُ تهاجرُ
بكل فؤادي للعيونِ وساوسُ
بآياتِ هذا الحسنِ ما زلتُ مؤمناً
وحزني طويلٌ مثلَ حسنكِ كاملٍ
وربُّ اشتياقي أهلُ بكِ عامرُ
لساني وطرفي منك يا غايةً المني
فهذا لمعنى حُسنُ وجهكِ ناظمُ
وإني لشاكٍ للمشيبِ وواحدٌ عليه
ليالي فيه الغانياتِ نواظرٌ إليَّ
ويجمعنا روضُ بنعمانٍ زاهرٍ
يطوفُ علينا بالحميا جاء در
ولا كاشحٌ يخشى ولا عيبٌ عائبُ

وقد فَبَّيتْ أبصارنا والبصائرُ
نواهُ بتحكيمِ الغرامِ أوامرُ
وإني بما يُوحى من العذلِ كافرُ
ودمعي سريعٌ مثلُ هجرِكِ وافرُ
ومعنى اصطباري دارسُ الرسمِ دائرُ / ٤٥٩/
وفي كلفِ عندي خطيبٌ وشاعرُ
وهذا لدمعي من تجنيكِ نائرُ
وداعٍ للشبابِ وشـاكرُ
وغصنُ اللهو فينانِ ناظرُ
تجاوبُ عيدانِ بهِ ومزاهرُ
وليسَ لنا عن مذهبِ الغي زاجرُ
وعادَ لنا من سائرِ الناسِ عادرُ^(٢)

- الشيخ الصالح نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن هارون بن محمد بن هارون بن علي بن حميد الثعلبي الدمشقي،^(٣) قارئ الحديث، مات في ربيع الآخر^(٤) بالقاهرة، ودفن خارج باب النصر، ومولده سنة ست وعشرين وستمائة،^(٥) وكان مُسنِّد^(٦) القاهرة في وقته، وخرَّج له قاضي القضاة تقي

(١) البحر البسيط.

(٢) البحر الطويل.

(٣) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ٥١٦-٥١٧ والوافي، ج ٢٢، ص ٩٦. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٧٠. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ١٤٤-١٤٥. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٣. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٧. ابن إياس: بدائع، ج ١، ق ١، ص ٤٤٢.

(٤) الثلاثاء تاسع عشر ربيع الآخر. عند ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٧. سابع عشر ربيع الآخر. عند الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ٥١٧. بكرة الثلاثاء سابع وعشرين ربيع الآخر. عند البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٧٠.

(٥) يوافق أولها الأربعاء ١٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٢٢٨ م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٥٩.

(٦) مُسنِّد: تُطلق على الذي يقوم بإسناد الحديث النبوي الشريف عبر الرواة، ويقال: حديثٌ مُسنِّدٌ، وحديثٌ قَوِيٌّ السَّنَدُ، أسند الحديث إلى قائله: رفعه، نسبه إليه "حديثٌ مُسنِّدٌ إلى أحد الصحابة". عبد الحميد عمر: معجم ج ٢، ص ١١١٧. الزبيدي: تاج، ج ٨، ص ٢١٦.

الدين^(١) السبكي مشيخة، وكان / ٤٦٠ / رجلاً صالحاً مشهوراً بقراءة الحديث، معروفاً بالخير، وهو والد زين الدين عبد الرحمن المعروف بابن القارئ^(٢).

● الفقيه العدل علاء الدين علي بن عماد الدين إبراهيم بن عبد المحسن بن عبد الصمد بن قرناص،^(٣) الخزاعي الحموي، مات بظاهر دمشق^(٤) ودفن بمقابر الصوفية، ومولده في أواخر سنة أربع وخمسين وستمائة،^(٥) وكان فاضلاً، اشتغل وحصل، وسافر إلى الحجاز واليمن وديار مصر، وله نظم كثير، فمنه قوله:^(٦)

إليك اشتياقي لا إلى الربع والمغنى	وأنت لقلبي ^(٧) عندما نطق المعنى
فيا غائباً عني وفي القلب حاضر	فلله ما أقصاك ^(٨) عني وما أدنى
أذبت فؤادي بالقطيعة والجفا	وأنعمت عيشي بالتواصل والحسنى
أحبابنا منوا عليّ بعودة؟ ^(٩)	فقد سلمت أرواحنا بالجفا منا
وحقكم لم أبغ ^(١٠) عنكم تسلياً	وإن كان ما قد قيل حقاً فلا كُنَّا

(١) تقي الدين السبكي: قاضي القضاة تقي الدين علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي، توفي سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م. الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ٤١٦-٤١٧ والوافي، ج ٢١، ص ١٦٥-١٦٦. ابن حجر: الدرر: ج ٤، ص ٧٤.

(٢) هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن هارون، زين الدين، توفي سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م. ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ١٢٧.

(٣) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ٢٤٩. ابن حجر: الدرر: ج ٤، ص ٦. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٧١. ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٥١.

(٤) ثالث عشر جمادى الأولى. عند الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ٢٤٩. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٧١.

(٥) يوافق أولها السبت ١١ شباط (فبراير) ١٢٥٦م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٨٧.

(٦) من البحر الطويل.

(٧) للفظي. عند ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٥٢.

(٨) ما أناك. عند ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٥٢.

(٩) أحبابنا منوا بعودة آيب. عند ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٥٢.

(١٠) نبغ. عند ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٥٢.

● الشيخ المسند نور الدين علي بن نصر الله بن عمر بن عبد الواحد / ٤٦١ / القرشي، المعروف بابن الصواف،^(١) مات^(٢) بسوق الغنم ظاهر القاهرة، روى عن ابن باقا^(٣)، وسمع جعفر الهمداني^(٤) وابن الصابوني وجماعة كثيرة، ومولده سنة عشرين وستمائة^(٥) تقريباً، تفرد بالرواية وقصده الطلبة وأخذوا عنه، رحمه الله.

● الشيخ الفاضل الصدر الرئيس سراج الدين عبد اللطيف بن رشيد بن محمد التكريتي،^(٦) التاجر الكارمي، مولده في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وستمائة بتكريت، ودخل اليمن والهند، وقدم الإسكندرية واستوطنها، وبنى بها مدرسة للفقهاء الشافعية، وكان له عند السلطان الملك المنصور قلاوون مكانة عظيمة، وكان يقول: ما لأحد عليّ فضل وأنا أمير مثل سراج الدين التكريتي، عُرض عليه أشياء كثيرة من الولايات فلم يقبل، ولسراج الدين قصائد رائقة في النبي صلى الله عليه وسلم، منها قوله:

ما شافهُ البانُ ولا يشوُّهُ
جرى إلى المغنى القديم فأنثى
يهوى بأكناف الحمى مُجَبّاً
مذْ لمعتْ ببارق بروقه
وشوُّهُ نحو الحمى يسوقه
حكاؤه من غصن النقا وريقه^(٧) / ٤٦٢ /

وهي قصيدة طويلة، وله أيضاً قوله:

يا دارَ عزهِ من للوالهِ الباكي
أضحى الخزامُ وبيتُ الشيخ منذُ سرى
بنظرةٍ يتملى من مُحياكي
بهِ النسيمُ عبيراً حينَ وافيكَ

(١) ترجم له: الصفدي: الوافي، ج ٢٢، ص ١٧٠ وأعيان، ج ٣، ص ٥٦٩. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٣. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ١٦٠. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٧٨.

(٢) ليلة الخميس الثاني والعشرين من رجب. البرزالي.

(٣) ابن باقا: عبد الرحمن بن عبد الله أبو محمد عتيق ابن باقا، سمع في بغداد من أبي الوقت ومن بعده، وحدث بمصر بصحيح البخاري. توفي بمصر سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م. البغدادي، محمد بن عبد الغني: التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تح: كمال الحوت، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٨٨ م، ص ٣١٤.

(٤) بعد الرجوع إلى كتاب طبقات الحفاظ للسيوطي وطبقات الحفاظ للذهبي وكتاب الوافي؛ وأعيان العصر للصفدي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات عنه.

(٥) يوافق أولها الجمعة ١٦ شباط (فبراير) ١٢٢٣ م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٥٣.

(٦) ترجم له: ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ٢٠٩ وفيه توفي سنة ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م. الصفدي: الوافي، ج ١٩، ص ٨٣، ولم يذكر تاريخ وفاته.

(٧) البحر الرجز.

كم ليلة بات طرفي ساهراً قلقاً
حملتُ بارقك النجدي حين سرى
ما المنحنى ما رُبى نجدُ وابرقتها
وما سعادُ وما لبني وزينتها
يا ظبية المنحنى من أضلعي سكنت
ما زلتُ راعية حب القلوب وما
لولاك ما سارت الهوج^(١) الركابُ بنا
دعوتُ وفدك والأشواقُ تجدُ بهم
تُرى تجود لنا الأيام عائدة
وهل تعودُ ليالينا بقربكم
ودعتُ قلبي وصبري بعد بعدكم
هي المنام لأجفاني ولا سنة
أزوره في الدجى أفضي بها وطراً
أو لامع البرق من تلقاك لي سحراً
يا نوق لا تسأمي^(٢) حر المهجير^(٣) ولا
لك الهنا إن بدا وادي العقيق لنا
لا مَسَّ ظهرك من بعد النقاقت^(٤) / ٤٦٤/
بُشراك يا نفس إن نلتُ المني وحوى
هذا محل الرجاء فيما أومله
وأنشد بنا ونادَ حول روضته
يا تربة المصطفى المختار من مضر
ضممت خير عباد الله كلهم
هذا النبي الذي تُرجى شفاعته
هذا البشيرُ النذيرُ الشافعُ القمرُ
يا سيد العرب العرباء قاطبةً

يرعى النجوم وليس القصْدُ إلّاك
إلى الحمى أرجى يحكي خزاماك
وما العذيبُ وبان الجزع لولاك
إليك أنت ولكن لَوَّح الحاكِي
جاورت قلبي فأمسى وهو مرعاك
زالت قلوب جميع الخلق ترعاك
وحداً^(٥) وما سارت الركابُ لولاك / ٤٦٣/
إلى قراك فكل الوفد لباكي
بالمحنى ويُجئنا محياكي
ويرجع الشمْلُ مخضلاً برياك
والبين أقصاهما من حين أقصاك
يُحيي بطيفك فيها بعض قتلاك
لا أصغر الله رب العرش ممشاكي
يلوُح وهناً فيحكي حُسن مراك
طول المسير وهذا من سجايك
ضُحى فما بعده إلا مضحاك
ولا تعدى الحيا الوُسْمي^(٦) مغناك
مغناك صريع هذا الحي بشراك
هذا الحبيب وهذا الحي حياك
الغنا لا فض من بعد النداء فاك
سقى ثراك الحياط لا ورواك
من أنبياء وعُباد ونُساك
للهارب المستجير الخائف الباكي
المنير الطيب الطهر التقى الزاكي
وأشرف الخلق من عرب وأتراك

(١) الهوج: مفردهما: هوجاء وهي الناقة السريعة الجري. ابن منظور: لسان، ج ٢، ص ٣٤٩.

(٢) الوُخذ: ضَرْبٌ مِنْ سَيْرِ الإِبِلِ، وَهُوَ سَعَةُ الْخَطْوِ فِي الْمَشْيِ. ابن منظور: لسان، ج ٣، ص ٤٥٣.

(٣) سأم: ضجر ومل. الزبيدي: تاج، ج ٣٢، ص ٣٤٦.

(٤) المهجير: الوقت من منتصف النهار عند زوال الشمس إلى العصر. ابن منظور: لسان، ج ٥، ص ٢٥٤.

(٥) القتب: نوع من المحامل تركب فيه النساء على ظهر الإبل أو البغال. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٨، ص ١٨٢.

(٦) الوُسْمي: مطر الربيع الأول. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٣، ص ٢٤٤٢.

يا من سَمَتْ في سماءِ العلياءِ رتبتهُ
إنْ رمَتْ وصفكْ أو إحصاءِ معجزَةٍ
لكن أتيتكْ بالتقصيرِ معترفاً
يا سيدي يا رسولَ الله يا أُملي
هاجرتُ نحوكَ من أقصى البلادِ وقد
وقد نزلتُ حملك اليومَ معتضداً
وعادةَ العربِ العرياءِ جاريةً
وهذا أوانِ انصرافي عن حماكَ وفي
صلى عليكِ إلهُ الناسِ ما طلعتْ

على القبيلين من رسلِ وأملاكِ / ٤٦٥/
من معجزاتكْ كلَّ الوصفِ والحاكي
إذا اعتراني بالتقصيرِ إدراكي
يا عدتي ورجائي عندَ إضناكي^(١)
هجرتُ أهلي وأولادي وأملاكي
أسيرَ ذنبٍ عظيمٍ حائرٍ باكي
حمي النزيلُ وكشفُ الضيمِ للشاكي
يديكْ عتقي وتسريحِي وإفكاكي
شمسُ الضحى وسرَّتْ شهبُ بأفلاكِ^(٢)

وشعره كثير، وكله مدح في النبي صلى الله عليه وسلم.

● الشيخ مجد الدين أحمد بن ديلم بن محمد الشيباني،^(٣) شيخ بني شيبية، وشيخ الكعبة المعظمة، وشيخ الحرم الشريف، مات^(٤) في هذه / ٤٦٦ / السنة ودفن بالمعلی^(٥)، روى عن ابن مسدي، والمرسي، وغيرهما.

● الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب،^(٦) مات بالقاهرة يوم الإثنين ثاني عشر رجب بعد العصر، وتوفيت زوجته، وهي ابنة عمه الملك المغيث بن المعظم، وقت عشاء الآخرة، فخرجت جنازتهما جميعاً، وكان

(١) الضنك: الضيق والشدة في كل شيء. ابن منظور: لسان، ج ٦، ص ٣٢٢.

(٢) البحر البسيط.

(٣) ترجم له: ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٣. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٨٩.

(٤) ليلة سلخ شوال. البرزالي.

(٥) المعلی: مكان مرتفع بأعلى مكة المكرمة على سفح جبل الحجون، وبه مقبرة مكة المشهورة بقبور المعلاة، وينطقها أهل مكة بالتخفيف فيقولون: المعلی. الفاسي، محمد بن أحمد بن علي ت: ٨٣٢هـ / ١٤٢٩م: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٢٥.

(٦) ترجم له: ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٤. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٧٦. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٣. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٢٥٢. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٧. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٤. ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٥٠، ودرة، ج ١، ورقة: ١٩٤.

قد حج وزار القدس، وتوجه إلى دمشق، وعاد إلى القاهرة فمات بها، وولد بالكرك عاشر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وستمائة^(١)، وكان فاضلاً ديناً، متواضعاً.

● الملك المنصور صاحب ماردين، وهو نجم الدين أبو الفتح غازي بن الملك المظفر فخر الدين قرا أرسلان بن الملك السعيد نجم الدين غازي بن أرتق الأرتقي^(٢)، أصحاب ماردين من عدة سنين، كان شيخاً حسنأ مهيباً، كامل الخلقة، سميناً بدينأ، إذا ركب يكون خلفه محفة خوفاً أن يمسه لغوب^(٣) فيركب فيها، وكانت وفاته في تاسع ربيع الآخر، ودفن في مدرسة تحت القلعة، وعمر فوق السبعين، فكانت مملكته قريباً من عشرين سنة، وقام من بعده ولده العادل علي، فملك سبعة عشر يوماً، ثم ملك [بعده أخوه]^(٤) الصالح بن المنصور.

● الأمير سيف الدين قطلوبك الشيشي^(٥)، كان من أمراء دمشق الكبار، توفي^(٦) في هذه السنة فيها ٤٦٧ / رحمه الله.

● الأمير بهاء الدين مغلطاي البهائي^(٧)، توفي^(٨) فيها بطرابلس، وكان قد رُسم بالقبض عليه، فوصل البريدي بذلك بعد وفاته بيوم.^(٩)

(١) يوافق أولها الخميس ٢٤ تموز (يوليو) ١٢٤١ م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٧٢.

(٢) ترجم له: ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٤. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٦٥. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٣. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٢٥٣. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٧. ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٤٠، ودرة، ج ١، ورقة: ١٩٤.

(٣) اللُّغُوبُ: التَّعَبُ والإِغْيَاءُ. ابن منظور: لسان، ج ١، ص ٧٤٢.

(٤) إضافة من مصادر ترجمته.

(٥) ترجم له: ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٤. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٦٥. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٢٩٦. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٧. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٤.

(٦) في خامس شهر ربيع الآخر. البرزالي.

(٧) ترجم له: ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٤. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٤. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٥.

(٨) توفي في حادي عشر ربيع الآخر. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٥.

(٩) كتب الناسخ في نهاية هذه الورقة ٤٦٨ / النص التالي:

" تم الجزء الحادي والثلاثون من عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان للعيني، يتلوه الجزء الثاني والثلاثين الذي أوله: فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الثالثة عشرة بعد السبع مئة، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، آمين، آمين، آمين "

فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الثالثة عشرة بعد السبعمئة*

استهلت هذه السنة والخليفة هو المستكفي بالله، والسلطان هو الملك الناصر، وهو مسافر في طريق الحجاز عائد.

قال ابن كثير: وفيها عاد السلطان الملك الناصر من الحجاز الشريف، ووصل إلى الكرك،^(١) ورمي قدامه بالمناجيق التي كان قد رسم بعملها، وخلع على نائب السلطنة بها وهو الأمير سيف الدين بيبغا الأشرقي، وخلع على متولي القلعة، وسار منها إلى دمشق،^(٢) ولعب الأكرة^(٣) بالميدان الأخضر، ورتب الأمير [بدر الدين]^(٤) بكتوت القرماني نائباً بالرحبة عوضاً عن الأمير مظفر الدين موسى الأركشي، وفوض نظر الشام إلى شمس الدين عبدالله غبريال^(٥)، وأقر فخر الدين إياس الشمسي على شد الدواوين بدمشق، وأعطى العساكر دستوراً، فقدموا أولاً فأولاً، وسار نحو القاهرة^(٦)، فوصلها يوم الجمعة الثاني عشر من صفر^(٧).^(٨)

* يوافق أولها السبت ٢٨ نيسان (ابريل) سنة ١٣١٣ م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٧٤٦.

(١) في ثاني المحرم. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٥. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٩٤.

(٢) وصل دمشق يوم الثلاثاء حادي عشر المحرم. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٥. وكذلك عند ابن أيبك: كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٦٥. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٩٤.

(٣) الأكرة: في اللغة الجيدة هي الكرة. الزبيدي: تاج، ج ١٠، ص ٦٧. وقد مرّ ذكر هذه اللعبة في شرح (جوكندار).

(٤) مكتوبة في هامش الأصل، وأشار الناسخ إلى موضعها بالمتن.

(٥) عبدالله غبريال: عبدالله بن صنيعة القبطي المصري، صاحب شمس الدين غبريال، غُزل سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م، توفي بمصر سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٤م. الصفدي: الوافي، ج ١٧، ص ١١٤ وأعيان، ج ٢، ص ٦٨٣. ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ٣٦.

(٦) بكرة نهار الخميس السابع والعشرين من المحرم. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٥. وكذلك عند ابن أيبك: كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٦٥.

(٧) يوم الجمعة ثاني صفر. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٥. ثالث عشر صفر: عند ابن أيبك: كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٦٥.

(٨) ورد هذا النص عند ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٨. مع وجود اختلاف في الصياغة.

وقال بعض المؤرخين^(١): وفي أول المحرم وصل قجليس^(٢) إلى دمشق من الحجاز، وأخبر برجع
السلطان من الحجاز بعد قضاء فريضة الحج، وأنه فارقه من المدينة النبوية، فدقت البشائر. ٢/

فلما كان ثاني عشر المحرم وصل السلطان إلى دمشق وأقام بها خمسة عشر يوماً، وصلى بالجامع
الأموي جمعتين، ثم رسم للعسكر بالسفر أولاً فأولاً، وسار هو نحو الديار المصرية، فدخلها في التاريخ
المذكور وكان يوماً مشهوداً.

ذَكَرَ مَنْ أُعْطِيَ إِمْرَةً وَمَنْ قُطِعَ

وفيها رُتِبَ بدر الدين محمد بن علاء الدين كندغدي الوزيري^(٣)، في نيابة دار العدل^(٤). وفيها
عُزِلَ صاحب أمين الدين بن الغنام من الوزارة، لما عاد من الشام، وضرب بين يدي السلطان بالإيوان،
وصودر هو وأهله، وألزمه على ثلاثمائة ألف درهم^(٥). وفيها رتب بدر الدين محمد بن الأمير فخر الدين
عيسى التركماني^(٦)، مشد الدواوين بالدولة الشريفة^(٧). وكرّم الدين بن الخطيري بن كاتب الحميدي^(٨)

(١) المقرئزي: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٥. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٥. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٨.

(٢) قجليس: الأمير سيف الدين قجليس. سبق التعريف به ص ٢١٠.

(٣) بالرجوع إلى كتاب الوافي؛ وأعيان للصفدي، وكتاب السلوك للمقرئزي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات مفصلة عنه.

(٤) المقرئزي: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٧. يوم الخميس السادس عشر من شهر ربيع الآخر. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٦.

(٥) كذلك عند ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٨. وذلك في مستهل جمادى الآخرة. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٧. يوم الخميس سابع عشر جمادى الأولى. عند المقرئزي: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٦. ثامن عشر شهر جمادى الأولى. عند ابن أبيك: كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٦٥. يوم الخميس الثامن والعشرين من جمادى الأولى. عند البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٠٦.

(٦) هو: محمد بن عيسى، الأمير بدر الدين بن فخر الدين التركماني، استوزره الناصر بمصر، وأمره بالتوجه إلى مكة المكرمة للقبض على الشريف حُيُضَة فنزلها وطرد العبيد، ثم نقله إلى دمشق أميراً، وفي سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م ولّاه نيابة طرابلس، توفي بالقاهرة سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ٣٩١. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢١١. الزركلي: الأعلام، ج ٦، ص ٣٢٣.

(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٨. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٧. المقرئزي: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٥.

(٨) كريم الدين بن الخطيري: أكرم بن خطيرة القبطي، القاضي كريم الدين الصغير، ناظر الدولة بالديار المصرية، غرق في النيل سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م. الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٥٨٢. والوافي، ج ٩، ص ٢٠٠. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ١.

ناظر الدواوين رفيقاً لتقي الدين الأسعد المعروف بكاتب برلغي ابن أمين الملك مستوفي الحاشية^(١). وفيها في رابع عشرين شوال^(٢) قبض على عز الدين أيبك الرومي^(٣)، واعتقل بقلعة الجبل. وفيها كُجِل^(٤) القاضي علاء الدين علي بن سعد الدين الفارقي^(٥)، الموقع، بسبب ما كان يُزوّره من الكتب والمراسيم، التي أخذ بها جملة من المال. وفيها أَمَرَ السلطان الملك الناصر ثلاثين أميراً في يوم واحد^(٦)، وهم: (٧) طرخان بن البيسري^(٨) وطمغار بن سنقر الأشقر^(٩) وطقوش / ٣ / بن ألتنبغا الحمصي، ومحمد بن آقوش الشمسي، وعلي بن طغريل الإيغاني^(١٠) وجركتمر بن بهادر^(١١) والبرس أمير جندار، وبلبان الأشعري، وجركتمر السلحدار، وساطلميش الكرعي، وبيبرس الكرعي، ونغيه الجمدار^(١٢) وباجير

-
- = ص ٤٧٦. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٣، ص ٣٣. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٥.
- (١) هو: أسعد بن أمين الملك، تقي الدين الأحول، أسلم على يد الأمير برلغي، توفي سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٤٢٧.
- (٢) يوم الإثنين لست بقين من شوال. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٩.
- (٣) بالرجوع إلى كتاب الوافي؛ وأعيان للصفدي، وكتاب السلوك للمقرئ وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات مفصلة عنه.
- (٤) التكحيل: هي إحدى العقوبات المعروفة في العصر المملوكي، تُنفذ بطريقتين: إما أن يُحمى ميل حديد بالنار وتكحل به عين المذنب فيفقد بصره، أو بغمس الميل بمادة تسمى (أبي عيشي)، وهذه المادة كفيفة بأن تفقده بصره، وقد يكحل الشخص مرتين أو أكثر حتى يفقد البصر، كما قد تكحل إحدى عينيه ثم تسمل. ابن أيبك: كنز الدرر، ج ٩، ص ٣٠٠. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ١٠٩. دهمان: معجم الألفاظ، ص ٤٨. الرفاعي: السجون، ص ١٩٥.
- (٥) بالرجوع إلى كتاب الوافي؛ وأعيان للصفدي، وكتاب السلوك للمقرئ وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات مفصلة عنه.
- (٦) خلع السلطان على الأمراء الذين كانوا صحبته في الحجاز، وعدّهم نحو أربعين أميراً. عند المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٥.
- (٧) بعد الرجوع إلى كتاب الوافي؛ وأعيان للصفدي، وكتاب السلوك للمقرئ وغيرها من المصادر المختصة بالتاريخ والتراجم، لم يتم الحصول على ترجمة لبعض الأمراء المذكورين.
- (٨) توفي سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٤م. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٣٠٦. المقرئ: السلوك، ج ٣، ص ١٩١.
- (٩) طمغار بن سنقر الأشقر: الأمير شهاب الدين، أحد أمراء الخمسين بالقاهرة. وكان يسكن على بركة الفيل بالحباينة، حسن الشكل، صاحب صدقة ومعروف توفي سنة ٧٣١هـ/١٣٣١م. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٥٧٢. المقرئ: السلوك، ج ٣، ص ١٤٦.
- (١٠) توفي سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م. المقرئ: السلوك، ج ٤، ص ٩٧.
- (١١) توفي سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م. المقرئ: السلوك، ج ٣، ص ٣٧١.
- (١٢) توفي سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م. الذهبي: العبر، ج ٤، ص ١٦٩.

الساقى، وآراق السلحدار،^(١) وقراجا الجاشنكير، وأطنبغا الرومى، وطرنطاي العرشى، وقيران الحسامى،^(٢) وطوغان الساقى، وبيبرس الخاص تركى، وجاريك بن عبد الله،^(٣) وجاريك الأحمدى، وأيدمر الكبكى، وقليج القبكى، وسنجر الخازن،^(٤) ويغموور الشقيري، والصارم الجاريدارى، وقيصر العلائى،^(٥) وسنجر الأحمدى، وأيدغدى الهلالى.

ذِكْرُ مَا جَرَى مِنَ الْحَوَادِثِ فِي الدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ

منها أن السلطان سَفَّرَ القاضي صدر الدين بن الوكيل المعروف بابن المرحَّل^(٦) في الرسلية من الباب الشريف إلى الأمير حسام الدين مهنى بن عيسى ملك العرب، برسالة من السلطان يستميله ويستعطفه للطاعة، فتوجه إليه وعاد في شهر ربيع الآخر، وذلك لما ذُكر أنه خرج عن الطاعة الشريفة، ووافق قراسنقر والأفرم. ومنها أنه كملت عمارة الميدان الذي تحت قلعة الجبل مما يلي سوق الخيل، وكان الابتداء في عمارته في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة.^(٧) ومنها أن السلطان أجرى الماء من النيل إلى قلعة الجبل بآلات، وجرى من دورها، وقسم على أماكن وقاعات بها. ومنها أن السلطان أمر بإنشاء

(١) آراق السلحدار: الأمير سيف الدين بن عبد الله، المعروف بالفتاح؛ لأنه كان في بداية أمره يتولى فتح السجون، ناب في صفد لمرتين، وأقام أميراً بحلب ودمشق، توفي سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٢) قيران الحسامى: أحد الأمراء بدمشق، نُقِلَ إليها من القاهرة سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م ولم يزل بها إلى أن مات. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٣٠٢.

(٣) جاريك بن عبد الله: كان أحد أمراء الخمسين بدمشق، يسكن عند الشامية بظاهر دمشق. توفي سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ١٤٧.

(٤) سنجر الخازن: الأمير سنجر السرورى الخازن، من المماليك المنصورية، عمل مهمنداراً وشاداً للدواوين بالقاهرة، وولي البهنسا وترقى أن صار والياً للقاهرة، وإليه ينسب حكر الخازن خارج القاهرة قريباً من بركة الفيل، توفي سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٤م. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٣٠٥. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣١٩.

(٥) توفي سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م. المقرئى: السلوك، ج ٣، ص ٢٠٩.

(٦) صدر الدين بن الوكيل: محمد بن عمر بن مكى بن عبد الصمد، الشيخ الإمام العلامة صدر الدين بن المرحَّل، يُعرف بالشام بابن الوكيل وابن الخطيب، توفي بالقاهرة سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م. الكتبي: الوفيات، ج ٤، ص ١٣.

الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٥ والوائى، ج ٤، ص ١٨٦. الزركلى: الأعلام، ج ٦، ص ٣١٤.

(٧) في جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة. عند النويرى: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٦.

القصر الأبلق المطل على الميدان تحت القلعة،^(١) وكمل في سابع عشر رجب^(٢) من سنة أربع عشرة، وعمل السلطان به مهماً عظيماً، وفَرَّق على الأمراء ألف ألف وأربعمائة ألف [درهم]^(٣).

وذكر بعض المؤرخين هذا في سنة أربع عشرة وسبعمائة^(٤)، فقال: وفيها اهتم السلطان في بناء القصر الأبلق، فأكماله في عشرة أشهر، وكتب في بنداريتها^(٥): أنه جاء في دون سنة من الزمان كما ترى العيون، فلما كمل بسطه السلطان وعمل به وليمة عظيمة، ومدت الخِوانات^(٦)، واجتمع الأمراء الكبار والصغار، والمقدمون والعساكر، اجتماعاً عاماً، فأكلوا وشربوا من القمز^(٧)، ثم فرق عليهم الخلع والأموال، فكانت عدة الخلع من الكوامل والأقبيية^(٨) ألفي قطعة وخمسمائة قطعة، وعدة المال مئة ألف دينار.

ومنها أن السلطان أمر بعمارة ميدان المهارة عند قنطرة السباع خلف تربة تمرغا^(٩). ومنها أنه حُفِر النهر الذي سعى فيه الأمير سيف الدين سودي نائب حلب، وطوله من نهر الساجور^(١٠) إلى نهر

(١) ابتداء بعمارته في الثالث عشر من شهر ربيع الأول. عند ابن أبيك: كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٦٦. ابتداء بعمارته في أول السنة. عند المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٩.

(٢) عاشر جمادى الأولى. عند ابن أبيك: كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٦٦.

(٣) إضافة من: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٠.

(٤) يوافق أولها الأربعاء ١٧ نيسان (أبريل) سنة ١٣١٤ م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٧٤٧.

(٥) بندارية: فارسية معربة تعني: ستارة من الجوخ، والمقصود في النص (يا فطة). دوزي: تكملة المعاجم، ج ١، ص ٤٤٩.

(٦) الخِوانات: مفردتها: حِوان، وهو لفظ فارسي متداول من العصر الإسلامي حتى نهاية العثماني بمعنى سفرة الطعام أو السماط أو المائدة. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ١٦٩.

(٧) القمز: لفظة تترية الأصل، وهو نبيذ يُصنع من لبن الخيل. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٧، حاشية رقم ١ ص ١٧٥.

دوزي: تكملة المعاجم، ج ٨، ص ٣٨٠. Lan Pool: History Of Egypt, p278.

(٨) الكوامل: كاملية، نوع من الملابس الخارجية شبيه بالعباءة، ولعل من أحدثه السلطان الكامل الأيوبي، واستخدمه

العرب في نهاية العصر الإسلامي. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٣٦١. دهمان: معجم الألفاظ، ص ١٢٨.

القُبَاء: نوع من الملابس. ابن منظور: لسان، ج ١٥، ص ١٦٨.

(٩) بالعودة إلى كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، وكتاب مراصد الاطلاع لابن عبد الحق، والبروض المعطار للحميري، وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات عن هذه الأمانة.

(١٠) الساجور: نهر بمنج يصب في الفرات. الحموي: البلدان، مج ٣، ص ١٧٠.

قويق^(١) أربعون ألف ذراع وأنفق عليه ثمانمائة ألف درهم،^(٢) نصفها من مال السلطان، ٥/ ونصفها من مال الأمير سودي النائب المذكور، ولقد أخبرني والدي شهاب الدين أبو العباس أحمد: أن جدي والد أبي، الشيخ شرف الدين موسى، كان متولي أمر هذا النهر المذكور، من النظر عليه وكتابة المصروف من الأموال عليه، وأنه كان قد قدم إلى حلب من بلاد الروم مع أبيه الشيخ شهاب الدين أحمد، ثم من بعد ذلك انتقلا إلى مدينة عينتاب^(٣)، فتولى جدي نيابة الحكم بها مع التوقيع عند القاضي كمال الدين عمر الشافعي رحمه الله، وكلاهما ماتا في عينتاب، ووالدي أيضاً مات بعينتاب سنة أربع وثمانين وسبعمائة^(٤)، ولكن مولده بحلب. ومنها أن السلطان شرع في روك البلاد الشامية، فأمر بحضور كتاب الجيوش الشامية والمصرية، واستدعى [الأمير]^(٥) علم الدين سنجر الجاولي من غزة بسبب ذلك، وتكامل في ذي الحجة، فخلع السلطان على كل من حضره من أرباب الأقلام على مراتبهم، وسُيّرت المثالات لنائب الشام، والمناشير للأمراء جميعاً صحبة الأمير سيف الدين قجليس السلحدار ليفرق على أربابها، فلما ذهب إليها فرقتها، وفي ذلك الوقت نقلت سنة اثنتي عشرة وسبعمائة الخراجية إلى سنة ثلاث عشرة وسبعمائة بحكم دوران السنين.^(٦)

(١) قويق: نهر مدينة حلب، ينبع من قرية سنياب على بعد سبعة أميال من دابق، يمر بمدينة حلب ضمن قنوات تجري في الشوارع والأسواق والديار، ثم يغور في المطخ خارج المدينة، طوله اثنان وأربعون ميلاً. ابن العديم: بغية الطلب، ج ١، ص ٢٤٧. الحميري: الروض المعطار، ص ٤٨٦. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٤١٧. الغزي: نهر الذهب، ج ١، ص ٥٢ وما بعدها. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، مج ٤، ص ٦٢٥.

(٢) "طوله من نهر الساجور إلى نهر قويق أربعون ألف ذراع، في عرض ذراعين وعمق ذراعين، وغرم عليه ثلاث مئة ألف درهم" أبو ذر، أحمد بن إبراهيم ت: ٨٨٤هـ/ ١٤٨٠م: كنوز الذهب في تاريخ حلب، تح: شوقي شعث وفالح البكور، دار القلم، ط ١، حلب، ١٩٩٦م، مج ١، ص ٥٦٦.

(٣) عينتاب: مدينة لها قلعة حصينة، بين حلب وأنطاكية، كانت تُعرف بدلوك، واليوم هي مدينة كبيرة في تركيا. ابن عبد الحق: مرصّد، مج ٢، ص ٩٧٧. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ١٧٦. الغزي: نهر الذهب، ج ١، ص ٣٤٥. ابن العديم: بغية الطلب، ج ١، ص ٣٢٣.

(٤) يوافق أولها الأحد ٢٩ آذار (مارس) ١٣٨٢م. باشا: التوقيعات الإلهامية، مج ٢، ص ٤٧.

(٥) مكررة في الأصل.

(٦) كذلك عند المقرئزي: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٨. والنويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٨.

قال ابن كثير: وفي سنة ثلاث عشر وسبعمائة شرع في روك البلاد الشامية، ٦/ فريكت، وتولى ذلك القاضي معين الدين هبة الله بن حشيش^(١) ناظر الجيش بالشام مع مباشري الجيوش بمصر، ولما فرغ استقر معين الدين المذكور صاحب ديوان الجيوش بمصر، وفوض نظر جيش الشام إلى القاضي قطب الدين بن شيخ السلامة^(٢).^(٣)

ومنها أن السلطان أمر أن يُساق الماء من عين ببلد الخليل عليه السلام إلى القدس، واستنهض في ذلك علم الدين سنجر الجاولي، فنهض فيه واستاق الماء إلى القدس، وارتفق^(٤) الناس به.^(٥)

ذِكْر سَفَر السُّلْطَانِ إِلَى الصَّعِيدِ

وفيها توجه السلطان الناصر إلى منزلة الأهرام بالجيزة،^(٦) فأقام فيها أياماً، ثم توجه منها إلى الوجه القبلي متصيداً، واقتبض^(٧) من الأشرار في سفرته جماعات كثيرة، وذلك أن عريان الصعيد [كانوا]^(٨) قد تطاولوا إلى النفاق والفساد، وقطع الطريق ومنع حقوق الجند، فضبط عليهم المسالك بالأمراء من السويس^(٩) وجهة واحات، وضبط البرين الشرقي والغربي، فأخذوا، وصُفِّدوا، وحُمِّلوا في

(١) هبة الله بن حشيش: القاضي الفاضل معين الدين هبة الله بن مسعود بن حشيش بن أبي الفضائل، توفي سنة ١٣٢٩هـ/١٣٢٩م. الصفدي: الوافي، ج ٢٧، ص ١٩٢ وأعيان، ج ٥، ص ٥٣٨. ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ١٧٠. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٨٠.

(٢) هو: موسى بن أحمد بن الحسين بن بدران بن أحمد، القاضي الرئيس قطب الدين، أبو البقاء، ابن شيخ السلامة، ناظر الجيوش الإسلامية بمصر والشام، توفي سنة ٧٣٢هـ، ١٣٣٢م. الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٤٦٩. ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ١٣٦.

(٣) لم يرد هذا النص في البداية والنهاية لابن كثير.

(٤) ارتفق: اتكأ على المرفقة وهي مخدة يتكى عليها مرفق اليد. والمراد في النص ارتاح. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٥، ص ١٧٨.

(٥) كذلك عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٠.

(٦) في ثامن عشر رجب. عند المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٩.

(٧) اقتبض: اقتبض الشيء: قبضه؛ تسلّمه، أخذه. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٣، ص ١٧٦٦.

(٨) مكتوبة بين الأسطر في الأصل.

(٩) السويس: بليد على ساحل بحر القلزم من نواحي مصر وهو ميناء أهل مصر إلى مكة والمدينة، بينه وبين القسطنطينية سبعة أيام في برية معطشة، يحمل إليه الميرة من مصر على الظهر ثم تطرح في المراكب ويتوجه بها إلى الحرمين. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ٧٥٨. الحموي: البلدان، مج ٣، ص ٢٨٦.

المراكب إلى مصر، وجُعِّلوا في السجون، واستُعْمِلوا في الجسور جزاء بما قدمت أيديهم، وانتهى الدهليز المنصور إلى فرجوط^(١)، ثم عاد إلى الأهرام، ومنها طلع إلى القلعة يوم السبت عاشر رمضان.

ذكر التجريدة إلى مكة

قال ابن كثير: وفي هذه السنة اتصل /٧/ بالسلطان شكوى المجاورين والحجاج بمكة، من حُمِيضَة ورميثة أولاد أبي نمي، فجهز السلطان سيف الدين يلوي^(٢) ومعه جماعة من الأمراء، وجهاز معه أبا الغيث بن أبي نمي، فتوجهوا إلى مكة، فلما وصلوها فارقها حُمِيضَة، فرتب الأمراء أبا الغيث أميراً بها، ورجعوا^(٣)، فلما رجعوا رجع حُمِيضَة إلى مكة، وتقاتل هو وأخوه أبو الغيث، فانهمز أبو الغيث والتحق بأخواله بني هذيل^(٤) بوادي نخلة، وأرسل حُمِيضَة إلى السلطان ببذل الطاعة، وقدم خيلاً، فاعتقل السلطان الرسول بالقاهرة.^(٥)

وقال بعض المؤرخين^(٦): أرسل السلطان عسكرياً إلى مكة وفيهم أربعة أمراء وهم: بلبان الشمسي^(٧) وهو أمير الركب المصري، وطقصبابا^(٨) والي قوص، وأيدغدي

(١) فرجوط: مدينة بصعيد مصر الأعلى. الزبيدي: تاج، ج ١٦، ص ٥٢٥.

(٢) بيدوا. عند المقرئزي: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٨. وبالرجوع إلى كتاب المنهل لابن تغري بردي والوفاي، وأعيان اللصفدي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات عنه.

(٣) فوصلوا إلى الأبواب السلطانية في أواخر شهر ربيع الأول سنة أربع عشرة وسبع مئة. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٩.

(٤) هذيل: قبيلة، يقال لها هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان، وهي من قبائل الحجاز المهمة وتنقسم إلى قسمين: شمالي وجنوبي، وتقع ديار هذيل الشمالي في أطراف مكة من جهة الشرق والجنوب، وبالأخص في أطراف مكة والطائف بقرب جبل برد، وجبل ذكا المشهور، ويتألف هذا القسم الشمالي من سبعة أفخاذ: المطارفة، المساعيد، السواهر، لحيان، عمرو أو عمير، والجنابر. وأما القسم الثاني فيدعى هذيل اليمن ويتألف من الأفخاذ الآتية: الندوية، دعد، السراونه، العاهلة، وجميل. السمعاني، عبد الكريم بن محمد: الأنساب، تح: عبد الرحمن اليماني، مجلس إدارة المعارف العثمانية، ط ١، حيدر آباد، ١٩٦٢م، مج ١٣، ص ٣٩١. كحالة: معجم قبائل، مج ٣، ص ١٢١٣.

(٥) لم يرد هذا النص في البداية والنهاية لابن كثير.

(٦) المقرئزي: السلوك، ج ٢، ص ٤٨٨. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٨.

(٧) بلبان الشمسي: الأمير بلبان الشمسي المنصوري، تنقل في الخدم فأصبح أمير الحج، ثم أخرجته الناصر إلى إمرة دمشق، ثم حلب وتوفي بها سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٠.

(٨) طقصبابا: طقصبابا الظاهري، والي قوص (بالصعيد)، غزا في النوبة مرتين، توفي سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٨٩.

الخوارزمي،^(١) وصاروجا الحسامي،^(٢) فلما وصلوا إلى الحجاز تحيد رُمَيْثَة وحمِيْضَة وخلياً عن البلاد، فأجلس الأمراء أبا الغيث بمكة، ومكثوا عنده قريباً من ثلاثة أشهر، ثم أرسلوا إلى السلطان يذكرون أن شغلهم قد انقضى ولم يبق لهم معه ضرورة، فرسم لهم بالحضور إلى الديار المصرية، فتركوه وحضروا، ثم عاد إليه أخواه رُمَيْثَة وحمِيْضَة إلى مكة في جمعهما، وتقاتلوا فوقع الهزيمة على أبي الغيث، فتوجه إلى المدينة لائذاً بمنصور بن جمار صاحب المدينة، /٨/ وأقام عنده ريثما جمع جمعاً ممن حضر إليه من بني عقبة^(٣) وبني مهدي^(٤)، ثم أيقع مع أخويه ببطن مر، فتقنطر عن فرسه، فأخذه العبيد وقتلوه صبراً^(٥).

ذِكْرُ تَجْرِيدَةِ وَرَاءِ الْمُتَسَحِّبِينَ مِنْ مِصْرَ

قال ابن كثير رحمه الله: وفي المحرم^(٦) تسحب جماعة من الجند البطالين نحو مئتي فارس، وتوجهوا إلى بلاد المغرب، وكان مقدمهم ابن المحسني^(٧)، فسَيَّرَ السلطان، سيف الدين القلنجقي^(٨) في أثرهم، فلم يدرك منهم إلا رجلاً واحداً قد ضل عن الطريق، فأحضره واعتقل^(٩).

(١) أيدغدي: الأمير الكبير علاء الدين أيدغدي الخوارزمي، أمير حاجب بدمشق، توفي سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م. الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٦٥٢. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٥٠٦.

(٢) صاروجا: الأمير صارم الدين صاروجا بن عبدالله المظفري، توفي سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٥٣٧. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٥٣. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٦، ص ٣٢٠.

(٣) بني عقبة: بطن من جذام، من القحطانية، وهم: بنو عقبة ابن محزمة بن حرام، كانت ديارهم من الكرك إلى الأزم من بركة الحجاز، وعليهم درك الطريق ما بين مصر والمدينة النبوية، إلى حدود غزة من بلاد الشام، وكانت توجد منهم فرقة بالحجاز، من بني واصل ابن عقبة. كحالة: معجم، مج ٢، ص ٧٩٧.

(٤) بني مهدي: بطن من بني طريف، من جذام، من القحطانية، كانت منازلهم بالبلقاء، ومنه أفخاذ كثيرة متسعة، منها: الشاطبة، أولاد بن عسكر، العناترة، أولاد راشد، البتراث، اليعاقبة، المطارنة، العفير، الرويم القطارية، أولاد الطابية، بنو دوس، آل سيار، المجابرة، السماعنة، والعجارمة. كحالة: معجم، مج ٣، ص ١١٥١.

(٥) القتل صبراً: هو أن يحبس الحي، ويرمى بشيء حتى يموت. الزبيدي: تاج، ج ١٢، ص ٢٧١.

(٦) في ذي الحجة. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٩.

(٧) ابن المحسني: علاء الدين علي بن الأمير بدر الدين ابن المحسني. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٩١.

(٨) بالرجوع إلى كتاب الوافي؛ وأعيان للصفدي، وكتاب السلوك للمقرئ وغيرهما، لم يتم الحصول على أية معلومات عنه.

ذِكْرُ تَصِيدِ خَرَبِنْدَا مَلِكِ التَّتَارِ

قال صاحب سيرة الناصر: وفي هذه السنة صاد خربندا صيداً عظيماً، وذلك أنه قال لجوبان نائبه: إني أريد أن أخرج إلى الصيد حتى أتفرج وينشرح صدري، فقال: المرسوم مرسوم الخان، فقال: يكون خروجنا بعد ثلاثة أيام، فخرج جوبان وأعلم الأمراء والحجاب، فتجهزوا، وبعد ثلاثة أيام رحل خربندا بالعساكر إلى أن وصل إلى برية واسعة وفيها من الصيد شيء كثير، ففرح خربندا فأمر بالنزول هناك، وباتوا تلك الليلة في تلك الأرض.

ولما أصبح ركب على نية التَّصِيدِ، فحضرت الأمراء والمقدمون، فقال لهم: يا أمراء أنا أريد أن لا يكون صيدنا [اليوم]^(١) إلا بالقبض باليد، ٩/ ولا يكون بالطيور ولا بالنشاب، فقالوا: بسعادة الخان يكون إن شاء الله تعالى.

وكان تحت خربندا إكديش كيلاني^(٢) ما رُوي عند الملوك مثله، فأراد أن يتفرج عليه، وكان إلى جانبه بيزم خواجاجا بن جوبان،^(٣) وكان أفرس من كان على وجه الأرض في ذلك الزمان، وكان لجوبان ابنان آخران أحدهما يُسمى: دمشق خواجاجا،^(٤) والآخر يُسمى: تمرناش،^(٥) وكان جوبان لما حضر مع قازان في نوبة دمشق وعاد معه، ولد دمشق خواجاجا فسماه بهذا الاسم، حيث ولد له بعد نوبة دمشق، وكان جوبان يفرح بأولاده هؤلاء، وكانوا فرسان الخيل، وكان يحبهم محبة عظيمة بحيث أنه لا يقدر

(١) في المحرم سنة أربع عشرة. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٠٩.

(٢) مكتوبة بين الأسطر في الأصل.

(٣) إكديش: أو كديش، والجمع أكاديش أو كُدش، وهو البرذون أي: الحصان المحجن غير الأصيل، يستخدم للحمل أو لجر العربة وله قدرة على التحمل، وقد يُطلق أحياناً على الحصان الصغير الجيد، حيث كان السلاطين يهدون هذه الأكاديش الجياد إلى الأمراء الآخرين. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ١٧. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٩، ص ٤٨. كيلاني: نسبة إلى بلاد كيلان: وهي كيلان وجيلان وبلاد إكليل والجبل بين قزوين وبحر الخزر. العمري: مسالك، ج ٣، ص ٢٢٢.

(٤) بالرجوع إلى كتاب الوافي؛ وأعيان للصفدي، وكتاب السلوك للمقريزي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات عن بيزم خواجاجا.

(٥) دمشق خواجاجا: كان قائد عشرة آلاف (نائب الآردو) عند ملك التتار خربندا ومن بعده ابنه أبو سعيد، قتل على يد الخان أبو سعيد سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م. المقريزي: السلوك، ج ٣، ص ١٠٥.

(٦) تمرناش: كان حاكم البلاد الرومية لملك التتار خربندا ومن بعده ابنه أبو سعيد، قتل في مصر سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م. الصفدي: الوافي، ج ١٠، ص ٢٤٨.

يفارقهم ساعة واحدة، ثم إن خريندا أعطى الأمراء دستوراً بالصيد، فخرج الجميع ودخلوا تلك البراري، وساقوا فيها خلف الوحش، فاصطادوا كثيراً قبضاً باليد ورجعوا.

قال الراوي: فتعجب خريندا من ذلك، ثم قال: بقيت نوبتي أنا، ثم إنه خرج وتحتة جواد مثل الريح، ودار في تلك البرية يصطاد الوحش قبضاً باليد، وجواده لا يلحقه جواد من الخيل، وكلما ساقه يزداد نشاطاً وقوة وهمة، فيقال والله أعلم أنه قبض في ذلك اليوم مئة وخمسين وحشاً، فما سُمِعَ بمثل هذا قط، وكان خريندا من الفرسان المذكورين / ١٠ / والأبطال المشهورين.

وبقي خريندا هناك بمن معه أياماً كل يوم يركبون إلى الصيد، ثم رجعوا فطلبوا تبريز، فبينما هو في الطريق رآه وإذا بمكان كثير المياه وكثير المراعي، فلما رآه خريندا أعجبه غاية ما يكون، فقال: ليس لهذا الموضوع نظير في الدنيا، ثم قال لجوبان والأمراء: والله خطر في قلبي شيء، فقالوا: ما هو؟ قال: إني أريد أن أبني في هذا المكان مدينة لا يكون أحسن منها على وجه الأرض، وتكون سلطان البلاد، فقالوا: يا خوند البلاد بلادك، والأمر أمرك، ونحن غلمانك، افعل ما تريد فلا معارض لك.

ذكر بناء خريندا مدينة السلطانية

قال الراوي: فعند ذلك سَيرَ بريدياً إلى تبريز، وإلى بغداد، وإلى جميع مدن بلاده وكراسيها^(١) بطلب الصُّناع والمهندسين، فما كان غير قليل حتى حضروا عنده، فقال لهم: إني أريد أن تبنيوا هنا مدينة لا يكون مثلها على وجه الأرض، حتى أذكر بها في الأزمان، فقالوا: سمعاً وطاعة، ولكن نريد أن تمدنا بالمال الجزيل والرجال الكثير، قال: ففتح الخزائن، وفَرَّقَ الأموال على جميع الصناع وعلى كل من يسعى في مصالحه، وفي الآلات والمؤن، وكان حضر عنده من جملة الصناع، صناع يهود ونصارى من الموصل وغيرها، فقال لهم: إني أريد أن تبنيوا لي هذه / ١١ / المدينة على صفة دمشق الشام ووضعها ولكن تكون أحسن منها، فقالوا له: سمعاً وطاعة.

(١) كرسي المملكة: مقر، مكان الإقامة، عاصمة الإمبراطورية، مدينة مهمة، دوزي: تكملة المعاجم، ج ٩، ص ٦٣.

قال الراوي: ثم شرعوا في حفر الخنادق والأساسات، وعمل رشيد الدولة^(١) مشدداً على العمارة، وكان الجماعة الذين يعملون في الأساسات عشرة آلاف راجل، وعشرة آلاف كانوا ينقلون التراب، وخمسة آلاف يقطعون الصخور وينحتوها، وكانت ألف وخمسمائة عجلة لنقل الحجارة وغيرها، وعشرة آلاف حمير كذلك، وعملوا لها مقدار ألف أثون^(٢) للآجر وهو الطوب، وألف أثون للكلس وهو الجير، وخمسة آلاف جمل ينقل الأخشاب، وعَيَّن ألفي نفس لقطع الأخشاب من الجبال ومواقعها، و[استعمل]^(٣) ثلاثة آلاف حداد يرسم الصفائح والشبابيك والمسامير ونحوها، وخمسة آلاف نجار، وخمسة آلاف شخص لشتر الرخام، واستعمل عليهم مشدين ينهضونهم في الأعمال.

فما جاء إلا قليل من الزمان حتى طلعت الأبنية وارتفعت، وعقدوا العقود، وبنوا الدور والقصور، وبنوا الحمامات، ورتبوا القنوات، وأجروا فيها مياه كثيرة، فمكثوا فيها مدة حتى فرغت، وجاءت في هيئة حسنة وقالب عجيب ظريف.

ولما فرغوا دخلوا على خريندا وأعلموه بها، فدخل فيها واندعش، وأعجبته إعجاباً عظيماً وقال: هذا هو الذي كان في خاطري، / ١٢ / ثم إنه خلع على جميع المعلمين والعمال والصناع، ثم طلب جميع الأمراء والجيش بكماله، وأولم لهم وليمة عظيمة، وقال: أيها الأمراء ما نسمي هذه المدينة؟ قالوا: سموها السلطانية، ثم نادى في الناس أن ينقلوا إليها، فقصدوها من كل مكان، فسكنوا فيها، فطابت لهم، واختاروها على سائر البلاد وقصدتها التجار والسفرار، وعمروا حواليتها ضياعاً، وغرسوا بساتين، وجميع الأشجار، ثم طلب خريندا رشيد الدولة وجعله حاكماً فيها، وقلده أمور الناس، وقال له: كل شيء تفعل في عنقك وأنا بريء من ذلك، وشاع ذكر خريندا في البلاد بالعدل والإحسان.

(١) رشيد الدولة: هو فضل الله بن أبي الخير بن غالي الهمداني، الوزير رشيد الدولة، كان والده عطاراً يهودياً، أسلم هو واتصل بملك التتار غازان محمود ودخل بخدمته، كان من المشتغلين بالطب والفلسفة والتاريخ، له كتاب (جامع التواريخ)، أتمه بقتل الملك خريندا بالسم، فُتِل سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٤١ والوائي، ج ٢٤، ص ٥٨. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٢٧١. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٩٩. المقرئ: السلوك، ج ٣، ص ١١، النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٩٤. الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ١٥٢.

(٢) أثون: موقد كبير، موقد نار الحمام، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَوْضِعِ الَّذِي يُطْبَخُ فِيهِ الْآجُرُّ. الزبيدي: تاج، ج ٣٦، ص ١٨. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٥٨.

(٣) مكررة في الأصل.

قلت: السلطانية هذه هي: قنغرلان، بضم القاف وسكون النون وضم الغين المعجمة وسكون الراء ولام ألف ونون، وهي [من]^(١) تبريز في سمت الشرق بميلة يسيرة إلى الجنوب، وبينهما مسيرة ثمانية أيام، ولما بناها خربندا جعلها كرسي مملكته، وهي بالقرب من جبال كيلان على مسيرة يوم منها.

وكان خربندا يفرح بهذه المدينة، ولما استقر فيها أرسلت إليه ملوك البلاد بالهدايا والتقادم والتحف، ومن جملة ذلك أن ملك الروم أرسل إليه شخصاً طوله خمسة عشرة ذراعاً، ولم تفهم له لغة، وليس يتكلم، ولكنه إذا جاع بكى، وإذا شبع ضحك.

وذكر عن خربندا: أنه كان / ١٣ / يركب فرسه، ويأخذ معه قوس بندق وبنادق ذهب، ويخرج إلى ظاهر المدينة ويرمي بين المساكين، فأى من وقعت له بندقة أخذها وعاش بها، وأمر أياً من باع من هذه البنادق لا يتعرض إليه ولا يؤخذ منه مكس^(٢)، وعُيِّرَ شيئاً كثيراً من المفاسد التي كانت عليه، وانصلحت حاله.

وذكر عنه: كان يوماً من الأيام داخلاً في شارع من شوارع السلطانية، فأتفق أنه جاز على دكان طبّاح، فدعا له الطبّاح، وقال له: أيها الملك، أتمنى عليك أن تأكل من هذا الطعام ولو كان فرد لقمة واحدة صدقة عن الملك ليكون جبراً لقلب المملوك، وكان على الطبّاح ازدحام عظيم لأنه كان موصوفاً بحسن الطعام، فلما سمع خربندا بذلك وقف ونظر إلى الأمراء فقال لهم: لأفعلن مع هذا الطبّاح شيئاً لم يفعله أحد من الملوك من قبلي، ثم إنه ترجل، فترجلت المغل جميعهم، ودخل خربندا إلى داخل الدكان والناس ينظرون إليه، وطلب فوطة فأتوه بها فشد بها وسطه وقال للطبّاح: تأخر أنت، فتأخر إلى وراءه فقال: يا طبّاح، أنا أبيع لك طعامك عوضاً عنك، فباس الطبّاح الأرض، وقال: يا خوند، الله، الله، فقال له: اسكت والأمراء والأعيان كلهم واقفون وهم / ١٤ / في هرج مرج، ثم قال: من أحبني يشتري مني من هذا الطعام، وكان يجنب قدور الطعام إناء كبير يسع فيه راويتان من الماء، وهي فارغة فازدحمت على خربندا الأمراء لشراء الطعام، فيجيء واحد منهم ويناول عشرة دنانير وآخر خمسة وآخر خمسة عشر، كل

(١) إضافة لاكتمال المعنى.

(٢) المكس: هو الضريبة التي تؤخذ من بائع السلع في الأسواق، وتعني أيضاً: الضريبة التي تؤخذ ممن يدخل البلد من التجار على قيمة البضائع القادمة بها. ابن منظور: لسان، ج ٦، ص ٢٢٠. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٤٠٦.

أحد بحسب حاله، وخريندا عمال في الغرف في الزبادي في كل زبديّة بطرف مغرفة مقدار ثلاث أواق^(١) طعام مصرية، ولم يزل على ذلك حتى فرغت الأطعمة وامتأ ذلك الإناء ذهباً وفضة.

وسمعت بلغان خاتون^(٢) زوجة خريندا بهذه القضية، فقالت: والله، أنا أيضاً أشتري من غير أن يشعر بي الملك، فقامت وتنكرت وجاءت إليه وإذا بالخلق الكثير يزدهمون عليه، فشقت الناس، ودخلت ووقفت بين يدي خريندا ومدت يدها إلى باطن ثيابها، فأخرجت حجر ياقوت بهرمان^(٣) لا يوجد له نظير في خزائن الملوك، وناولته لخريندا، فلما أخذه عرفه فنظر إليها وعرفها، فقال: إيش يجيء بهذا؟ وغرف لها في زبديّة مغرفة طعام، وكان هذا الحجر وراثة من قازان وهبة لبلغان خاتون، فلما سمعت ١٥/ بما فعله خريندا مع الطباخ، قالت: ما لي شيء أواجهه به إلا هذا الحجر.

فلما فرغ خريندا ولم يبق من الطعام شيء، خرج من الدكان وراح إلى الحمام فدخل فيه ليغتسل، فبينما هو في الحمام فإذا بخادم قد دخل عليه، وقال له: أبشر أيها الملك فقد جاء لك ولد ذكر، فقال: بشرتموني وأنا في الحمام الجديد والبلد الجديد، فإن شاء الله تعالى يكون طالعه بسعد سعيد، ثم خرج من الحمام ودخل إلى قصره وعمل الولائم، وأخرج الصدقات، ونادى في البلاد أن لا يتخلف كبير ولا صغير إلا ويحضر الوليمة، فأقاموا سبعة أيام في أكل وشرب وفرح، وتُمنّى المولود أبا سعيد، ثم أقام خريندا ينظر في أحوال الناس، ويكشف المظالم.

(١) أواق: مفردا أوقية، وزن من الأوزان يختلف مقداره من بلد لآخر. رمضان: الأوزان، ص ٨-٩. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ١٣٩.

(٢) بلغان خاتون: كانت أكبر زوجات أرغون بن أبغا وبعد موته سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م تزوجها ابنه قازان على (ياسا المغول) وكان مغرمًا بحبها، وعندما أسلم قازان قيل له: إن الإسلام يفرق بينك وبينها، لأنه لا يجوز في دين الإسلام أن ينكح الرجل ما نكح آباؤه من النساء، فهتم بالردة إلى أن أفتاه بعض العلماء بأن أباه أرغون كان كافراً، وكانت بلغان خاتون معه سفاحاً والحرام غير محرم، فيجوز لك أن تنكحها، فسر بذلك، وعقد عقد نكاحه عليها، وثبت على الإسلام، ولولا ذلك لارتد. قيل: ولاموا من أفتاه، فقال: إنما قلت ظاهر الشرع، وإن تسهلت فالتسهل في ارتكاب غازان بمحرم واحد هو أسهل من أن يرتد كافراً، وينتصب لمعاداة الإسلام وأهله. فاستحسن ذلك من قوله، وعرف فيه حسن قصده. وبعد وفاة قازان سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م تزوجها أخيه خريندا. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ٨-٩.

(٣) ياقوت بهرمان: ياقوت حجري، عقيق أحمر. دوزي: تكملة المعاجم، ج ١، ص ٤٦٥.

وكان إذا راح إلى بغداد يكثر زيارة قبر أحمد بن حنبل^(١) رضي الله عنه، وفي بعض الأيام خرج إلى زيارته، فزاره، ثم [عاد]^(٢) فبات تلك الليلة إلى نصف الليل، ثم استيقظ فقام وخرج وحده سراً من غير أن يشعر به أحد، وأتى إلى جانب الشط، وأراد أن يعدي إلى ذاك البر، وإذا بملاح نائم في شخثوره^(٣)، وكان يُسمى شاطراً، فقال خريندا: يا شاطر، فانتبه من نومك، وقال: خير، فقال: عدّ^(٤) بي /١٦/ إلى ذاك البر، فنظر إليه ورأى عليه آثار الحُشمة، فقال له: نعم، فأركبه وعدى به، فلما وصل إلى ذاك البر قال له: لا تنزل في مكانك حتى أعود إليك، فسار خريندا ووقف الشاطر ينتظره إلى أن ذهب أكثر الليل وعَوَّل على الانصراف، فلم يأتي إليه أحد، فقال: والله، ما قصة هذا بخير، فقام وربط شخثوره وخرج يُدَوِّر عليه، وسيفه في يده حتى وصل إلى تربة [الإمام]^(٥) أحمد بن حنبل رحمه الله، فوجد خريندا هناك وهو ساجد يبكي ويتضرع إلى الله تعالى ويسأله التوبة مما جناه، فأحس به خريندا، فجلس والتفت فرأى الشاطر فعرفه، وعرف الشاطر بأنه خريندا، فقال له: ما حملك إلى أن أتيت إلى هذا المكان خلفي؟ فباس الأرض، وقال: أطال الله عمر الخان، خفت عليك بأن يراك أحد فيحصل التشويش، أو يلقاك شيء من الوحش فيضرك، فقال له: يا شاطر، اكتم علكي ما رأيت، فزار وخرج، وعدى ومضى إلى قصره.

وفيها بلغ النيل: [الماء القلسم ذراعان وسبعة أصابع، مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وسبعة أصابع، وكان الوفاء قبل النوروز بيوم واحد]^(٦) وفيها حج بالناس من مصر الأمير سيف الدين طقصبا الناصري، وحج الأمير شمس الدين بلبان الشمسي أميراً على الركب الشامي. /١٧/

(١) أحمد بن حنبل: الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، توفي سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م. الصفدي: الوافي، ج ٦، ص ٢٢٥-٢٢٨. الشيباني، صالح بن أحمد ت: ٢٦٥هـ/٨٧٨م: سيرة الإمام أحمد بن حنبل، تح: فؤاد أحمد، دار الدعوة، ط ١، الإسكندرية، ١٩٨٣م، ص ٢٩-٣٥.

(٢) في الأصل: ععاد.

(٣) الشخثور: من أنواع المراكب البحرية الشراعية. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٢٧٠.

(٤) عدّ: عدَّى النَّهْرَ: جَاوَزَهُ "عدَّى حدوده". عبد الحميد عمر: معجم، ج ٢، ص ١٤٧٢.

(٥) مكتوبة بhamش الأصل بخط مائل للأعلى، وأشار الناسخ إلى موضعها في المتن.

(٦) في الأصل: بياض حوالي سطر، والإضافة من: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٦.

ذِكْر مَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ

● القاضي عماد الدين أبو الحسن علي بن فخر الدين عبد العزيز بن القاضي [عماد الدين]^(١) عبد الرحمن بن السكري،^(٢) توفي يوم الجمعة السادس والعشرين من صفر ودفن بالقرافة، وكانت وفاته بالمدرسة المعروفة بمنازل العز^(٣)، وكان مولده في الخامس والعشرين من المحرم سنة ثمان وثلاثين وستمائة،^(٤) وهو الذي كان قد توجه إلى قازان رسولاً، وكان يلي تدريس منازل العز وتدرّس مشهد الحسين^(٥) وخطابة جامع الحاكم، وولي صدر الدين بن المرحل تدريس مشهد الحسين رضي الله عنه، وكان معدوداً في رؤساء المصرية وعنده عقل وافر ودين ورئاسة رحمه الله.

● الخطيب قطب الدين يوسف بن الخطيب أصيل الدين محمد بن إبراهيم بن عمر العوفي الأسعدي،^(٦) خطيب جامع الصالح^(٧) خارج باب زويلة^(٨)، توفي ليلة السبت العشرين من رجب فجأة، ودفن

(١) مكتوبة بhamش الأصل، وأشار الناسخ إلى موضعها بالمتن.

(٢) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ٤١٥. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ٩٩. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٧٢. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٥. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٨، ص ٦٠. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٠. ابن حبيب: درة، ج ١، ورقة: ١٩٧.

(٣) منازل العز: دار أنشأها تغريد أم العزيز بالله بن المعز الفاطمي، تشرف على النيل، اتخذها الخلفاء الفاطميون متنزهاً، ثم اشتراها سنة ٥٦٦هـ/م تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي وجعلها مدرسة للشافعية. المقرئ: الخطط، مج ٢، ص ٤٢٦، ٤٥١، ج ٤، ص ٢٠٢.

(٤) يوافق أولها السبت ٣ آب (أغسطس) ١٢٤٠م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٧١.

(٥) مشهّد: صرح أو عمارة تضم قبر ولي من الأولياء. ومشهد الحسين: بني في زمن الخليفة الفاطمي الفائز على يد الوزير الصالح طلائع بن رزيك سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م، حيث أن طلائع قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليه من الفرنج، فبنى جامعاً خارج باب زويلة ليدفنه به، ويفوز بهذا الفخر، لكن أهل القصر عارضوه وقالوا: لا يكون ذلك إلا عندنا، فبنوا المشهد داخل القصر، ودفن الرأس به. وصار مزار تقام فيه النسك، وكان يُدرّس فيه الفقه وعلم الكلام والنحو. المقرئ: الخطط، مج ٢، ص ٣٢٢-٣٢٣. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٣، ص ٥٩، ج ٦، ص ٣٦٨.

(٦) ترجم له: النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٠. ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ٢٤١. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٩٢.

(٧) جامع الصالح: هذا الجامع من المواضع التي بنيت في زمن الخلفاء الفاطميين، بناه الصالح طلائع بن رزيك، خارج باب زويلة، وأقيمت الجمعة الأولى فيه في الأيام المعزية في سنة بضع وخمسين وخمسمائة هجرية. المقرئ: الخطط، مج ٤، ص ٨٤.

(٨) باب زويلة: أحد أبواب مدينة القاهرة، بناه بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر الفاطمي سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م، ورفع أبراجه، ولما أنشأ السلطان المملوكي المؤيد شيخ الحمودي مسجده داخل باب زويلة هدم الأبراج وأقام على أساسها مئذنتي مسجده، ولا يزال باب زويلة موجوداً إلى اليوم على رأس شارع المعز لدين الله الفاطمي الذي =

بسفح المقطم^(١)، وولي بعده الخطابة الشيخ زين الدين عمر بن يونس الكنائي الشافعي^(٢).

- الشيخ تاج الدين محمد بن علي بن همام العسقلاني الشافعي^(٣)، إمام جامع الصالحى، توفي ليلة السبت الحادي والعشرين من شعبان، وولد في الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ١٨٨ / أربع وأربعين وستمائة^(٤)، وولي الإمامة بعده ولده القاضي تقي الدين محمد^(٥).
- الشيخ الإمام المقرئ المجيد الزاهد الورع تقي الدين أبو بكر بن عمر بن المشيخ الجزري^(٦)، المعروف بالمقصاتي، مات فيها ودفن بسفح قاسيون قبالة الرباط الناصري^(٧)، وكان رجلاً صالحاً مواظباً على الإقراء أكثر من خمسين سنة بالعراق والشام، ولي إمامة الناصري والمدرسة الظاهرية^(٨) ودار الحديث

=يوصل بين هذا الباب وباب الفتوح. والعامية يسمونه «بوابة المتولى» لأن متولى الحسبة في الزمن الماضي كان يجلس بهذا الباب لتحصيل العوائد والرسوم من أصحاب الأملاك ومن التجار، ولتنظر فيما يعرض عليه يومياً من قضايا المخالفات والفصل فيها، وتُمنى بزويلة وهي قبيلة من قبائل البربر الواصلين مع جوهر الصقلي من المغرب. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٧٢، حاشية ٥. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٩٧. المقريري: الخطط، مج ٢، ص ٢٣٩.

(١) المقطم: هو الجبل المشرف على القرافة مقبرة فسطاط مصر والقاهرة، وهو جبل يمتد من أسوان وبلاد الحبشة على شاطئ النيل الشرقي حتى يكون منقطعه طرف القاهرة ويسمى في كل موضع باسم وعليه مساجد وصوامع للنصارى، لكنه لا نبت فيه ولا ماء غير عين صغيرة تنرّ في دير للنصارى بالصعيد. الحموي: البلدان، ج ٥، ص ١٧٦.

(٢) بالرجوع إلى كتاب الوافي؛ وأعيان للصفدي، وكتاب السلوك للمقريري وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات مفصلة عنه.

(٣) ترجم له: النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١١. المقريري: السلوك، ج ٢، ص ٤٩٢.

(٤) يوافق أولها الجمعة ٣١ أيار (مايو) ١٢٤٦ م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٧٧.

(٥) محمد بن محمد بن علي: ولد سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م، له كتاب "سلاح المؤمن" وكتاب "الاهتداء في الوقف" توفي فجأة سنة ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ٤٦٩.

(٦) ترجم له: الذهبي: العبر، ج ٤، ص ٣٧. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٨، ص ٥٩. الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٧٢٨. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٥٤١. المقريري: السلوك، ج ٢، ص ٤٩١. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٠٩.

(٧) الرباط الناصري: أنشأه الملك الناصر صلاح الدين بن الملك العزيز عثمان الأيوبي بسفح قاسيون سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م، والرباط: دار حصينة كان العرب المسلمون يقيمونها لأغراض حربية ودينية في مناطق الثغور بين الدولة الإسلامية وما يجاورها من الدول، وذلك لدفع الغارات المعادية، وأثناء السلم واستقرار الأوضاع السياسية تتحول إلى أماكن للعبادة والدرس من قبل المجاهدين الذين في غالبيتهم من الجماعات الصوفية. ابن بدران: منادمة الأطلال، ص ٦٢. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٨) المدرسة الظاهرية: الجوانية بدمشق أنشأها السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م، وجعلها مدرسة ودار للحديث وتربة له، وتقع بين بابي الفرج والفراديس، قبلي الإقباليين والجاروخية وشرقي العادلية الكبرى، وهي اليوم مقراً لدار الكتب الوطنية بدمشق. ابن بدران: منادمة الأطلال، ص ١١٩. النعيمي: الدارس، مج ١، ص ٢٦٣.

الأشرفية^(١)، وناب في الخطابة والإمامة بجامع دمشق نحو عشر سنين، وكان عمره حين مات قد جاوز الثمانين سنة رحمه الله.

● الشيخ العدل الأصيل نجم الدين أبو العباس أحمد بن جمال الدين أبي الفضل محمد بن علي بن محفوظ بن صصري التغلبي،^(٢) الدمشقي، مات في التاسع عشر من شوال ومولده في رمضان سنة خمس وعشرين وستمائة^(٣)، ودفن بمقابر باب توما^(٤) جوار الشيخ رسلان^(٥)، وكان شيخاً حسناً فيه ديانة وتواضع، خدم في عدة جهات وروى عن السخاوي وابن الدجاجة^(٦) وعبد الواحد بن هلال^(٧) وعتيق السلماني^(٨) وغيرهم، وتفرد بعدة أجراء.

● الشيخ الصالح صفى الدين أبو العلاء سليمان بن موسى بن العلاء السلماني^(٩) الصوفي الكاتب،^(١٠)

^(١) دار الحديث الأشرفية: تقع بجوار باب قلعة دمشق الشرقي، غرب العصورونية وشمال القيمازية، كانت داراً للأمير قايمار النجمي، فبناها الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب بعد أن اشتراها، وكان افتتاحها في ليلة النصف من شعبان سنة ٦٣٠هـ/م، وعين الشيخ تقي الدين بن الصلاح شيخاً لها. ابن بدران: مناداة الأطلال، ص ٢٤ وما بعدها. النعيمي: الدارس، مج ١، ص ١٥ وما بعدها.

^(٢) ترجم له: ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٣١٠. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١١٧.

^(٣) يوافق أولها السبت ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٢٢٧م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٥٨.

^(٤) باب توما: أحد ابواب دمشق الثمانية، من الجهة الشمالية الشرقية بين باب شرقي وباب السلامة، سُمي بذلك نسبة إلى عظيم من عظماء الروم اسمه (توما) وكانت عند الباب كنيسة تحولت بعد ذلك إلى مسجد. الحميري: الروض المعطار، ص ٢٤٠. ابن بدران: مناداة الأطلال، ص ٤١. الشهابي، قتيبة: معالم دمشق التاريخية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦م، ص ٣٧.

^(٥) الشيخ رسلان: أرسلان بن يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد الله، أصله من قلعة جعبر، ثم أتى إلى دمشق وكان نشاراً ينشر الخشب ويقسم أجرته أثلاثاً، ثلثاً للنفقة وثلثاً للصدقة وثلثاً للكسوة، وكان يتعبد في مسجد صغير داخل باب توما، ثم خرج بعد ذلك إلى مسجد خالد بن الوليد في ظاهر باب توما، وأقام هناك إلى أن توفي بعد سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م، وإليه تُنسب التربة الأرسلانية. الصفدي: الوافي، ج ٨، ص ٢٢٤. ابن بدران: مناداة الأطلال، ص ٣١٨.

^(٦) ابن الدجاجة: محمد بن مكّي بن محمد بن حسن بن عبد الله، القرشي، الدمشقي، الأديب بهاء الدين، توفي سنة ٦٥٧هـ/م. الكتي: الوفيات، ج ٤، ص ٤٠. الصفدي: الوافي، ج ٥، ص ٣٩.

^(٧) عبد الواحد بن عبد الحميد بن عبد الواحد بن هلال، الأزدي، توفي سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م. ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ٢٢٧. الصفدي: الوافي، ج ٣، ص ١٨٨.

^(٨) عتيق بن أبي الفضل بن سلامة العدل، أبو بكر السلماني، توفي سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م. الذهبي: النبلاء، ج ١٦، ص ٤٠٦.

^(٩) المسلماني، عند البرزالي.

^(١٠) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٤٥٧. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١١٩.

١٩/ مات في هذه السنة ودفن بمقابر الصوفية، وكان رجلاً صالحاً، [وكان]^(١) أصله يهودياً من اليهود القرايين^(٢)، أسلم وحسن إسلامه في الدولة الأشرفية، وكان مستوفياً للفتوحات الطرابلسية، فلما أسلم بنى له زاوية ببلاد طرابلس وانظم إليه جماعة فقراء، وبعد وقعة قازان قدم إلى دمشق فأقام عند الصوفية بالسُمسياطية^(٣)، واطلع على مباشري وقفها وسوء تصرفهم فحاققهم وأثبت في جهتهم شيئاً كثيراً، فحصل للصوفية الانتفاع لمعرفته بذلك وأمانته، وكان عفيفاً نزهاً دينياً يصلي كل صلاة مع جميع الأئمة بالجامع الأموي.

● الشيخ عز الدين عبد العزيز بن منصور الكُوملي،^(٤) التاجر الكارمي، مات في رمضان بالاسكندرية، وكان والده يهودياً من يهود حلب عرف بالحموي فأسلم في الدولة الظاهرية هو وأخوته وتوفي في أول الدولة المنصورية، فجمع عز الدين المذكور ما يملكه وتوجه إلى بغداد، وكان ذلك دون الخمسمائة ألف درهم، ودخل من بغداد إلى البصرة ثم إلى كيش^(٥)، ثم دخل إلى بلاد الصين وخرج منه خمس مرات بالسلامة، ثم دخل بلاد الهند، ثم منها إلى عدن من بلاد اليمن، وأخذ صاحب اليمن منه جملة كثيرة، ٢٠/ ثم وصل إلى مصر في سنة أربع وسبعمائة^(٦) ومعه من العروض ما قيمته ألف ألف دينار عيناً، وكان خيراً كثير الصدقة لم يَرُدَّ سائلاً قط.

● الأمير جمال الدين آقوش الكنجي،^(٧) النائب بحصن مضيا، توفي فيها^(٨)، وقد بلغ السبعين.

(١) مكتوبة بhamش الأصل، وأشار الناسخ إلى موضعها بالمتن.

(٢) القرايين: كهنة اليهود، مقدمي الذبائح أو القرايين. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٩، ص ١٥٨.

(٣) بالعودة إلى كتاب معجم البلدان للحموي، وكتاب خطط الشام لكرد علي، وكتاب منادمة الأطلال لابن بدران وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات عن هذا المكان.

(٤) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ١٠٦، والوافي، ج ١٨، ص ٣٤٧. المقريزي: السلوك، ج ٢، ص ٤٩٢. ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ١٨٢. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١١٨.

(٥) كيش: جزيرة في بحر عُمان، وهي مرفأً مراكب الهند وبر فارس. ابن عبد الحق: مرصود، مج ٣، ص ١١٩٣. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٤٩٧. الحميري: الروض، ص ٥٠٥.

(٦) يوافق أولها الإثنين ١٦ آب (أغسطس) ١٣٠٤ م. باشا: التوقيعات الإلهامية، مج ١، ص ٧٣٧.

(٧) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٥٧٧. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٢١. المقريزي: السلوك، ج ٢، ص ٤٩٢. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٤٧٥. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٢.

(٨) يوم الأحد ثامن عشرين ذي القعدة. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٢. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٢١.

● الأمير جمال الدين إبراهيم بن خالد بن عباس الأنصاري،^(١) المعروف بابن النحاس، كان هو وأبوه من أهل سوق النحاسين بدمشق، وكان يخدم الأمراء، فخدم الأمير جمال الدين الأفرم، وحظي عنده، وولاه شد الزكاة والمواريث والوكالة في وقت واحد، ثم تولى ولاية المدينة، وبقي على ذلك مدة، ثم ضعف بصره، وناب عنده ولده، ثم عُمي بالكلية، فصُرف ولزم بيته، وكانت له ثروة وأملاك، وعنده مروءة.

● الأمير [المشد الكبير]^(٢) علاء الدين أبو سعيد بيبرس بن عبد الله التركي،^(٣) العديمي الحنفي، مات بحلب،^(٤) ودفن بتربة بني العديم، وقد قارب التسعين سنة، وانفرد بالرواية قبل موته، وقُصِد، ورحلوا إليه رحمه الله.

● صاحب مراکش^(٥): سليمان بن عبد الله المريني،^(٦) توفي فيها، واستقر عوضه عمه أبو سعيد عثمان بن يعقوب،^(٧) واستوثق أمره، فقصد تلمسان^(٨) لينتزعها من يد ابن يغمراسن^(٩)، وكان له ولدان:

(١) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٧١.

(٢) في الأصل: المشيد.

(٣) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٧٥ والوافي، ج ١٠، ص ٢١٩. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٢٠. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٤٠. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٣، ص ٤٧٦ والنجوم، ج ٩، ص ٢٢٥. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٩٢. ابن الوردي: تاريخه، ج ٢، ص ٢٥٤. ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٥٥، ودرة، ج ١، ورقة: ١٩٧.

(٤) في ذي القعدة. عند المقرئ. في بكرة الثلاثاء التاسع من ذي القعدة. عند البرزالي.

(٥) مراکش: مدينة من أعظم مدن المغرب الأقصى، في وسط بلاد البربر شمال مدينة أغمات، بينها وبين البحر عشرة أيام، بناها يوسف بن تاشفين سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م، وهي اليوم مدينة مهمة في المملكة المغربية. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٢٣٤. القزويني: آثار البلاد، ص ١١١. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٣، ص ١٢٥١. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ٩٤. الحميري: الروض المعطار، ص ٥٤٠.

(٦) المريني: سليمان بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق، المريني، ولي المملكة بعد أخيه عامر سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٠٠. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٥.

(٧) عثمان بن يعقوب: السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، المغربي المريني، صاحب مراکش وفاس وغيرهما، توفي سنة ٧٣١هـ/١٣٣١م. الصفدي: الوافي، ج ٩، ص ٣٣٩ وأعيان، ج ٣، ص ٢٣٢. ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ٢٦٥. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٧، ص ٤٣٠. الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ٢١٥.

(٨) تلمسان: مدينة عظيمة وقديمة، وهي قاعدة المغرب الأوسط، تقع على سفح جبل أكثر شجره شجر الجوز، لها نهر يسمى: سطفسييف، تتبع لها قرى كثيرة، عمائر متصلة ولها خمسة أبواب. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٢٤٨. القزويني: آثار البلاد، ص ١٧٢. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ٢٧٢. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٤٤. الحميري: الروض المعطار، ص ١٣٥.

(٩) ابن يغمراسن: موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان، أبو حمو، رابع سلاطين بني عبد الواد من آل زيان في تلمسان وبلاد المغرب الأوسط، توفي سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م. ابن الخطيب، محمد بن عبد الله، لسان الدين ت: =

أحدهما يسمى أبا الحسن علي^(١)، ٢١/ والآخر أبا حفص عمر^(٢)، فاستصحب عمر معه، وسار إليها، ونزل عليها، وكان صاحبها موسى بن عثمان بن يغمراسن الملقب أبو حمو دس عليه أقواماً كالفداوية ليقتلوه، وجعل لكل منهم جعالة^(٣) على قتله، وأعطاهم مالاّ معجلاً، فأتى واحد منهم إلى أبي سعيد المريني، وقد تمكن منه، وقال: إن أبا حمو دس عليك رجالاً وأعطاهم مالاّ ليغتالوك، وأنا واحد منهم، وقد أبقيت عليك، وأنا نصيح لك أن ترحل من بلده، وإلا فأنت مقتول حين لا تعلم، فأوجس خيفة من مقاله، وبادر بارتحاله لحاله، ورجع إلى فاس^(٤)، فخالفه ولده أبو حفص عمر، وافترق جيشه فرقتين إحداها معه، والأخرى مع ولده، ثم إن الذين مع ولده أخذوا يتسللون ويتحيزون إلى فئة أبيه، حتى إذا لم يبق معه إلا القليل خرج هارباً نحو سجلماسة^(٥)، وأقام بها، ثم تقرر الصلح بين أبي سعيد المريني، وبين أبو حمو صاحب تلمسان.

= ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م: الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: يوسف طویل، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٣م، ج ١، ص ٢٠٣. الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ٣٢٥.

(١) أبا الحسن علي: علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، أبو الحسن، المنصور بالله: من كبار بني مرين، ملوك المغرب، كان يعرف عند العامة بالسلطان الأكحل لسمره لونه، وأمه حبشية، بويغ بفاس بعد وفاة أبيه سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م بعهد منه، توفي سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م. الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ٣١١.

(٢) أبا حفص عمر: عمر بن عثمان بن يعقوب المريني، أبو أبو حفص، من سلاطين الدولة المرينية بالمغرب، كان وليّ عهد أبيه، وأدرسته نزوة حمقاء، فخلع أباه وقتله وجرحه سنة ٧١٤هـ/ ١٣١٤م، وأقام قليلاً بفاس وأبوه بتازا، ولم يستطع القيام بالأمر، فجاءه أبوه، فاتفقا على أن يعود الأب إلى عرشه وأن يتولى الابن سجلماسة وما والاها، ورحل إلى سجلماسة سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م فأقام مستقلاً، وبعد وفاة أبيه وثب على درعة فاحتلها وقتل عاملها ووجه العساكر إلى جهة مراكش، فعاد إليه عليّ (أخوه) فحاصره بسجلماسة، وقبض عليه وحمله معه إلى فاس فاعتقله ببعض حجر القصر أشهراً ثم قتله فصدأ وخنقاً سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م. الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ٥٤.

(٣) جعالة: جزاء، مكافأة كبيرة. دوزي: تكملة المعاجم، ج ٢، ص ٢٢٦.

(٤) فاس: مدينة كبيرة مشهورة في بلاد المغرب الأقصى، تقع بين ثنيتين عظيمتين يشقهما نهر يُسمى: وادي فاس، وهي منقسمة إلى قسمين مُسورين يقال لإحداها عدوة القرويين وللأخرى عدوة الأندلسيين، وهي أكثر بلاد المغرب خيراً وثماراً. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٢٤٢. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٢٣٠. القزويني: آثار البلاد، ص ١٠٢. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٣، ص ١٠١٤. الحميري: الروض المعطار، ص ٤٣٤.

(٥) سجلماسة: مدينة جنوب المغرب الأقصى، في صحراء المغرب، بينها وبين البحر عدة مراحل وبينها وبين فاس عشرة أيام باتجاه الجنوب، غالبية أهلها من البربر. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٢٢٥. الحموي: البلدان، مج ٣، ص ١٩٢. القزويني: آثار البلاد، ص ٤٢. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ٦٩٤. اليعقوبي: البلدان، ص ١٩٨. الحميري: الروض المعطار، ص ٣٠٥.

● الملك طقطاي بن منكوتر بن طغان بن باطو بن جنكزخان،^(١) ملك التتار بالبلاد [الشمالية]^(٢)، توفي فيها على مكان يُسمى: كرنا، مسافته إلى مدينة صراي^(٣) عشرة أيام، وذكر ابن كثير وفاته في السنة الماضية،^(٤) ولما مات طقطاي المذكور ٢٢ / لم يخلف ولداً، وكانت مدة مملكته ثلاثاً وعشرين سنة، وكان عمره يوم مات ثلاثين سنة، وكان شهماً شجاعاً على دين التتر في عبادة الأصنام والكواكب، يعظم البخشيّة^(٥) والحكماء والأطباء، ويكرم المسلمين أكثر من الجميع، وكان جيشه هائلاً، يقال أنه جرد من كل عشرة واحداً فبلغت التجريدة مئة ألف وخمسين ألفاً، وكانت وفاته في رمضان من هذه السنة^(٦)، وقيل في التي قبلها.

وكان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سَقَر إليه رسلاً مع رسله الذين وصلوا من جهته في سنة احدى عشر وسبعمائة،^(٧) وهما سيف الدين بلبان الخاص تركي،^(٨) وزين الدين قراجا^(٩) الخزندار، فلما وصلا إلى الموضع الذي مات فيه طقطاي، كان طقطاي هناك مريضاً، فلم يتمكنوا من الاجتماع به لمرضه، وإنما اجتمعا بخواتينه^(١٠)، وقدموا ما كان معهما من الهدايا، وأقاما

(١) ترجم له: الصفدي: الوافي، ج ١٦، ص ٢٦٩ وأعيان، ج ٢، ص ٦١٤. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٨٩. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٦، ص ٤٢٥ والنجوم، ج ٩، ص ٢٢٦.

(٢) في الأصل: الشامية، والبلاد الشمالية هي بلاد القفجاق التي تشمل جنوب روسيا وأقصى غرب آسيا وسيبيريا فيما بين نهر آتش والسواحل الجنوبية لبحر قزوين. النوري: نهاية الأرب، ج ٣٢، حاشية رقم ٣ ص ٨٨. عبد الحلیم، رجب: انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص ١٠٤.

(٣) صراي: مدينة عظيمة، وهي عاصمة بلاد التتار الشمالية، تقع غرب بحر الخزر وشماله على نحو مسيرة يومين، على شط نهر الأثل (القولغا) من الجانب الشمالي الشرقي. الفلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٥٥.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٦. وكذلك عند ابن الوردي: تاريخه، ج ٢، ص ٢٥٣.

(٥) البخشيّة: لفظ مغولي من أصل سنسكريتي، ومعناه الكهنة البوذيين، وهي ديانة المغول الشامانية التي تقوم على عبادة الخان الأعظم ابن الإله المعبود. العمري: مسالك، ج ٣، حاشية رقم ١ ص ١٤٨. الصياد، فؤاد عبد المعطي: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م، ج ١، ص ٣٣٥.

(٦) كذلك عند ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٦.

(٧) في سنة ثلاث عشرة وسبع مئة. عند ابن إيبك: كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٨٠.

(٨) بالرجوع إلى كتاب الوافي؛ وأعيان للصفدي، وكتاب السلوك للمقريزي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات عنه.

(٩) بالرجوع إلى كتاب الوافي؛ وأعيان للصفدي، وكتاب السلوك للمقريزي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات مفصلة عنه.

(١٠) خواتين: مفردا خاتون، امرأة شريفة الأصل، عالية المقام، كان يُلقَّب بها نساء الملوك. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٦٠٣.

على انتظار عافيته، فتحن مرضه ومات، وكُتِبَ لهما تسفير من قومه بثلاثين ألف درهم قرمية، كل ألف بأربعمائة درهم مصري، وكان الملك الناصر لما استبطأهما جهز رسولين آخرين بعدهما، وهما علاء الدين كندغدي البابلقي،^(١) وعلاء الدين طيغنا الكرموني،^(٢) فعند وصولهما صادفا الخاص تركي والخانداري بقرم^(٣)، عائدتين من عند القوم،^(٤) فوصل المذكوران /٢٣/ إلى اسطنبول و[سافرا]^(٥) إلى الأبواب الشريفة بمفردهما، وتقدم البابلقي والكرموني إلى كرنا وهو الموضع الذي مات فيه طقطاي، واجتمعا بأزبك خان^(٦) الذي جلس موضع طقطاي وقطلقتمر^(٧) نائبه، وجهزهما وجهز معهما رسولا من جهته اسمه منغوش كان قد ورد إلى الأبواب الشريفة من جهة طقطاي دفعة أولى، وأرسل قتلقتمر معه رسالة يعرض فيها للسلطان بالصلة بينهم، والخطبة له على بنت برلك أخي الملك طقطاي.

ذكر جلوس أزبك خان بن طغرلجا بن منكوتمر بن طغان بن باطو بن جنكزخان

لما توفي طقطاي المذكور [في التاريخ المذكور]^(٨)، جلس موضعه أزبك خان المذكور ابن أخي طقطاي المذكور، والذي أعانه على جلوسه أمير كبير من أمرائهم مُسلم يُسمى: قتلقتمر، كان يتولى^(١) بالرجوع إلى كتاب الوافي؛ وأعيان للصفدي، وكتاب السلوك للمقريزي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات مفصلة عنه.

^(٢) بالرجوع إلى كتاب الوافي؛ وأعيان للصفدي، وكتاب السلوك للمقريزي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات مفصلة عنه.

^(٣) قزم: مدينة عظيمة في بلاد القفجاق تقع على البحر الأسود، بها سُمِّيَتْ شبه جزيرة القرم. النويري: نهاية الأرب، ج ١، ص ٢٤٦، حاشية ٣.

^(٤) كان قدومهم إلى الأبواب الشريفة عائدتين من بلاد طقطاي سنة خمس عشرة وسبع مئة. المقريزي: السلوك، ج ٢، ص ٥٠٣.

^(٥) في الأصل: فرا، والتصحيح يتفق مع المعنى.

^(٦) أزبك خان: أزبك بن طقطاي، وقيل ابن طغرلجا بن منكوتمر بن طغان بن باتو بن دوشي بن جنكزخان، القان صاحب الدشت وبلاد المشرق، أسلم لما ملك سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، وحسن إسلامه، وحرص رعيته على الإسلام فأسلم بعضهم، كان شجاعاً كريماً، مليح الصورة ذا هبة وحرمة، ومملكته متسعة وهي من بحر القسطنطينية إلى نهر إرتش مسيرة ثمانمائة فرسخ، وعرضها من باب الأبواب إلى مدينة بلغار نحو ستمائة فرسخ، لكن أكثر ذلك قرى ومراعي، ودام أزبك خان في مملكته إلى أن توفي سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٢، ص ٣٤٣.

^(٧) بالرجوع إلى كتاب الوافي؛ وأعيان للصفدي، وكتاب السلوك للمقريزي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات مفصلة عنه.

^(٨) مكتوبة بهامش الأصل، وأشار الناسخ على موضعها بالمتن.

تدبير المملكة و[ترتيب] ^(١) أحوالها وجباية أموالها، وهذا الأمير له أخوان وهما: صراي تمر، ومحمد خواجاء، فذهبوا له الأمر.

واستعان بخاتون كبيرة من خواتينهم كانت زوجة طغرلجا والد أزيك، وكانت تُسمى: بيالون، فأعانتها وعضدته، وقررت له الجلوس على ٢٤ / الكرسي.

وكان قطلقتمر قد عاهد أنه إن جلس يُسلم ويتمسك بالإسلام، فلما جلس أسلم ودخل دين الله رغباً، واتخذ جامعاً يصلي فيه الخمس صلوات في أوقاتها، فتنكر له بعض الأمراء وأجمعوا على خلعه وهم: طيفور وطاز ومنجك ^(٢)، فلما جلس واستقر قتلهم ومعهم جماعة آخرين من الأعيان، ولما أحس هو وقطلقتمر [بمكيدتهم] ^(٣) أشار عليه أن يدخل إلى الأردن ويأمر بأجناد الأمراء و[إلزامهم] ^(٤) بالتباعد منه في مسيره، ليكون دخوله إلى الأردن بمفرده ففعل ذلك، ولما قرب من مخيمه وهؤلاء في قلة من العدد بحكم انفرادهم، كما أمر، رأى أن الفرصة ممكنة منهم فبذل السيف فيهم، ولم يغادر منهم إلا القليل، فاستوثق له الأمر وتزوج بإمرأة أبيه بيالون خاتون، وأفتاه مَنْ عنده من ذوي العلم بأن أباه كان كافراً، فكان عقده على هذه المرأة فاسداً، فاتخذها لنفسه امرأة.

وكان لها أخ يُسمى: بيدمر يلي مدينة أركنج ^(٥) وإقليم خوارزم ^(٦)، فعزله وولى قطلقتمر المذكور أركنج وخوارزم، فأنكرت عليه ذلك وعنفته بسببه وقالت: أنا التي حصّلت لك الملك، وبذلت لك المال لمن طلب مالا، والخيل لمن طلب خيلاً، والقماش لمن طلب ٢٥ / قماشاً، ونفسي سمحت بها لمن طلب مني وتعزل أخي؟! فاعتذر إليها وترضاها، والله أعلم.

^(١) في الأصل مكتوبة بين الأسطر، حيث شطب الناسخ على كلمة تدبير ضمن السطر.

^(٢) بالرجوع إلى كتاب الوافي؛ وأعيان للصفدي، وكتاب السلوك للمقريزي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات مفصلة عن هؤلاء الأمراء.

^(٣) في الأصل: بمكيدتهم.

^(٤) في الأصل: جزء من الكلمة (مهم) مكتوب في الهامش.

^(٥) بالعودة إلى كتاب معجم البلدان للحموي، وكتاب خطط الشام لكرد علي، وكتاب منادمة الأطلال لابن بدران وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات عن هذه المدينة. لكن يُحتمل أن المقصود مدينة (كنجا) وقد سبق تعريفها ص ١٤١.

^(٦) خوارزم: ناحية كبيرة من بلاد خراسان، قضبتها مدينة الجرجانية على نهر جيحون. القزويني: آثار البلاد، ص ٥٢٥. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ٤٨٧. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٣٥٩. الحميري: الروض المعطار، ص ٢٢٤.

فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الرابعة عشرة بعد السبعمئة*

استهلت هذه السنة ومستهلها كان موافقاً للحادي والعشرين من برمودة^(١).

واتفق أنه اخضّر ماء النيل وتغيّر تغيّراً عظيماً: لونه وطعمه وريحه، حتى شرب أكثر الناس من الآبار، والعادة أن يكون في مثل هذا التاريخ في غاية الصفاء، ثم بعد قليل عاد إلى الصفاء.

ولما دخلت هذه السنة، كان السلطان هو: الملك الناصر على حاله، والخليفة هو: المستكفي بالله على حاله، ونائب الشام هو: الأمير سيف الدين دنكز، ونائب حلب هو: الأمير سيف الدين سودي، ونائب طرابلس هو: الأمير تمر الساقى، ونائب صفد هو: الأمير بلبان طرنا.

ذِكْر مَنْ وَلِيَ وَظِيفَ وَمَنْ قُطِعَ

وفيها فوّضت النيابة بصفد لسيف الدين بلبان البديري،^(٢) عوضاً عن الأمير بلبان طرنا بحكم سؤاله الإعفاء، ولما توجه طرنا إلى دمشق فُبِضَ عليه واعتُقل بقلعتها مدة،^(٣) ثم نُقِلَ إلى قلعة الجبل واعتُقل بها. وفيها أُفْرِجَ عن برلغي الصغير صهر بيبرس الجاشنكير وخُلِّيَ سبيله. وفيها^(٤) فُبِضَ على الأمير بلبان الشمسي أمير الركب المصري /٢٦/ في السنة الخالية، لأمرٍ نَقَمَها عليه السلطان من سوء التصرف والتدبير وتضييعه مصلحة الحاج في المسير. وفيها أُفْرِجَ عن الأمير علاء الدين بن صبح^(٥) أمير الجبلية^(٦)، وحضر إلى دمشق وركب بسوق الخيل وفرح الناس بإطلاقه^(٧).

* يوافق أولها الأربعاء ١٧ نيسان (ابريل) سنة ١٣١٤ م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٧٤٧.

(١) برمودة: هو الشهر الثامن من شهور السنة القبطية، وشهور السنة القبطية هي: توت، بابة، هاتور، كيهك، طوبة، أمشير، برمها، برمودة، بشنس، بؤونة، أبيب، مسرى. النويري: نهاية الأرب، ج ١، ص ١٥٩.

(٢) توجه من دمشق إلى صفد يوم الجمعة ثاني عشرين ذي القعدة. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٦.

(٣) كان وصوله دمشق يوم الخميس حادي عشرين ذي القعدة. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٦.

(٤) في شهر صفر. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٤.

(٥) علاء الدين بن صبح: علي بن حسن بن صبح، أحد الأمراء بدمشق، توفي بالبقاع سنة ٧٢٤ هـ / ١٣٢٤ م.

الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ٣٣٤. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٤٥.

(٦) الجبلية: لفظ عربي الأصل، استعمل للدلالة على أهالي المناطق الجبلية في بلاد الشام مثل جبل القدس أو الخليل أو نابلس. دهمان: معجم الألفاظ، ص ٥١.

(٧) في يوم عيد الأضحى. عند ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٨١.

ذِكْر مَنْ قَدِمَ مِنَ الرُّسُلِ وَغَيْرِهِمْ

وفيها وصل إلى الأبواب الشريفة الرُّسل الذين كانوا ببلاد التتر بالشمال، وهما رسولاً الباب العزيز المتقدم ذكرهما، ومعهما منغوش رسول الملك أزيك خان صاحب البلاد الشمالية، وأبلغوا الرسالة وفاوض منغوش السلطان بما أشار إليه فطلقتهم من أمر الزواج والصلة، فحَسُنَ ذلك بخاطر السلطان الملك الناصر، وحصل للرسول المذكور إكرام زائد، ثم جُهِزَ وسَقَّرَ معه رسولان من الباب وهما: سيف الدين رزوح^(١) وحسين بن صارو^(٢)، وتردد الحديث في أمر المخطوبة وإحضارها، فلما وصلا إلى أزيك واجتمعا به، أبلغا الرسالة وأوصلا الهدية، ثم أعادها وجهاز معهما من عنده رُسلًا نذكرهم في السنة الآتية إن شاء الله تعالى.

ذِكْر تَجَرِيدَاتٍ وَقَعَتْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ لِلْحَرْبِ وَغَيْرِهَا مِنْ مِصْرَ وَالشَّامِ

الأولى: تجريدة دُنَيْسَر، /٢٧/ بضم الدال المهملة وفتح النون وسكون الياء آخر الحروف وبالسین المهملة وفي آخره راء، وهي بلدة في بلاد ماردين في الشرق، وكانت تجريدتها طائفة من العسكر الحلي، أغاروا عليها،^(٣) وقتلوا جماعة منها وأسروا آخرين، ووصل بعض الأسرى إلى دمشق في شهر ربيع الآخر^(٤).

قُلْتُ: وكان السبب في ذلك أن قوماً من التتار دخلوا في بلاد ماردين ودنيسر، فخرجت طائفة من عسكر حلب ومقدمهم الأمير حسام الدين قرا طرنطاي^(٥)، فأغاروا عليهم، وقتلوا منهم جماعة وأسروا آخرين، وسبوا وعادوا سالمين غانمين، بعد أن دخل مقدم التتار البلد، وتحصَّن هو ومن معه في

(١) سيف الدين أرج. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٢٦. وبالرجوع إلى كتاب الوافي؛ وأعيان للصفدي، وكتاب السلوك للمقريزي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات عنه.

(٢) حسام الدين حسين بن صارو. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٢٧. وبالرجوع إلى كتاب الوافي؛ وأعيان للصفدي، وكتاب السلوك للمقريزي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات عنه.

(٣) في شهر ربيع الأول. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٥.

(٤) في أواخر شهر ربيع الآخر. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٣٤.

(٥) قرا طرنطاي: الأمير حسام الدين قرا طرنطاي، كان أميراً بحلب، ثم نُقل إلى دمشق فوصلها مريضاً فمات بها في رمضان سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م. الصفدي: أعيان، ج ٤، ص ١٠٠.

الجامع، فقاتلهم المسلمون ثلاثة أيام، ثم إنهم طلبوا الأمان، فأخرجوهم، وحُمل بعضهم مُصَفِّدًا إلى الديار المصرية، وسار العسكر الحلبي إلى دير برصوما^(١)، ونازلوه وأخذوه، وأسروا من كان فيه، ثم أخربوه، وهو دير مشتمل على حصن.

الثانية: تجريدة من مصر، جرَّدها الملك الناصر لأجل النظر في أمور الجسور والترع، فندب لذلك أكابر أمرائه ليهتموا بإتقانها وإزاحة أعذارها^(٢) قبل أوانها، فتوجه كل واحد منهم إلى موضع عيّنه فيه السلطان، وهم: ٢٨ / الأمير شرف الدين أمير حسين بن جندر إلى أسيوط^(٣) ومنفلوط^(٤)، والأمير علاء الدين أيدغدي شقير إلى البهنساوية^(٥)، والأمير عز الدين أيدمر الخطيري^(٦) إلى الشرقية^(٧)، والأمير سيف الدين قلي السلحدار إلى بلاد الأشمونين^(٨) والطحاوية^(٩)، والأمير بدر الدين بكتوت الشمسي إلى

(١) دير برصوما: يقع هذا الدير في بلاد الروم قرب ملطية على رأس جبل، يوجد بجانبه متنزه، وفيه رهبان كثيرة، وهو منسوب إلى برصوما (أحد الحواريين). الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٥٠٠. القزويني: آثار البلاد، ص ٥٢٩. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٢، ص ٥٥٤.

(٢) أعذار: أَعْدَرَ الرَّجُلُ إِعْدَارًا، إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ وَعُيُوبُهُ، وَصَارَ دَا عَيْبٍ وَفَسَادٍ. والمقصود في النص: العوائق والعيوب. الزبيدي: تاج، ١٢، ص ٥٤٢.

(٣) أسيوط: مدينة جليلة وكبيرة على الضفة الغربية من نهر النيل، من نواحي صعيد مصر، بها يُعمل الأفيون. الحموي: البلدان، مج ١، ص ١٩٣. القزويني: آثار البلاد، ص ١٤٧. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ٧٩. الحميري: الروض المعطار، ص ٥٨.

(٤) منفلوط: بليدة غرب نهر النيل بصعيد مصر، تبعد عن شاطئ النيل مسافة. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ٢١٤. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٣، ص ١٣٢٣.

(٥) البهنساوية: من أعمال مصر بالصعيد مما يلي الجيزة من الجنوب، مركزها مدينة البهنسي بالبر الغربي من النيل. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٥٠. العمري: مسالك، ج ٣، ص ٥٠٠.

(٦) أيدمر الخطيري: الأمير عز الدين الخطيري، كان من مماليك شرف الدين أوحده بن الخطير، ثم منحه الناصر محمد إمرة مائة وعشرين فارساً، توفي سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م. الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٦٦٠ والوائي، ج ١٠، ص ١٢. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٥١١. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٣، ص ١٨٠.

(٧) الشرقية: كورة في جنوبي مصر، تضم عدة نواحي مثل باخة، سرنجا، دقدوس وغيرها. الحموي: البلدان، مج ٣، ص ٣٣٧. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ١٤٩، مج ٢، ص ٧١٠.

(٨) الأشمونين: مدينة قديمة، هي قصبه كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل. الحموي: البلدان، مج ١، ص ٢٠٠. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ٨٤.

(٩) الطحاوية: منطقة بالصعيد الأدنى، غربي النيل بالأشمونين. العمري: مسالك، ج ٣، ص ٥٠٠.

الفيوم^(١)، والأمير سيف الدين بهادر^(٢) [المعزي]^(٣) إلى إخميم^(٤)، والأمير [بهاء الدين أصلم]^(٥) إلى قوص^(٦)، والأمير سيف الدين آقول الحاجب إلى الغربية^(٧)، والأمير بدر الدين جنكلي بن البابا إلى القليوبية^(٨)، والأمير علاء الدين الثليلي^(٩) إلى البحيرة^(١٠).

الثالثة: تجريدة ملطية^(١١)، قال ابن كثير: وفيها عزم السلطان على قصد ملطية، فجهز إليها جيشاً صحبة ستة من الأمراء القاطنين بمصر، وهم: سيف الدين أبو بكري، وعلم الدين سنجر

(١) الفيوم: ناحية من نواحي غربي مصر فيها قرى كثيرة، تقع في منخفض من الأرض والنيل يشرف عليها. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٢٨٦. القزويني: آثار البلاد، ص ٢٣٨. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٣، ص ١٠٥٣. الحميري: الروض المعطار، ص ٤٤٥.

(٢) بهادر المعزي: الأمير سيف الدين بهادر بن عبد الله التركماني المعزي، أحد الأمراء المقربين من الناصر، توفي أواخر سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٥٩ والوافي، ج ١٠، ص ١٨٧. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٣. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٣، ص ٤٣٠.

(٣) في الأصل: المغربي، مكتوبة في الهامش، وأشار الناسخ إلى موضعها بالمتن.

(٤) إخميم: مدينة كبيرة بصعيد مصر، على شاطئ النيل الشرقي، فيها أسواق وحمامات ومساجد كثيرة. الحموي: البلدان، مج ١، ص ١٢٣. القزويني: آثار البلاد، ص ١٣٩. ابن عبد الحق: مراصد، مج ١، ص ٤٣. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ١٢٥. ابن جبير: الرحلة، ص ٣٣. الحميري: الروض المعطار، ص ١٥.

(٥) في الأصل: سيف الدين أصلم، وهو الأمير بهاء الدين أصلم، القبحاقي السلحدار، كان أمير مئة ومقدم ألف في الدولة الناصرية، توفي سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م. الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٥٤٠ والوافي، ج ٩، ص ١٦٨. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٤٦٢. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٢، ص ٤٥٥.

(٦) قوص: مدينة كبيرة عظيمة بين النيل والبحر الأحمر، هي قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر ميلاً. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ٤١٣. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ١٢٨. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٣، ص ١١٣٣. الحميري: الروض المعطار، ص ٤٨٤.

(٧) الغربية: اسم لبلاد واسعة في الجهة الغربية الجنوبية من مصر، تضم العديد من النواحي مثل المنوفية، أبشوية، الأميوط، البشنون وغيرها. الحموي: البلدان، مج ١، ص ٨٨، ٧٣، ٢٥٦، ٣٣٨.

(٨) القليوبية: من أعمال مصر شمال القاهرة، مركزها مدينة قليوب التي تبعد عن القاهرة فرسخ ونصف شمالاً. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٥٧.

(٩) بالرجوع إلى كتاب الوافي؛ وأعيان للصفدي، وكتاب السلوك للمقريزي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات عنه.

(١٠) البحيرة: كورة معروفة شمال مصر بما قرى كثيرة، وهي اليوم محافظة البحيرة بمصر. العمري: مسالك، ج ٣، ص ٥٠٠.

(١١) ملطية: مدينة عظيمة بآسيا الصغرى شمال أعالي الفرات، وهي إحدى الثغور المهمة للمسلمين على الحدود بين بلاد الجزيرة وبلاد الروم، فتحها حبيب بن مسلمة الفهري ليعاض بن غنم سنة ٢٠هـ/٦٤٢م. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ١٩٢. القزويني: آثار البلاد، ص ٥٦٤. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٣، ص ١٣٠٨. الحميري: الروض =

الجمقدار، وركن الدين الحاجب، وسيف الدين أركتمر، وبدر الدين محمد بن الوزيري، وسيف الدين قلبي، ورسم لنائب دمشق وحلب وحماة بالتوجه معهم، فتوجهوا إليها جميعاً، وكان من أمر فتحها ما سنذكره.

وذكر صاحب سيرة الناصر: أن الملك الناصر كان في بعض الأيام يلعب الأكرة، ولما فرغ خرج من الميدان، والجيش عن يمينه وشماله، وإذا بواحد يستغيث ويقول: نصيحة نصيحة لمولانا السلطان، فقال السلطان: ٢٩/ هاتوه، فأخذه النقباء وأحضره بين يدي السلطان، فباس الأرض، وأطلق لسانه وتكلم، وقال: أيد الله مولانا السلطان، المملوك رجل تاجر من بلاد الشام، وقد سافرت إلى بلاد العجم ودست أرض الروم والديلم، ودرت إلى أن جئت إلى مدينة ملطية، ونزل المملوك بها وتأهل^(١)، فبعث واشترت، ففي يوم من الأيام تمشيت لأجل التفرج، فخرجت إلى ظاهر البلد فرأيت حلقاً عليها ناس كثيرون، فتقدمت لأتفرج فيها على حلقة فيها مساحر يتمسحرون، فضحك الناس، فرأيت فيها رجلاً أرمنياً قد ازدحمت عليه الناس وهم يضحكون، فوقفت عليه حتى أنظر إيش يعمل؟ وإذا به يحاكي بمولانا السلطان ويتقاصر إلى الأرض ويشوص^(٢) بعينه والناس يضحكون عليه. قال: فلما رأيت ذلك قلت: يا ليتني مت ولا رأيت ذلك، ثم حلفت بالله العظيم، إني لا بد أن أعلم ذلك إلى مولانا السلطان لما حصل لي من غيرة الإسلام، وغيرة [مولانا]^(٣) السلطان، وأنا قد أعلمت وبررت في يميني، والرأي رأي مولانا السلطان.

فلما سمع السلطان ذلك قام وقعد من شدة ما لحقه من الحنق والغضب، ثم قال: بالله العظيم، لا بد لي من تخريب ملطية وسي ذرية أهلها، ثم أمر بأن أنزلوه في دار الضيافة، فحصل له الإكرام /٣٠/ والأمن، وكان يتخوف من تبليغ كلامه هذا، فلما مضت ثلاثة أيام طلبه إليه، فلما حضر، بشَّ في وجهه، فقال له: ما اسمك؟ قال: عبد الرحمن يا خوند، فقال: يا عبد الرحمن أنا أريد أن استقصيك في

=المعطار، ص ٥٤٥. لسترانج: بلدان الخلافة، ص ١٥٢.

(١) تأهل: تزوج. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ١٣٥.

(٢) الأشوص: الذي يضطرب جفناه كثيراً ومن لا يلتقي جفناه لتغطية عَيْنَيْهِ. مجمع اللغة: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٥٠٠.

(٣) في الأصل: مونا، والتصحيح لاكتمال المعنى.

حاجة، أما تقضيها لي ولا تتواني فيما أمرك به؟ فقال التاجر: سمعاً وطاعة لمولانا السلطان، فقال: تقدم، فتقدم إلى أن قرب منه جداً، ثم أخرج السلطان حقاً مسدوداً، ففتحه وأخرج منه ديناراً، وقال: يا عبد الرحمن، خُذ هذا الدينار، واذهب إلى ملطية، ثم رح إلى تلك الحلقة التي فيها تلك المسخرة، وقف عليه كأنك من جملة المتفرجين، فإذا أضحك الناس، ثم جى فارم هذا الدينار من بين الناس بحيث لا تدري نفسك، فإنه حين ينظر [إلى الدينار]^(١) وهو مرمي في وسط الحلقة يأخذه ويحطه في فمه، فإذا حطه في فمه فإنه لا يصل إلى بيته إلا وهو ميت مُقطع، فإذا فعلت هذا فإنك لك عندي ألف دينار عين، وقضاء حاجة أي حاجة شئت، فقال عبد الرحمن: سمعاً وطاعة.

ثم إنه أخذ الحق من يده وخرج من تلك الساعة من عنده، وتجهز وخرج ولم يزل في سفره ليلاً ونهاراً حتى وصل إلى ملطية ونزل في موضع، ثم مشى وقت قيام تلك الحلقة فأتى إليها، ووقف على تلك المسخرة بعينها، ولم يزل واقفاً حتى جى من الناس ٣١/ فرمى إليه ذلك الدينار من بين الناس، فحين رآه خطفه وحطه في فمه، ودعا للذي رماه، ثم وقف وهو ينظر إليه، فرآه وهو يتلوى، وبطل^(٢) عمله وما ذهب إلى منزله إلا وهو محمول، وما أصبح إلا وهو في القبر، فلما تحقق التاجر [من]^(٣) ذلك خرج من ملطية، وسافر حتى أتى إلى الديار المصرية واجتمع بالسلطان وأخبره بما كان فعله، وما جرى على ذلك المسخرة فوفى له السلطان وعده، وخلع عليه وكتب له بأن لا يؤخذ منه مكس في جميع مملكته.

ثم أرسل السلطان إلى نائب الشام الأمير دنكز، وذكر في كتابه إليه: أن ساعة وقوفك على الكتاب نادي في جيش الشام أن يتجهزوا، ثم اخرج معهم من دمشق إلى حمص وخذ عسكرها، ثم انزل على حماة وخذ عسكرها، ثم انزل على حلب وخذ عسكرها، ثم سافر بالجميع إلى أن تصل إلى مكان كذا، فعين له موضعاً، وهو مفرق الطرق إلى الروم وإلى الشرق، ثم افتح الكتاب الذي أرسلته إليك واقراه واعمل بما فيه.

(١) مكررة في الأصل.

(٢) بطل: بطل: كف عن، ترك، انقطع. دوزي: تكلمة المعاجم، ج ١، ص ٣٧٢.

(٣) إضافة لا اكتمال المعنى.

ولما وصل القاصد إليه مع [الكتاب]^(١) وقرأه، أمر الحجاب والنقباء بأن يدوروا على الأمراء والمقدمين والجند ويعلموهم بالسفر والتجهيز، فلما عَلموا بذلك تجهزوا، فبعد ثلاثة أيام خرج الأمير دنكر ففعل ما أمره به السلطان، ولم يزل ينزل على بلد ويأخذ /٣٢/ جيشه إلى أن وصل إلى المكان الذي عيّنه السلطان، فلما نزل هناك جمع الأمراء والنواب وقرأ الكتاب عليهم، فلما وقفوا عليه علموا أنهم مندوبون للنزول على ملطية وأخذها، فإن امتنع أهلها يُقَاتَلون ويُقَتَّلون، ويُؤسرون ويُنهبون.

ثم سافروا وساروا إلى أن أشرفوا على ملطية فأروها مدينة كثيرة الخيرات، وغزيرة المياه والبساتين، وهي حصينة منيعة ذات أسوار محكمة، فرأهم أهل البلد وهم قد فتحو أبواب السور، فاندeshوا، وظنوا أن الملك خريندا أو ابنه أبو سعيد جاء إليهم مجتازين عليهم وقد خرجوا من بلادهم لكشف بلاد الروم، أو للقتل والتفرج، فخرجت منهم جماعة ليكشفوا الأخبار، فأروا جيشاً على خيول عربية بمراكب ذهبية في دروع فضية وخوذ مطلية، ونائب الشام الأمير دنكر بينهم كأنه أسد يهر وغضنفر يتنمّر وحواليه عسكر عظيمة بعددٍ وعُدد، وأعلام منشورة، وكاسات تدق، وبوقات تزعق، والأرض في زلزلة من الهيبة والأصوات، فلما عاين الكشافة ذلك ردوا إلى المدينة وأخبروا لصاحب ملطية بذلك وهو الأمير ميزامير^(٢)، فلما سمع بذلك جمع جيشه، واجتمعوا على الأبواب والأسوار.

قال ابن كثير: وكان نزول العساكر على /٣٣/ ملطية يوم الإثنين الثاني والعشرين من محرم سنة خمس عشرة وسبعمائة^(٣).^(٤)

فلما شاهد أهلها كثرة الجيوش راعهم ذلك وسألوا الأمان، وفتحوا أبواب المدينة، فدخلت العساكر إليها، وبذلوا أيديهم في النهب والسي، وأخذ من بها من الأرمن^(٥) والسريران^(٦) والنصارى، وأما

(١) بياض في الأصل، والإضافة لاكتمال المعنى.

(٢) ميزامير: الأمير بدر الدين ميزامير بن الأمير نور الدين، نائب ملطية من جهة جوبان مستشار خريندا. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٥٠٢.

(٣) يوافق أولها الأحد ١٩ نيسان (أبريل) ١٣١٥ م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٧٤٨.

(٤) ورد هذا الكلام عند ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٨٣.

(٥) الأرمن: أمة من العجم وهم أهل أرمينية الذين بقاياهم ببلاد سيس، قيل هم من ولد قهويل بن ناحور بن تارخ وهو آزر، وتارخ أبو إبراهيم عليه السلام. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٤٢٥.

(٦) السريران: أمة من العجم من بني سوريان بن نيبط بن ماش بن آدم بن سام بن نوح. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٤٢٢.

من كان بها من المسلمين فأخرجوهم منها ونقلوهم إلى حلب، وأضرموها فيها النار وهدموا الأبراج والأسوار، ورحلوا عنها في اليوم الثالث.^(١)

وفي العشر الأول من صفر سنة خمس عشر وسبعمائة، وصل إلى الأبواب الشريفة سيف الدين قجليس السلحدار من حلب بعد خروج العساكر المنصورة من الدريندات عائداً من ملطية مبشراً بفتحها، وأحضر معه ميزاميرا صاحب ملطية والأسارى، فأما ميزاميرا فأنعم عليه السلطان بعشر طواشية^(٢)، ثم تواصلت العساكر.

وقال النويري: وكان المقدم على العساكر الأمير دنكز نائب دمشق، واستصحب معه القاضي ابن صصري وشرف الدين ابن فضل الله، والعساكر الصفدية والطرابلسية والحمصية والحموية والحلبية، ولما وصل إلى ملطية حاصرها ثلاثة أيام، ثم فتحها، وقتل من الأرمن خلقاً كثيراً، وأسر جماعة، ونهب /٣٤/ أموالها، وخرب البلد وأحرقه بالنار، وأخذ نائبها وهو بدر الدين الأمير ميزاميرا بن نور الدين وولده وصهره، وسبّوهم إلى القاهرة في نحو ثلاثين نفراً، فأحسن إليهم السلطان وجعل لكل منهم إقطاعاً، ويُقال: أنه وجد بها تسعة عشر ألف نول يعمل الصوف، فنقلوا كلهم إلى حلب، ثم رجع الجيش عنها في الرابع والعشرين من محرم سنة خمس عشرة وتوجه إلى عينتاب ثم إلى دابق، ثم رجع إلى دمشق فوصلها في السادس عشر من ربيع الأول، ووصل العسكر المصري إلى القاهرة في الخامس من ربيع الآخر، ولما رجعت العساكر الإسلامية عن ملطية وصل إليها جوبان نائب خربندا [و]^(٣) قد أعطاها له، فأمن من بقي فيها من المسلمين، وسد ستة أبواب منها وترك لها باباً واحداً وجرد بها ألفي فارس يحمونها، ويعمرون ما حُرب منها.^(٤)

ويُقال: إن سبب قلة إقامة العسكر على ملطية هو أن دنكز جاء إليه شخص وسارره، فقال: قد توجه إليكم أمير من أمراء التوامين ومعه عسكر عظيم من المغل والكرج والأرمن، ومن جيش تلك

(١) كذلك عند ابن أيبك: كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٨٤-٢٨٥.

(٢) الطواشية: جمع طواشي، لفظ فارسي - تركي معناه: مخصي، وهو المملوك الذي كان يستخدم في البيوت السلطانية ضمن أجنحة الحرم. دهمان: معجم الألفاظ، ص ١٠٩. الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٣٠٨.

(٣) إضافة لاكتمال المعنى.

(٤) ورد ذلك عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٩-٢٢٢.

البلاد، وهو يريد أن يكبس عليكم على الغفلة، فلما سمع بذلك الأمير /٣٥/ دنكر أمر بالرحيل لأنه لم يبق لهم شغل، وحصل مقصودهم من الفتح والكسر، والنهب والأسر والتخريب، ومسك صاحب ملطية، فرحلوا مسرعين لئلا يلحقهم أمرٌ يكون فيه ضرر على العسكر، فساروا حتى وصلوا إلى حلب، ثم إلى دمشق كما ذكرنا، والله [أعلم]^(١).

ذكر ما تجدد في المغرب

وفي هذه السنة: أرسل أبو حمّو بن يغمراسن صاحب تلمسان إلى بجاية شخصاً يدعى: أبا سرحان مسعود بن أهون، من أبناء عمه، وصحبته جيش، وكان قد استولى على أعمالها أحد بني عمه يُسمى: محمد بن يوسف بن أبي يحيى بن زيان، واتفق أن أبو حمّو أصابه مرض فطمعت نفس محمد المذكور وهو ببجاية أن يأخذ تلمسان، وكتب أعيانها يلتمس منهم تسليمها إليه، فلم يجيبوه، فلما عُوفي أبو حمّو اتصل ذلك به، فحقد عليه وأرسل يستدعيه إلى حضرته، فامتنع، فجهز إليه هذا البعث ليحضره، فهرب إلى بعض القلاع، ولم يزل أبو حمّو يتلطف في مراسلته، ومخادعته إلى أن حضر بين يديه، فلما حصل عنده وبخه وعنفه على ما كان منه، وبعث إلى ولده عبد الرحمن ليقتله، فتوقف عبد الرحمن عن قتله وأعادته إلى أبيه، فكرر عليه التوبيخ والتعنيف، وأمر بإبعاده، ولم يصنع به شراً، فهرب من عنده من مكان يُسمى: تمل، وقصد /٣٦/ أخوالاً له يقال لهم: بنو عزيز وهم فخذ من بني تجين من قبيلة زناتة^(٢) من البربر المقيمين بالمرية^(٣)، واتفق معهم على قصد أبي حمّو حيث كان مقيماً، فإنه كان في عدد قليل من عسكره بحكم ما تقدم من تجريدهم إلى جهة بجاية، فاجتمع مع محمد بن يوسف مع أخواله بني تجين، وجاءوا إلى أبي حمّو وقتلوه وهزموه، فانكفأ إلى تلمسان، واستولى محمد بن يوسف على محلته وخيله وأمواله وذخائره، ولما وصل المذكور إلى تلمسان حشد وجمع فصالات جيشه في أربعة أيام، وكرّر راجعاً على أثره إلى محمد ابن عمه، واستعاد الجيش الذي كان ببجاية مع أبي سرحان، فحضر إليه

(١) في الأصل: وأعلم.

(٢) زناتة: بنو زناتة، ويقال لهم زناتة باسم أبيهم، وهم بطن من البتر من البربر ببلاد المغرب. القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الإياري، دار الكتاب اللبناني، ط٢، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢٧٣.

(٣) المرية: مدينة كبيرة من كورة ألبيرة على الساحل الشرقي للأندلس، لها سور صخري تحفه مياه البحر، فيها مرفأ للسفن والمراكب، بناها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ١١٩. ابن عبد الحق: مرآصد، مج ٣، ص ١٢٦٤. الحميري: الروض المعطار، ص ٥٣٧.

وتوجهوا في هذه الجموع نحو محمد المذكور، فحاصروه في بلد تُسمى: مليانة^(١) من أعمال تلمسان مسافتها منها ثمانية أيام، وانقضت هذه السنة وهو على محاصرته ومنازلته.

ومن الحوادث في هذه السنة:

أن في ذي القعدة يوم الجمعة ثار بالقاهرة رجل اسمه علي بن السابق من الحسينية^(٢)، وركب فرساً وجرد سيفاً، وشقّ المدينة ودخل، وجعل يضرب كل من يجد من اليهود والنصارى، فمنهم من قطع يده ومنهم من جرحه ومنهم من شجّه، ثم أمسك ففُطعت يده وأُطلق^(٣).

ومن الحوادث:

أن جنداً من البطالين تسحبوا في هذه السنة إلى الغرب، ٣٧/ وطُلبوا فلم يُدركوا.

وفيها بلغ النيل [الماء القديم أربع أذرع وإحدى وعشرون إصبعاً، مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وسبع عشرة إصبعاً]^(٤) وفيها حج بالناس سيف الدين كوكاي^(٥) أميراً على الركب المصري، وبالركب الشامي شمس الدين سنقر الإبراهيمي^(٦).^(٧)

(١) مليانة: مدينة كبيرة بالمغرب من أعمال بجاية، بين تنس والمسيلة بالقرب من نهر شلف، جدها زيري بن مناد وأسكنها ولده بلكين. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ١٩٦. ابن عبد الحق: مرصد، مج ٣، ص ١٣١٠. الحميري: الروض المعطار، ص ٥٤٧. القزويني: آثار البلاد، ص ٢٧٣.

(٢) أي من سكان الحسينية كما ورد عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٦. والحسينية كانت في الأيام الفاطمية ثماني حارات خارج باب الفتوح أولها: الحارة المعروفة بحارة بهاء الدين وهي حارة حامد، والمنشأة الكبرى، والحارة الكبيرة، والمنشأة الصغيرة، وحارة عبيد الشراء، والحارة الوسطى، وسوق الكبير بمصر، والوزيرية، وكان يسكنها الطائفة المعروفة بالوزيرية والريحانية من الأرمن والعجمان وعبيد الشراء. كان بها من الأرمن قريب من سبعة آلاف نفس، ثم سكنها جماعة من الأشراف الحسينيين قدموا في أيام الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب من الحجاز إلى مصر، فنزلوا بهذه الأمكنة واستوطنوها فسميت بهم، ثم سكنها الأجناد بعد ذلك وبنوا بها الأبنية العظيمة. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٠٥-٤٠٦. المقرئ: الخطط، ج ٣، ص ٤٠٣-٤٠٤.

(٣) فضربت عنقه. عند النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٦.

(٤) في الأصل: بياض حوالي سطر، والإضافة من: ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٩.

(٥) كوكاي: الأمير سيف الدين كوكاي، تزوج ابنته (ستيتة) الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام، توفي سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م. الصفدي: الوافي، ج ٢٤، ص ٢٨٢ وأعيان، ج ٤، ص ١٦٢. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٣١٥.

(٦) بالرجوع إلى كتاب الوافي؛ وأعيان للصفدي، وكتاب السلوك للمقريزي وغيرها، لم يتم الحصول على أية معلومات عنه.

(٧) ورد ذلك عند ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٨١.

ذِكْر مَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ

● الشيخ شرف الدين أبو الهدى أحمد بن الشيخ قطب الدين أبي بكر بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسين القسطلاني،^(١) توفي بزاويته باللؤلؤة المطلة على خليج القاهرة^(٢)، ودفن بالقرافة، وولد بمكة في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وستمائة،^(٣) وكان ديناً ورعاً، وكان سمع الحديث وأسمعه، وبيتهم مشهوراً بالرئاسة والدين والعلم، رحمه الله.

● الشيخ المعمر المعروف بحياك الله بقية السلف، محمد بن محمود بن الحسين بن الحسن الموصلي،^(٤) توفي بزاويته بسوق الريش^(٥) ظاهر القاهرة، يوم الخميس تاسع ربيع الأول، ودفن بالقرافة بقرب محمد بن أبي حمزة^(٦)، وكان رجلاً صالحاً، وبلغ عمره نحواً من مئة سنة وستين سنة، فإنه سؤل عن عمره، فذكر أنه وصل إلى القاهرة في الدولة المعزية الأيبكية وله حينئذ خمس وثمانون سنة، وكان مع ذلك حاضر الحس جيد القوة، وكان /٣٨/ الناس يقصدونه للزيارة والتبرك به، وكان كثير الذكر والعبادة وعنده محاضرة وعلى ذهنه أشياء، وله شعر حسن فمنه قوله:

إذا الحب لم يشغلك عن كل شاغل	فما ظفرت كفاك منه بطائل
وما الحب إلا خمر تسكر الفتى	فيصبح نشوان لطيف الشمائل
لقيني من أهواه يوماً فقال لي:	بمن أنت مشغوف، فقلت: بسائلي

(١) ترجم له: المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٥٠٠. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٢٨٩. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٣٢.

(٢) خليج القاهرة: بظاهر القاهرة من جانبها الغربي فيما بينها وبين المقس، عُرف في أول الإسلام: بخليج أمير المؤمنين، وتسميه العامة بخليج الحاكمي، وبخليج اللؤلؤة، وهو خليج قدم أول من حفره طوطيس بن ماليا أحد ملوك مصر الذين سكنوا مدينة منف. واللؤلؤة: منظر بناها العزيز بالله الفاطمي، تُعرف: بقصر اللؤلؤة، وبمنظر اللؤلؤة، وهي على الخليج بالقرب من باب القنطرة، وكانت قصراً من أحسن القصور، وأعظمها زخرفة، وهي أحد منتزهات الدنيا المذكورة. المقرئ: الخطط، مج ١، ص ١٣٥، مج ٢، ص ٣٩٦.

(٣) يوافق أولها الإثنين ١٧ نيسان (أبريل) ١٢٥٠ م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٨١.

(٤) ترجم له: المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٥٠٠. ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ٢. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٧. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٨، ص ٦٤. ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٦١. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٣٤.

(٥) سوق الريش: تقع خارج القاهرة، من الحكر بالبر الغربي للنيل، ومكانها القسم الشرقي من سكة المناصرة التي يتوسطها زاوية المصلية. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٧، حاشية رقم ٤.

(٦) محمد بن أبي حمزة: هو غير عبد الله بن أبي حمزة، كان كبير الشأن مُعظماً للشرع قائماً بشرائعه وشعائره، ودفن بالقرافة بمصر، وقبره بما ظاهر يزار. الشعراي، عبد الوهاب بن أحمد ت: ٩٧٣هـ/١٥٦٥م: الطبقات الكبرى (لوافح الأنوار في طبقات الأخيار)، مكتبة محمد المليجي، مصر، ١٩٩٤م، ج ٢، ص ١٣٦.

ولو أن في السلوان لي عنكم غنى
تجلى فأخلى ما بقلبي من الصدى
وغيبي عني فها أنا شاخص
لخلصت قلبي واستراحت عواذلي
وأدهش عقلي حسنه المتكامل
إليه وما أنظره إلا مقابلي^(١)

● القاضي شرف الدين يعقوب بن محمد الدين مظفر بن شرف الدين أحمد بن مزهر،^(٢) تُوفي فيها بحلب، وهو ناظرها، ولد سنة ثمان وعشرين وستمائة^(٣) بنابلس^(٤)، وكان ذا مروءة، ولم تبق مملكة بالشام إلا بأشرها، /٣٩/ تولى نظر الدواوين في دمشق، ونظر الدواوين بحلب، ونظر الدواوين بطرابلس وأعمالها، ولم يزل في غالب ولاياته متقدماً مرغوباً فيه، وكان من شيوخ الكتّاب المتصرفين العارفين بصناعة الكتابة وحساب الديوان، عارفاً بطرق الوزارة، وكان يعرف البلاد الحلبية معرفة جيدة، بلداً بلداً، وقرية قرية.

● القاضي صدر الدين أحمد بن القاضي محمد الدين عيسى بن الخشاب،^(٥) وكيل بيت المال بالديار المصرية، مات في تاسع شعبان بالمدرسة الصالحية بالقاهرة، ومولده سنة تسع وستين وستمائة^(٦)، ودفن بالقرافة.

● الشيخ الإمام علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن خطاب الباجي الشافعي،^(٧) مات في سادس ذي القعدة بالقاهرة ودفن بالقرافة، وكان من المشايخ القدماء الفضلاء، وكان عالماً بعلوم شتى،

(١) البحر الطويل.

(٢) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٥٨٣ والوافي، ج ٢٨، ص ٦٥. ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ٢٠٥. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٨٣. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٧. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٨. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٩٩. ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٦٢. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٥٧.

(٣) يوافق أولها الجمعة ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٢٣٠م. باشا: التوقيعات الإلهامية، مج ١، ص ٦٦١.

(٤) نابلس: مدينة مشهورة مستطيلة الشكل بين جبلين بأرض فلسطين، كثيرة المياه، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ٢٤٨. القزويني: آثار البلاد، ص ٢٧٧. ابن عبد الحق: مراصد، مج ٣، ص ١٣٤٧. الحميري: الروض المعطار، ص ٥٧١.

(٥) ترجم له: الصفدي: الوافي، ج ٧، ص ١٨٠. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٩. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٥٠٠. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٥٨. ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٦٢، ودرة، ج ١، ورقة: ١٩٨.

(٦) يوافق أولها الثلاثاء ١ أيلول (سبتمبر) ١٢٧٠م. باشا: التوقيعات الإلهامية، مج ١، ص ٧٠٢.

(٧) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ٤٨٢ والوافي، ج ٢١، ص ٢٩٩. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ١٢٠. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٩. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٩٩. الكشي: الوفيات، ج ٣، ص ٧٣. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٦٩.

مُعْتَمِداً عليه في الفتوى، وليّ وكالة بيت المال بالكرك في الأيام الظاهرية^(١)، وتولّى تدريس السيوفية^(٢) والصيرمية^(٣)، وكان يسكن بالمنصورة^(٤)، وهو شيخ قاضي [القضاة]^(٥) تقي الدين السبكي، ومولده في سنة إحدى وثلاثين وستمائة^(٦)، وله مصنفات منها: مختصر المحرر في الفقه، ومختصر المحصول، والأربعين للفخر الرازي، بعبارة واضحة مختصرة، واختصر أيضاً علوم ٤٠ / الحديث، وله شعر فمنه قوله:

رثى لي عوّذي^(٧) إذ عاينوني وسحت^(٨) مدامعي تحكي^(٩) العيون
وراموا كحل عيني، قلت: كفوا
وله:

أما لطرف المهجر أطراق ولا لشمس الوصل إشراق
في كل يوم لسحاب الجفا في القلب إرعاد وإبراق
وكل ما هب نسيم الصبا تهزني نحوك أشواق
قد لبست البين فؤادي وما له سوى قربك درياق^(١٠)

(١) الأيام الظاهرية: نسبة إلى مرحلة حكم الظاهر بيبرس المنصوري. الباحث.

(٢) المدرسة السيوفية: بالقاهرة، كانت من جملة دار الوزير المأمون البطائحي فأوقفها الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على الحنفية، وبقيت كذلك، وسُميت بالسيوفية نسبة إلى سوق السيوفيين الذي يبدأ أوله بباجها. المقرئ: الخطط، مج ٤، ص ٢٠٤.

(٣) المدرسة الصيرمية: بالقاهرة داخل باب الحملون الصغير بالقرب من رأس سوقة أمير الجيوش، بناها الأمير جمال الدين شويخ بن صيرم أحد أمراء الكامل الأيوبي. المقرئ: الخطط، مج ٤، ص ٢٢٤.

(٤) المدرسة المنصورية: بالقاهرة أنشأها المنصور قلاوون، في موضع بين القصرين، ورتب فيها دروساً للمذاهب الأربعة وكذلك دروساً للطب. المقرئ: الخطط، مج ٤، ص ٢٢٦. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٢٦٤.

(٥) في الأصل: القاة.

(٦) يوافق أولها الخميس ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٢٣٣ م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٦٤.

(٧) العوذ: الالتجاء. الزبيدي: تاج، ج ٩، ص ٤٣٨. والمقصود في النص: الذين التجأت إليهم. وقد وردت: عذلي. عند الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ٤٨٥.

(٨) سحب. عند الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ٤٨٥.

(٩) مثل. عند الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ٤٨٥.

(١٠) البحر الوافر.

(١١) البحر السريع.

- القاضي سعد الدين محمد بن فخر الدين عبد المجيد بن صفى الدين عبدالله [الأقفهسي] ^(١)، ^(٢) ناظر الجراية، ^(٣) توفي في ثامن عشر ^(٤) ذي الحجة فجأة، نزل من القلعة آخر النهار فمات من ساعته، وتولى عوضه صاحب ضياء الدين النشائي ^(٥).
- الشريف أمين الدين جعفر بن الشريف محي الدين محمد بن عدنان الحسيني، ^(٦) نقيب السادة الأشراف بدمشق، مات في ثالث عشر رجب، ودفن بتربتهم قبالة مسجد الدبان ^(٧)، ٤١ / كان حسن الهيئة، عارفاً بصناعة الكتابة، وليّ النقابة والنظر على الأشراف، وولي نظر الدواوين بدمشق، وغير ذلك من المناصب، ومولده في مستهل رجب سنة خمس وخمسين وستمائة ^(٨) بدمشق.
- القاضي بهاء الدين علي بن أبي سودة الحلبي، ^(٩) صاحب ديوان [الإنشاء] ^(١٠) بحلب، مات في نصف رجب في حلب، ودفن فيها، وكان من الصدور الأمثال ^(١١)، وله نظم، فمنه ما نظمه في مملوك اسمه طيرس:

(١) في الأصل: الأقفهسي، والتصحيح من مصادر الترجمة.

(٢) ترجم له: النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٩. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٥٠٠. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ٢٧٦. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٧٦.

(٣) ناظر الجراية: وهو المسؤول عن توزيع المؤن والأرزاق والعطاء لأرباب الخدم وكل مرتزق يتقاضى راتب من الدولة. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٥٩٨.

(٤) في أواخر ذي الحجة. البرزالي.

(٥) النشائي: أبو بكر بن عبدالله بن أحمد بن منصور، صاحب ضياء الدين النشائي، توفي سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م. الصفدي: الوافي، ج ١٠، ص ١٤٩ وأعيان، ج ١، ص ٧١٩. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٥٣٠.

(٦) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ١٥٧ والوافي، ج ١١، ص ١١٨. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٨٧. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٩٩. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٤٥. ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٦٢، ودرة، ج ١، ورقة: ١٩٨.

(٧) مسجد الدبان: أو الذبان، بناه أمين الدين بن البص، وكان في غرب مقبرة الباب الصغير، ويُعرف موضعه بمخفر الشيخ حسن. ابن بدران: منادمة الأطلال، ص ٣٢٤. الشهابي: معجم، ج ٢، ص ٢٥٤.

(٨) يوافق أولها الخميس ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٢٥٧م. باشا: التوقيعات الإلهامية، مج ١، ص ٦٨٨.

(٩) ترجم له: النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٦. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٤٨٦. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ١٠٣. ابن الوردي: تاريخه، ج ٢، ص ٢٥٤. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٨. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٤٦. ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٥٩، درة، ج ١، ورقة: ١٩٨.

(١٠) في الأصل: الإنشان.

(١١) الصّدر: من ألقاب التّجّار ونحوهم، والمراد بالصّدر صدر المجلس الذي هو أعلى أماكنه وأرفعها، وصدر كلّ شيء في اللغة أوله، ومجلس الصّدر مختصّ بالتّجّار وأرباب الصّنائع ومن في معناهم، وربما كتب به في الدولة الناصرية وما قاربها لكتاب الدّرج ومن في معناهم، ويقال لمن هو من أعضاء المجلس: الصدر الأجل، الصدر الأمثل. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦٦، ج ٦، ص ١٨.

جَدْ لِي بِأَيْسَرٍ وَصِلْ مِنْكَ يَا أُمْلِي فَالْصَبْرُ عَنْكَ عَذَابٌ^(١) غَيْرُ مُحْتَمِلٍ
مَالِي [رُمِيتُ]^(٢) بِأَمْرِ لَا أَطِيقُ لَهُ حَمَلًا وَبُدِّلْتُ بَعْدَ الْأَمْنِ بِالْوَجَلِ^(٣)

فكانت هذه الأبيات عليه، فمُسك ثاني يوم نظم الأبيات وصور، ولما مات حزنت عليه امرأته حزناً شديداً ولازمت البكاء سنة، فلما كان بعد السنة طلبوا منها دارها ليعملوا فيها فرحاً، فأعطتهم، فلما حضرت المغنية وغنت بهذه الأبيات:

تَفَارِقُ مَنْ تَهْوَى وَقَلْبُكَ صَابِرٌ وَتَلْهَوِ وَمِنْكَ الطَّرْفُ نَاهٍ وَنَاهِرٌ
فَوَا عَجَباً لَمْ لَا يَلْزَمُكَ الْبُكَاءُ ٤٢/ وَتَمْسِي وَمِنْكَ الطَّرْفُ سَاهٍ وَسَاهِرٌ
رَعَى اللَّهُ مَنْ سَارُوا، وَفِي الْقَلْبِ بَعْدَهُمْ مِنْ الشَّوْقِ نَارٌ وَهُوَ شَاكٍ وَشَاكِرٌ
تَرَى تَسْمُحُ الْأَيَّامُ مِنْكُمْ بِنَظَرَةٍ وَيَصْبُحُ غَصْنُ الْوَصْلِ زَاهٍ وَزَاهِرٌ^(٤)

فلما سمعت ذلك قامت وصاحت ووقعت مغشية عليها، فحركوها فوجدوها ميتة، فجهزت ودفنت عند زوجها.

- الشيخ الصالح العابد برهان الدين إبراهيم بن الشيخ نور الدين عمر بن الشيخ أحمد بن غانم^(٥)، المقدسي، مات بالقدس الشريف ودفن بمقبرة ماملا^(٦)، وكان صالحاً خيراً مواظباً على العبادة، وكان شيخ الخانقاه بالقدس الشريف، ومولده سنة اثنتين وخمسين وستمائة^(٧).

(١) قد عاد عنكم. عند ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٨.

(٢) مكتوبة بhamش الأصل، وأشار الناسخ إلى موضعها في المتن.

(٣) الْوَجَلُ: الْفَرْجُ وَالْخَوْفُ. ابن منظور: لسان، ج ١١، ص ٧٢٢. البحر البسيط.

(٤) البحر الطويل.

(٥) البرزالي: المقتفي، ج ٢/ق ٢، ص ١٤٨.

(٦) مقبرة ماملا: وهي بظاهر القدس من جهة الغرب وهي أكبر مَقَابِرِ الْبَلَدِ وفيها خلق من الأعيان والعلماء والصالحين والشهداء وتسميتها بماملا قيل إنما أصله مأمن الله وقيل باب الله ويُقال زيتون الملة، واسمها عند اليهود بَيْتَ لِمَوءَ وعند النَّصَارَى بَابِيلا، والمشهور على ألسنة النَّاسِ ماملا القلندرية وبوسط هذه المقبرة زاوية تُسمى القلندرية. العليمي، عبد الرحمن بن محمد ت: ٩٢٨هـ/١٥٢٢م: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تح: عدنان نباتة، مكتبة دنديس، عمان، د.ت، ج ٢، ص ٦٤.

(٧) يوافق أولها الخميس ٤ آذار (مارس) ١٢٥٤م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٨٥.

- الشيخ الصالح الفقيه صفى الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الطبري،^(١) المكي الشافعي، مات بمكة في الخامس عشر من شوال، ودفن بالمعلّى، ومولده في أواخر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وكان رجلاً خيراً، أُضِرَّ مدة ثم رد الله عليه بصره.
- الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن زكريا بن أبي العشائر،^(٢) المارديني، مات بالفيوم من الديار المصرية، ومولده سنة تسع وعشرين وستمائة^(٣)، وكان مقيماً بدمشق ٤٣/ يصحب القاضي محي الدين بن الزكي^(٤) وأولاده، ثم سافر في [العجل]^(٥) إلى الديار المصرية واستوطنها، وكان ينتمي إلى الشيخ محي بن العربي^(٦)، وله شعر فممه قوله:

واجدتُ في نظمِ القريضِ وقد غدا
والدارُ كم فيها كرمٌ يرتجى منه النوالُ
روضُ الأماني وهو غصنٌ مورقٌ
وكم ملحيحٌ يُعشَقُ^(٧)

وله في قاضي القضاة محي الدين بن الزكي دو (اثنين بالفارسية) بيت:

يا من شُرِّفت مصرُ به والشامُ
ما للعميرين ثالثٌ غيرك يا من
قد صحَّ بحسنِ عدلكَ الإسلامُ
زُيِّنَ به التدريسُ والإسلامُ

(١) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٣١٥، والوافي، ج ٧، ص ٢٠٩. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٢٨٥. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٢، ص ٦٩. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٦٥.

(٢) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ١، ص ٢١٤، ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ١٥٤.

(٣) يوافق أولها الثلاثاء ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٢٣١ م. باشا: التوفيقات الإلهامية، مج ١، ص ٦٦٢.

(٤) ابن الزكي: يحيى بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى القرشي، قاضي القضاة، محي الدين أبو المفضل بن أبي المعالي، المعروف بابن الزكي الدمشقي الشافعي، ولد سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م وتوفي سنة ٦٦٨هـ/١٢٧٠م. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ١٦٠.

(٥) في الأصل: الجعل، والتصحيح لتقويم المعنى.

(٦) محي بن عربي: محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله، الشيخ محيي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي، المعروف بابن عربي، صاحب التصنيفات في التصوف وغيره، ولد سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م، بمرسية من الأندلس، سمع بمرسية من ابن بشكوال، وسمع ببغداد ومكة ودمشق، وسكن بلاد الروم، توفي سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م، وحمل إلى قاسيون ودفن بتربة بني الزكي. الصفدي: الوافي، ج ٤، ص ١٢٤. الكتي: الوفيات، ج ٣، ص ٤٣٥.

(٧) البحر الكامل.

● الشيخ الأديب الفاضل جلال الدين عبدالله بن الشيخ ظهير الدين علي بن محمد بن محمود بن أبي العز الكازروني،^(١) البغدادي الكاتب، مات بدمشق ودفن بمقابر الصوفية، وكان له دكان بالجسر بالبَّادِيَيْن^(٢)، ويُذَهَّب^(٣) المصاحف والهياكل^(٤)، وعنده أدب، وأضر في آخر عمره، ورُتِّبَ صوفيًا بخانقاه الطاحون^(٥)، وكان أبوه من عدول بغداد وأكابرها، فمن شعر جلال الدين ما ذكره الشيخ /٤٤/ عز الدين الأربلي^(٦)، قال: أنشدني جلال الدين بن الكازروني لنفسه:

قال لي صاحبي وقد بانَ شيبِي بعداري^(٧) وبان مَني شَبَابِي:
هصرَ الشيبُ منك غصناً نضيراً مثمراً يانعاً قلَّذَ بالخضابِ
قلتُ: إنَّ الشبابَ معَ صدقهِ خائِئٌ فماذا يرجى منَ الكَذَابِ^(٨)

وله:

بالله يا ريح الصبا رسالاتي تحملي وبلغني تحيتي ولوعتي عُز بلي

● فخر الدين سليمان بن الشيخ فخر الدين عثمان بن الشيخ الإمام أبي القاسم صفى الدين بن محمد بن عثمان،^(٩) البصراوي، الحنفي، محتسب دمشق، مات يوم الإثنين الثاني عشر من ذي القعدة، كان طيب العشرة كريماً غزير المروءة منبسطة في طبياته.

(١) ترجم له: ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ٥٩. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٦١.

(٢) اللَّبَادِيَيْن: نسبة إلى عمل اللبود من الصوف، وهو سوق بالقرب من حي جيرون بدمشق، تعرض للحرق سنة ٥٩٢هـ/١١٦٧م، كما تعرض للحرق مرة أخرى سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م. الحموي: البلدان، مج ٥، ص ١٠. الشهابي: معجم، ج ٢، ص ١٥١.

(٣) ذَهَبَ الشَّيْءُ: أذهبه، طلاه وغطاه بالذهب، أو طلاه بمادة تشبهه. عبد الحميد عمر: معجم، ج ١، ص ٨٢٣.

(٤) هيكل: تمثال، وموضع مقدس في صدر المعبد أو الكنيسة. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٣، ص ٢٣٨٤.

(٥) خانقاه الطاحون: بدمشق وتنسب للملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، وتقع خارج البلد بالوادي. كرد علي: خطط الشام، ج ٦، ص ١٣٣.

(٦) عز الدين الإربلي: الحسن بن أحمد بن زفر الحكيم، سمع ابن الخلال والموازيني وخلقا. وألف كتباً وتواريخ منها السيرة في مجلدين، ويعرف بالعز الإربلي الطبيب. الصفدي: الوافي، ج ١١، ص ٣٠٦. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ١١١. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٥، ص ٦٥.

(٧) عِذار: زغب كالقطن ينبت قبل نبات شعر اللحية، نبت عذاره (جانب لحيته). دوزي: تكملة المعاجم، ج ٦، ص ٢٨٣، ج ٧، ص ١٦٦.

(٨) البحر الخفيف.

(٩) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٤٤٨. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٨. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٠١. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٦٧.

- الشيخ القدوة عبد [المحمود]^(١) بن أبي المكارم عبد الرحمن بن الشيخ عماد الدين أبي جعفر محمد بن الشيخ شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد،^(٢) الشهروزي، البغدادي، كان شيخاً فاضلاً، أصيلاً في المشيخة والتصوف، عارفاً بعلم السلوك والآداب /٤٥/ والوعظ، وكان يحظر مجلسه الأعيان، وكان كثير الأموال والأموال والمزارع والمتاجر، وكان عريض الجاه، مات في عاشر رجب منها.
- الشيخ الصالح الناسك تقي الدين رجب بن أشيرك،^(٣) التركماني، المعروف بالعجمي، كان من الصالحين، سافر بلاداً كثيرة وهو فقير مجرد، وحج البيت الحرام، ويقال أنه زار في أسفاره ألفاً وخمسمائة شيخ في زواياهم، واستقر في آخر الوقت بالديار المصرية واتخذ لنفسه زاوية تحت القلعة، وصار لزوايته فقراء يقيمون بها ويخدمون الوارد إليها سواء كان غنياً أو فقيراً، وصارت كلمة الشيخ نافذة بديار مصر، مات يوم السبت الثامن من رجب منها.
- داود بن أحمد بن عباس،^(٤) الدمشقي، المعروف بابن الخيمي، كان شاعراً أديباً حسن المحاضرة يستحضر أدباً كثيراً، وكان لا يُبَيِّضُ له شعرٌ ولا يجمعه ولا يدونه، وكان فقيراً قانعاً صابراً منبسط النفس كثير التنزه، ومن شعره في مديح طحان على وجهه أثر الدقيق:

طحاننا فيه قد جَلَّ وهو دقيقٌ وافي بوجهٍ منيرٍ وقد علاهُ الدقيقُ
كأنَّه بدرٌ تمَّ علاه غيَمٌ رقيقٌ /٤٦/

- شمس الدين عبد الرحمن بن الخطيب عماد الدين،^(٥) الخيلاوي^(٦) نسبة إلى قرية من قرى إربل يقال لها: خيلاباد، والعامية يسمونه خيلاوي، كان رجلاً عالماً فقيهاً مفتياً على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وكان يحفظ ديوان الخطب لابن نباتة^(٧)، وكان يدرس الفقه ويشغل الناس فيه، وله

(١) في الأصل: المجود، والتصحيح من مصادر ترجمته.

(٢) ترجم له: الصفدي: أعيان، ج ٣، ص ١٦٩، والوافي، ج ١٩، ص ١٠١. ابن حجر: الدرر، ج ٣، ص ٢١٧.

الذهبي: العبر، ج ٤، ص ٣٨، وشذرات الذهب، ج ٨، ص ٦٢. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٥٢.

(٣) ترجم له: ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٢٣٥. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٥٠٠. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٤٩. أشيرك. في: المقتفي، أشيرك. في: السلوك وفي: الدرر.

(٤) البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٥٦.

(٥) ترجم له: البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٦٤.

(٦) الجيلاوي. في: المقتفي.

(٧) ابن نباتة: محمد بن محمد بن الحسن، الشيخ شمس الدين بن نباتة الفارقي المصري، من أشياخ الحديث بدمشق، ولد بمصر سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م، وتوفي بدمشق سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م. الصفدي: الوافي، ج ١، ص ٢٠٨. ابن =

تعاليق مفيدة على كتاب التنبيه^(١)، وله مشاركة في الأصلين والأدبيات، وكان ساكناً قليل الخروج من داره، وكان خطيب الجامع المظفري^(٢) بإربل، وكان نحيفاً طويلاً، تلقبته العامة بالعنكبوت، مات في مستهل شوال، وكانت جنازته [حافلة]^(٣).

- الأمير عماد الدين اسماعيل بن الملك المغيث شهاب الدين عبد العزيز بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب،^(٤) توفي في الثامن والعشرين من ربيع الآخر، سمع الحديث وأسمعه.
- الأمير سيف الدين ملكتمر الناصري،^(٥) المعروف بالدم الأسود، كان أمير ستين فارساً بدمشق، وكان من الظلمة الميسرفين على أنفسهم، المتنوعين في الظلم، وكان من جملة إقطاعه خراج عين ترما^(٦)، يجبيه في سنة واحدة خمس مرات.
- الأمير فخر الدين أقجبا الظاهري،^(٧) مات فيها بدمشق، وكان خيراً ديناً.
- الأمير سيف الدين /٤٧/ كهرداش الزرّاق،^(٨) مات فيها بدمشق،^(٩) وكان به فالج^(١٠) مزمن، وكان أمير خمسين فارساً، وكان سافر إلى مكة صحبة السلطان، فلما رأى [قبر]^(١١) النبي صلى الله عليه وسلم تاب وحلف، وأشهد الله وملائكته ورسله أنه ما بقى يشرب خمرًا، ولا يرتكب محرماً، وغلظ اليمين والتوبة، فلما وصل إلى دمشق شرب الخمر ليلة وصوله، فحصل له مرض الفالج وبطل نصفه، وتداوى بأنواع الأدوية والأدهان والعقاقير، فلم يخلص منه ومات.
- الأمير زين الدين غليك العادلي، توفي فيها بدمشق.

=حجر: الدرر، ج ٥، ص ٤٨٥-٤٨٦.

- (١) لم يتم الحصول الحصول على اسم الكتاب المقصود في النص، حيث يوجد العديد من الكتب بهذا الاسم.
- (٢) الجامع المظفري: بناه مظفر الدين كوكبوري صاحب إربل المتوفى ١١٥٤/٥٤٩م، وهو الذي بنى الجامع المظفري بسفح قاسيون بدمشق. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٢، ص ٩٥٠.
- (٣) في الأصل: حفلة.
- (٤) ترجم له: النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٨. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٩٩. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٣٧.
- (٥) ترجم له: النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٨. الصفدي: أعيان، ج ٥، ص ٤٤٨ والوافي، ج ٢٦، ص ٤٦. ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ١٢٢. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٨. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٥٠٠.
- (٦) عين ترما: قرية في غوطة دمشق. الحموي: البلدان، مج ٤، ص ١٧٧.
- (٧) ترجم له: النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٨.
- (٨) ترجم له: المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٩٩. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٨. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٢٨. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٥٨.
- (٩) ليلة الإثنين سلب شعبان. البرزالي.
- (١٠) فالج: فُلج الرَّجُل: أُصيب بالشلل النَّصفي. عبد الحميد عمر: معجم، ج ٣، ص ١٧٣٨.
- (١١) إضافة لتصحيح المعنى.

- الأمير سيف الدين العادلي من أمراء دمشق، توفي فيها.
- الأمير علاء الدين علي بن عماد الدين حسن بن النشابي،^(١) مات بببروت، وكان والياً عليها، فحُمِل إلى دمشق، فدفن بترتهم بسفح قاسيون،^(٢) وكان شاباً كافياً [خبيراً]^(٣) بأمور الولايات.
- الأمير سيف الدين سودي بن عبدالله الجمدار الناصري،^(٤) النائب بالمملكة الحلبية، مات في نصف رجب، ودفن إلى جانب تربة الأمير قراسنقر، وكان مشكور السيرة في ولايته، محمود الطريقة، وكانت له مكانة عالية عند أستاذه الملك الناصر، وسُيِّر إلى حلب عوضاً عنه الأمير علاء الدين الطنبغا الحاجب.
- صاحب كيلان / ٤٨ / واسمه ديباج بن قلنشاہ بن رستم،^(٥) قَدِم من بلاده إلى الشام قاصداً الحجاز الشريف، فأدركه أجله بقباقب، وحُمِل إلى جبل الصالحية، ودفن بتربة اشتروها له بسفح قاسيون بطريق مغارة الدم^(٦)، وكانت وفاته في شهر رمضان، واشتروا ملكاً وأوقفوه على التربة والمسجد الذي مقابلها، وكان عمره يوم مات أربعاً وخمسين سنة، وهو الذي رمى قطلوشاه^(٧) بسهم فقتله، فانحزم العسكر نوبة شقحب، ويُقال كان معه شيء كثير من الذهب والفضة.
- [موسى بن]^(٨) سمعان،^(٩) النصراني الكركي، كاتب سيف الدين قطلوبك الجاشنكير، قُتِل فيها^(١٠) بدمشق، وكان قد تجرأ، واستمال رجلاً من المسلمين، ونصَّره، فجُوِّز بالقتل في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

(١) ترجم له: البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٤٢.

(٢) عشية الأحد السابع عشر من جمادى الآخرة. البرزالي.

(٣) مكتوبة بهامش الأصل، وأشار الناسخ إلى موضعها بالمتن.

(٤) ترجم له: ابن حبيب: درة، ج ١، ورقة: ١٩٨. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٦، ص ١٨٢. الصفدي: أعيان، ج ٢، ص ٤٨٧. المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤٩٩. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٢٨.

(٥) ترجم له: ابن الوردي: تاريخه، ج ٢، ص ٢٥٤. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٨١. ابن حبيب: تذكرة، ج ٢، ص ٦٢، درة، ج ١، ورقة: ١٩٨.

(٦) مغارة الدم: مغارة حسنة تُزار في لحف جبل قاسيون بدمشق. الحموي: البلدان، مج ٢، ص ٤٦٤.

(٧) هو: قطلوشاه التتري، مقدم جيش التتار في معركة شقحب سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م. ابن الوردي: تاريخه، ج ٢، ص ٢٥٤. ابن حجر: الدرر، ج ٤، ص ٢٩٧.

(٨) إضافة من مصادر الترجمة للتصحيح.

(٩) ترجم له: المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٥٠٠. النويري: نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢١٧. البرزالي: المقتفي، ج ٢/٢، ص ١٥١.

(١٠) بكرة الجمعة التاسع والعشرين من رجب. البرزالي.

الخاتمة:

من خلال دراسة عصر المؤلف يمكن القول أن مصر وبلاد الشام عاشت حالة من الاستقرار النسبي ساعد على تقدمها في مختلف مجالات الحياة وبخاصة من الناحية الفكرية، فأضحت مصر مركزاً للعلم وملاذاً للعلماء بدلاً من بغداد عاصمة الخلافة العباسية التي سقطت على يد جيوش المغول بقيادة هولاكو سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، حيث تفاعل سلاطين المماليك مع هذه الحالة، فأكرموا العلماء وقربوهم، واعتنوا بإنشاء المؤسسات التعليمية بمختلف أنواعها، فكان لذلك أثراً كبيراً في تحقيق إنجازات علمية ضخمة عوّضت ما خسره التراث والفكر الإسلامي نتيجة الإتلاف الذي لحق به إثر تدمير بغداد على يد المغول.

وتبيّن من خلال دراسة حياة البدر العيني أنه نشأ في أسرة ميسورة الحال، وفي بيئة تقدر العلم والعلماء، حيث لم تكن رحلاته وتنقلاته من مكان لآخر ومن بلد لآخر من أجل الحصول على الرزق أو لتولي منصب؛ بل كانت سعيّاً وراء طلب العلم ومرافقة العلماء، مما كان له الأثر الأكبر في تكوين شخصيته العلمية، فبرع في علوم عدة كانت له فيها إنجازات قيّمة وعظيمة.

وبعد دراسة مخطوط عقد الجثمان في تاريخ أهل الزمان للبدر العيني، يمكن القول أنه من المؤلفات الفريدة في التاريخ الإسلامي، تميّز بالأصالة والإبداع بما احتواه من معلومات مهمة شملت مختلف نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، وارتقى إلى درجة الثقة بسبب ما امتاز به مؤلفه من فكر حاذق وعلم واسع وأمانة عظيمة أشاد بها من عاصره من المؤرخين ومن جاؤوا بعده.

أما فيما يتعلق بالنص المحقق فقد أوضح الكثير من التفاصيل في علاقة السلطان الناصر محمد ابن قلاوون بالأمراء من المماليك ونوابه على البلاد، والتي تقلّبت بين الود أحياناً والضغينة التي أدت في بعض الحالات إلى حروب واستنجد بالأجنبي، وكذلك بيّن النص علاقة السلطة الحاكمة بالأمراء من العرب وخصوصاً في بلاد الشام والحجاز، كما وضّح العلاقات الخارجية لدولة المماليك مع الدول القائمة آنذاك، وخاصة مع التتار الذين غزوا الرحبة وتراجعوا عنها أمام التحرك القوي للسلطان الناصر محمد.

كما ذكر المؤلف العديد من الأخبار المهمة في الدول والمناطق المجاورة للدولة المملوكية، بذكره أحداث الخصومة والتنازع بين سلاطين بلاد المغرب العربي، وكذلك كيفية وصول أزيك خان إلى سدة الحكم في دولة تشار القفجاق، وأخباراً مطولة عن خربندا ملك التتار في العراق وخراسان وفارس وأذربيجان والروم.

وقد حرص المؤلف على ذكر أسماء أصحاب الوظائف والولاة ضمن الدولة المملوكية، وكذلك الرسل والوفود الذين قدموا إلى البلاد. أما فيما يخص وفيات الأعيان فقد بذل جهداً واسعاً في التعريف بأنسابهم ووظائفهم وآدابهم.

كما يُستنتج من دراسة النص المحقق أن العيني حرص في كثير من المواقع على ذكر المصادر التي استقى منها معلوماته، مما يزيد في صدقية تلك الأخبار، خصوصاً أنه فقيه ممتاز ومؤرخ بارع أخضع كل حادثة للتحليل والتعليل قبل أن يوردها، إلا أنه وعلى الرغم من كثرة نقله عن المصادر التاريخية المتقدمة عليه زمنياً فإنه لا يمكن الاستغناء عن موسوعته "عقد الجمان" ولا سيما في تاريخ العصر المملوكي، كونه قدم فيها معلومات جمة ومتنوعة بلغة بسيطة سهلة التناول والقراءة والفهم.

وخلال دراسة النص وردت بعض أسماء الأعلام والأماكن لم يتم الحصول على ترجمة لها في المصادر والمراجع المتاحة، على الرغم من الاجتهاد في البحث عنها.

وقد تم العمل في هذا البحث من خلال الحرص وتوخي الدقة والمسؤولية العلمية قدر الإمكان، من أجل إخراجه بأفضل ما يمكن من حيث صحة التحقيق والمنهجية في العمل.

وفي النهاية لا بد من التنويه إلى غنى التراث العربي الإسلامي بكنوزه الثقافية والحضارية، التي لم ترى النور بعد، وهي بحاجة لدراستها وإظهارها، فالماضي أساس الحاضر والحاضر قاعدة انطلاق نحو المستقبل، ومن هنا لا بد من الدعوة إلى العمل بجد من أجل تحقيق التراث العربي الإسلامي ونشره كونه ضرورة قومية في هذه المرحلة الحساسة من تاريخ أمتنا.

كسوها الخلس بعد في بطنه ممرورين وياها ركن
 مصري وثلاثمائة راس خيل ومائة وعشرون قطاراً بعلالاً
 ومائة وعشرون قطاراً جملاً هذا خارج عما وجد له من
 الغلال والحيول والبنال والجمال والاعنام
 والمماليك والجوار والعبيد وذلك مملوك له على مكان
 مبني في داره فوجد واحايطين بنين فاخر بهما
 فوجدوا اكياساً فيها ذهب لم يعلم عددها وفتح له
 من الطهارة بركة مملوءة ذهباً مصرياً ووجدوا في خواتم
 ثلاثمائة الف اردب من الفم والستخير والقول وغير ذلك
 ومع هذا كله مات بالجوع كما ذكرنا ويقال
 كان يدخل اليه من اجرة املاكه كل يوم
 الف دينار ومن الاقطاعات والفضائات والحمايات
 ثمة مائة الف درهم في كل يوم فصلاً فوقع
 من الحوادث في السنة الحادي عشر
 بعد السبع مائة
 استهلكت هذه السنة والخليفة المستنق بالله العباسي
 وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الناصر محمد
 ابن قلاوون ونايبة مصر الامير سيف الدين كتمر الجوكدار
 وبالشام الامير سيف الدين كراي وحلب الامير سيف

جميعهم وكانوا هم وانباعهم بقدير سين قرا ورو
 هم على البلاد الساحلية وعرضوهم للبيع وحملوا الياحة
 في ثمنهم الاستين الفا فلم يشترهم احد فتوجهوا بهم الى
 جزيرة المصطكي فامر السلطان بالقبض عليهم بالاسكندرية
 من تجار الفرج والحوطة فليامواهم الى ان يحضر وارسله
 فتوجه شكران الجنوبي الناجر الى جزيرة المصطكي وظلمهم
 وبعث بهم الى مصر ووصلوا في سادس عشر ربيع الآخر
 من سنة ثلثي عشرة وسبع مائة وفيها عادت رسل
 صاحب سيس المسمي اوشين اليه وخالته معهم لانها كانت
 جات لزيارة القدس وفيها وصلت رسل الملك للملك
 هنر الدين صاحب اليمن يهداياه الى الابواب السلطانية
 وكانت وقرماني حمل من انواع القماشات وخيول
 ووحوش وطيور وتحف غير ذلك ففرقها السلطان على
 الامراء الكبار والاضاعرو فيها وقد سليمان بن
 مهدي بن عيسى الابواب السلطانية وطالع ما اعاز على التارما
 بين هيت وتكرت في جماعة من ال فضل فالتوا فيهم واسرو
 منهم واستاقوا مواشيهم واحقر وانفرا من اسارهم
 فاحسن السلطان رفاقتهم واجزل صليته وفيها وصل
 كرئيس النوبي صاحب دنقله وحمل ما هو مقتر عليه من الرق

الورقة: ٢٧٢/ج ٢٠ من مخطوط عقد الجمان.

كهر د اش الزراق مات فيها بد مشق وكان به فالج فرميه
 وكان امير خمين فارسا وكان سافرا الى مكة صحبة
 السلطان فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم تاب وكلف
 واشهد الله وملائكته ورسله انه ما بقي يشرب
 حمرا ولا يركب محرما وغلظ اليمين والتوبة فلما
 وصل الى دمشق شرب الخمر ليلة وصوله فحصل له
 مرض الفالج وبطل نصفه وتداوى بانواع الادوية
 والادهان والعقاقير فلم يخلف منه ومات الامير
 زين الدين عليك العادي توفى فيها بد مشق الامير سيف
 الدين العادي من امراء دمشق توفى فيها الامير علاء
 الدين علي بن عماد الدين حسن بن النشافي مات بغير دوت
 وكان واليا عليها فحمل الى دمشق فدفن بترتهم
 في بفتح فاسيون وكان شابا كافيا بامور الولايات
 الامير سيف الدين سودي بن عبد الله الحمداني
 الناصري النايب بالملكة الحلبية مات في رجب
 رجب ودفن الى جانب تربة الامير قراستقر وكان شكو
 السيرة في ولايته محمود الطريقة وكانت له مكانة
 عالية عند استاده الملك الناصر وسير الى حلب
 عوضا عنه الامير علاء الدين الطنغا الحاج صاحب كلان

واسمه ديباج ابن قنشا بن رستم قدم من بلاده الى الشام
فامد الحجاز الشريف فاركة اجله بقباب وحمل الى
جبل العالحية ودفن بترية اشترى مالها بسبع قاسيون
بطريق مغارة الدم وكانت وفاته في شهر رمضان
واشترى املكا واوقفوه على التربة والمسجد
الذي مقابلها وكان عمره يوم مات اربعا وخمسين
سنة وهو الذي روي قتلوشاه بسهم فقتله فانهم
العسكر نوبة فحجب ويقال كان معه شي كثير
من الذهب والفضة سمعان النهراني العسكري
كانت سيفه الدين فطلوبك الحاشي كبر قتل فيهما
بدمشق وكان قد تجرا واستمال رجلا من المسلمين ونقر
لجوزي بالقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة
فصل في واقع من الحوادث .

في السنة الخامسة عشر بعد السبعماية

استمات هذه السنة و سلطان البلاد المصرية والشامية
المملك الناصر وال خليفة هو المستفي بالله ونائب
دمشق الامير سيف الدين نكر ونائب حلب الامير
علا الدين الطنغا الحاج ونائب طرابلس الامير عمر
السائي ذكر من اعطي وظيفة وامر من قطع



(١)

(١) الكاتب: سيف الدين: أطلس التاريخ الحديث، دار الشرق العربي، الإصدار الثالث، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ٩.



(١)

(١) الكاتب: سيف الدين: أطلس التاريخ الحديث، دار الشرق العربي، الإصدار الثالث، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ١٢.



(١)

(١) أبو خليل، شوقي: أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، ط ١٢، دمشق، ٢٠٠٥ م، ص ٩٠.

سلاطين المماليك

١- دولة المماليك البحرية

٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م

- ١- شجر الدر ٦٤٨هـ/١٢٥٠م
- ٢- المعز عز الدين أيك ٦٤٨-٦٥٥هـ/١٢٥٠-١٢٥٧م
- ٣- المنصور نور الدين علي ٦٥٥-٦٥٧هـ/١٢٥٧-١٢٥٩م
- ٤- المظفر سيف الدين قطز ٦٥٧-٦٥٨هـ/١٢٥٩-١٢٦٠م
- ٥- ركن الدين بيبرس البندقداري ٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م
- ٦- السعيد ناصر الدين محمد بركة خان ٦٧٦-٦٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٩م
- ٧- العادل بدر الدين سلامش ٦٧٨هـ/١٢٧٩م
- ٨- المنصور سيف الدين قلاوون ٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م
- ٩- الأشرف صلاح الدين خليل ٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م
- ١٠- الناصر ناصر الدين محمد: الولاية الأولى ٦٩٣-٦٩٤هـ/١٢٩٣-١٢٩٤م
- ١١- العادل زين الدين كتبغا ٦٩٤-٦٩٦هـ/١٢٩٤-١٢٩٦م
- ١٢- المنصور حسام الدين لاجين ٦٩٦-٦٩٨هـ/١٢٩٦-١٢٩٩م
- ١٣- الناصر ناصر الدين محمد: الولاية الثانية ٦٩٨-٧٠٨هـ/١٢٩٩-١٣٠٩م
- ١٤- المظفر بيبرس الجاشنكير ٧٠٨-٧٠٩هـ/١٣٠٩-١٣١٠م
- ١٥- الناصر ناصر الدين محمد: الولاية الثالثة ٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤٠م
- ١٦- المنصور سيف الدين أبو بكر بن الناصر محمد ٧٤١-٧٤٢هـ/١٣٤٠-١٣٤١م
- ١٧- الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد ٧٤٢هـ/١٣٤١م
- ١٨- الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد ٧٤٢هـ/١٣٤٢م
- ١٩- الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد ٧٤٣-٧٤٦هـ/١٣٤٢-١٣٤٥م
- ٢٠- الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد ٧٤٦-٧٤٧هـ/١٣٤٥-١٣٤٦م

- ٢١-المظفر سيف الدين حاجي بن الناصر محمد ٧٤٧-٧٤٨هـ/١٣٤٦-١٣٤٨م
- ٢٢-الناصر حسن بن الناصر محمد: الولاية الأولى ٧٤٨-٧٥٢هـ/١٣٤٨-١٣٥١م
- ٢٣-الصالح صلاح الدين محمد بن الناصر محمد ٧٥٢-٧٥٥هـ/١٣٥١-١٣٥٤م
- ٢٤-الناصر حسن بن الناصر محمد: الولاية الثانية ٧٥٥-٧٦٢هـ/١٣٥٤-١٣٦١م
- ٢٥-المنصور صلاح الدين محمد بن حاجي ٧٦٢-٧٦٤هـ/١٣٦١-١٣٦٣م
- ٢٦-الأشرف أبو المعالي زين الدين شعبان بن حسين ٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٣-١٣٧٧م
- ٢٧-المنصور علاء الدين علي بن شعبان بن حسين ٧٧٨-٧٨٣هـ/١٣٧٧-١٣٨١م
- ٢٨-الصالح صلاح الدين حاجي بن شعبان بن حسين ٧٨٣-٧٨٤هـ/١٣٨١-١٣٨٢م

دولة المماليك البرجية

٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م

- ١-الظاهر سيف الدين برقوق: الولاية الأولى ٧٨٤-٧٩٠هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م
- ٢-الصالح حاجي بن شعبان ٧٩٠-٧٩٢هـ/١٣٨٨-١٣٩٠م
- ٣-الظاهر سيف الدين برقوق: الولاية الثانية ٧٩٢-٨٠١هـ/١٣٩٠-١٣٩٩م
- ٤-الناصر أبو السعادات فرج بن برقوق ٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٩-١٤١٢م
- ٥-الخليفة العباسي المستعين ٨١٥هـ/١٤١٢م
- ٦-المؤيد أبو النصر شيخ الحمودي ٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م
- ٧-المظفر أحمد بن شيخ ٨٢٤هـ/١٤٢١م
- ٨-الظاهر سيف الدين ططر ٨٢٤هـ/١٤٢١م
- ٩-محمد بن ططر ٨٢٤-٨٢٥هـ/١٤٢١-١٤٢٢م
- ١٠-الأشرف برسباي ٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م
- ١١-أبو المحاسن يوسف بن برسباي ٨٤١هـ/١٤٣٨م
- ١٢-الظاهر جقمق ٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م
- ١٣-المنصور عثمان بن جقمق ٨٥٧هـ/١٤٥٣م
- ١٤-الأشرف إينال ٨٥٧-٨٦٥هـ/١٤٥٣-١٤٦١م

- ١٥- المؤيد أحمد بن إينال ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م
- ١٦- الظاهر خشقدم ٨٦٥-٨٧٢هـ/ ١٤٦١-١٤٦٧م
- ١٧- الظاهر يلباي المؤيدي ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م
- ١٨- الظاهر تمرغا ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م
- ١٩- الأشرف قايتباي ٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٨-١٤٩٦م
- ٢٠- محمد بن قايتباي: الولاية الأولى ٩٠١-٩٠٢هـ/ ١٤٩٦-١٤٩٧م
- ٢١- الأشرف قانصوه خمسمائة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م
- ٢٢- محمد بن قايتباي: الولاية الثانية ٩٠٢-٩٠٤هـ/ ١٤٩٧-١٤٩٨م
- ٢٣- الظاهر قانصوه الأشرفي ٩٠٥-٩٠٥هـ/ ١٤٩٨-١٥٠٠م
- ٢٤- الأشرف جانبلاط ٩٠٥-٩٠٦هـ/ ١٥٠٠-١٥٠١م
- ٢٥- العادل طومان باي الأول ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م
- ٢٦- الأشرف قانصوه الغوري ٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠١-١٥١٦م
- ٢٧- الأشرف طومان باي الثاني ٩٢٢-٩٢٣هـ/ ١٥١٦-١٥١٧م

١. القرآن الكريم.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

١- المصادر المخطوطة:

- ابن حبيب، الحسن بن عمر ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م:
٢. درة الأسلاك في دولة الأتراك، مخطوط في مكتبة الأسد الوطنية، دمشق، رقم م.ف: ١٦٨.
- العيني، محمود بن أحمد ت: ٨٥٥هـ/١٤٥١م:
٣. رمز الحقائق في شرح كنز الدقائق، مخطوط موجود بمكتبة الأسد بدمشق تحت رقم: ١٣٦٩٤٠، ٧٦٢، ١٦٢١٩، ٦٦٨١، ٧٢٩٢، ١٢٣٣٩ ت.

٢- المصادر المطبوعة:

- ابن الأثير، علي بن محمد ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٣م:
٤. أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٤م.
- ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد ت: ٧٢٩هـ/١٣٢٩م:
٥. معالم القرية في أحكام الحسبة، تح: محمد شعبان، الهيئة المصرية العامة للمكتبات، القاهرة، ١٩٧٦م.
- الإدريسي، محمد بن محمد ت: ٥٦٠هـ/١١٦٥م:
٦. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، ط ١، بيروت، ١٩٨٨م.
- ابن إياس، محمد بن أحمد ت: ٩٣٠هـ/١٥٣٢م:
٧. بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٣م.
- ابن أبيك، أبي بكر بن عبدالله الدواداي ت: بعد ٧٣٦هـ/ بعد ١٣٣٥م:
٨. كنز الدرر وجامع الغرر (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)، تح: هانس روبر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ابن بدران، عبد القادر ت: ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م:

٩. منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تح: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٩٨٥م.
- البرزالي، القاسم بن محمد ت: ١٣٣٨هـ/١٧٣٩م:
١٠. المقتفي على كتاب الروضتين، تح: عمر عبد السلام التدمري، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، د.ت.
- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م:
١١. تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: عبد الهادي النازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٧م.
- البغدادي، محمد بن عبد الغني ت: ٦٢٩هـ/١٢٣١م:
١٢. التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تح: كمال الحوت، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٨م، ص٣١٤.
- البكري، عبد الله بن عبد العزيز ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م:
١٣. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، ط٣، بيروت، ١٩٨٢م.
١٤. المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م.
- التطيلي، بنيامين ت: ٥٦٩هـ/١١٧٣م:
١٥. رحلة بنيامين التطيلي، المجمع الثقافي، ط١، أبو ظبي، ٢٠٠٢م.
- ابن تغري بردي، يوسف ت: ٨٧٢هـ/١٤٦٩م:
١٦. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت.
١٧. النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، ١٩٦٣م.
١٨. حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تح: محمد كمال الدين، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٠م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر ت: ٢٥٥هـ/٨٦٩م:
١٩. الحيوان، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ابن جبير، محمد بن أحمد ت: ٦١٤هـ/١٢١٧م:
٢٠. الرحلة، دار الهلال، بيروت، د.ت.

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله ت: ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م:
- ٢١. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.
- ابن حبيب، الحسن بن عمر ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م:
- ٢٢. تذكرة النبیه في أيام المنصور وبنیه، تح: محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م.
- الحموي، ياقوت بن عبدالله ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م:
- ٢٣. معجم البلدان، دار صادر، ط ٢، بيروت، ١٩٩٥م.
- الحميري، ابن عبد المنعم ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٥م:
- ٢٤. الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط ٢، بيروت، ١٩٨٠م.
- الحميري، نشوان بن سعيد ت: ٥٧٣هـ/١١٧٧م:
- ٢٥. شمس العلوم وضاء كلام العرب من الكلوم، تح: حسين العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط ١، ١٩٩٩م.
- ابن حوقل، محمد بن حوقل ت: بعد ٣٦٧هـ/بعد ٩٧٧م:
- ٢٦. صورة الأرض، دار صادر، ط ليدن، بيروت، ١٩٣٨م.
- ابن خرداذبة، عبيدالله بن أحمد ت: ٢٨٠هـ/٨٩٣م:
- ٢٧. المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ١٨٨٩م.
- خسرو، ناصر ت: ٤٨١هـ/١٠٨٨م:
- ٢٨. سفرنامه، تح: يحيا الخشاب، دار الكتاب الجديد، ط ٣، بيروت، ١٩٨٣م.
- ابن الخطيب، محمد بن عبدالله، لسان الدين ت: ٧٧٦هـ/١٣٧٤م:
- ٢٩. الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: يوسف طویل، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٦م:
- ٣٠. تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحادة، دار الفكر، ط ٢، بيروت، ١٩٨٨م.
- الخوارزمي، محمد بن العباس ت: ٣٨٣هـ/٩٩٣م:
- ٣١. الأمثال المولدة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- الداودي، محمد بن علي ت: ٩٤٥هـ/١٥٣٨م:

٣٢. طبقات المفسرين، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٢م.
- أبو ذر، أحمد بن إبراهيم ت: ٨٨٤هـ/١٤٨٠م:
٣٣. كنوز الذهب في تاريخ حلب، تح: شوقي شعث وفالح البكور، دار القلم، ط١، حلب، ١٩٩٦م.
- الذهبي، محمد بن أحمد ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م:
٣٤. معجم الشيوخ، تح: محمد الهيلة، مكتبة الصديق، ط١، الطائف، ١٩٨٨م.
٣٥. سير أعلام النبلاء، تح: محمد الشبراوي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.
٣٦. العبر في خبر من غبر، تح: محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
٣٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م.
٣٨. طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٨م.
- الرازي، محمد بن أبي بكر، ت٦٦٦هـ/١٢٦٥م:
٣٩. مختار الصحاح، تح: يوسف شيخ محمد، المكتبة العصرية، ط٥، ١٩٩٩م.
- الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م:
٤٠. تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من الباحثين، دار الهداية، د.م، د.ت.
- السبكي، عبد الوهاب بن علي ت: ٧٧١هـ/١٣٧٠م:
٤١. معجم الشيوخ، تح: بشار معروف وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م.
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٧م:
٤٢. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٣م.
٤٣. الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
٤٤. التبر المسبوك في ذيل السلوك، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت.
- السمعاني، عبد الكريم بن محمد ت: ٥٦٢هـ/١١٦٧م:
٤٥. الأنساب، تح: عبد الرحمن اليماني، مجلس إدارة المعارف العثمانية، ط١، حيدر آباد، ١٩٦٢م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م:

٤٦. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان - صيدا، د.ت.
٤٧. نظم العقيان في أعيان الأعيان، تح: فيليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
٤٨. حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، مصر، ١٩٦٧م.
٤٩. طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٢م.
- الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد ت: ٩٧٣هـ/١٥٦٥م:
٥٠. الطبقات الكبرى (لوافح الأنوار في طبقات الأخيار)، مكتبة محمد المليجي، مصر، ١٩٩٤م.
- الشوكاني، محمد بن علي ت: ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م:
٥١. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- الشيباني، صالح بن أحمد ت: ٢٦٥هـ/٨٧٨م:
٥٢. سيرة الإمام أحمد بن حنبل، تح: فؤاد أحمد، دار الدعوة، ط١، الإسكندرية، ١٩٨٣م.
- الصفدي، خليل بن أبيك ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٣م:
٥٣. تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، تح: إحسان خلوصي وزهير الصمصام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٢م.
٥٤. الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.
٥٥. أعيان العصر وأعوان النصر، تح: علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٨م.
- ابن الصيرفي، علي بن داود ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٤م:
٥٦. نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تح: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٧٠م.
- ابن طولون، محمد ت: ٨٥٣هـ/١٤٤٩م:
٥٧. إعلام الوري بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تح: محمد دهمان، دار الفكر، ط٢، دمشق، ١٩٨٤م.
- ابن عبد الحق، عبد المؤمن ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٨م:

٥٨. مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، ط ١، بيروت، ١٩٩١ م.
- ابن العديم، عمر بن أحمد ت: ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م:
٥٩. بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- ابن عربشاه، أحمد بن محمد ت: ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م:
٦٠. عجائب المقدور في أخبار تيمور، تح: علي محمد عمر، طبعة كلكتا، ١٨١٧ م.
- العزيزي، الحسن بن أحمد ت: ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م:
٦١. المسالك والممالك، تح: تيسير خلف، دار التكوين، د.م، ٢٠٠٦ م.
- ابن عساكر، علي بن الحسن ت: ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م:
٦٢. تاريخ دمشق، تح: عمرو العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥ م.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر ت: ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م:
٦٣. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ٢، حيدر آباد، ١٩٧٢ م.
٦٤. إنباء العُمَر بأبناء العُمَر، تح: حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ١٩٦٩ م.
٦٥. رفع الإصر عن قضاة مصر، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ط ١، القاهرة، ١٩٩٨ م، ص ٤٣٢.
- العليمي، عبد الرحمن بن محمد ت: ٩٢٨ هـ / ١٥٢٢ م:
٦٦. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تح: عدنان نباتة، مكتبة دنديس، عمان، د.ت، ج ٢، ص ٦٤.
- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد ت: ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م:
٦٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط ١، دمشق-بيروت، ١٩٨٦ م.
- العيني، محمود بن أحمد ت: ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م:
٦٨. الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تقديم: محمد زاهر الكوثري، مطبعة دار الأنوار، القاهرة، ١٩٥٠ م.
٦٩. السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تح: فهم شلتوت، مر: محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٨٨ م.

٧٠. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح: عبد الرزاق الطنطاوي القرموط، الزهراء للإعلام العربي، ط ١، د.ت، ١٩٨٩م.
٧١. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح: محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م.
٧٢. عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، ضبطه وصححه: محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠٠١م.
٧٣. فرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد، المطبعة الكاستيلية الزاهرة، القاهرة، ١٨٧٩م.
- الفاسي، محمد بن أحمد بن علي ت: ٨٣٢هـ/١٤٢٩م:
٧٤. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٠م.
- أبو الفداء، اسماعيل بن علي ت: ٧٣٢هـ/١٣٣٢م:
٧٥. تقويم البلدان، تصحيح ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م.
٧٦. المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط ١، القاهرة، د.ت.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م:
٧٧. العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، بغداد، ١٩٨٥م.
- العمري، ابن فضل الله ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م:
٧٨. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، ط ١، أبو ظبي، ٢٠٠٢م.
٧٩. التعريف بالمصطلح الشريف، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٨٨م.
- القرشي، عبد القادر بن محمد ت: ٧٧٥هـ/١٣٧٣م:
٨٠. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه، كراتشي، د.ت.
- القزويني، زكريا بن محمد ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م:
٨١. آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ابن القلانسي، حمزة بن أسد ت: ٥٥٥هـ/١١٦٠م:
٨٢. تاريخ دمشق، تح: سهيل زكار، دار حسان، ط ١، دمشق، ١٩٨٣م.
- القلقشندي، أحمد بن علي ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م:
٨٣. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٨٤. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، ط ٢، بيروت، ١٩٨٠م.
- كاتب مراكشي ت: في القرن ١٢/هـ: ١٢م.
 - ٨٥. الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.
 - الكتبي، محمد بن شاکر ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م:
 - ٨٦. فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط ١، بيروت، ١٩٧٤م.
 - ابن كثير، إسماعيل بن عمر ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م:
 - ٨٧. البداية والنهاية، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، د.م، ١٩٨٨م.
 - الكرخي، إبراهيم بن محمد ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م:
 - ٨٨. المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.
 - مجهول ت: ٣٧٢هـ/٩٨٢م:
 - ٨٩. حدود العالم من المشرق إلى المغرب، حققه وترجمه عن الفارسية: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢م.
 - ابن المستوفي، المبارك بن أحمد ت: ٦٣٧هـ/١٢٣٩م:
 - ٩٠. تاريخ إربل، تح: سامي الصقار، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م.
 - المقدسي، محمد بن أحمد ت: ٣٨٠هـ/٩٩٠م:
 - ٩١. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، ط ٣، القاهرة، ١٩٩١م.
 - المقرئ، أحمد بن علي ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م:
 - ٩٢. النقود الإسلامية، تح: محمد بحر العلوم، دار الزهراء، ط ٦، بيروت، ١٩٨٨م.
 - ٩٣. رسائل المقرئ، دار الحديث، ط ١، القاهرة، ١٩٩٨م.
 - ٩٤. السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٧م.
 - ٩٥. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٨م.
 - ابن منظور، محمد بن مكرم ت: ٧١١هـ/١٣١١م:
 - ٩٦. لسان العرب، دار صادر، ط ٣، بيروت، ١٩٩٣م.
 - النعيمي، عبد القادر بن محمد ت: ٩٢٧هـ/١٥٢١م:

٩٧. المدارس في تاريخ المدارس، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٠م.

• النويري، أحمد بن عبد الوهاب ت: ١٣٣٣هـ/١٣٣٣م:

٩٨. نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٢م.

• ابن الوردي، عمر بن مظفر ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٧م:

٩٩. خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور زناقي، مكتبة الثقافة الإسلامية، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٨م.

• ابن الوردي، عمر بن مظفر ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م:

١٠٠. تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٦م.

• اليعقوبي، أحمد بن إسحاق ت: ٢٩٢هـ/٩٠٥م:

١٠١. البلدان، تح: محمد أمين ضنا، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠٠١م.

• اليوسفي، موسى بن محمد ت: ٧٥٩هـ/١٣٥٨م:

١٠٢. نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تح: أحمد حطيظ، عالم الكتب، ط ١، بيروت، ١٩٨٦م.

• اليونيني، موسى بن محمد ت: ٧٢٦هـ/١٣٢٦م:

١٠٣. ذيل مرآة الزمان، تح: حمزة عباس، د.م، د.ت.

ثانياً: المراجع:

١- المراجع العربية:

• الأبياري، إبراهيم:

١. الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، د.م، ١٩٨٤م.

• الألوسي، محمود شكري ت: ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م:

٢. غاية الأمان في الرد على النبهاني، تح: أبو عبد الله الداني، مكتبة الرشد، ط ١، الرياض، ٢٠٠١م.

• الباشا، حسن:

٣. الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩م.

- باشا، محمد مختار:
- ٤. التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، د.م، ١٩٨٠م.
- البغدادى، اسماعيل باشا:
- ٥. هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- أبو حجر، آمنة:
- ٦. موسوعة المدن العربية، دار أسامة، ط ١، عمان، ٢٠٠٢.
- الحجي، حياة ناصر:
- ٧. بعض الأبعاد الاقتصادية لسلطنة المماليك، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ١٤٢٣ - ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢-٢٠٠٣م.
- ٨. السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده، مكتبة الفلاح، ط ١، الكويت، ١٩٨٣م.
- الحربي، عاتق:
- ٩. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة، مكة المكرمة، ١٩٨٢م.
- حسن، علي إبراهيم:
- ١٠. دراسات في تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، ط ٢، د.م، ١٩٤٨م.
- الخطيب، مصطفى عبد الكريم:
- ١١. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت، ١٩٩٦م.
- أبو خليل، شوقي:
- ١٢. أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، ط ١٢، دمشق، ٢٠٠٥م.
- دهمان، محمد أحمد:
- ١٣. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، ط ١، دمشق، ١٩٩٠م.
- رمضان، حميد:
- ١٤. الأوزان والمقاييس والمكاييل عند العرب والمسلمين، دار الملاح، ط ١، دمشق، ٢٠٠٠م.
- الزركلي، خير الدين بن محمود:
- ١٥. الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥، بيروت، ٢٠٠٢م.
- زكار، سهيل:

١٦. الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م.
- زيتون، عادل:
١٧. تاريخ المماليك، منشورات جامعة دمشق، ط٨، دمشق، ٢٠٠٢م.
- سليم، محمود رزق:
١٨. عصر سلاطين المماليك ونتائجهم العلمي والأدبي، مكتبة الآداب ومطبوعاتها، القاهرة، ١٩٤٧م.
- سيد، فؤاد:
١٩. فهرس المخطوطات التي اقتنتها دار الكتب المصرية من سنة ١٩٣٣م إلى ١٩٥٥م، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٨٣م.
- شراب، محمد حسن:
٢٠. المعالم الأثرية في السنة والسيرة، دار القلم، ط١، دمشق-بيروت، ١٩٩٠م.
- شكري، إيمان:
٢١. السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢٩.
- الشنتناوي، أحمد، وآخرون:
٢٢. موسوعة دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- الشهابي، قتيبة:
٢٣. معجم دمشق التاريخي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٩م.
٢٤. معالم دمشق التاريخية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦م.
- الصياد، فؤاد عبد المعطي:
٢٥. المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.
- ضومط، انطوان خليل:
٢٦. الدولة المملوكية، دار الحداثة، ط١، د.م. ١٩٨٠م.
- طرخان، إبراهيم علي:
٢٧. مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م.
- طقوش، محمد سهيل:
٢٨. تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، ط١، بيروت، ١٩٩٧م.

- عاشور، سعيد عبد الفتاح:
- ٢٩. المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ٣٠. مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢.
- ٣١. العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، ط٢، القاهرة، ١٩٧٦م.
- عبد الحليم، رجب:
- ٣٢. انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
- عبد الحميد عمر، أحمد مختار:
- ٣٣. معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، د.م، ٢٠٠٨م.
- عبد السيد، حكيم أمين:
- ٣٤. قيام دولة المماليك الثانية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.
- عبدالله، يسرى:
- ٣٥. معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩١م، ص ١٣٤.
- قاسم، قاسم عبده:
- ٣٦. أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٨٧م.
- ٣٧. النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٧٨م.
- ٣٨. عصر سلاطين المماليك - التاريخ السياسي والاجتماعي، عين للدراسات والبحوث، ط١، القاهرة، ١٩٩٨م.
- العبد، محمد و عبد الحليم، طارق:
- ٣٩. دراسات في الفرق الصوفية، دار الأرقم، الكويت، ١٩٩٧م.
- العريني، السيد الباز:
- ٤٠. المماليك، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
- العلبي، أكرم حسن:
- ٤١. دمشق بين عصري المماليك والعثمانيين، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، ط١، دمشق، ١٩٨٢م.
- العنزي، أحمد:
- ٤٢. الحياة الفكرية في العصر المملوكي الثاني، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٠م.

- غانم، حامد زيدان:
- ٤٣. صفحة من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٨ م.
- الغزي، كامل بن حسين ت: ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢ م:
- ٤٤. نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، ط٢، حلب، ١٩٩٨ م.
- الكاتب: سيف الدين:
- ٤٥. أطلس التاريخ الحديث، دار الشرق العربي، الإصدار الثالث، بيروت، ٢٠٠٩ م.
- كحالة، عمر رضا:
- ٤٦. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، ط٧، بيروت، ١٩٩٤ م.
- ٤٧. معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، د.ت.
- كرد علي، محمد:
- ٤٨. خطط الشام، مكتبة النوري، ط٣، دمشق، ١٩٨٣ م.
- الكرمل، انستاس:
- ٤٩. رسائل في النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، مكتبة الثقافة الدينية، ط٢، القاهرة، ١٩٨٧ م.
- مبارك، علي باشا:
- ٥٠. الخطط التوفيقية لمصر القاهرة، المطبعة الأميرية، ط١، بولاق، ١٨٨٧ م.
- مجمع اللغة العربية:
- ٥١. المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، د.ت.
- مجموعة من المؤلفين:
- ٥٢. الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مؤسسة السفير للتاريخ الإسلامي، د.م، د.ت.
- محمد أمين، محمد:
- ٥٣. الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دار النهضة، ط١، د.م، ١٩٨٠ م.
- محمد حسين، حمدي:
- ٥٤. دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، د.م، ٢٠٠٠ م.
- الشيخ، محمد مرسي:
- ٥٥. دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨١ م.

- مصطفى، شاكراً:
- ٥٦. التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٨٠م.
- مركز الدراسات العسكرية:
- ٥٧. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ط١، ١٩٩٢م.
- المنجد، صلاح الدين:
- ٥٨. قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتاب الجديد، ط٤، بيروت، د.ت.
- مؤسسة أعمال الموسوعة:
- ٥٩. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط١، الرياض، ١٩٩٦م.
- ٦٠. الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية، ط١، ٢٠٠٧م.
- النهار، عمار:
- ٦١. الأوقاف الإسلامية وأثرها على النهضة العلمية في عصر المماليك، بحث غير منشور، جامعة دمشق، د.ت.
- ٦٢. العصر المفترى عليه: عصر المماليك البحرية، دار النهضة، ط١، دمشق، ٢٠٠٧م.

٢- المراجع المَعْرَبَة:

- بلاشير، ريجيس وسوفاجيه، جان:
- ٦٣. قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها، تر: محمود المقداد، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.
- دوزي، رينهارت:
- ٦٤. المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، تر: أكرم فاضل، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، الرباط، د.ت.
- ٦٥. تكملة المعاجم العربية، تر: محمد النعيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ٢٠٠٠م.
- الشنتناوي، أحمد، وآخرون:
- ٦٦. موسوعة دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- فانديك، إدوارد كرنيليوس:

- ٦٧. اكتشاف القنوع بما هو مطبوع، مطبعة الهلال، مصر، ١٩٨٦م.
- كريم الله، أبرار:
- ٦٨. من هم التتار، تر: رشيدة الصبروتي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٤م.
- لايبندوس، ايرامافين:
- ٦٩. مدن الشام في العصر المملوكي، تر: سهيل زكار، دار حسان، ط١، دمشق، ١٩٨٥م.
- لسترانج، كي:
- ٧٠. بلدان الخلافة الشرقية، تر: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
- ماير، ل، أ:
- ٧١. الملابس المملوكية، تر: صالح الشيتي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، د.ت.

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

- الرفاعي، هالة نواف:
- ٧٢. السجون في العصر المملوكي، رسالة ماجستير أعدت بإشراف: محمد خريسات، الجامعة الأردنية-كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٨م.
- العوا، أنور:
- ٧٣. تحقيق قطعة من مخطوط: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: شكران خربوطلي، جامعة دمشق، ٢٠٠٩م.

رابعاً: المجلات والدوريات:

- ٧٤. مجلة لغة العرب العراقية، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٢٨م، العدد: ٥٦.
- ٧٥. مجلة دراسات تاريخية- جامعة دمشق، عددان ٢٣ و٢٤، أيلول-كانون الأول سنة ١٩٨٦م.

خامساً: المراجع الأجنبية:

- 76- Gibb, H. A. R: **Arabic literature an introduction**, London Oxford-Newyork, second edition, w.d.
- 77- Lan Pool: **History Of Egypt In The Middle Ages**, London, 1936g
- 78- Ross Burns: **Monuments of Syria- an Historical Guid**, 1.B, Tauris, Landon, Newyork, w.d.

Mamluk era, this chapter also talks about the author's life, his family, education, travels, teachers, students and written works until his death.

The second chapter, includes: the content of the manuscript and methods followed by Al-aini, a description of copies that relied on in the investigation, the sources used by Al-aini in the piece of manuscript, published portions of the manuscript, the importance of the historical material contained in it, the methods used in the editing piece of the manuscript and the edited text from the year 711 H\1311 G until year 714 H\1314 G.

Abstract

The purpose of this letter is study and editing apiece from the manuscript of Akd Al-juman fi tarekh Ahl Al-zman, by author: Bdr Al-dein Al-aini D: 855 H\1451 G, the piece annals: 711-714 H\1311-1314 G.

Al-aini was one of the most prominent historians, who lived through the establishment of the Jraksa mamluks state, and was an eyewitness to the most serious events that have defined the Islamic countries, especially the Mongol invasions, in addition, military campaigns waged by the Mamluk sultans against the Crusaders, and against Mongol invasions.

The importans of Akd Al-juman by Al-aini is not confined to political events, but goes beyond to other matters relating to economic, social, intellectual and religious conditions of Islamic society at that time. It also saved us in his manuscript arecord of alarge number of the most famous of the Mamluk era.

The study depended on one copies of the manuscript which is: the copy Egypt's house books, with number: 1584 Tareekh.

Meanwhile, the study is divided into two chapters:

The first chapter includes talks about the political, administrative, economic, social and intellectual conditions in the